المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . . أما بعد

فعقب فتح المسلمين جزيرة إيبيريا(★) ـ التي عرفت منذ ذلك الحين بالأندلس ـ أصبحت تضم بين جناحيها عناصر سكانية مختلفة المشارب، وأجناساً بشرية متباينة الثقافات حتى متى اجتمع هؤلاء كلهم تحت راية الإسلام تكونت على أيديهم حضارة إسلامية مجيدة، فكانت الأندلس بهذا أحد المعابر التي انتقلت عن طريقها الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبي.

ومن المثير ـ حقا ـ أن المسلمين ظلوا في الأندلس حوالي ثمانية قرون خرجوا بعدها يجرون أذيال الهزيمة، حيث إجتثت جذور الإسلام منها، فلم يبقَ إلا تلك المظاهر الحضارية الرائعة التي ما زالت تنطق بذلك العز الذي عاشه أولئك المسلمون.

وفي السنوات الأخيرة حظي المغرب الإسلامي ـ وخاصة الأندلس ـ باهتمام بالغ من قبل الباحثين والدارسين العرب، فظهرت في هذا الميدان دراسات وفيرة، وأبحاث متنوعة، منها ما يركز على الأحوال السياسية، ومنها ما يجلو الحياة الحضارية، ومنها ما يجمع بين هذا وذاك.

أهمية الموضوع:

ومن الملاحظ أن معظم الباحثين في تاريخ المسلمين في الأندلس قد ركزوا أبحاثهم، وكثفوا دراساتهم على الفترات النيّرة من ذلك التاريخ معرضين ـ في المقابل ـ عن البحث في تلك الحقب التي كساها التمزق، وغشاها

(★) عمدت إلى النص على لفظ «جزيرة» في هذا البحث، فلم أقل «شبه جزيرة» مع إدراكي أن ما يسمى بإيبيريا لا يحاط بالماء من كل الجوانب، والحجة في ذلك أن المصادر الإسلامية ـ التاريخية منها والجغرافية نهجت هذا النهج.

الانحلال. والظاهر أن الانسياق وراء هذه الوجهة في معالجة التاريخ الإسلامي عامة والأندلسي منه بصفة خاصة يحرمنا ـ نحن المسلمين في عصرنا الشاهد ـــ الاستفادة من تفهم دروس هذا التاريخ، واستكناه عبره؛ فالمسلمون في الأندلس على مدى تاريخهم الطويل مرت عليهم تجارب سياسية تأرجحت بين الائتلاف والتفكك، وبين القوة والضعف. فما أحوجنا اليوم إلى الوقوف مليًّا عند مثل هذه التجارب على حد سواء، واستقراء أحداثها الدقيق منها والجليل، إذ إننا حين نفعل ذلك سيتوافر لدينا سجل متراكم من الحقائق التي تنبئ عن الأمور الفاعلة في رفعة المسلمين وكذلك انحدارهم.

فإذا تأملنا فترة الربع الأخير من القرن الثالث الهجري في الأندلس(★) ألفيناها تقدم لنا نموذجا من نماذج التفسخ السياسي الذي عانى منه المسلمون في هذه البلاد. وهذه الفترة تمثل بالتحديد عصر الحاكم الأموي الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط الذي تولى حكم الإمارة الأموية فيما بين سنتي ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م و ٣٠٠هـ/ ٩١٢م.

كانت الأندلس قبيل عصر هذا الأمير قد عصفت بها الانقسامات، واحتوتها الخلافات، فلما آل عرش إمارة بني أمية إليه ازدادت الفتنة سعارا، وتأجج أوارها، وانتشر المتمردون في معظم مناحي البلاد حتى بلغ تعدادهم أكثر من خمسة وثلاثين متمردا يمثلون مختلف طوائف المجتمع الكبرى، نذكر منهم من المولدين: عمر بن حفصون في معقل بُبَشْتْر من كورة رَيُّة وهو يعد أعتى المتمردين قاطبة في فترة الدراسة، وعبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي في بَطَلْيَوْس، ومحمد بن لُبّ القَسَوي في الثغر الأعلى، وديسم ابن إسحاق في كورة تُدَمِير، وسعيد بن مَسْتَنَة في بَاغُة من كورة إِلْبِيرَة،

(★) نعني بالأندلس هنا: البلاد التي كانت تحت حكم المسلمين في جزيرة إيبيريا، وكانت تشكل وقت البحث أكثرية مساحة دولة إسبانيا الحاليَّة، ومعظم أراضي دولة البرتغال الحاليَّة أيضا.

وعبد الله بن أمية بن الشالية، وسعيد بن هذيل في كورة جَيَّان. أما العرب فنذكر: سوار بن حمدون في كورة إِلْبِيرَة، وبني خلدون وبني حجاج في كورة إِشْبِيلِيَّة، وعثمان بن عمرون في لَبْلَة، وسليمان بن عبد الملك الشذوني في كورة شَذُونَة، أما المتمردون البربر فنذكر منهم: موسى بن ذي النون وأبناءه الثلاثة يحيى والمطرّف والفتح في كورة شَنْتَ بَرِيَّة، ومحمد بن تاجيت وزَعال بن يَعيش بن فُرانِك في كورة ماردة. وهناك جمع من الموالي قد تمردوا نذكر منهم: منذر بن إبراهيم بن السَّلِيم، وطالب بن مولود في كورة شَذُونَة، وبني الخليع في كورة تَاكُرُنَّا.

وبصفة الأمير عبد الله الحاكم الشرعي للبلاد فإنه ـ حسب ما يُسر له من إمكانات ـ لم يألُ جهداً من انتشال الأندلس من براثن التمزق الذي شرخ وحدتها، فظل طوال فترة حكمه يعمل ـ بكل الأساليب المتاحة له ـ على تهدئة الفتنة، وقمع المتمردين.

إن دراسة هذه الحقبة من تاريخ المسلمين في الأندلس بجانب كونها تمثل لوحةً ناطقةً تحكي أحد أمثلة التفكك السياسي في تاريخ أمتنا الذي ينبغي أن نتفحصه ونستلهم منه الدروس ـ فإن أهمية دراستها تتضاعف إذا ما أضيف إلى ذلك عدة اعتبارات، نذكر من تلك الاعتبارات أن أحداث هذه الحقبة لم تُعْطَ نصيبها المتكامل من البحث والتقصي، فعند استعراضنا لمكتبة الدراسات الأندلسية لا نكاد نظفر بدراسة شاملة ـ وفي الوقت ذاته مركزة ـ حول هذا الموضوع، ولا يعني ذلك أنه أهمل إهمالا تاما من جانب المؤرخين فلم يتطرقوا إليه ألبتة، بل عُولج ضمن الكتب التي خصصت لتاريخ بني أمية في الأندلس من ناحية، أو الكتب التي وضعت للتاريخ الأندلسي العام من ناحية أخرى، فمن المؤرخين مَنْ كتبوا عن هذه الفترة ضمن مؤلفاتهم التي جعلوها للتاريخ الأندلسي الطويل، فجاءت هذه الكتابات عامةً، وينقصها ـ على ما يبدو ـ التنظيم والتحليل، وهناك ثلة من المؤرخين ضمنوا

كتبهم أبرز الحوادث في هذا العصر، وأغفلوا ما سواها، بل إن البعض من هؤلاء لم يُشر لهذا العهد إلا إشارات عابرة سريعة، كما أننا نجد بعض الباحثين قد كتبوا شذرات عن تاريخ هذه الفترة ضمن رسائلهم للماجستير أو الدكتوراه؛ ومن هذا يتضح أن الربع الأخير من القرن الثالث الهجري بحاجة إلى من يستطلع تاريخه، ويستجلي وقائعه، ويحقق أحداثه، ويربط فيما بينها.

ومما يكسب هذا الموضوع أهمية أن الأمير عبد الله بن محمد كان قد ورث دولة تسرب إليها الانحلال، وسرى في كيانها الانقسام، فكان عليه بعد أن قبض على مقاليد الأمور أن يجابه ثواراً أشداء، جرفهم سيل الفتنة، وجمع بينهم رفع لواء العصيان ضد سلطته، ومن المُسلَّم به أن الإمارة الأموية في الأندلس ـ رغم كل هذه الظروف التي أحدقت بها ـ بقيت قائمة حتى تسلَّم زمامها حفيده عبد الرحمن بن محمد، المعروف بالناصر أو الثالث (٣٠٠هـ/ ٩١٢م ـ ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، فحري بنا أن ندرس هذه الظاهرة لنكشف تلك السياسة التي انتهجها الأمير عبد الله في تعامله مع الوضع المضطرب الذي ساد البلاد، وكيف استطاع أن يحمي عرش أسرته من الاضمحلال، ومن ثم السقوط.

ثم يمثل هذا البحث محاولة للتعرف على مآرب متمردي تلك الفترة، وما إذا كانت ثوراتهم التي عمت الأندلس آنذاك ذات طابع اجتماعي ترمي إلى رفع مستوى الفئات الضعيفة من الفقراء والمعوزين، أو أنها كانت ذات هدف انفصالي تتوخى تكوين قوى سياسية مستقلة عن السيادة الأموية، ثم ما الأساليب التي اتبعها المتمردون في سبيل تحقيق أهدافهم؟

كما أن فيه أيضا دراسة لموقف الجماعات النصرانية في الداخل والخارج إزاء هذا التضعضع الذي ابتلي به جسم المجتمع الإسلامي في الأندلس، ومدى محاولة القوى النصرانية المجاورة اجتياح الأراضي الإسلامية في ذلك الحين.

ومما لا مشاحة فيه أن الأندلس شهدت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وكذلك في القرن الرابع الهجري فترتين حضاريتين زاهرتين، وعلى هذا فإن تحقيق أحداث عصر الأمير عبد الله بالذات يكشف لنا طبيعة هذه المرحلة الانتقالية ــ إن جاز لنا هذا التعبير ـ وأثرها في تشكيل حضارة الأندلس الرائعة في القرن الرابع الهجري لا سيما وأن كثيراً من رجال هذا القرن قد ولدوا وترعرعوا، وربما عاشوا شطراً كبيرا من حياتهم في فترة الدراسة.

ولعل مما يضفي على هذا البحث أهمية أيضا أنه بالرغم من أن عصر الأمير عبد الله يُوسَم بالضعف فإنه قد حدث فيه على أيدي مسلمي الأندلس فتوحات جديدة ـ وفي الوقت نفسه متأصلة ــ في البلاد النصرانية المجاورة، فحري بنا أن نستقرئ هذه الظاهرة التي تبدو وكأنها غريبة، فنتعرف على أسرار حدوثها في ذلك الزمن بالذات.

وأخيرا فإن دراسة هذا الموضوع تُعَدّ فرصة كبيرة للنظر في كثير من التهم التي نسبت للأمير عبد الله ولبعض معاصريه، ومدى انطباقها عليهم.

ولمحاولة الإحاطة بكل ما أومأنا إليه وبغيره مما يفرضه عنوان الدراسة فقد جاء هيكل البحث مقسما إلى تمهيد وستة فصول، ثم خاتمة.

هيكل البحث:

فالتمهيد تعرض بإيجاز شديد لتاريخ الإمارة الأموية في الأندلس منذ إنشائها حتى نهاية عصر الأمير محمد (٢٣٨هـ/ ٨٥٢م ـ ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)، والد الأمير عبد الله، فشمل نظرات سريعة في عهود أولئك الأمراء الأمويين الذين تعاقبوا على الحكم في المدة المذكورة، وذلك على المستويين الداخلي والخارجي، وقد كان التركيز فيه أكثر على عهد الأمير محمد؛ لأن الفتنة التي امتدت في فترة الدراسة كانت من مخلفات ذلك العهد، فقدم التمهيد بذلك أرضية صلبة اتكأت عليها الفصول التالية.

ثم أتى الفصل الأول بعنوان «أحوال الأندلس الداخلية في مطلع الربع الأخير من القرن الثالث الهجري»، ونظرا لقصر أيام حكم الأمير المنذر بن

محمد (٢٧٣هـ/ ٨٨٦م ـ ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) أولا، ولتداخل أحداثها ـ بشكل لا فكاك منه ـ بولاية أخيه عبد الله ثانيا، فقد تناول هذا الفصل في إحدى جزئياته اعتلاء هذا الأمير العرش، وما أحدثه من تغييرات في جهاز الدولة الأموية، ثم عالج ـ أيضا ـ الوضع الداخلي في عهده، وبعدها انفتح النطاق للحديث عن أمير فترة الدراسة الأمير الأموي عبد الله، فتعقب حياة هذا الأمير قبل توليه الحكم في إمارة بني أمية، ثم درس الكيفية التي وصل بها إلى العرش، وناقش ما أثارته بعض المصادر حول تآمره للقضاء على أخيه الأمير المنذر، وعقب ذلك ألقى الأضواء بصورة عامة على أحوال الأندلس حين تدهورت إلى الحضيض في أوائل عهد الأمير عبد الله، فكانت هذه الأضواء مدعاة لاستنباط العوامل التي أوصلت البلاد إلى هذا الحد من التدهور، وقد استنبطت تلك العوامل ـ بتجرد وبلا مبالغة ـ من واقع النصوص المتناثرة في زوايا المصادر.

ثم تلى الفصل الأول فصول ثلاثة عنيت كلها باستقصاء تفاصيل حركات العصيان التي خيمت على معظم أرجاء الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري مشفوعة بمواقف الإمارة الأموية منها، وقد وزعت بادئ ذي بدء حسب عناصر المجتمع المتمردة، ثم قسمت حركات كل عنصر على ضوء الأماكن التي ظهرت فيها، فاهتم الفصل الثاني بحركات المولدين وموقف الإمارة منها، وعالج الفصل الثالث حركات العرب وموقف الإمارة الأموية منها. وحيث إن البربر والموالي كانوا أقرب العناصر الاجتماعية إلى البقاء على الولاء للأمويين ـ لاعتماد هؤلاء الأخيرين في دولتهم عليهم أكثر من غيرهم ـ فقد نوقشت جميع حركاتهم في فصل واحد فجاءت في الفصل الرابع تحت عنوان «حركات البربر والموالي وموقف الإمارة الأموية منها»، ولكيلا يحس المطّلع على دراسة هذه الحركات أن هذه التقسيمات قد أثرت على تناسق الموضوع ووحدته فقد روعي في عرضها الاعتماد على شيء من الشمولية،

وبجانب ذلك فقد نوقش في ثنايا هـذه الفصول عدد من القضايا التي غلب عليَّ الظن أنها جـديرة بـالمناقشـة، فأشبع الكـلام عنها من دون إفـراط حتى وصل فيها إلى ما بدا أنه قريب من الصواب.

وقد خصص الفصل الخامس لتتبع علاقات الأندلس السياسية مع القوى الخارجية، ولما كان عنوان البحث لا يقتصر على دراسة أحـوال حكومة قرطبة الأمويـة فحسب، فإن هذا الفصل قـد تطرق لكل ما صـدر عن الأندلسيين بعامـة من تبادل دبلـوماسي أو عسكري مع القـوى الخارجية سـواء مع العالم النصراني أو مع العالم الإسلامي.

أمـا الفصل السادس ــ وهـو الأخير ــ فقد كـان محلـه من هيكل البحث ملائمًا إلى حد بعيد، إذ إن لَبِناتِـه التي ركب منها قد استلهمت مادتها الأولية من سائر الفصـول السابقة، فجاء بعنـوان «تقويـم عام لأوضـاع الأندلس في الربع الأخير من القـرن الثالث الهجـري»، حيث عاين بهدوء أحـوال الإمارة الأمويـة التي كانت تعد الحكومـة الشرعية للبلاد، كما رصد من جـانب آخر الآثار التي تخلفت عن الفتنة على كل المستويات.

وبعد هذه الفصـول الستة أقفلت الدراسة بخاتمة جمعت فيها خـلاصة ما حواه البحث من نتائج.

منهج البحث:

ولتخرج الدراسة بثوب قشيب، وبشكل جـديد حسب التوزيعات المشار إليها آنفا، فقد ابتعدت عـن مجرد السرد التاريخي للحوادث الذي لا يقوم إلا على رصِّ المعلـومـات بجـانب بعضهـا بعضـاً، وترديـد مـا قـالتـه المصـادر فاستخـدمت ـ بقـدر الاستطاعة ــ المنهج العلمي الحديث لدراسـة التاريخ القـائم على جمع النصـوص من الأصـول، ومن ثم تحليلهـا ومقارنـة بعضهـا بـالبعض الآخـر، وكـذلك تعليل الأحــداث التي تستـوجب التعليل، ومع الاعتناء أيضـا بالـدراسات الحديثـة التي مست الموضوع اجتهـدت أن أعمل ذلك كله بحيدة وموضوعية ودون إسراف.

ولقد لجأت كذلك إلى الاجتهاد في أحيان متعددة، وذلك من أجل ملء بعض الثغرات الناقصة من البحث والتي ضَنَّتْ المصادر علينا بمعلومات عنها، وقد تمثل هذا النقص أكثر في دراسة حركات أولئك المتمردين غير الكبار، ذلك أن المصادر طغى عليها تعقب حركات المتمردين الكبار، ولم تحفل كثيراً بالمتمردين الصغار، فضلا عن كون معظم هؤلاء الأخيرين ينتسبون إلى أسر ليس لها دور في التاريخ الأندلسي سواء في الفترات السابقة أو اللاحقة؛ الأمر الذي جعل أخبارهم في المصادر تأتي مقتضبة جدا. وبما أن الموضوع يتناول الأندلس كلها بالدراسة فقد استفرغت المجهود في رسم صورة عنهم وعن علاقتهم بالإمارة الأموية أسوة بمنهجي مع إخوانهم المتمردين الكبار، زد على ذلك أن الأماكن التي اعتصموا فيها من حصون وقرى لم تكن مشهورة في كتب الجغرافيا الأندلسية ـ وغيرها من باب أولى ـ فاقتضى ذلك مني لأكتب عنهم كتابة علمية إمضاء كبير وقت في سبيل العثور على إيضاحات عن تلك الأماكن، وحين لم يتيسر لي ما أنشده عمدت في الغالب إلى الاجتهاد أو الترجيح.

ومما يلح ذكره هنا أنه بجانب اتساع مسطح البحث بحيث شمل الأندلس بأسرها فقد تشعب أبعد من ذلك بدراسته للعلاقات السياسية مع القوى الخارجية، ومع هذا فقد حرصت ــ حين تطرقت لهذه القوى ــ على أن أعود إلى مصادرها ومراجعها المتخصصة.

أما عن طريقة صياغة مادة الموضوع فقد اجتهدت في عرض جزئيات فصوله بأسلوب مترابط يجعل كل فكرة تأخذ بعقب أختها، وقد أسهبت الكلام في بعض المواضع التي تحتم عليّ فيها الإسهاب، وأوجزت في تلك المواضع التي لا تقبل إلا الإيجاز.

المادة العلمية:

وغني عن البيان أن هذه الدراسة لم تكن لتظهر بهذا المظهر إلا لاعتمادها على الكثير من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، فإذا نظرنا إلى مصادرها

العربية القديمة ألفيناها قد تنوعت ما بين الكتب التاريخية، وكتب التراجم، والطبقات، وكتب الأنساب، وكتب الأدب(★)، وكتب الجغرافيا، بل وحتى كتب العقيدة والفقه.

فمن الكتب التاريخية المهمة التي اتكأ عليها البحث «تاريخ افتتاح الأندلس» لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن القوطية - المتوفى سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م - فهذا الكتاب قد دونت فيه أخبار متفرقة عن المسلمين في الأندلس منذ دخولهم حتى بدايات القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، فهو على الرغم من أنه عُرف لدى الدارسين بأنه ينتهي بنهاية عهد الأمير عبد الله - المتوفى سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م - فإنه استطرد في إيراد أخبار بعض المتمردين على الإمارة حتى عرض لهم بصورة مجملة في عهد خليفته وحفيده عبد الرحمن بن محمد (الناصر)، ويغلب على هذا الكتاب الطابع القصصي والصبغة الإنشائية غير المتكلفة، ولا يهتم بإثبات الحوادث بالسنين إلا في الندرة النادرة، كما أن ما ورد فيه من أخبار تفتقر إلى التنظيم، ولكن مع ذلك كله فإنه قد أمدني بمعلومات قيمة عن الأمير عبد الله، وعن المتمردين في الثغر الأعلى، وعن فتنة عبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي، وكذلك عن فتنة عمر بن حفصون وعلاقته بالزعيم العربي إبراهيم بن حجاج اللخمي حاكم إشبيلية، ولعل هذا المعلومات ميزتها أن ابن القوطية كان قريبا من فترة الدراسة فهو يروي أحيانا عن رجال عايشوا الأحداث، فضلا عن أن هؤلاء الرجال قد أخذوا بعض ما يروونه له من أفواه الثوار، مثلما روى أحدهم عن عمر بن حفصون.

(★) قد لا يكون ما سنورده من مصادر تحت هذه المسميات - خاصة كتب التاريخ والتراجم والأدب - دقيقا بحيث لا تخرج مادتها عما سميت به، ولكن سميناها بطبيعة الحال هكذا لطابعها العام أولا، ولتعارف أكثر المشتغلين بالدراسات الأندلسية عليها بتلك الأسماء ثانيا.

ويأتي في سلسلة المصادر التاريخية التي خدمت البحث كتاب «أخبار مجموعة في فتح الأندلس، وذكر أمرائها ـ رحمهم الله ـ والحروب الواقعة بينهم» وهو لمؤلف غير معروف، وكان حديثه عن المسلمين في هذه البلاد قد ابتدأ بالفتح، وانتهى بأخبار عبد الرحمن الناصر، وقد قدم عن فترة الدراسة معلومات ليست واسعة، ولكنها كانت مركزة وقريبة من الواقعية.

ثم إن الكتابات التاريخية لأبي مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان ـ المتوفى سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م ـ قد صاحبتني تقريبا من أول الدراسة إلى أواخرها، ولم يكن هذا البحث ليقف على قدميه بدونها، فمن مؤلَّفِه الثَّرِّ «المقتبس» استخدمت ثلاث قطع، الأولى تلك التي حققها الدكتور محمود علي مكي بعنوان «المقتبس من أنباء أهل الأندلس» تحقيقا يدل على سعة اطلاعه، ودقة تصويباته، وتبصره بمذاهب التحقيق ـ هذه القطعة شملت بعض عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وجانبا كبيرا من أنباء دولة ابنه الأمير محمد، ولذا التجأت إليها حين تعقبي للعوامل التي حركت الفتنة في الأندلس، كما زودتني أيضا بإفادات جيدة عن الأمير عبد الله والمتمردين. أما القطعة الثانية التي نشرها الراهب الإسباني ملشور م. أنطوانيه Melchor M. Antuna. تحت عنوان «القسم الثالث من كتاب المقتبس في تأريخ رجال الأندلس» فقد حوت أحداث فترة الربع الأخير من القرن الثالث الهجري بأسرها تقريبا منسقة حسب السنين، فبدأت بولاية الأمير عبد الله سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م، وتوقفت عند نهاية حوادث سنة ٢٩٩هـ/ ٩١١م، وقبل مجيء هذه الأحداث المرتبة على السنين وردت فيها معلومات جمة يغلب عليها التنظيم عن حياة الأمير عبد الله، ونظام حكومته، وكذلك عن أكثرية المتمردين وحركاتهم المضادة لهذه الحكومة، أما القطعة الثالثة التي استخدمتها من كتاب ابن حيان المتقدم الذكر فهي تلك التي اعتنى بنشرها المستشرق الإسباني بدرو شالميتا Pedro Chalmeta، بعنوان مبتسر، هكذا:

«المقتبس لابن حيان القرطبي، الجزء الخامس»، وحيث إنها شملت بعضا من السيرة الذاتية لعبد الرحمن الناصر مشفوعة بذكر الأحداث متتالية حسب السنين منذ بداية عهده ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، حتى سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤١م - حيث إنها كذلك فقد أعانتني على تبيان طرف مما صادفني من غموض حول بعض المتمردين وأماكن وجودهم، لا سيما أولئك الذين استمروا حتى عهد عبد الرحمن الناصر، كما أمدتني هذه القطعة أيضا بلمحات ثمينة عن بعض جوانب علاقة الأمير عبد الله بأفراد أسرته.

ويحق في هذا المقام ألا أدع الحديث عن المقتبس ما لم أشر إلى أهمية كتابات ابن حيان حول الموضوع بجانب تفاصيلها الواسعة فإنها تعود بالدرجة الأولى إلى أنه نقل عن مؤلفات هي الآن في عداد المفقود من تراثنا الأندلسي، فهو - على سبيل المثال - ينقل كثيرا عن عيسى بن أحمد الرازي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وعيسى هذا هو ولد أحمد بن محمد الرازي - المتوفى سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م - الذي كانت له تواريخ أشار إليها ابن حزم في رسالته عن الأندلس، منها أخبار عمر بن حفصون، وأخبار عبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي، وأخبار بني قسي والتجيبيين وبني الطويل بالثغر الأعلى، وهؤلاء هم جملة من أعلام المخالفين على الدولة الأموية في فترة الدراسة، كما أن ابن حيان أيضا قد ضمن مقتبسه الخاص بعصر الأمير عبد الله لما تحدث عن الفتنة في إشبيلية - ضمنه جزءا لا بأس به من كتاب «أخبار إشبيلية» لمحمد بن عبد الله الأشعث الذي كان معاصرا لأحداث الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، أو أنه عاش بعدها بقليل(★)، وكذلك نقل ابن حيان عن مؤلف كتاب «أخبار شعراء الأندلس»

(★) لم نعثر على سنة وفاته، ولكن بالتعرف على تواريخ وفاة أترابه المعاصرين له توصلنا إلى ما أثبتناه في المتن.

أبي بكر عبادة بن عبد الله الشاعر (ابن ماء السماء) ـ المتوفى سنة ٤١٩هـ/ ١٠٢٨م، أو ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م ـ.

ومن الكتب التاريخية التي اعتمد عليها البحث بشكل كبير الجزء الثاني من كتاب «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» لمؤلفه أبي العباس أحمد ابن محمد بن عِذَارِي ـ المتوفى بعد سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م ـ وهذا الجزء قد اختص بتاريخ المسلمين في الأندلس حتى وفاة المنصور بن أبي عامر سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م، وأهم ما أفاد به هذا الكتاب فترة الدراسة ما جاء فيه عن الفتنة في إشبيلية، خاصة في أخبار إبراهيم بن حجاج اللخمي، والتي نقلها عن مصنفات لا نعرف لها وجودا في الوقت الحالي، مثل كتاب «درر القلائد وغرر الفوائد» لأبي عامر محمد بن أحمد السالمي ـ المتوفى سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م ـ وكذلك كتاب «العبر» لابن أبي الفَيَّاض أبي بكر أحمد بن سعيد ـ المتوفى سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م ـ ومما تميز به كتاب البيان المغرب أيضا تفرده أحيانا بالحديث عن علاقة المسلمين بالنصارى المجاورين إبان الربع الأخير من القرن الثالث الهجري.

ويعد كتاب «أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام» القسم الخاص بالأندلس، والمسمى حديثا بـ «تاريخ إسبانيا الإسلامية» للسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب ـ المتوفى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م ـ يعد من المصادر ذات الطابع التاريخي التي أفادت الدراسة، فهو قد قدم تصورا مركزاً ـ وإن كان عاما ـ عن فترة البحث، فتحدث عن الأمير عبد الله مثلما تحدث عن أسلافه وخلفائه بصفتهم حكاما للدولة الأموية، بيد أنه ـ في بادرة لا نراها تتكرر أثناء سرده لأيام الحكام الأمويين ـ يخص عمر بن حفصون وإبراهيم بن حجاج اللذين يعدان من كبار المتمردين على الأمير عبد الله، يخصهما بذكر مجموعة من الأخبار فاستفاد الموضوع من هذه الأخبار كثيرا.

ولقد وجدت في تاريخ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون ـ المتوفى سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م ـ معلومات في غاية الأهمية للبحث، وذلك في أكثر من جزء من أجزاء كتابه الموسوم بـ «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر». فلقد أورد ابن خلدون في الجزء الرابع من كتابه هذا أخبارا واسعة عن الدولة الأموية في الأندلس في فترة الدراسة لا سيما إذا وازنا ذلك بحديثه العام عن تاريخ هذه الدولة، فكتب عن اعتلاء الأمير عبد الله للعرش، وكذلك عن طرف من علاقاته الأسرية، كما سرد إيضاحات عن جمع من المتمردين مثل عبد الرحمن ابن مروان الجلِّيقي وعمر بن حفصون وبني قِسَي وبني ذي النون وعن الفتنة في إشبيلية، بل إنه انفرد ـ من بين المصادر المتوافرة لدينا ـ بالحديث عن نشاط أحد المتمردين البربر وهو محمد بن تاجيت.

ولقد استفدت من الجزء السادس من مؤلَّف ابن خلدون السابق لما تعرضتُ للعلاقات بين الأندلس ودول المغرب، حيث أمدني بإشارات حول هذه العلاقات لم أجدها إلا عنده، كما أن ابن خلدون عندما تكلم عن حياته الذاتية في الفصل الطويل المعروف بعنوان «التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا» الذي طبع مفردا مرة، وملحقا بأواخر تاريخه مرة أخرى ـ قد قدم للدراسة بيانات نادرة عن أجداده بني خلدون المتمردين في مدينة إشبيلية زمن الأمير عبد الله، ناهيك عن كونه قد ساق ـ بتجرد عجيب ـ علاقة أجداده هؤلاء بالإمارة من جانب، وبمنافسيهم في تلك الفترة بني حجاج من جانب آخر.

ومن المصادر ذات الصبغة التاريخية التي يمكن لفت النظر إلى أهمية ما ورد فيها لموضوع البحث كتاب «ذكر بلاد الأندلس»(★) والذي لا يعلم

(★) عنوان الكتاب طويل جدا بلغت كلماته أكثر من سبعين كلمة، ولكن محقق الكتاب لويس مولينا اكتفى بالكلمات الأولى منه وهي التي عرف بها لدى الباحثين.

مؤلفه، وإن كان يرجح أنه عاش في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، فلقد أعطى صاحب هذا الكتاب تحقيقات حسنة عن حياة الأمير عبد الله، كما دوّن أنباء بعض الكوارث الطبيعية التي حلّت بالبلاد في عهد هذا الأمير.

كل ما أسلفنا ذكره من مصادر تاريخية فإن أصحابها كانوا من أهل الأندلس أو المغرب، أي أنهم مغاربة، أما المؤرخون المشارقة فقد انتفع البحث بحظٍّ من كتاباتهم، فكان من أظهر تلك الكتابات ما جاء في «نهاية الأرب في فنون الأدب» لمصنفه شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ـ المتوفى سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٧٢م ـ فبالإضافة إلى أن هذا المصنف قد تعرَّض لبعض جوانب حياة الأمير عبد الله فإنه ساق بياناتٍ نفيسة لم يُسبق إليها عن الوضع المالي للإمارة الأموية في عهد هذا الأمير، ويظهر أنه قد اقتبس تلك البيانات من المؤرخ المغربي إبراهيم بن القاسم الرقيق صاحب كتاب «تاريخ إفريقية والمغرب» الذي كان قد توفي بعد سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م.

ولقد كانت كتب التراجم الأندلسية رافدا من الروافد التي استقى منها البحث مادته العلمية ـ فعلى سبيل المثال ـ فإن كتاب «قضاة قرطبة» لأبي عبد الله محمد بن حارث الخشني ـ المتوفى سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧١م ـ قد أفسح المجال لتبين بعض العوامل التي حركت الفتنة في الأندلس من خلال عرضه لملامح الحياة القضائية في عصر البحث، وزيادة على ذلك فإنه أعطى لقطات من صور التعامل بين الأمير عبد الله ومعاصريه، فكانت هذه اللقطات مع غيرها مما ورد في مصادر أخرى خيرَ معين لأن يكون تقريرنا عن سياسة هذا الأمير أقرب إلى الواقع. كما أن كتابي «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضي ـ المتوفى سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م ـ و«جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس» للحميدي ـ المتوفى سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م ـ قد يسرا للدراسة التعرف على طبيعة حكم بعض المتمردين لمناطق نفوذهم، ثم قدما أيضا أثناء تعرضهما

لحياة العلماء في ذلك العهد معلومات فريـدة استفيد منها في حقل العلاقات بين المسلمين والنصارى .

ويمكن أن نضع «الإحاطـة في أخبار غرناطة» للسـان الدين بن الخطيب ـ الذي التقينا به قبل قليل ـ في إطـار كتب التراجم التي رفدت الدراسة بأخبار مهمة عن بعـض أفراد أسرة الأمير عبد الله ، وكـذلك عن عدد من المتمـردين مثل عمر بن حفصون ، وسوار بن حمدون ، وسعيد بن جودي . ومما يختص به كتـاب الإحاطـة أن فيـه نقولا أفـادت الدراسـة من مـؤلفات مفقـودة الآن ، أظهـرها كتـاب «تـاريخ إِلْبِيرَة» لأبي القاسـم محمد بن عبـد الـرحمن الواحـد الملاَّحي ـ المتوفى سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م ـ.

ولقد استفاد الموضوع أيما فائدة من الكتب الأدبية ، فكتاب «العقد الفريد» لمؤلفـه المعـاصر للفترة أبي عمـر أحمد بن محمـد بن عبـد ربـه ــ المتـوفى سنـة ٣٢٨/ ٩٣٩م ـ قد حـوى أخبارا مرتبة لأمراء بني أميـة في الأندلس حتى سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م ، وبطبيعة الحال تطرق للأمير عبـد الله ، فكان أبرز ما ذكره عنـه معركـة بُلاي الشهيرة التي وقعـت بينه وبين ابن حفصـون ، وميزة هـذه الأخبار التي سجلها ابن عبد ربه عن هذه المعركة احتمال حضوره لها بنفسه ، لا سيما وأنه كان أحد الداخلين على الأمير عبد الله المادحين له .

وثمة مصادر تدخل في عداد كتب الأدب ـ وتسير في الوقت نفسه على نهج الكتب المصنفة في التراجم ـ قد أشبعت بمادتها الدارسـة ، نذكر منها ما أسماه أبو عبـد الله محمد بن عبد الله بن الأبار ــ المتوفى سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م ــ بـ «الحُلَّة السِّيَرَاء» التي حققهـا الدكتور حسين مؤنس تحقيقـا قد لا يتيسر لأحد غيره فعله ، حيث ترجم ابن الأبار في هـذا المؤلف لعدد من أعلام بحثنا ، وقد كـان على رأسهم الأمير عبـد الله . ومن مصـادر هذا الصنـف أيضا مـا ألفـه بضعة من المؤلفين كـان آخرهم أبو الحسن علي بـن موسى بن سعيد ــ المتوفى سنـة ٦٨٥هــ/ ١٢٨٦ ـ وهــو كتـاب «المُغْـرِب في حُـلـى المغـرب» وقـد

جاءت في ثناياه طائفة كبيرة من التراجم لأناس لهم دور مؤثر في أحداث زمن البحث.

ولقد تم استخدام كتب الأنساب، فكان كتاب «جمهرة أنساب العرب» لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ـ المتوفى سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م ـ على رأس هذا اللون من المصادر التي أثرت الرسالة، وأهمية الجمهرة تشخصت في ناحيتين: أولاهما أنه لم يقتصر فقط على أنساب العرب، كما يوحي بذلك عنوانه، وإنما احتوى أيضا فصولا لأنساب عناصر غير عربية، فأفادت الدراسة كثيرا تلك القطعة التي تضمنها عن بيوتات البربر في الأندلس، وكذلك تلك السلسلة التي وردت فيه عن نسب بني قَسِي المولدين الثائرين على الإمارة الأموية في الثغر الأعلى.

أما الناحية الثانية فقد تمثلت في أن ابن حزم لم يكتف بسرد الأنساب سردا جافا بحيث لا يخرج عن نطاقها، ولكنه كان يعطي بين الفينة والأخرى معلومات يرى أنها مهمة عن هذه الشخصية أو تلك، فكانت تلك المعلومات التي أوردها عند تناوله لبعض أفراد عاشوا في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري في منتهى الفائدة للدراسة.

ولقد كنت على اتصال شبه دائم بالمصادر الجغرافية لأطالع فيها مواقع ما كان يستجد في تضاعيف هذا الكتاب من أماكن مختلفة، فكان ما كتبه كل من ابن غالب في فرحته، والإدريسي في نزهته، وياقوت الحموي في معجمه كانت هذه الكتابات وعديد غيرها نعم المساعد في تحديد الكور والمدن والحصون التي وردت في الدراسة، ولا بد هنا أن نشيد باستفادة الموضوع من المصنفات الجغرافية في ناحية أخرى، غير ما ذكرنا آنفا، وقد تمثلت هذه الاستفادة فيما ورد من مرويات تاريخية نادرة تخص الفترة في أكثر من مصنف جغرافي، وأخص بالذكر ما جاء في «ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك» للعذري المعروف أيضا بابن الدلائي ـ المتوفى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م ـ الذي نشر ما بقي منه عن الأندلس

بعنوان «نصوص عن الأندلس» فقد أدرج العذري في هذه القطعة أخبارا لا نظير لها عن المتمردين في الثغر الأعلى وتُدْمير وإشبيلية وشَذُونَة. ومن المصادر الجغرافية التي تستحق التنويه في هذا المقام «كتاب المسالك والممالك» لأبي عبيد البكري ـ المتوفى سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م ـ فقد جاء فيما نشر منه عن الأندلس بعنوان «جغرافية الأندلس وأوروبا» وما نشر منه عن المغرب بعنوان: «المُغْرِب في ذكر بلاد إفريقية والمَغرب» جاءت فيهما روايات تاريخية نفيسة، لا سيما تلك التي وردت في الجزء الخاص بالمغرب. وحري بالإشادة هنا أيضا ما ضمنه الحميري ـ المتوفى تقريبا سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م من معلومات تاريخية مفيدة للبحث في كتابه «الرَّوْض المِعطار في خبر الأقطار»، وننبه هنا إلى أن العودة إلى هذا الكتاب تحت عنوانه المذكور، وعدم الاكتفاء بما نشر منه تحت عنوان «صفة جزيرة الأندلس» قد هيأ لنا الحصول على إيضاحات بالغة القيمة عن مدينة بَجَّانَة وما يتعلق بسكانها الذين كان لهم دور مؤثر في فترة بحثنا، حيث إن ما استل منه عن الأندلس، ونشر وحده قد خلا من تلك الإيضاحات.

ونظرا لصلة المجتمع الوطيدة بأحداث الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، وكذلك لوقوع بعض القضايا التي لها مساس بأصول الدين وأحكامه في الحقبة نفسها، فإن ذلك كله كان له انعكاساته الساطعة في بعض كتب العقيدة والفقه، فمحمد بن وضاح الذي كان معاصرا للأحداث توفي سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م ـ أورد في كتابه «البدع والنهي عنها» إشارات مفيدة عن أحوال المجتمع الذي عاش فيه. كما أن ابن سهل ـ المتوفى سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م ـ في كتابه «الأحكام الكبرى»، والونشريسي ـ المتوفى سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م ـ في «المعيار المُعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب» قد تعرضا لمسألة تنصُّر عمر بن حفصون، ومن ثم دوّنا أحكام القضاة تجاه مَنْ يعيشون تحت ظلاله، بل إن الونشريسي قد

نقل أخبارا عن ابن حفصون تفرد في بعضها من بين المصادر والمراجع التي استخدمت في الرسالة قاطبة.

وما دام الكلام عن المصادر لم ينقطع بَعْدُ فقمين بنا الإشارة إلى أنه قد تيسر الرجوع إلى بعض المصادر الأجنبية القديمة التي عادة تعرف باسم «المدونات» وذلك حين تطرقتُ لعلاقات المسلمين بالقوى النصرانية.

وإذا كانت الدراسة قد نهلت مادتها بالدرجة الأولى من المصادر فإن ذلك لا يعني مطلقا أنها كانت بمنأى عن الاستفادة من الدراسات الحديثة، ولكنها من نهاية جهود المؤرخين والباحثين المحدثين ابتدأت، وعلى طائفة من تحقيقاتهم توكأت، وبمنهاج بعضهم اهتدت، فتم الاستعانة بها وقع تحت اليد من كتب ورسائل وأبحاث ومقالات تمس الموضوع من قريب أو من بعيد، فكانت الفائدة عظيمة جدا مما كتبه باللغة العربية ـ على سبيل المثال، لا الحصر ـ الأمير شكيب أرسلان، والأستاذ محمد عبد الله عنان والدكاترة حسين مؤنس وأحمد بدر والسيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، كما استفادت الدراسة أيضا من بعض ما كُتب بغير العربية كالذي كتبه المستشرق الهولندي رينهارت دوزي Reinhardt Dozy والمستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال Lévi Provencal والمستشرقان الإسبانيان رافئيل ألتاميرا Rafael Altamira والدكتور لويس سواريث فرنانديث Luis Suarez Fernandez.

وليس هناك كلماتٌ في ختام هذا التقديم ألذ في النفس من الاعتراف بفضل الآخرين علي «فإن مَن لم يشكر الناس لم يشكر الله». ويتقدم من أعترف بفضلهم علي ـ بعد الله سبحانه ـ أستاذي الفاضل الدكتور/ محمد عبد الحميد عيسى الذي رافق البحث منذ أن كان فكرةً حتى سُطِّرت حروفه على هذه الصحائف، فعلى مدى سنوات ثلاث وجدته خيرَ معوان، وأصدق موجه لي في تسيير شؤون العمل بهذا الكتاب، فمنحني من علمه وغمرني بكرمه ما يعجز اللسان عن التعبير عنه فجزاه الله عني بما يستحقه من جزاء.

ولا يفوتني أيضا أن أعرب عن عظيم امتناني لأستاذَيَّ في مصر الفاضلين سعادة الدكتور/ أحمد حمدي السعيد الخولي، وسعادة الدكتور/ محمد خليفة حسن اللذين يسرا لي الحصول على عددٍ من المصادر والمراجع من بعض الجامعات والشخصيات المصرية، كما أشيد بالأخ المفضال الأستاذ/ صالح ابن محمد السنيدي - الذي يحضر الدكتوراه بجامعة غرناطة في إسبانيا - عرفانًا بجميله، وشكرانا لسعيه. كما أشكر الدكتور/ حمد السحيباني على ما أسداه لي من مساعدات. ولا أنسى أيضا شكر زميلي الكريمين الأستاذ - محمد بن سليمان الراجحي، والأستاذ - إبراهيم بن محمد الخضر اللذين وجدت من لطفهما ما أغراني بتكليفهما باستجلاب ما أعوزني من مراجع، كما أشكر بصفة عامة كل من قدّم لي تشجيعا أو أدنى معونة.

وفي الأخير أسأله سبحانه ألا يحرمنا في عملنا هذا من الثواب، وأن يكون قد وفقنا فيه إلى الصواب، فعليه قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

محمد إبراهيم أبا الخيل

بريدة - القصيم

تنبيهات

١ ـ كالعادة التي سار عليها الباحثون عُرِّف بالمصادر والمراجع العربية حين وردوها لأول مرة، ولكن اكتفي بعد ذلك ـ في غالب الأحايين ـ بذكر المصدر أو المرجع مختصرا.

٢ ـ أن هناك بعض المصادر المغربية أو الأندلسية قد بُدِّلت أسماؤها من قبل ناشريها أو محققيها اجتهادا منهم ـ فيما يبدو ـ لتكون تلك المصادر أكثر تعبيرا عما تحويه في داخلها من معلومات عن المغرب أو الأندلس، فكان الموقف إزاء هذا التبديل كالتالي :ـ

أ ـ إذا كان المصدر لم يُفقد منه شيء استخدمتُ اسمه الأصلي الذي وضعه مؤلفه غير عابئ بالاسم الجديد له، لا سيما إذا كان هذا المصدر قد عرف لدى الباحثين المحدثين بالاسمين معا.

ب ـ أما إذاكان ما نُشر من المصدر عن المغرب والأندلس قد استل من كتاب عام، أو أنه قطعة من كتاب خاص بالأندلس أو المغرب ـ بمعنى أن بعضه في حكم المفقود ـ فإني استخدمت العنوان الجديد الذي وضعه الناشر أو المحقق.

٣ ـ أما المصادر والمراجع الأجنبية فإني ذكرت معلومات كاملة عنها عند ذكرها أول مرة، ثم اكتفيت فيما بعد بذكر اسم المؤلف مقرونا بـ "op. cit." بمعنى المصدر السابق.

٤ ـ حرصت ـ بقدر المستطاع ـ حينما أُعرِّف بالأمكنة في الحواشي ـ أن أورد الاسم باللغة الإسبانية بجانب اسمه باللغة العربية، واجتهدت أيضا أن ألحق بتعاريف تلك الأماكن ما يقابلها في الوقت الحاضر.

٥ ـ عند ذكر السنوات فإني جعلتها بالتاريخ الهجري أولاً ثم ما يقابلها بالميلادي إذا كانت الأحداث والشخصيات ونحو ذلك متعلقة بالجانب الإسلامي، وصنعت عكس ذلك إذا كانت متعلقة بالجانب النصراني.

التمهيد

يمثل قيام الدولة الأموية في الأندلس حدثا بارزا في تاريخنا الإسلامي، إذ هي أول من انفصم عن جسم الخلافة الإسلامية الموحدة، واستقل استقلالا تاما، ثم أتيح لها أن تحكم هذا القطر مدة أربت على قرنين ونصف القرن من الزمان.

ولقد مثلت دولة الأمويين هذه دورا بديعا في تاريخ الأندلس؛ ففي ظلها التأمت هذه البلاد في وحدة إقليمية واحدة، فكانت في معظم أيامها كياناً ثابت الأركان، متماسك البنيان، تخشاها القوى المجاورة، وتخطب ودها الدول النائية، وكانت سلاحا بتارا ضد أولئك النصارى المتربصين بالمسلمين في هذا الطرف البعيد عن مركز العالم الإسلامي، كما بلغت الأندلس في أيام هذه الدولة شأوا متقدما في المجال الحضاري، حيث ازدهرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، فكان لذلك أثره البائن على ربوع الأندلس وما صاقبها من أقطار.

ولم تكد الخلافة العباسية تستفيق من نشوة الانتصار والغلبة على الأمويين في المشرق حتى بزغت شمس دولة جديدة لهم في الأندلس، ذاك أن العباسيين بعد أن أزالوا الخلافة الأموية بدمشق سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م[١] تعقبوا - بعنف بالغ - أبناء الأسرة الحاكمة في مختلف أرجاء البلاد، وصبوا عليهم ألوانا شتى من التعذيب والقتل[٢] الأمر الذي أدى بمَن سلم منهم إلى الفرار والتشرد في الآفاق[٣].

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢ (دمشق: دار القلم، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم جـ٧ (بيروت: دار سويدان، د.ت)، ص ٤٢.

(٢) ابن خياط، تاريخه، ص ٤١٠.

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف (بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٨١م)، ص ٣٠١.

ولقد كُتِب لشاب من بني أمية هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام أن يفلت من أيدي العباسيين، وينجو من مذابحهم الرهيبة، فيمم وجهه صوب الشمال الإفريقي، ثم عبر الأندلس، فحظي في أول عبوره إليها بتأييد الموالي الأمويين(٤)، ثم بمناصرة القبائل اليمنية والبربر(٥)، بل إن بعض العناصر المضرية الحانقة على السلطة الحاكمة في الأندلس أصبحت في صفه(٦).

حاول حاكم البلاد آنذاك يوسف بن عبد الرحمن الفهري مفاوضة عبد الرحمن بن معاوية بعد أن كثر مؤيدوه، لكن تلك المفاوضات باءت بالفشل الذريع(٧) فسار عبد الرحمن بحشوده قاصدا قرطبة(٨)، وفي اليوم العاشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م وقعت معركة المُصَارَه - غربي قرطبة - بين الطرفين فانجلت عن هزيمة ماحِقةٍ لقوات يوسف الفهري الذي فر من ميدان المعركة(٩)، وبذا تمكن ابن معاوية من دخول قرطبة، وتمت في آخر

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري المدينة: (بيروت: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ٤٧؛ مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط١، (بيروت: دار الكتب الإسلامية ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ٧٢.

(٥) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ق ١، تحقيق إبراهيم الإبياري ط٢ (بيروت: دار الكتب الإسلامية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص ٣٩، ٣٠٩؛ الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، جـ ٥ ص ٤٩٤.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٧٧.

(٧) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٧٥ - ٧٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وبروفنسال، ط٢ (بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣م)، جـ٢، ص. ص ٤٥ - ٤٦.

(٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية) نشر بروفنسال ط٢ (بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦م)، ص ٨.

(٩) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٨٠ - ٨٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان ط ١، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، جـ ٤، ص. ص٣٣٩-٣٤٠.

ذلك اليوم مبايعته فيها(١٠)، أما يـوسف الفهري فقد حاول أن يسترد عـرشه أكثـر من مرة، ولكنـه أخفق في ذلك إلى حـد كبير، ثم فقد حيـاته ثمنـا لهذا المطلب سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م(١١).

ومما لا مشاحة فيه أن القضاء على يوسف الفهري لا يعني ـ بطبيعة الحال ـ أن الأندلس كلهـا صارت خاضعة لسيطـرة عبد الرحمن الداخل، فلقـد كان عليه أن يخضع العديد من الساخطين الذين لم يـرضوا به حاكما للبلاد، وكان على رأس هؤلاء أنصار الحاكم السابق، فقاموا ببعض الثورات المتفرقة، ولكن الداخل أفلح في القضاء عليها(١٢).

وممن رفع راية العصيان ضد عبد الرحمن بعض العناصر اليمنية الذين كانوا قد بـذلوا لـه المساعـدة في البدايـة لتحقيق آماله، ولكنـه لم يهالئهم في تحقيق أطماعهم عند اقتحام قرطبة عقب معـركة المُصَارَة مباشرة، فدب الخلاف بينه وبينهم(١٣)، ثم تفاقم مع مرور الوقت، فخرج عدد من الزعماء اليمنيين عن الطـاعـة، إلا أنـه تيسر لعبـد الـرحمن التغلب عليهم، فقضى على بعضهم بالقوة العسكرية(١٤)، وتخلص من البعض الآخر بالمكيدة(١٥).

---

(١٠) ابن الأبار، **الحلّة السِّيَراء**، تحقيق حسين مؤنس (القاهرة: الشركة العربية للطباعة، ١٩٦٣م)، جـ١، ص ٣٥.

(١١) انظر: التفاصيل في: ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص. ص ٥١-٥٢؛ مجهول، **أخبار مجموعة**، ص. ص ٨٥-٩١؛ ابـن الأثير، **الكـامل في التـاريخ**، جـ ٥، ص. ص ٤٩٥، ٤٩٨-٤٩٩.

(١٢) لمعـرفة هـذه الثورات، انظـر: ابن القوطيـة، **تاريخ افتتـاح الأندلس**، ص. ص ٩٢-٩٣، ٩٥-٩٦، ١٠٥؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، جـ٢، ص ٥٣، ٥٧-٥٨.

(١٣) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص. ص ٨٣-٨٤.

(١٤) انظر على سبيل المثال: ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص. ص ٥٢-٥٤؛ العذري، **نصوص عن الأنـدلس**، تحقيق عبـد العزيـز الأهـواني (مدريـد: معهد الـدراسـات الإسلاميـة، ١٩٦٥م)، ص ١٠١، ١٢٠.

(١٥) ابن القـوطية، **تاريخ افتتـاح الأندلس**، ص ٥٢؛ المقري، **نفح الطيب من غصـن الأنـدلس الرطيب**، تحقيق: إحسـان عبـاس (بيروت: دار صـادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، جـ٣، ص. ص ٣٤-٣٦.

على أن أخطر حركة يمنية جابهت عبد الرحمن كانت حركة العلاء بن مُغِيث الجُذاميّ سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م، وتكمن خطورتها بأنها قامت بإيعاز من الخلافة العباسية، بيد أن عبد الرحمن تمكن - بعد محنة شديدة - من إخمادها[١٦].

ولم يكن البربر بمنأى عن هذا النشاط المضاد لعبد الرحمن الداخل، إذ كانت حركة شقيا بن عبد الواحد التي أستمرت من سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م حتى سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م من أعنف الحركات التمردية التي قابلت عبد الرحمن، ولم يقضِ عليها إلا بعد أن بذل جهودا مضنية على مدى تلك السنوات التي استغرقتها[١٧].

وبحكم مجاورة الأندلس للقوى النصرانية كان من المحتوم أن يقع بينها وبين دولة عبد الرحمن الفتية احتكاك أو اتصال، فلقد كانت دولة الفرنجة★ قد اهتبلت الاضطرابات الداخلية في الأندلس أواخر عصر الولاة، ثم

---

(١٦) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص. ص ٩٣-٩٥؛ ابن خلدون، **تاريخه**، نشر خليل شحادة، ط١ (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، جـ٤، ص ١٥٧.

(١٧) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٥، ص. ص ٦٠٥-٦٠٦، جـ٦ ص. ص ٣٥، ٤٢، ٤٩-٥٠؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص. ص ٥٤-٥٥.

(★) دولة الفرنجة تأسست في غالة (فرنسا) على يد كلوفس زعيم الأسرة الميروفنجية في أواخر القرن الخامس الميلادي، ثم توسعت بعد ذلك، وفي بداية النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي آل الحكم فيها بشكل رسمي إلى الأسرة الكارولنجية على يد بيبن القصير بن شارل مارتل، وحين توفى بيبن هذا عام ٧٦٨م/ ١٥١هـ قسمت الدولة بين ابنيه كارلومان وشارلمان، ولكن هذا الأخير ما لبث أن انفرد بالحكم عام ٧٧١م/ ١٥٥هـ، بعد وفاة أخيه (فشر، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني (القاهرة: دار المعارف، د. ت) ق١، ص. ص٢٤، ٣٦، ٧٦-٧٨، ٨٣، ٨٧؛ محمد مرسي الشيخ، **دولة الفرنجة وعلاقتها بالدولة الأموية في الأندلس**، (الاسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨١م/ ١٤٠١هـ)، ص. ص ١٣- ٢٠.

الالتهاء بعـد ذلك بالداخـل، واستطـاعـت أن تجعـل من جبـال البرتـات★ حدودا طبيعية لها بعـد أن أزالت السيادة الإسلاميـة فيها وراء هذه الجبال(١٨) ومـا فتيء حكـام هذه الـدولـة يتربصـون بالمسلمين في الأنـدلس، فـوافتهم الفـرصة حينما قـدم وفد من المعـارضين لسياسـة الداخل في شمالي البـلاد إلى ملكهم الشهير شارلمان (٧٧١م/ ١٥٥هـ ـ ٨١٤م/ ١٩٩هـ) يطلب مـد يد المساعدة(١٩)، فما كـان من هـذا الملـك إلا أن قـام بحملـة إلى الثغـر الأعلى الأندلسي★★ سنة ٧٧٨م/ ١٦١هـ، ولكنه لم يلبث أن عـاد إلى بلاده خـائبا بعد أن لقـي مقاومة بـاسلة من أهـل سَرَقُسْطَة★★★، وبهذا انفرد الـداخل

(★) جبـال البرتات أو البرت أو البرنيـه Pirineos هي الجبال الفـاصلة بين إسبانيا وفـرنسا (البكري، **جغرافيـة الأندلـس وأربا**، تحقيق عبـد الـرحمن علي الحجي، ط ١ (بيروت : دار الإرشـاد، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م)، ص ٨٥. وقد استخدم الجغرافيـون المسلمون لفظ البرتات أو البرت، عند تعرضهـم لهذه الجبال (عبد المحسـن رمضان، **تاريخ حـركة المقـاومة الإسبانيـة ضد المسلمين في الأندلس**، (القاهرة: مكتبـة سعيد رأفت، ١٩٨٧م)، جـ١، ص ١٠٥، حاشيـة ١). ويعيب بعض المؤرخين إطلاق اسم البرانس على هذه الجبال لأنهم يرون أن جبال البرانس هي جبال المعدن الواقعـة إلى الشمال من قرطبـة (محمد عبـد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، (القاهرة: مكتبة الخانجي ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ع١، ق١، ص ٥٣، حـاشية ١، ص ٨٢، حـاشيـة ١ ط ٤؛ عبد الـرحمن علي الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ط٢، (دمشق: دار القلم١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)، ص ٣٥، حاشية ٤).

(١٨) الشيخ، **دولة الفرنجة**، ص ١٣٦؛ إبراهيم طـرخان، **المسلمون في أوربـا في العصور الـوسطى** (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٦م)، ص ١٦٨.

(١٩) دوزي، **تاريخ مسلمي إسبانيا**، ترجمة حسن حبشي (القـاهرة: دار المعـارف، د. ت)؛ جـ١، ص ٢٢٨. منى حسن محمـود، **المسلمون في الأنـدلس وعلاقتهم بالفـرنجة** (القاهرة: دار الفكـر العربي ١٩٨٦م)، ص ١٧٩.

(★★) الثغـر الأعلى هـو ولايـة الحدود الشماليـة للـدولـة الإسـلاميـة في الأنـدلس (خليل إبـراهيم السامرائي، **الثغر الأعلى الأندلسي** (بغداد: مطبعة أسعـد، ١٩٧٦م)، ص ٣٩. ويمثل اليوم في إسبانيا ولاية أرغون (عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٢٣١ حاشية ١).

(★★★) سَرَقُسْطَة Zaragoza هي قاعدة الثغـر الأعلى (أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ط١ (باريس: نشر رينو وديسلان، ١٨٤٠م) ص ١٨١؛ وتقع على الضفة اليمنى لنهر إبرو، (الإدريسي، **صفة المغـرب وأرض السودان ومصر والأنـدلس**(ليـدن، ١٩٦٨م)، ص ١٩٠). وتمثل حـاليا مـركـزا لمقاطعة تسمى باسمها. شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبـار والآثار الأندلسية** (بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت)، جـ٢، ص ١١٦.

بالمعارضين، ووجه إليهم ضربته سنة ١٦٥هـ/ ٧٨١م[٢٠].

وعلى الرغم من حلول علاقات سلمية بعد هذه الحملة بين عبد الرحمن وشارلمان[٢١] فإن هذا الأخير حرص على تدعيم حدوده الجنوبية إلى درجة أنه بسط نفوذه على مدينة جُرُنْدَة★ في أقصى الشمال الشرقي من الأندلس سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م[٢٢].

ولقد كانت حركة المقاومة النصرانية المتنامية في شمالي الجزيرة الإيبيرية التي تمثلت في دولة أَشْتُوريس★★ قد صلب عودها، وامتد نفوذها في الأراضي الإسلامية الواقعة جنوبي نهر دويرة[٢٣]. ولذا قام عبد الرحمن الداخل ببعث حملات عسكرية نحوها[٢٤]، كما عمل على تحصين الثغور الشمالية[٢٥].

---

(٢٠) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٢٦؛ مجهول: **أخبار مجموعة**، ص. ص ١٠٣-١٠٤.

(٢١) المقري، **نفح الطيب**، جـ ١، ص. ص ٣٣٠-٣٣١.

(★) جُرُنْدَة Gerona تقع قرب الحدود الفرنسية، وهي على بعد مئة كيلو متر إلى الشمال الشرقي من برشلونة (ابن حيان، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق محمود مكي، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ص ٤١٥، تعليق ١٦.

(٢٢) الشيخ، **دولة الفرنجة**، ص ١٦٠؛ السامرائي، **الثغر الأعلى**، ص ٢٤١.

(★★) نشأت حركة المقاومة النصرانية في أواخر القرن الأول الهجري على يد زعيم يدعى بلايو Pelayo (ت٧٣٧م/ ١١٩هـ) وذلك في منطقة كوفا دونجا Covadonga من مقاطعة أشتوريس (عبد المحسن رمضان، **تاريخ حركة المقاومة**، ص ١٩٦، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٣٣)، ومقاطعة أشتوريس تقع في الوسط بين مقاطعة جِلِّيقية في الغرب، ومقاطعة كَنْتَبْرِيَه في الشرق، وغالبا ما يطلق الجغرافيون والمؤرخون المسلمون اسم جِلِّيقيَّة على المقاطعات الثلاث كلها (المرجع نفسه، ص ص ١١١-١١٢، ١١٦ حاشية ١).

(٢٣) القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت)، جـ ٥، ص. ص ٢٦٣-٢٦٤.

Francesco Gabrieli, **Mohammad and the Conquests of Islam** (N.Y: McGraw Hill, 1968) p.198.

(٢٤) ابن الأثير، **الكامل**: جـ ٥، ص ٥٩٠، جـ ٦، ص. ص ٦٤، ٧٦-٨٠؛ ابن خلدون، **تاريخه**، جـ ٤، ص ١٥٨، ٢٣٠؛ مجهول، **أخبار مجموعة**، ص ١٠٤.

(٢٥) **مجهول**، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا (مدريد، ١٩٨٣م)، ص ١١٥.

وبوفاة عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م(٢٦) اعتلى عرش الدولة من بعده ابنه هشام (١٧٢هـ/ ٧٨٨م - ١٨٠هـ/ ٧٩٦م)(٢٧) الذي لم يكن أكبر الأبناء، ولكن والده كان قد رشحه للحكم نظراً لما يتمتع به من خلال تؤهله لذلك(٢٨)، ولذا لقي معارضة في مدينة طليطلة من أخيه الأكبر سليمان(٢٩)، وقد اشتدت هذه المعارضة بعد انضمام الأخ الأصغر عبد الله إلى سليمان(٣٠)، بيد أن الأمير هشام تمكن ــ بعد عدة مواقع كان النصر فيها حليفه ــ من إرغام هذين الأخوين العاصيين على مغادرة الأندلس إلى المغرب(٣١).

ولقد كان انشغال هشام بمسألة أخويه قد أفسح المجال لبعض الموتورين الحانقين على الحكم الأموي لإشاعة الفوضى في أطراف البلاد، حيث قامت حركة تمرد في طُرْطُوشَة★. وأخرى في سَرَقُسْطَة، وظل الوضع هكذا حتى أمن الأمير من جانب أخويه، وأرسى دعائم ملكه في قرطبة، وعندئذ التفت إلى هؤلاء، وقضى عليهم سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م(٣٢).

---

(٢٦) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، تحقيق محمد سعيد العريان (بيروت: دار الفكر، ١٩٥٣م)، جـ٥، ص ٢١٤.

(٢٧) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، جـ٥، ص ٢١٥؛ المسعودي، **التنبيه**، ص ٣٠٣.

(٢٨) ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ٤٣؛ المقري، **نفح الطيب**، جـ١، ص ٣٣٤.

(٢٩) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ٦١.

(٣٠) ابن الأبار، **الحلة**، جـ٢، ص ٣٦٣؛ ابن سعيد وأسرته، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، ط٣ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨م)، جـ٢، ص ٢٤٦.

(٣١) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٤، ص ٢٧٤؛ ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٤، ص ١٥٩.

★ طُرْطُوشة Tortosa مدينة تقع قرب مصب نهر إبرو في البحر المتوسط، وهي على قيد ٢٠٠ كيلو متر إلى الجنوب الشرقي من مدينة سرقسطة (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٤١٦، تعليق ١٨).

(٣٢) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٢٦، ٢٩؛ النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق أحمد كمال زكي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م)، جـ٢٣، ص. ص٣٥٤-٣٥٥.

وقد اشتهر عصر هذا الأمير بالجهاد ضد النصارى على الحدود الشمالية حيث جهز عددا من الحملات في سبيل هذه الغاية(٣٣) إذ هاجمت جيوشه منطقة أَلَبَة والقِلاع ـ الجناح الشرقي من مملكة أَشْتُوريس ـ أكثر من مرة، وحققت انتصارات رائعة(٣٤)، كما أن الجيش الأموي قد اخترق أراضي هذه المملكة في سنة ١٧٨هـ/ ٧٩٤م حتى وصل إلى العاصمة أفييدو(٣٥)★.

ولم ينحصر الجهاد في عهده على هذا، بل تعداه إلى ما وراء جبال البُرْتات(٣٦)، إذ بعث سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م جيشا كثيفا إلى مناطق النفوذ الفرنجية في جنوبي فرنسا، وفي الطريق تمكن هذا الجيش من استرداد مدينة جُرُنْدَة(٣٧)، ثم عبر إلى فرنسا، وما زال الجيش الإسلامي يجوس في الجنوب الفرنسي حتى تقابل مع الفرنجة، فألحق بهم أفدح الخسائر، ثم قفل راجعا إلى قرطبة(٣٨).

وحين توفي الأمير هشام آلت السلطة لابنه الحكم (١٨٠هـ/ ٧٩٦م ـ ٢٠٦هـ/ ٨٢١م)(٣٩)، وقد اتسمت فترة حكمه بقلاقل داخلية؛ مما جعله

(٣٣) Antonio Ballesteros Beretta, **Sintesis de Historia de Espana** (Barcelona - Madrid, 1957), p. 52.

(٣٤) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٦، ص.ص ١٢٣-١٢٤، ١٣٣، ١٤٤؛ المقري، **نفح الطيب**، جـ١، ص.ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٣٥) النويري: **نهاية الأرب**، جـ٢٣، ص ٣٥٦، رجب محمد عبد الحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف** (بيروت: دار الكتب الإسلامية، د.ت)، ص١٣٦.

★ أفييدو Oviedo أو أُبيط فهي تقع في شمال إقليم أشتوريس قرب خليج بَسْكاية ((حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص ٢٣٩، ط ١، (القاهرة، ١٩٨٠م)) إلى الغرب من صخرة كوفادونجا على مسافة ٨٥ كيلو مترا (محمد عبد الله عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، ط٢ (القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، ص ٣٦٦.

(٣٦) Joseph Mccobe: **The Splendour of Moorich Spain** (London, 1935), p. 50.

(٣٧) مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص ١٢١.

(٣٨) ابن الأثير، **الكامل**، حـ٦، ص ١٣٥؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ٦٤.

(٣٩) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، جـ٥، ص ٢١٦؛ ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ١، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١ (بيروت: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٢٨.

يبذل مجهودا كبيرا لتهدئة الوضع، والمحافظة على كرسي ملكه المهدد، ولقد أثار شطرا من هذه القلاقل بعض أفراد أسرته الطامحين لانتزاع الحكم من يده، تمثل هذا في موقف عميه سليمان وعبد الله، إذ أنهما بموت الأمير هشام عاودهما الحنين إلى المطالبة بالعرش، فعبرا من المغرب إلى الأندلس[٤٠]، فأما سليمان فقد جمع جيشا من المؤيدين له، ودارت بينه وبين ابن أخيه الحكم عدة مواقع انتهت بالقبض عليه، وقتله سنة ١٨٥هـ/ ٨٠١م[٤١]. وأما عبد الله فقد اتجه إلى الثغر الأعلى، ولما لم يجد لقضيته آذانا صاغية اجتاز إلى الفرنجة طالبا مساعدتهم، وبعد عودته تلبث في الثغر مدة، ثم استقر في بَلَنْسِيَة★، وتم الصلح بينه وبين الأمير الحكم سنة ١٧٦هـ/ ٨٠٢م[٤٢].

أما الشطر الآخر من القلاقل الداخلية فقد انبثق بفعل العناصر الساخطة على سياسة الحكم وسلوكه[٤٣]. ففي العاصمة قرطبة جرت مؤامرة للإطاحة به سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٤م لكنه كشف أمرها قبل انعقاد خيوطها، فعاقب المشاركين فيها بمنتهى القسوة، فكان لهذا أثره في نفوس قطاع كبير من أهل العاصمة، حيث أورث ذلك بينه وبينهم وحشة ما زال نطاقها

---

(٤٠) ابن سعيد، **المغرب**، جـ١، ص ٣٩؛ ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٤، ص. ص ١٦٠-١٦١.

(٤١) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ١٥؛ النويري، **نهاية الأرب**، جـ٢٣، ص ٣٦٢.

★ بَلَنْسِيَة Valencia هي قاعدة كورة كانت تسمى باسمها في شرقي الأندلس (ابن غالب، **فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس «قطعة منه»**، تحقيق لطفي عبد البديع (القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥٦م)، ص ١٦؛ وهي الآن من كبريات المدن الإسبانية (عيسى الناعوري، **في ربوع الأندلس**، (ليبيا ـ تونس: الدار العربية للكتاب ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ص ١٤٩) وتقع على بعد أربعة كيلو مترات عن ساحل البحر المتوسط. (ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، تحقيق أحمد مختار العبادي (مدريد، ١٩٧١م)، ص ٨٤، حاشية ٢).

(٤٢) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٦، ص. ص ١٦٥-١٦٦، ١٧٢.

(٤٣) عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي ط٧ (الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٧٨م)، ص. ص ٣٣-٣٤.

يتسع[٤٤] حتى بلغ الذروة عام ٢٠٢هـ/ ٨١٧م حينما انفجر الوضع المتأزم بقيام جموع كثيفة بالمسير من شَقُنْدَة ـ الربض الجنوبي لمدينة قرطبة ـ وحاصرت قصر الإمارة، فلم يَنْجُ الحكم من هذه الانتفاضة العارمة إلا بحيلة أحكم تدبيرها مع بعض قواده، فشتت تلك الجموع، وقتل الكثير، بل إنه سَوَّى ذلك الربض بالأرض، فلقب من يومها بالحكم «الربضي»[٤٥].

ولم تكن مدينة طليطلة براضية عن الأمير الحكم أيضا؛ ففي السنوات الأولى من عهده قام أحد زعمائها بنبذ الطاعة، ومع أن الحكم استطاع أن يتخلص من هذا الزعيم، ويقر الهدوء في أرجاء المدينة[٤٦] إلا أن أهلها ما لبثوا أن عادوا إلى العصيان، فاضطر الحكم آنئذ أن يستخدم المكيدة في إخضاعهم، واستعان من أجل هذا بأحد مَنْ اطمأنوا إلى ولايته عليهم، وما برح هذا الوالي يستدرجهم حتى أنزل بهم مذبحة شنيعة سنة ١٩١هـ/ ٨٠٦م عرفت بوقعة الحفرة[٤٧]، وبالإضافة إلى ذلك فقد ثار على الحكم أيضا عدد من المتمردين في مدن متفرقة من الأندلس، ولكنه لم يُلاق مشقةً كبيرة في سبيل ردهم إلى الطاعة[٤٨].

ومن ناحية أخرى فإن الأمير الحكم في مطلع عهده كان قد حرص على أن يتأثر نهج والده في مقارعة أعدائه النصارى في الشمال[٤٩]، لكن الفتن

---

(٤٤) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٦٨، ٦٩؛ ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ٢، ص ٨٩٦.

(٤٥) ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص. ص ٤٤-٤٥؛ ابن سعيد، **المغرب** جـ١، ص. ص ٤٢-٤٣.

(٤٦) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٦، ص ١٥٨؛ النويري، **نهاية الأرب**، جـ٢٣، ص ٣٦١.

(٤٧) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص. ص ٦٥-٦٧؛ ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٤، ص ١٦٢.

(٤٨) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص. ص ٢٧، ٥٧، وما بعدها؛ ابن سعيد، **المغرب** جـ١، ص ٤٠، ٤١؛ ابن خلدون: **تاريخه**، جـ٤، ص. ص ١٦٢-١٦٣.

(٤٩) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ٦٩.

الداخلية التي استشرت في كيان الدولة قلبت خططه رأساً على عقب، فأصبح مهددا من جانبهم، حيث كثف حكام مملكة أشتوريس هجماتهم على الأندلس منتهزين الوضع المتردي فيها حتى وصلت جيوشهم إلى مدينة أُشْبُونَة★ جنوبا(٥٠)، ولكن الأمير الحكم لم يقف مكتوف اليدين أمام تلك الهجمات، فكان يرد عليها متى ما أُتيحت له الفرص، فلقد قاد بنفسه حملة عام ١٩٤هـ/ ٨١٠م استعاد فيها عدداً من المدن المحتلة(٥١)، كما أنه في السنوات الأخيرة من حكمه بعث بجيش عظيم إلى أراضي أشتوريس، فأحرز انتصارات ساحقة(٥٢).

أما الفرنجة فقد استغلوا أيضا ظهور المشكلات الداخلية التي واجهت الحكم في تنفيذ مخططاتهم التوسعية، فتمكنوا في سنة ٨٠١م/ ١٨٥هـ من احتلال مدينة بَرْشلُونَة(٥٣)★★، ثم عملوا في عامي ٨٠٨م/ ١٩٢هـ

★ أُشْبُونَة أو لِشبونة Lisbona مدينة في غربي الأندلس تنتصب على الضفة الشمالية لنهر التاجُه عند مصبه في البحر المظلم (المحيط الأطلسي)، فهي بهذا تقع على سيف البحر (الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٨٣، ١٨٤). وهي حاليا عاصمة جمهورية البرتغال. (ابن الشباط، وصف الأندلس وصقلية، نشر مع تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، بتحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٧١م، ص ١٢٨).

(٥٠) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، ص ١٣٧، ط ٢(دمشق، ١٩٧٢م)؛ عبد الواحد ذنون طه «قيام الممالك الإسبانية وعلاقتها مع العرب في الأندلس»، مجلة أوراق، العدد ٥ ـ ٦، (٨٢ـ١٩٨٣م)، ص ٩٤.

(٥١) المقري. نفح الطيب، جـ١ ص ٣٤٣؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص. ص ١٢٩-١٣٠.

(٥٢) ابن الأبار، الحلة، جـ ١، ص ١٣٥؛ النباهي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (تأريخ قضاة الأندلس) (بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ٥٤.

(٥٣) ابن الأثير، الكامل، جـ٦، ص. ص ١٤٩، ١٦٩.

Jose Repdlés Aguilar, **Historia de Espana**, tome, I, (Barcelona:.........) p. 123.

★★ بَرْشَلُونَة Barcelona ترد أيضا في بعض المصادر العربية بلفظ برجلونة (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص. ص ٦٣، ١١٠) أو بلفظ برشنونة (عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص ٥١٥) وموقعها على البحر المتوسط بين نهري بسوس ولوبريجات علي إسلام باشا، إسبانيا والأندلس، (القاهرة: مطبعة مصر، د. ت)، ص ٩١، وتعد اليوم من أهم موانىء إسبانيا وأكبر مراكزها التجارية. دوروثي لودر، إسبانيا، ترجمة طارق فودة (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت)، ص ٢٢.

٨٠٩م/ ١٩٣هـ على مد سيطرتهم نحو الجنوب، ولكنهم فشلوا أمام الاستعدادات العسكرية التي واجههم بها الحكم(٥٤)، حيث إنه تأثر كثيرا لضياع سلطة المسلمين من بَرْشَلُونَة وما حولها، فجهز بعض الحملات لمحاربة الفرنجة، ومع أن النصر فيها كان له عليهم إلا أن ذلك لم يُجْدِ نفعا في تغيير الحدود السياسية بين الجانبين(٥٥).

وعقب موت الأمير الحكم بويع لابنه عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦هـ/ ٨٢١م-٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)(٥٦) فقابلته هو الآخر بعض المشكلات الداخلية، ففي مستهل عهده أطل عم والده عبد الله البلنسي برأسه مطالبا بالإمارة للمرة الثالثة، ولكن وفاته عام ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م كَفَتْ الأمير عبد الرحمن مؤونة إخضاعه(٥٧)، وفي كورة تُدْمِير★ استعرت فتنة بين القبائل اليمنية والمضرية سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، فظل الأمير عبد الرحمن يعمل على إطفائها حتى تمكن من ذلك سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م(٥٨).

وفي السنة التي قضى فيها الأمير عبد الرحمن على فتنة العرب في تُدْمِير أعلنت مدينة مَارِدَة★★ العصيان، وبالرغم من أن هذا الأمير تابع إرسال

(٥٤) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص. ص ٧٢-٧٣.

(٥٥) ابن سعيد، **المغرب**، جـ١، ص ٤١؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ٧٤.

(٥٦) ابن عبد ربه، **العقد**، جـ٥، ص ٢١٨؛ المسعودي، **التنبيه**، ص ٣٠٣.

(٥٧) ابن الأبار، **الحلة**، جـ٢، ص. ص ٣٦٣-٣٦٤؛ ابن سعيد: **المغرب**، جـ١، ص ٤٧، جـ٢، ص ٢٤٦.

★ تُدْمِير Tudmir كورة في شرق الأندلس (البكري، **جغرافية الأندلس**، ص ١٢٧، حاشية ٤)، وهي تجاور كورة جيان من الشرق (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ١٥) وعندما بنيت مدينة مُرْسِية فيها سميت هذه الكورة كلها كورة مُرْسِية (ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ٦٣ حاشية).

(٥٨) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص. ص ٥، ٦؛ الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس ط٢ (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م)، ص ٥٣٩.

★★ مَارِدَة Merida مدينة تقع في الشمال الغربي من قرطبة (البكري، **جغرافية الأندلس**، ص ١١٩؛ ياقوت، **معجم البلدان** (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، جـ٥، ص. ص ٣٨-٣٩. وكانت تمثل قاعدة كورتها المسماة باسمها (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ٢١)) وهي على الضفة الشمالية لنهر وادي آنه (عنان، **الآثار الأندلسية**، ص ٣٨٠)، وتعد الآن أحد المراكز الإدارية في مديرية بَطَلْيَوس الإسبانية (ابن الشباط، **وصف الأندلس**، ص ١٤٧، حاشية ١).

البعوث العسكرية إليها، وخرج بنفسه نحوها أكثر من مرة فإنها لم تخضع له إلا في سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م[٥٩]. كما انبعثت في مدينة طَلَيْطلَة سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م حركة معارضة ضده امتد لهيبها إلى بعض المناطق المجاورة، فما زال يحاول قمع هذه الحركة حتى تم له ذلك في سنة ٢٢٢هـ/ ٨٣٦م بعد أن أرهق أهل طليطلة بالحصار وكثرة البعوث[٦٠].

ولقد بقيت الأحوال في الداخل بعد ذلك هادئة إلى حد بعيد حتى قرب نهاية حكم هذا الأمير عندما عكر صفو هذا الهدوء بعض النصارى المتزمتين الذين أثارهم - على ما يبدو - شغف إخوانهم في الدين من المستعربين★★ بالثقافة العربية[٦١]، فأخذوا يعملون للحط من تلك الثقافة إلى أن تطور بهم الأمر إلى المجاهرة بسب الدين الإسلامي[٦٢]؛ عندئذ لم يتردد الأمير عبد الرحمن بإعدام من ثبت تورطه بمثل هذا الفعل، إلا أن مدبري هذه الحركة

---

(٥٩) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٨٣؛ ابن خلدون، **تاريخه**، جـ ٤، ص ١٦٤.

(٦٠) ابن الأثير، **الكامل**، جـ ٦، ص. ص ٤١٥-٤١٦، ٤٤٤، ٤٥٤، ٤٧٥؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص. ص ٨٣-٨٥.

(٦١) توماس أرنولد: **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة حسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، ط ٢ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م)، ص. ص١٦٠-١٦١ ستانلي بول، **العرب في إسبانيا**، تعريب علي الجارم، (القاهرة: دار المعارف المصرية، د. ت) ص٨٩.

★★ المستعربون: هم أهل البلاد الأصليون الذين بقوا على ديانتهم النصرانية - غالبا -، ولكنهم تعربوا ثقافة ولسانا، ((إبراهيم بيضون، **الأمراء الأمويين الشعراء في الأندلس** (بيروت: دار النهضة العربية، د. ت)، ص ٥٩)).

(٦٢) أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس** (الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، د. ت) ص. ص١٥٥-١٥٦؛ محمد محمد زيتون، **المسلمون في المغرب والأندلس** (المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٢٩٥.

عدوا ذلك «استشهاداً»[٦٣] واتخذوه وسيلة لإثارة السخط بين المستعربين فكثر بذلك أتباعهم؛ الأمر الذي أزعج الأمير الأموي فحاول تطويق الأزمة بعقد مؤتمر عام للأساقفة عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م فانجلى ذلك المؤتمر عن استنكار شديد لتلك التصرفات الحمقاء التي أقدم عليها المستعربون، وعلى هذا بدأت حركتهم تتضاوى إلى أن انتهت من تلقاء نفسها بعد حين[٦٤].

أما العلاقات الخارجية في عهد عبد الرحمن الأوسط فقد تشعبت أكثر من ذي قبل في زمن سالفيه؛ فعلاوة على العلاقات التقليدية بين الأمويين والكيانات النصرانية المجاورة فقد طرقت ـ في عهده ـ أبواب الأندلس قوى جديدة، فأحسن التعامل معها على المستويين العسكري والدبلوماسي.

ففيما يتعلق بمملكة أَشْتُوريس فقد كلف الأمير عبد الرحمن في بداية حكمه عدداً من قواده بالغزو في أراضيها، فأحرزوا انتصارات عظيمة[٦٥]، ثم حلت الهدنة بين الجانبين سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م، واستمر الوضع كذلك قرابة عشر سنوات[٦٦] وبعدها باشر الأمير عبد الرحمن إرسال الحملات إلى أراضي هذه المملكة[٦٧] حتى إنه غزا بنفسه جِلِّيقيَّة عام ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م[٦٨].

---

(٦٣) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٢٧١؛ ستانلي بول، **العرب في إسبانيا**، ص. ص٨٧-٩٣.

(٦٤) الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص٢٤٣.

(٦٥) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٦، ص. ص٣٨٦-٣٨٧؛ ابن عذاري، **البيان** جـ٢، ص. ص٨١، ٨٢.

(٦٦) السامرائي، **الثغر الأعلى**، ص٢٠٧.

(٦٧) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٦، ص ٤٩٤، ٥٠٧، ٥٠٨؛ ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٤، ص١٦٥.

(٦٨) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ١٨.

وفي الثلث الأخير من عهـد هــذا الأمير أضحت غـزوات المسلمين أكثـر عمقا في مملكة أشتوريس بعد الانقسام الـداخلي الذي تعرضت له إبان تلك الفترة (٦٩)، فكان من أظهر تلك الغزوات ما حدث في عام ٢٣١هـ/ ٨٤٦م حينما ضرب الجيش الأموي أمـاكن بعيدة في أرض العـدو، ثم عاد إلى قـرطبة محملا بالغنائم (٧٠).

أما فيما يختص بـالفرنجـة فقد صرف الأمير عبد الـرحمن نحوهم طـرفا من جهوده الحربيـة، ففي أوائل عهده أوعـز ـ فيما يبـدو ـ إلى قـوات الثغر الأعلى لتتحالف مع البشكنس ★ في درء النفوذ الفرنجي عن الأنـدلس، فنجح هذا التحالف في دحـر الفرنجة عـام ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م (٧١)، وبالـرغم من انقطاع التلاحـم العسكـري بين جيوش قرطبـة والجيوش الفرنجيـة في المنطقة فترة من الوقت فإن العلاقات ظلت عـدائية، إذ لم يكف أي من الطرفين عن تشجيع حوادث التمرد في بلد الآخر (٧٢).

وفور التئام الأحـوال الداخلية في الدولة الأمويـة سعى عبد الرحمن الأوسط إلى تسيير الجيوش من قرطبة إلى مناطق النفوذ الفرنجي في شمالي شرق إسبانيا،

---

(٦٩) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص. ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٧٠) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص ٢٤؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص ٣٤٦.

★ البشكنس Vascones هم الباسك في وقتنا الحاضر، وقد عرف عنهم أنهم من أشد الناس استمساكا بقـوميتهم، حيث يـرون أنفسهم أنهم أقـدم أمـة في أوروبـا (أرسـلان، **الحلل**، جــ ١، ص. ص٣٢١، ٣٢٤-٣٢٥ حـاشية ١)، وبـلادهم تقع في الجنوب الغـربي من جبال البرتـات ((عبـد الـرحمن علي الحجي، **أندلسيات**، المجمـوعـة الثـانيـة، ط ١ (بيروت: دار الإرشـاد، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ص٥٢)). وتضم حاليا ثلاث مديـريات في إسبانيا، ويطلق عليها جميعا إقليم الفـاسكو نجـاداس (حسين مـؤنس، **رحلة الأندلس**، ط١ (القاهـرة: الشركة العـربية، ١٩٦٣م)، ص ٣٦١.

(٧١) الشيخ، ، **دولة الفرنجة**، ص. ص ١٧٣-١٧٤.

Francisco de Paula, Villa 2 Realy Valdivia, Lecciones Elementales de Historia critica de Espana, (Grand, 1899), p. 181.

(٧٢) جوزيف رينو، **الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا**، تعريب إسماعيل العربي، ط١ (دار الحداثة، ١٩٨٤م)، ص ١٣٣.

فجرد جيشا إلى أطراف بَرْشلُونَة عام ٢٢٤هـ / ٨٣٨ (٧٣)، ثم إن دولة الفرنجة انقسمت على نفسها، فاندلعت الحروب في جوانبها إثر وفاة لويس التقي★ بن شارلمان عام ٨٤٠م/ ٢٢٦هـ (٧٤) فحاول عبد الرحمن الإفادة من ذلك في تدعيم موقف المسلمين إزاء هذه القوة، فساعد الثائرين عليها في أملاكها الإسبانية (٧٥)، كما سير حملة إلى برشلونة عام ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م (٧٦)، بالإضافة إلى ذلك فقد رصد تحركات الفرنجة في البحر، وتغلب على أسطولهم في أكثر من موقعة، ونشر سيطرته على عدد من الجزر في غربي البحر المتوسط (٧٧).

ثم إن البشكنس بدءوا يقلقون بال الأمير الأموي بعد أن ظهرت إمارتهم في نَافار أو نَبرَّة ★★ التي كانت عاصمتها

---

(٧٣) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ٨٥.

★ كان لويس التقى قد تولى حكم إمبراطورية الفرنجة (الكارولنجية) بعد وفاة والده شارلمان عام ٨١٤م/ ١٩٩هـ (الشيخ، **دولة الفرنجة**، ص ٢٣).

(٧٤) فشر، **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، ق١، ص. ص ١٠٠-١٠١.

(٧٥) الشيخ: **دولة الفرنجة**، ص. ص ١٧٧-١٧٨.

(٧٦) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص ٥٧.

(٧٧) أرشيبالد لويس، **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**، ترجمة أحمد محمد عيسى (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت)، ص ٢٢٩، ٢٣٠؛ إبراهيم أحمد العدوي، **قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط** (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، د. ت)، ص٩٩، ١٠٠.

★★ إمارة نافار أو نبرة يكتنف الغموض بدايات هذه الإمارة، وكل ما نعرفه عنها أنها كانت تخضع تارة لمملكة أشتوريس وتارة أخرى للفرنجة، وفي نهاية القرن الثامن الميلادي بدأت تنزع للاستقلال، ولكن لم يكتب لها الاستقلال التام إلا بعد أن آل الحكم فيها إلى أسرة أنيجو أريستا Inigo Arista المعروف بالمصادر العربية ونقة بن شانجة، وكان ذلك في العقد الرابع من القرن التاسع الميلادي ـ أي: أوائل القرن الثالث الهجري ـ فكان أول حاكم من هذه الأسرة هو غَرْسِية ابن وَنَقُة بن شَانْجُة (عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص. ص ٣٦١-٣٦٢؛ السامرائي، **الثغر الأعلى**، ص. ص ١٥٩-١٦٠).

بَنْبُلُونَة★ ، فأوحى إلى عامل سرقسطـة بالإغارة عليها سنـة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م ، كما بعث حملة إليها في السنة التالية(٧٨)، فأثار بذلك عـامل تُطِيلة موسى بن موسى بن قسي★★ الذي كان مصاهـرا لحاكم هذه الإمارة البشكنسية ، ولهذا تحالف معه ضـد حكومـة قرطبة ، الأمـر الذي جعل الأمير عبـد الرحمن يخرج بنفسه إلى هـذين المُتحـالفين ، فحـاربهما وتغلب عليهما ، ، ثم عقـد معهما صلحا سنة ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م(٧٩) لكن الحاكم النافاري وصهـره موسى ما لبثا أن خرقا هذا الصلح ، ثم عادا مرة أخرى لتوثيقه بعد خروج صائفة من قرطبة إليهما(٨٠).

ولقد شهدت الأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط خطرا جديدا لم تعهده من قبل ، إذ أغار النـورمان★★★ عليها من شـواطئها الغربية في أواخـر سنة ٨٤٣م/ ٢٢٩هــ ، وكانت أُشْبُـونَـة أول بلد عـاثـوا فيه ، ثم سـاروا بسفنهم

★ بنبلونة Panplona تربض على نهر أرغه Arga (أرسلان ، الحلل ، جـ ٢ ، ص ١١٦ ، ١٧٤) وذلك عند الممـرات الغربيـة لجبال البرتـات (بسام العسلي ، عبد الرحمن الناصر ، ط٢ ، (بيروت: دار النفائس ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص٦٨ ، حاشية ٢ ؛ وتبعد الآن عـن مدريد حوالي ثلثمئة كيلو متر (عنان ، الآثار الأندلسية ، ص ٢٠٧).

(٧٨) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

★★ هو مـوسـى بن موسـى بن فرتـون بن قَسِي ، ولقد كـان جده قسي هذا من أهـل البلاد الأصليين الذين أسلموا بعيد فتح المسلمين الأندلس ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م) ، ص ٥٠٢ ، أمـا تُطِيلة Tudela فهي مدينـة في الثغر الأعلى تقع على الضفة اليسرى لنهـر إبرو في الشمال الغـربي من سرقسطة على قيـد سبعين كيلو مترا منهـا (عنان ، الآثار الأندلسية ، ص١١٣) وهي اليـوم مركـز إداري في مديـرية نبرة (نـافار) في إسبـانيا (حسين مؤنس ، رحلة الأندلس ، ص ٢٨٨).

(٧٩) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٣٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٨ ، ٩ .

(٨٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكي ، ص ١ ، ٤ .

★★★ يعرف النـورمان أو النورمانيـون في التواريخ الأوروبية بـالفايكنج Vikings ، وهم يـرجعون إلى أصل جرماني أوتيتوني ، وكانت مواطنهم الأولى جزيـرة إسكنديناوة والدنمارك والجزر القريبة منها ، وسكان المنطقة الأخيرة هم الذين أغاروا على الأنـدلس ، ولقد اعتادت مصـادرنا العربيـة أن =

بحذاء الساحل جنوبا فحلوا ببعض المواضع ثم انتهوا عند مدخل الوادي الكبير فصعدوا إلى إشبيلية، واستباحوا ما حولها أياما، وقد ظلت الدولة الأموية تزج بقواتها نحو هؤلاء، وتراقب تحركاتهم، وترسم الخطط لقمعهم حتى تمكنت في الأخير من إجلائهم عن البلاد(٨١).

ولما كانت دولة المسلمين في الأندلس إبان عصر هذا الأمير تتبوأ منزلة سامية بين الدول المعاصرة آنذاك فقد جرى بينها وبين القوى الخارجية البعيدة تبادل دبلوماسي، فلقد رد الأمير عبد الرحمن على سفارة قدمت إليه من الإمبراطورية البيزنطية عام ٨٣٩م/ ٢٢٥هـ بسفارة مثلها(٨٢)، كما أنه أوفد أيضا سفارة أخرى إلى النورمان الذين كانوا قد هاجموا دولته(٨٣).

ولقد تولى السلطة في الأندلس بعد وفاة عبد الرحمن الأوسط عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م ابنه الأمير محمد(٨٤)، فلم يكد يسمع أهل طُلَيْطلة بذلك حتى وثبوا على واليهم الأموي وسجنوه، ولم يطلقوه إلا بعد أن أخلى سراحَ أخوانٍ لهم كانوا محتجزين في قرطبة(٨٥)، ثم إنهم تجرءوا على طرد حامية إحدى القلاع القريبة منهم(٨٦)، كما أوقعوا بجنود الدولة وهم في طريقهم إلى

= تطلق عليهم الأردمانيين أو المجوس (حسين مؤنس، «غارات النورمانيين على الأندلس،» **المجلة التاريخية المصرية**، م٢، عدد ١(مايو ١٩٤٩)، ص ٢٤، ٢٥؛ إبراهيم العدوى؛ **المسلمون والجرمان**، ط١ (القاهرة: دار المعرفة ١٩٦٠م)، ص ٢٧٧.

(٨١) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص. ص ٩٨-١٠٠؛ ابن عذاري، **البيان** جـ ٢، ص. ص ٨٧-٨٨.

Pedro Alfonso, **Cronica de 1344, Preparada por Diego Catalan Y Maria Soledad de Andres** (Madrid, 1970), pp. 192 - 193.

(٨٢) ابن خلدون، **تاريخه**، ص ١٦٦؛ المقري، **نفح الطيب**، جـ١ ص. ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٨٣) ابن دحية، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق، إبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، وأحمد بدوي (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٥٤م)، ص. ص ١٣٩-١٤٩.

(٨٤) ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ١، ص ٢٩.

(٨٥) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ٩٤.

(٨٦) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٢٩٣؛ ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص ٧١.

مهمة عسكرية(٨٧)، وإزاء هـذه التجـاوزات التي اقترفهـا أهل طليطلـة نَهَدَ إليهم الأمير محمـد بجيش كثيف، لا سيما وأنهم كانـوا قـد استمدوا نصـارى الشمال فأمـدوهم، فجـرت بين الجانبين معـركـة وادي سَلِيط★ عـام ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م التي انتهت بنصر مـؤزر للأمويين(٨٨). وبالـرغم من ذلك فقد بقي الطليطليون يلـوحون بلواء العصيان، ولم يتـورعوا عن مهاجمة بعض الحصون المجاورة لهم(٨٩)، وعندئذ خـرج الأمير إليهم بنفسه مرة أخـرى سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م فهزمهم هزيمة منكرة، اضطروا على أثرها لطلب الأمان(٩٠) فما زالوا هـادئين إلى سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م عنـدما هموا بالخروج عن الطـاعة، ولكن الأمير بادر بحصارهـم، وأجبرهـم على تقديـم فروض الولاء(٩١).

كما أن مدينـة مَارِدَة ناهضت الأمير محمـدا؛ فما إن مضى بضع عشرة سنة من عهده حتى جـاهرت بالمعصية، فجـرد إليها بعض قواده ولكنهم لم ينـالوا منها شيئا(٩٢)، وحينئذ برز إليها بنفسه ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م، وأخذها على غرة، ولم يـؤمن أهلهـا إلا بعـد أن قـدمـوا لـه أشهـر فـرسـانهم لاتخاذهم رهـائن عنده(٩٣). ولقد ظلت هذه المدينة وأحـوازها مستقرة إلى أن انفلت من أولئك الرهائن عبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي★★، واعتصم بقلعة قريبة من مَارِدَة،

---

(٨٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٢٩٤.

★ وادي سليط Guazalette موقعه في الفحص الكائن جنوبي غـرب طليطلة (عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م)، ص ٢٤٥).

(٨٨) ابن الأثير: **الكامل**، جـ٧، ص ٧٤؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص. ص ٢٠-٢١.

(٨٩) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ٩٦؛ النويري، **نهاية الأرب**، جـ٢٣، ص ٣٨٨.

(٩٠) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص. ص ٣٠٥-٣٠٦.

(٩١) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص ٢٦٥.

(٩٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٩٣) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص ١٨٩؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٠٠.

★★ هو عبد الرحمن بن مروان بن يونس، وقد عُرف بابن الجِلِّيقي. ابن حيان، المقتبس (باريس: =

فسار إليه الأمير محمد سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٤م، وأخذ بمخنقه، مما جعله يطلب الأمان، فأعطاه الأمير إياه بشرط أن ينزل مدينةَ بَطَلْيَوس★، ويبقى فيها مسالما(٩٤)، بيد أنه لم يلبث أن اتخذ هذه المدينة قاعدة لِبث الذعر فيما حوله، ولذلك بادر الأمير محمد في العام التالي بإرسال قوات ضخمة لتأديبه، فانحاز ابن الجليقي إلى حصن قريب من بَطَلْيَوس، ولكن تلك القوات حاصرته في حصنه(٩٥)، ولم تفك الحصار عنه إلا بعد أن تعرضت إحدى فصائلها لهزيمة من قبل بعض حلفاء الجليقي هناك(٩٦).

وحينما تخلى عن عبد الرحمن الجليقي كثير من أتباعه دخل في حماية ملك أشتوريس(٩٧)، فعاش عنده عدة أعوام ثم رجع إلى وطنه(٩٨)، ويظهر أن رجوعه كان بعد امتعاصه الشديد من هجوم وحشي ارتكبه هذا الملك في حق المسلمين سنة ٨٧٩م/ ٢٦٦هـ(٩٩).

= ملشور م. أنطونيه، ١٩٣٧م)، ق٣، ص ١٥). نسبة إلى جِلِّيقِيَّة التي نزحت منها أسرته. (السمعاني، **الأنساب**، تحقيق عبد الله عمر البارودي، ط١ (بيروت: دار الجنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، وقد ذكر ابن خلدون أن لقب الجليقي يخص عبد الرحمن فقط، حيث سمي به بعد لجوئه إلى ملك الجلالقة «أشتوريس». (ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٤، ص ١٧٠).

★ بَطَلْيَوس Badajoz كانت إحدى مدن كورة ماردة (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ٢١) وهي على نهر آنة، وتبعد عن ماردة الحاضرة مسافة ثلاثين ميلا إلى الغرب منها (الإدريسي، **صفة المغرب**، ص ١٨١). وبَطَلْيَوس في عصرنا الشاهد قاعدة الإقليم المعروف بهذا الاسم في إسبانيا (**دائرة المعارف الإسلامية**، مادة بطليوس، م٣، ص ٦٧٦، حاشية ١).

(٩٤) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص. ص ٣٤٩-٣٥٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص. ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٩٥) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص ٣٠٦.

(٩٦) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص. ص ٣٦٩-٣٧٣؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٢١٠.

(٩٧) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص. ص ٣٨١-٣٨٣.

(٩٨) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٤، ص ١٦٨.

(٩٩) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص. ص ٣٩٥-٣٩٧.

وبعودة ابن الجليقي إلى بطليوس حاول أن يوسع هذه المرة من سيطرته في غرب الأندلس، فأغم ذلك كثيرا الأمير محمدا، ولكنه لم يملك سوى الاعتراف به ـ على مضض ـ حاكما لبطليوس وما حولها، ولهذا ظل الأمل يساوره في القضاء عليه[١٠٠]، فلما كان عام ٢٧١هـ/ ٨٨٤م سير قوة إليه، فلاذ ابن مروان بأحد الحصون المنيعة التابعة لبطليوس فلم تستطع تلك القوة النيل منه[١٠١]، كما فشلت في إخضاعه قوة أخرى توجهت نحوه في العام اللاحق[١٠٢]، وبهذا استمر عبد الرحمن بن مروان الجليقي على حالة عصيان للدولة الأموية حتى نهاية عهد الأمير محمد.

أما إذا انتقلنا إلى الثغر الأعلى فإننا نرى الأحداث فيه بدأت تدخل في مرحلة خطيرة منذ منتصف حكم الأمير محمد، حيث إن موسى بن موسى ابن قسي قد استقام على الطاعة في أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وبداية عصر ابنه الأمير محمد، فأسند إليه هذا الأخير ولاية الثغر الأعلى بكاملها[١٠٣]، ثم ما لبث أن عُزل عنها عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م[١٠٤] فتقوقع في مدينة تُطِيلَة ما يقرب من عامين، ثم أظهر تمرده على السلطة الأموية، وهاجم مدينة وادي الحِجَارَة★ ولكنه أصيب في هجومه هذا، فتوفي متأثرا

(١٠٠) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص. ص١٠١-١٠٢.

(١٠١) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص ٤١٦.

(١٠٢) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٠٥.

(١٠٣) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٠، وقد لقب موسى بن موسى آنذاك باسم الملك الثالث لإسبانيا.

(W. Montgmery Watt and Pierre Cachia, **A History of Islamic Spain,** (New York), p. 29.

(١٠٤) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٠.

★ مدينة وادي الحِجَارَة Guadalajara وتعرف أيضا بمدينة الفَرَج (الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، نشر بروفنسال، ص ١٩٣، بدون سنة طبع)، وهي تقع على نهر هنارس شمال شرق مدريد على مسافة خمسين كيلو مترا منها. (عنان، **الآثار الأندلسية**، ص ٣٢٨).

بجراحه(١٠٥)، وبوفاة موسى بن موسى حاول الأمير محمد أن يسترد سلطانه على إقليم الثغر الأعلى، فعين على قواعد هذا الإقليم حكاما من قبله، بيد أنه لم يلق منهم ما كان يؤمله من إخلاص(١٠٦)، حيث إنهم تمردوا عليه، فانشغل في ردهم إلى الطاعة فترة من الزمن(١٠٧).

وعندما تخلص الأمير محمد من محنة هؤلاء الحكام المتمردين عاد بنو قسي ليمثلوا نشاطهم في الثغر الأعلى، حيث تعاونوا للسيطرة عليه بأجمعه(١٠٨)، كما أنهم عقدوا صلات طيبة مع النصارى المجاورين(١٠٩)؛ ولهذا سار الأمير محمد بجيشه إلى الثغر الأعلى سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م، ومع أنه في غزوته تلك أعاد الأمور إلى نصابها في أكثر أراضي هذا الإقليم(١١٠) إلا أن نفرا من بني قسي تمنعوا عليه، فتابع إرسال الحملات نحوهم(١١١). ولكن بالرغم من ذلك كله فإن الموقف في الثغر لم يتغير كثيرا حتى نشب خلاف بين إسماعيل ابن موسى بن موسى وبين ابن أخيه محمد بن لب بن موسى★، فانتصر هذا الأخير، وأَسَرَ عمه، ولم يطلقه إلا بعد أن تنازل له عن مدينتي سَرَقُسْطَة

(١٠٥) **ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس**، ص.ص ١١١-١١٢؛ ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص.ص ٣١٥-٣١٨.

(١٠٦) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٠٠.

(١٠٧) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص.ص ٣٢٤-٣٢٦؛ ابن عذاري، **البيان** جـ٢، ص.ص ١٠٠-١٠١.

(١٠٨) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٢٦.

(١٠٩) رجب عبد الحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا**، ص ١٥٣.

(١١٠) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص.ص ٣٢٩، ٣٣١-٣٣٢؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦.

(١١١) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٤١، ٣٨٥، ٣٩٢، ٣٩٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص ٣٢١، ٣٦٩.

★ كان موسى بن موسى بن قسي قد خَلَّف أربعة من الأبناء هم: فرتون ولُبّ ومُطَرِّف وإسماعيل، وقد توفي فرتون سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، وفي السنة التي بعدها توفي أيضا لُبّ، أما مطرّف فقد أعدمه الأمير محمد مع عدد من أولاده بعد عودته من الثغر سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م، فأما إسماعيل فهو الذي حدث الخلاف بينه وبين ابن أخيه كما في المتن (العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣١، وما بعدها).

وتُطِيلَة(١١٢)، وهنـا دخلت حكومـة قـرطبـة في الميدان، وأفلحت في ابتيـاع قـاعــدة الثغـر الأعلى سرقسطـة من المنتصر سنــة ٢٧١هــ/ ٨٨٤م(١١٣)، فأصبحت تدار من قبلها، ولكنها تجنبـا لسخط محمد بن لب هذا لما تمانع في حكمه لعدد من مدن الثغر الغربية(١١٤).

وفي خضم هذه المتاعب التي كانت تعاني منها الإمارة الأموية ـ أثناء الثلث الأخير من حكم الأمير محمد ــ انفتحت عليها جبهـة جديدة، وكـانت هذه المرة في الجنوب الأندلسي، حيث أعلن أهل كورة رَيُّة★ سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م العصيـان في وجـه واليهم الأمـوي، فحـاول قمعهم، ولكنـه لم يفلح(١١٥)، فأرسل الأمير محمد في السنة التالية حملـة إليهم، ولكن هذه الحملة لم توفق في ردعهم إلى الطاعة(١١٦)، وعلى هذا كانـت «ثورتهم هذه مقدمة فتنـة عمر بن حفصون التي طغت على جميع فتن الأندلس» حسب تعبير الرازي(١١٧).

ويبـدو أن عمر بن حفصـون★★ هـذا كان قـد شـارك أهل بَلَدِه رَيُّـة في

---

(١١٢) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٤.

(١١٣) السامرائي، **الثغر الأعلى**، ص. ص ٣٢٤-٣٢٥.

(١١٤) العذري: **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٦.

★ كورة ريُّـة Rejio يحدهـا جنوبًـا البحر المتـوسط، وتصـاقب كورة إلْبِيرة من الغـرب (**دائرة المعارف الإسلامية**، مادة رية، م١٠، ص ٣١٧) وهي تتصل أيضا بكورتي الجزيرة الخضراء وإسْتِجَّة (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ٢٥، ٢٦).

(١١٥) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص. ص ٣٩٣-٣٩٤.

(١١٦) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٠٣.

(١١٧) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٩٣.

★★ هو عمر بن حفص (حفصون) بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلـوس ابن أدفونس القس، كان جـده أول من أسلم من آبائه، ولقد عـرف ابن حفصون منذ صغره بحـدة المزاج، وشراسـة الطبع (ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٤، ص. ص ٣٨-٣٩؛ الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، جـ١٠، ص. ص ١٠٩-١١١؛ ولقد كان عامل رية الأموي قد عـاقبه بعد ارتكـابه أعمال السلب والنهب، فانتقـل من بَلَدِه إلى المغرب ثم مـا لبث أن عاد إلى الأندلس مرة أخرى (ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس** ص. ص ١٠٣-١٠٤؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٤، ص ٣٩).

تمردهم على الحكم الأموي، لأننا نراه في العام التالي ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م، ينتقض في هذه المنطقة[١١٨] بعد أن حظي بتأييد كثير من الأتباع الذين توسموا فيه القدرة على حمل لوائهم المضاد لبني أمية[١١٩]، ولما أكْثَرَ ابنُ حفصون وأتباعُه من العبث في كورة رَيُّة هب عاملها لقتالهم، ولكنهم هزموه هزيمة مخزية، فحاول الأمير محمد تدارك الوضع، فاستبدل عاملا جديدا بالعامل المهزوم، وعندما هادن هذا العامل المتمرد ابن حفصون عزله الأمير[١٢٠]، ثم أرسل جيشا من قرطبة سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م بقصد استئصال شأفة هذا التمرد، فاستطاع قائد الجيش أن يستنزله بالفعل من معقله بُبَشْتْر ★ وقدم به إلى العاصمة، حيث أكرمه الأمير[١٢١] وأَعْلَىٰ منزلته إلى درجة أنه ضمه للجيش النافر للثغر سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م[١٢٢]، ولكن بسبب التشاحن بين رجال البلاط الأموي أَلْفَى ابن حفصون معاملة سيئة،

---

(١١٨) ابن الأثير: **الكامل**، جـ٧ ص ٣٦١، النويري، **نهاية الأرب**، جـ٢٣، ص ٣٩١.

(١١٩) الونشريسي، **المعيار المعرب**، جـ١٠، ص ١١٠.

(١٢٠) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٠٤.

★ بُبَشْتْر أو بباشتر Bobastro حصن من أعمال رَيُّة (ياقوت، **معجم البلدان**، جـ١، ص ٣٣٣) وهو يقع بين رُنْدَة ومَالِقَة (ابن سعيد، **المغرب**، جـ١، ص ٥٣) وموضعه الآن شمال نهر ريوجوردو في سلسلة جبال الملك بالقرب جدا من ضيعة أوطة.

Joaquin Velvés, "Denuevo sobre Bobarto", **Al Andalus**, Vol. XXX, Fasc, I, (1965), p.169.

والذي يظهر أن ابن حفصون لم يلجأ إلى معقل ببشتر في مطلع أيامه، كما هو متعارف عند أكثر المؤرخين بدليل أنه امتنع هو وأتباعه في حصن بنيدة أو بنيرة حينما قصده عامل رية عام ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م، أي في العام الذي تمرد فيه (الونشريسي، المعيار المعرب، جـ١٠، ص ١١٠) ولعل ابن حفصون قد اعتصم بمعقل ببشتر بعد أن ضيقت عليه الإمارة بالبعوث العسكرية.

(١٢١) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٣١؛ ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٤، ص ١٦٩، ١٧٣.

(١٢٢) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص ٤١٦.

فهرب إلى معقلـه السابق، ومن يـومها صـار أغلظ شأنا، وأصعب مـراسا، وأكثر جَمْعـا(١٢٣)، فلم تنل منــه قــوة خــرجت إليــه من قــرطبــة عــام ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م(١٢٤)، الأمر الـذي حدا بـالأمير محمد إلى إرسـال حملة كبيرة إليه بقيـادة ابنه المنذر في العام الـذي بعده. وحيث إن ابن حفصون كـان قد تحالف مع صاحب حصن الحَامَّة★، فقد زحف المنـذر إليه، وقبل أن يُحْكِم الجيش الأمـوي الحصار على هـذا الحصن سـارع ابن حفصون للتضـامن مع حليفه، فلما أعيا الحصار ابن حفصون وحليفه خرجا من الحصن واشتبكا مع الأمويين، ولكنهما هُزِما شر هزيمـة، وارتدا إلى الحصن مرة أخرى. وفي تِلك الأثناء ورد خبر موت الأمير محمد، فعجل المنذر بالقفول إلى قرطبة(١٢٥).

وبجـانب هـذه الحركات العصيـانيـة الكبرى التي أقضت مضجع الأمير محمد، وبددت الكثير من جهده كان هناك حركات معارضة، بيد أنها كانت محدودة، وقد استطاعت حكومة قرطبة أن تقضي على معظمها(١٢٦).

أما عن عـلاقة حكـومة الأمير محمـد بالقـوى الخارجية فإنها أخـذت عدة اتجاهـات، فلقــد عـاد النـورمـان لمهــاجمة الأنــدلس مـن جـديــد سنـة

---

(١٢٣) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ١٠٥؛ الـونشريسي: **المعيار المعرب**، جـ ١٠، ص. ص١١١-١١٢.

(١٢٤) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص. ص ٤٢٠-٤٢١؛ الونشريسي، **المعيار المعرب**، جـ ١٠، ص١١٢.

★ وصاحب حصن الحامَّـة هو الحارث بن حمدون من بني رفـاعة. أما الحامَّـة أو الحَمَّة Alhama فهي من توابع كـورة رَيُّة (مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص٦٨، ١٥٠) إلى الشمال الشرقي من مَـالقَـة (عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٠٩).

(١٢٥) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص١٠٦.

(١٢٦) لمعرفة هذه الحركات، انظر: ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٤١، ٣٤٢؛ ابن عذاري، **البيان**، ص ١٠٠، ١٠٣، ١٠٥.

٨٥٩م/ ٢٤٥هـ(١٢٧) حيث انحدروا على سواحل الأندلس الغربية، فردهم الأسطول الأموي على أعقابهم، فاتجهوا إلى سواحل المغرب، ثم عادوا إلى شواطئ الأندلس الجنوبية والشرقية، ومع أنهم ضربوا بعض المراسي هناك في هجومهم هذا إلا أنهم لم يتمكنوا من التوغل فيها نظرا لأنهم قُوبلوا بمقاومة عنيفة جدا أجبرتهم على الانسحاب السريع(١٢٨).

أما العلاقات مع القوى النصرانية المجاورة فقد وجه الأمير محمد نشاطه إلى مملكة أشتوريس منذ أن تسنم سدة الحكم في البلاد، حيث أرسل سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م جيشا إلى أَلَبَة والقِلاع(١٢٩). كما أنه في سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م حشد حشوده واجتاح تلك الأراضي من المملكة النصرانية(١٣٠)، فكأنه بحملته الأخيرة رد على تلك المساعدة التي كان ملك أشتوريس قد قدّمها قبل عام لأهالي طليطلة المتمردين(١٣١). ولقد توقف الجهاد الإسلامي ضد هذه المملكة لفترة من الوقت، فلما هاجم ملكها الأراضي الإسلامية استأنف الأمير محمد إرسال الحملات إليها(١٣٢)، فكانت حملة سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م من أشهر تلك الحملات حيث سجل الجيش الإسلامي فيها نصرا عزيزا(١٣٣).

وفي السنوات التي أصبح الأمير محمد يواجه قلاقل متشعبة في دولته اعتلى عرش مملكة أشتوريس الفونسو الثالث (٨٦٦م/ ٢٥٢هـ

---

(١٢٧) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٠٧؛ ابن خلدون، **تاريخه** جـ ٤، ص ١٦٧.

(١٢٨) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٩؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١١٨ ـ ١١٩.

(١٢٩) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ ٤، ص ١٦٧؛ المقري، **نفح الطيب**، جـ ١، ص ٣٥٠.

(١٣٠) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٠٤؛ ابن الأثير، **الكامل**، جـ ٧، ص ٨٠.

(١٣١) ابن الأثير، **الكامل**، جـ ٧، ص ٧٤.

(١٣٢) عنان، **دولة الإسلام**، ع ١، ق ١، ص ٣٥٧.

(١٣٣) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣١٩، ٣٢٠؛ ابن عذاري، **البيان** جـ ٢، ص ٩٩.

٩٠٩م/ ٢٩٧هـ)(١٣٤) الـذي مـا لبث أن عمـد إلى تعمير منـاطق مملكتـه السهلية المجاورة للمسلمين، فبنى عدة مدن من أبـرزها مدينة ليون(١٣٥)★، وكـان يهدف من ذلك إلى جعل نهر دويرة حـاجزا دفـاعيا بينـه وبين الدولـة الإسلامية(١٣٦)، وتجاه هذه التحركات المُريبة من جانب المملكة النصرانية قام الأمير محمد هو الآخر بإنشاء بعض القلاع على خط حدوده معها تحسبا لما قد يبدر من ملكهـا الجديد(١٣٧)، وبـالفعل لم يمضِ قليل حتى بـدأ الفـونسـو الثالث يُؤرث نار الفتنة على الإمارة الأمويـة فقام بإيواء ومساعدة العاصين لها في غربي الأنـدلس(١٣٨)، كما أنـه أغـار سنـة ٨٧٩م/ ٢٦٦هــ على الأراضي الإسـلاميـة إغـارة بعيـدة العمق، إذ وصل إلى كـورة مَـارِدَة، وانتهك بعض نواحيها(١٣٩)، فكـان وصولـه إلى هـذا العمق بـادرة لم يسبقه أحـد فيهـا من أسلافه(١٤٠). ولـذا حاول الأمير محمـد أن يـرد عليه فجـرد حملـة بحريـة إلى أشتوريس عن طريق السواحل الغربية، ومع أن تلك الحملة فشلت(١٤١) إلا أن ذلك لم يمنعـه من مواصلـة الجهاد البري ضـد هذه المملكـة رغم ما كـان يعتور دولته مـن تفسخ آنذاك، فبعث سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م جيشـا لغزو أَلَبَة

(١٣٤) Antonio Romos, " Oliveira", **Historia de España**, Tome II, Mexico, p. 343.

(١٣٥) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢١٧.

★ مدينة ليون Léon موقعها عند ممر في سلسلة الجبال الكَنْتَبْرِيَّة (حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ص ٣٥٥) وهي إلى الجنوب من مـدينة أوبيط - عـاصمة أشتوريس - والمسافة بينهما مئـة وتسعة عشر كيلو مترا (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٦٥٢، تعليق ٦١٠).

(١٣٦) Luis Suarez Fernandez, "Historia de España Eded Media", Madrid, p. 48 & F. Arranz Velarde, **Lecturas de Historia de Espana Y de la Civilization Espanola**, Santander, 1935, p. 90.

(١٣٧) محمود علي مكي، مدريد العربية (القاهـرة: دار الكتاب العـربي، د.ت)، ص.ص ٣٨، ٣٩، ٨٧-٨٨.

(١٣٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠١.

(١٣٩) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص.ص ٣٩٥-٣٩٦.

(١٤٠) عنان، دولة الإسلام، ع١، ق ١، ص ٣٥٨.

(١٤١) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ٣٣٤.

والقلاع[١٤٢]، ثم ما عَتَّم أن رحب بعقد هدنة معها في حدود سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م[١٤٣].

أما علاقات الدولة الأموية بجارتها إمارة ناقار فقد كانت سلمية في أوائل عهد الأمير محمد، ثم بدأت تميل إلى العداوة بعد مهاجمة أحد العمال الأمويين العاصمة الناقارية بَنْبُلُونة سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م[١٤٤]، وفي السنة التالية قاد الأمير محمد بنفسه جيشا كبيرا نحو هذه الإمارة، فعاث في أراضيها، واستولى على العديد من الحصون[١٤٥].

ولما غشيت الثغر الأعلى موجة الاضطرابات ـ التي أشرنا إليها سابقا ـ كان المتمردون على الحكم الأموي فيه يتقربون إلى حكام إمارة ناقار[١٤٦]، ولذلك قل أن يغزو جيش الإمارة الأموية هؤلاء المتمردين دون أن يعرج عليها[١٤٧].

أما الفرنجة فقد استمرت علاقتهم العدائية بالمسلمين في عهد الأمير محمد، ولذا فقد سير هذا الأمير في أول ولايته إلى بَرْشلُونَة بعثا عسكريا[١٤٨]، كما توجه عامل الثغر الأعلى إليها أيضا سنة ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م فافتتح عددا من الحصون[١٤٩]. على أن أعنف اشتباك وقع بين الجانبين في عصر الأمير محمد

(١٤٢) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٠٥؛ المقري، **نفح الطيب**، جـ١، ص ٣٥١.

(١٤٣) محمد دياب بك، **تاريخ العرب في إسبانيا** (القاهرة: المطبعة الجمالية، ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م)، ص١٩٨.

(١٤٤) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص ٩٠.

(١٤٥) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣١٠.

(١٤٦) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٢٥؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣١، ٦٢.

(١٤٧) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٤١، ٣٨٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص٣٢١.

(١٤٨) ابن خلدون، تاريخه، جـ٤، ص ١٦٧؛ المقري، **نفح الطيب**، جـ١، ص ٣٥٠.

(١٤٩) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص.ص ٨١-٨٢؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص.ص٩٥-٩٦.

كـان في سنـة ٢٤٧هــ/ ٨٦١م، وقـد تمخض عن انتصـار المسلمين[١٥٠]، فتوغلوا على أثر ذلك في منطقة الجنوب الفرنسي[١٥١].

وهكذا كـان الأمير محمد الذي توفي سنـة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م[١٥٢] في القسم الأول ـ والأطول ـ من ولايته إذا ما قورن بالسنوات الأخيرة منها ـ أحكم سيطرة على جهاز الـدولة، وأقـوى سلطانا في أطـرافها، وأحد سنـانا في تعـامله مع العاصين؛ حيث اتضح في أواخـر حكمه أن أَزِمَّـةَ الأمور في الدولـة تتجه إلى الانفـلات من قبضتـه، ولا يعني هـــذا أن الأمير محمـدا قـد وَنَىٰ في محاربـة حركات المعـارضة التي واجهته، فجهده في هـذا المجال لا ينكر، ولكن تلك الحركات التي ظهرت بمجموعها في عهده إنما انفجرت لأسبابٍ وبواعثَ كان على دولته أن تنتبه إليهـا، وتقوم بمعالجتها دون الاعتماد على القـوة العسكرية ما وجدت إلى ذلك سبيلا.

---

(١٥٠) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٣٨٩.

(١٥١) السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٢٦٠ Villa-Real, op. cit, p. 182;

(١٥٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٣٢.

الفَصل الأول

أحوال الأندلس الداخلية
في مطلع
الربع الأخير من القرن الثالث

أولا: عهد الأمير المنذر بن محمد

توفي الأمير محمد بن عبد الرحمن بعد حكم مديد أربي على ثلث قرن من الزمان، وترك دولته ولمَّا يقر الائتلاف في جميع أرجائها بالرغم من الجهود الجبارة التي بذلها لرأب الصدع، وضرب المنشقين، ذاك أنه جابه في أواخر حكمه حركات معارضة مباينة لما عهده أمراء بني أمية من قبل سواء أكان في الشخصيات التي قادت تلك الحركات، أم في اتساع المناطق التي شاعت فيها، أم فيما صاحب ذلك من اضطراب إداري في دولته خلال تلك الفترة.

فلقد قاد هذه الحركات شخصيات شديدة البأس، صعبة المراس قد مرنت على العصيان، وجعلته ديدنها، كما تبنت دعاوى مناهضة للسلطة اكتسبت عن طريقها الكثير من المؤيدين في عدد من الأقاليم التي لم تخلص الولاء للأمويين، كما أنها ظهرت في وقت واحد تقريبا، وفي مناطق مختلفة؛ حيث كان بنو قسي ومن إليهم في الثغر الأعلى، وعبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي وحلفاؤه في غرب الأندلس، وعمر بن حفصون في الجنوب الأندلسي، الأمر الذي بعثر مقدرات الدولة الأموية بين هؤلاء من ناحية، وبين ما أُنيط بها من جهاد للقوى النصرانية من ناحية أخرى. على هذا الوضع كانت دولة الإسلام في الأندلس عندما تسلم الأمير المنذر بن محمد مقاليد الأمور فيها عقب وفاة والده.

١- اعتلاء الأمير المنذر بن محمد السلطة في الأندلس، وأهم التغييرات التي أحدثها في جهاز الدولة

كان الأمير محمد قد خص نفرا من أبنائه الذين اتصفوا بالنجابة والشجاعة

ـ خصهم بالخروج معه في الغزوات تارة [١]، وبقيادة الجيوش تارة أخرى [٢]، كما أسند إلى بعضهم إدارة بعض الكور [٣].

ولقد كان المنذر من أبرز هؤلاء الأبناء الذين مثلوا دورا رائدا في دولة والدهم الأمير محمد، فلقد عرف منذ يفاعته بالحزم والصرامة، وبقوة الإرادة، فلما بلغ أشده تجرد لقيادة العساكر [٤] حتى أضحى في الشطر الثاني من حكم والده الرجل الأول على مسرح القيادة، فكانت له صولة في الجهاد مع النصارى المجاورين من جانب [٥]، وفي مقارعة المخالفين على الدولة الأموية من جانب آخر [٦]، ويبدو أن الأمير محمدا بناء على ذلك اختاره خلفا له في الإمارة، فعينه وليا للعهد في وقت مبكر، فلقد أورد ابن القوطية [٧] في معرض حديثة عن الصراع الدائر بين الدولة الأموية وبين ابن مروان وحليف له ـ أورد خبرا يوحي بهذا فقال: «خرج الأمير المنذر ـ وهو ولي عهد ـ ... لمحاربتهما». وكان ذلك في سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م [٨]، وحيث إن المنذر حينما خرج بتلك القوة العسكرية كان يعرف بولي العهد في الحكومة الأموية فإن

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٣٥٥.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص٩٤. وما بعدها؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٣.

(٣) الخشني، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط ١، بيروت: دار الكتب الاسلامية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ١٨٦؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢١١؛ ابن الأبار، الحلة، جـ ٢، ص٣٦٦.

(٤) ابن عبد ربه، العقد، جـ ٥، ص٢٢١؛ ابن سعيد، المغرب، جـ ١، ص٥٤.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص. ص ٣١٩-٣٢٠، ٣٤١، ٣٨٥؛ ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص١٦٢.

Alfonso X, primera ctonica General de España editadu por Menencez Pidal, Tono.II, (Madrid, 1977), p. 377. Oliveire, op cit, p. 34.

(٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣٣، ٣٥؛ ابن عذاري البيان، جـ ٢، ص١٠٣، ١٠٦.

(٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠١؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٤٤.

(٨) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص١٠٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢١.

ذلك يعني أنه قد تقلد هذا المنصب قبل وفاة والده بأكثر من عشر سنوات .

وهناك رواية ــ يبدو أنها غير عربية ـ تشير بوضوح تام إلى أن الأمير محمدا قد جمع أفراد أسرته، وأعضاء دولته، ودعاهم إلى بيعة ولده المنذر بولاية العهد سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م(٩) بمعنى أن تعيينه في هذا المنصب لم يحدث إلا قبل وفاة والده بثلاث سنوات فقط .

على أننا نرتاب في هذه الرواية الأخيرة، إذ أن المصادر العربية ـ التي بين أيدينا ـ لا تذكر شيئا عن تلك التفصيلات الصريحة التي جاءت فيها، فضلا عن كونها تتعارض زمنيا مع ما أورده ابن القوطية .

ومهما كان الأمر فمن الواضح أن الأمير محمدا قد أَقَرَّ ابنه المنذر خليفة له قبل مماته، وأسطع دليل على ذلك أن المنذر ـ عندما توفي والده ــ كان في الجنوب الأندلسي يحارب ابن حفصون وبعض حلفائه(١٠) ـ كما عرفنا ـ ومع هذا لم يتطلع أحد من إخوته الكثر ★ إلى اعتلاء السلطة في العاصمة قرطبة وهو بعيد عنها، بل إننا لا نسمع بأي خلاف ظاهر بينه وبين أحد منهم، وعلاوة على ذلك فإننا نرى المنذر قبل أن يصل إلى العاصمة لأخذ البيعة بدأ في الطريق يولي العمال في بعض الكور(١١)، وهذا فيه دلالة على أنه اعتبر نفسه حاكما للبلاد بمجرد موت أبيه، وهذا يلهم أن ولاية العهد كانت قد أسندت إليه من قبل ★★.

(٩) محمد دياب، **تاريخ العرب في إسبانيا**، ص١٩٨ .

(١٠) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص١٣٢ .

★ يذكر النويري أنه قد ولد للأمير محمد مئة ولد من الذكور، وقد مات عن ثلاثة وثلاثين منهم (**نهاية الأرب**، جـ٢٣، ص٣٩٢).

(١١) ابن عذاري، **البيان**، ص١٢٠؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٤ .

★★ وهناك خبر ذكره الخُشَني عن بقي بن مخلد ـ أحد أعلام العصر آنذاك ـ أنه «كان قد قدم إليه ـ أي: إلى المنذر ... بالبُشْرى بالخلافة» (**قضاة قرطبة**، ص٣٥) فلو أخذت =

وعندما وصل المنذر إلى قرطبة في يوم الأحد الثالث من شهر ربيع الأول سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م بويع أميراً للبلاد، فاستغرقت مراسيم المبايعة له بقية ذلك اليوم، ويوم الاثنين بعده(١٢)، وقد تقرب في تلك الأثناء إلى الجند بالعطايا، وإلى أهل قرطبة بإسقاط عشور السنة عنهم(١٣).

واحتفاظ الأمير المنذر في أيامه الأولى بوزراء أبيه الأمير محمد، وكذلك تعيينه لهاشم بن عبد العزيز★ ـ أخص هؤلاء الوزراء عند أبيه ـ حاجبا له(١٤) يُوهم بأنه لن يغير في الحكومة شيئا، بيد أن تدابير اتخذها من ناحية أخرى

= هذه العبارة على ظاهرها لكان فيها تأكيد على مبايعة المنذر بولاية العهد، لكن جاء لدى النُّبَاهي ما يفسر مقصود الخُشَني بعبارته تلك فقال عن بقي بن مخلد: «وكان قد قدم إليه في حياة والده البشرى [كذا] بالخلافة، لرؤيا قصها عليه» (المؤلف، المرقبة العليا، ص١٨) فتبين عندئذ أن تبشير بقي للمنذر جاء عن طريق هذه الرؤيا المنامية.

(١٢) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٣٨.

(١٣) ابن عذاري: **البيان**، جـ٢، ص١١٤، مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص١٢٠.

★ هاشم بن عبد العزيز هو أبو خالد هاشم بن عبد العزيز بن هاشم، وقد اختلف في سلسلة نسبه بعد جده هاشم هذا، لكن جده الأعلى كان من الموالي؛ حيث قيل إنه مولى لعمرو بن عثمان بن عفان (الحميدي، **جذوة المقتبس**، ق١، ص٢٦٧؛ الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس** (المدينة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م)، ص٢٣٩). وقيل بل كان مولى لعثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه ـ (ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ١، ص١٦٧) وكان الأمير محمد قد أسند إلى هاشم بن عبد العزيز ولاية بعض الكور، كما قلده الوزارة وقيادة الجيوش؛ بل إنه فوق ذلك كان يؤثره على جميع رجال دولته. انظر ترجمة مفصلة له في: (ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص. ص١٥٩-١٧١، ابن الأبار، **الحلة**، جـ٢، ص. ص ١٣٧-١٤٢؛ ابن سعيد، **المغرب**، جـ٢، ص. ص٩٤-٩٥).

أما الحاجب فهو أكبر الوزراء مقاما في الدولة، حيث إنه هو الوساطة بينهم وبين الأمير (ابن خلدون، **المقدمة**، ص٢٩٨، ٢٩٩) فكان بمثابة رئيس الوزراء (عبد العزيز سالم، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس** (. . . . . : مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥م)، ص ٣٢٦.

(١٤) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١١٣.

تشير إلى أنه لم يكن راضيا عن الوضع الإداري في تلك الحكومة، وأنه خطط لانتهاج مسار سياسي جديد لانتشال البلاد من محنتها التي حاقت بها حينذاك؛ فعلى سبيل المثال ـ قبل أن تتم البيعة له رسميا ـ وهو في الطريق إلى العاصمة قام بإصلاح شؤون كورة رَيُّة التي ظهرت فيها فتنة عمر بن حفصون، وحصّن معاقلها، ثم نصب عاملين من قبله عليها(١٥). كما أنه في غرة حكمه ـ أيضا ـ أعاد وزيرين إلى الوزارة كان والده قد أقصاهما عنها(١٦)؛ فضلا عن إقالته لقاضي والده وتعيينه لقاض جديد بعد مرور أربعين يوما فقط من استلامه السلطة(١٧)، بل إنه لما مضى قرابة شهرين من عهده أصدر قرارا صارما بإعفاء حاجبه هاشم بن عبد العزيز من منصبه، وأودعه السجن(١٨)، ثم ما لبث أن قتله شر قتلة★، ليس هذا فحسب وإنما صادر أمواله، وهدم داره، وسجن أولاده، وأغرمهم فوق ذلك أموالا كثيرة(١٩).

وموقف الأمير المنذر من هاشم بن عبد العزيز وأسرته يستوقف النظر، ويدعو للتساؤل عن الجرم الفظيع الذي اقترفه هاشم، فاستحق بموجبه ذلك العقاب القاسي.

---

(١٥) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص١٢٠؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٤.

(١٦) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١١٣.

(١٧) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص١٨٠.

(١٨) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص١١٦، لم ينص ابن عذاري على المدة المذكورة في المتن، ولكنه ذكر أن نكبة هاشم وقعت في شهر جمادى الأولى من السنة التي تولى فيها الأمير المنذر، وهي سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م (ابن عذاري، البيان، ص١١٦)، وكان قد أشار إلى أن الأمير المنذر قد تولى في الثامن من ربيع الأول (ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١١٣)، وبهذا تكون النكبة التي حلت بهاشم قد حدثت بعد مرور قرابة شهرين من عهد الأمير المنذر.

★ ذكر ابن الأبار أن مقتل هاشم قد جرى في ليلة السادس والعشرين من شوال سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م (ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص١٤٠).

(١٩) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص١١٦.

يذكر ابن الأبار أن ما أوقعه الأمير المنذر بهاشم كان بسبب «أشياء حقدها عليه في خلافة ★ أبيه محمد»[٢٠]، ولا يوضح ابن الأبار تلك الأشياء لكن مصادر أخرى نصت على أن حقد الأمير المنذر في عهد والده على هاشم بن عبد العزيز إنما حدث بفعل تلك المنزلة التي بلغها هذا الأخير في الدولة[٢١]، حيث كان الأمير محمد يعتمد عليه في كثير من شؤون حكومته[٢٢]، فأصبح هو «الناهض بأعباء الخلافة، والمتصرف في وجوه النظر، والمستولي على أسباب التدبير، لا تنعقد العقود إلا به، ولا يحكم الأمير إلا على يده»[٢٣]. وبسبب هذا النفوذ الواسع لهاشم بن عبد العزيز في حكومة الأمير محمد طفق حساده «يسعون به عند المنذر، ويكررون ذلك عليه، حتى تنافرت النفوس»[٢٤]، وإذا كان هؤلاء الحساد قد نفسوا على هاشم مكانته من الأمير محمد، فالظاهر أن المنذر بصفته ولي للعهد أَحْرى بأنْ يَنْفسَ عليه تلك المكانة التي جعلته وكأنه هو الحاكم الفعلي للبلاد لا سيما وأن المنذر كان من أدرى الناس بهاشم وتصرفاته، إذ اعتاد والده أن يؤمره في معظم الغزوات التي قادها هذا الوزير[٢٥]؛ فضلا عن كونه قد جعل أحد أفراد أسرة هاشم «عيناً . . . عليه، يخاطبه بأسراره وجميع أخباره»[٢٦].

★ وما ينبغي لفت الانتباه إليه أن كلمة الخلافة الواردة في النص تعني الإمارة، فالخلافة بمدلولها السياسي لم تظهر في الأندلس ـ كما هو معروف ـ إلا في عهد عبد الرحمن الناصر، وبعد مضي ثلث عهده تقريبا.

(٢٠) الحلة، الحلة، جـ١، ص١٣٧.

(٢١) ابن سعيد، **المغرب**، جـ٢، ص٩٤؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص١١٥؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٤.

(٢٢) ابن سعيد، **المغرب**، ص٩٤.

(٢٣) الخشني، **قضاة قرطبة**، جـ٢، ص١٥٩.

(٢٤) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص١١٥.

(٢٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٤١؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص٣٣، ٣٥؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص. ص ١٠٢-١٠٥.

(٢٦) ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص. ص ١٣٩-١٤٠.

وكيفما كان الأمر فإن العداوة بـدت صريحة جدا بين الاثنين في أواخر عهد الأمير محمد، حيث ذكر ابن عذاري(٢٧) أن خلافا جرى بينهما في صائفة عام ٢٦٨هـ/ ٨٨١م، ومن يـومهـا لا نخال هـاشما يشـارك المنـذر في بعث من البعوث.

ولكن إذا كانت الحال كذلك فلماذا عين الأمير المنذر هاشم بن عبد العزيز في منصب الحجابة الذي يعد أعلى منصب في الدولة بعد منصب الأمير ؟

أشارت المصادر إلى أن الأمير المنذر حينما تـوفي والده أراد أن يفي له، فعفا عن أثيره الوزير هـاشم، وتجاوز عما كان يحمله في نفسه عليـه، إلى درجة أنه قلده الحجابة(٢٨)، ولكن لم يمض إلا قليل حتى «بلغه عنه ما جدد عليه سوء الرأي فيه، فسطا به السطوة المعروفة»(٢٩). ومما قيل في هذا الصدد إن هاشم بن عبـد العزيـز تمثَّل عند مـواراة جثمان الأمير محمد ببيتين من الشعـر تأوَّلهما المنذر بأنه يقصده بذلك(٣٠). وفي رواية أخـرى أن حُساد هـاشم هم الذين أوَّلوا ذلك لدى الأمير المنذر(٣١)★، ومما قيل ـ أيضا ـ في أسباب تغير موقف

---

(٢٧) **البيان**، جـ٢، ص١٠٥.

(٢٨) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١١٣؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص١١٥؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٤.

(٢٩) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١١٣.

(٣٠) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص١٣٢.

(٣١) ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص١٣٨؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص. ص ١١٥-١١٦.

★ والبيتان اللذان قيل إن هاشما تمثل بهما هما:

أُعَزِّي يا مُحَمَّدُ عَنْكَ نَفْسِي ... أَمِينَ اللهِ ذَا المِنَنِ الجِسَـامِ

فَهَلا مَاتَ قَوْمٌ لَمْ يَمُـوتُـوا ... وَدُوفِعَ عَنْكَ لِي كَأْسُ الحِمَامِ

فقيل إنه عنى المنذر بالشطر الأول من البيت الثاني (ابن الأبار، **الحلة**، جـ١ ص١٣٨، ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص. ص١١٥-١١٦).

الأمير المنذر على حاجبه هو إغراء الوزير عبد الملك بن أمية به★، لحد أنه استعان بأخت الأمير لإحكام هذا الإغراء(٣٢).

وبالرغم من أنه قد تكون لمثل هذه الأشياء أثر في تجدد حقد الأمير المنذر على هاشم فإن الأمر ـ فيما يبدو ـ أخطر شأنا من ذلك★★؛ فالذي يظهر أن المنذر لم يصفح عن هاشم بن عبد العزيز، ولم يَرْضَ عنه طرفة عين، وإنما كظم غيظه، وولاه الحجابة اضطرارا؛ ذاك أن هاشما وإن لم يكن حاجبا رسميا للإمارة في أواخر عهد الأمير محمد فإنه يقوم بأعمال الحاجب أو أكثر بما حباه ذلك الأمير من منزلة رفيعة★★★ والتي أشرنا إليها آنفا. ثم إنه هو الذي قرأ كتاب البيعة للمنذر من بين الوزراء حينما اجتمع الأعيان في القصر للمبايعة(٣٣)، ورجلٌ له مثل هذا النفوذ القوي في الدولة لن يجرؤ الأمير المنذر أن يطيح به في أول يوم يعتلي فيه السلطة؛ خاصة وأن الحكومة الأموية كانت

★ عبد الملك بن أمية: هو أبو مروان عبد الملك بن عبد الله بن محمد بن أمية بن يزيد بن عبد الرحمن ابن أبي حوثرة، مولى معاوية بن مروان بن الحكم، كان الأمير محمد قد أسند إليه الكتابة والوزارة، ثم أقره عليهما الأمير المنذر، ولما تولى الأمير عبد الله جمع له بين الوزارة والقيادة، فاستمر على ذلك حتى قتل عام ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م (ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص. ص ٣٧٣-٣٧٤).

(٣٢) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٤٠، جـ٢، ص٣٧٣.

★★ ثم إن صاحب ذكر بلاد الأندلس يذكر أن المنذر هو الذي تمثل عند دفن والده بالبيتين اللذين قيل إن هاشما تمثل بهما في ذلك الموقف (مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٥١).

★★★ لا يُستبعد أن يكون منصب الحجابة شاغرا في أواخر عهد الأمير محمد، حيث إنه لم يذكر للأمير محمد سوى حاجبين على مدى حكمه الطويل، (ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٩٣؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٤٦) فكان ثانيهما عيسى بن الحسن بن أبي عبدة قد تولى منصب الحجابة قبل عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) (ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٩٦) ولا نعرف وفاته بالتحديد، فقد يكون توفي قبل نهاية عهد الأمير محمد، فبقيت خطة الحجابة خالية من رجل يقوم رسميا، فكان هاشم هو المخول للقيام بها.

(٣٣) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٣٨.

في ظروف صعبة جدا بقيام عدد من المتمردين عليها، فلذلك أدنى منزلته، ونصَّبه حاجبا له، ثم اسْتَأْنَىٰ به قليلا، فلما توطدت له الأمور، ورسخت أقدامه في الملك قبض عليه، وتخلص منه بالكيفية المروعة التي أوردناها★.

وبعد أن أجرى الأمير المنذر هذه التعديلات في حكومته، ونظم شؤونها الإدارية التفت بكليته إلى النظر في تلك التركة الثقيلة من المشكلات الداخلية التي ورثها عن والده الأمير محمد.

٢ – الوضع الداخلي في عهد الأمير المنذر

إن الناظر إلى تفاصيل عهد الأمير المنذر في المصادر ليخيل إليه أن الأحوالَ الداخلية كانت في تلك الأثناء أهدأ مما كانت عليه في أواخر عهد والده الأمير محمد، فلا نسمع بخروج جيوش أموية من قرطبة إلا إلى المناطق الجنوبية(٣٤). لكن هذا ــ بطبيعة الحال ــ لا يحكي الواقع، إذ ليس من المعقول أن تكون الأندلس وقت وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن تموج بالخلافات، وتضطرم بالفتن ــ ببزوغ عدد غير قليل من المتمردين في أنحاء متفرقة منها ــ، ثم تهدأ بمجرد جلوس الأمير المنذر على عرش الإمارة؛ بل المتوقع أن تزداد الفتن سعارا، وتتعقد الأوضاع عند انتقال الحكم لهذا الأمير، وتظهر شخصيات متمردة جديدة تطمح للفوز بنصيبها من

★ يظهر أن هاشما كان يتوجس شرا من الأمير المنذر، ويفهم هذا من قصيدة أرسلها من سجنه إلى إحدى جواريه يقول في بعضها:

تَرَكْتُ رَشَادَ الأمرِ إذ كُنْتُ قَادِراً عَلَيْهِ فَلاَ قَيْتُ الذي كُنْتُ أَرْهَبُ
وَكَمْ قَائِلٍ قَال: انْجُ وَيْحَكَ سَالِمًا ففي الأَرْضِ عَنْهُم مستراد وَمذهَبُ
فقلتُ لَه: إنَّ الفِرَارِ مَذَلَّةٌ وَنَفْسِي على الأَسواءِ أَحْلَى وأَطْيَبُ

(ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص. ص ١٤٠-١٤١؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٥).

(٣٤) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢ ص. ص ١١٥-١١٩؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٥.

السلطان[٣٥] في الوقت عينه الذي خفت فيه السيطرة الأموية، ويجسد هذه الصورة ابن سعيد[٣٦] بقوله «وما مات محمد حتى خُرِقَتِ الهيبة، وزال سِتْر الحُرْمَة، واستقبل ابنه المنذر. . . . نيران الفتنة». ثم إن الأمير عبد الله لما استلم السلطة بعد أخيه الأمير المنذر كان المتمردون في الأندلس قد كثروا، واتسع مجال نفوذهم، وتمادوا في غيهم[٣٧]، ولا ريب أن هؤلاء المتمردين لم يكن كلهم وليد فترة الأمير عبد الله؛ بل لا بد أن معظمهم كان له نشاطٌ مُعَادٍ للدولة الأموية قبل ذلك.

ونخلص من هذا إلى أنه لا بد من وجود حركات عصيانية ضد حكومة الأمير المنذر في أنحاء مختلفة من الأندلس غير تلك الحركات المشتعلة بالجنوب الأندلسي التي اكتفت المصادر المتوافرة لدينا بالحديث عن أخبارها زمن الأمير المنذر★.

ويبدو أن الذي جعل هذه المصادر لا تعنى إلا بالمناطق الجنوبية في ذلك العهد هو أنها كانت بالفعل الجهة التي أَهَمَّت الأمير المنذر ــ في عهده القصير ــ[٣٨] أكثر من غيرها، إذ ارتبطت بعمر بن حفصون الذي كان المنذر قد وقف بنفسه على ما يشكله من خطورة على الدولة حينما كان يحاربه في الأيام الأخيرة من عهد والده الأمير محمد، فلعله بعد أن آلت إليه السلطة رأى

---

(٣٥) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٥١.

(٣٦) المغرب في حلي المغرب، جـ١، ص٥٣.

(٣٧) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ١٥، ٣٣.

★ من أهم المصادر الأندلسية ـ غير الموجودة الآن ــ التي يؤمل كثيرا أنها تحدثت باستفاضة عن فترة الأمير المنذر، وما قبل ذلك بقليل ـ بعض كتاب «المقتبس» لابن حيان، ذلك القسم الذي يقع بين القطعة التي حققها محمود علي مكي وهي تنتهي بسنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م، وبين ما نشره الراهب الإسباني ملشور أنطوانيه التي تبتدىء بعام ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص. ص١٥٠-١٥١ من التمهيد الضافي الذي صدر به المحقق الكتاب).

(٣٨) ابن عبد ربه، العقد، جـ٥، ص٢٢١.

ألا يلتفت إلى أحـد من المتمردين، وألا يشغل بـاله بمشكلات أخـرى حتى يفرغ من هذا الثائر العاتي؛ خاصة وأن هذا الأخير قد انتهز فرصة موت الأمير محمد، وما أعقب ذلك من تغييرات في الحكومة الأمـوية فجد في توسيع رقعة نفوذه، وتقـوية جانبـه في أرجاء الأقاليم الجنـوبية حتى نجح في أخذ طـاعة معظم الحصـــون المنتشرة بين معقلـــه بُبَشْتُر وبين الســـاحـل الجنـــوبي للأندلس(٣٩)، فاكتسب بذلك وضعا استراتيجيا ممتازا، حيث انفتح الطريق أمامه للاستفادة من البحر وميزاته في صراعه المرتقب مع الأمويين.

ثم إن ابن حفصـون أيضا اتجه شمالا فـوصل بعاديتـه إلى قَبْرَة★، فأقام في بعض نواحيها حامية لـه، كما أغار على أحواز كورة جَيَّان★★، وهاجم كورة إِلْبيرَة★★★، وعاث فيها حتـى بلغ به الأمر أن أسر العامل الأمـوي في مدينة بَاغُة(٣٩)★★★★. ولا شك أن وصـول ابن حفصـــون لنـواحي قَبْرَة التي لا

(٣٩) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص١١٤.

★ قَبْرَة: Cobra كانت كـورة تقع جنوبي قرطبـة (ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٣)، وشمالي كـورة إلبيرة بينها وبين كورة جيـان، وهي الآن مركز إداري في مديرية قـرطبة (ابن الأبار، الحلة، جـ ٢، ص٣٦٥، حاشية١).

★★ كورة جَيَّان: Jaén يحدها من الغـرب كورة قرطبة، ومن الشمال كورة طُلَيْطلَـة، ومن الشرق كورة تُدْمير، ومن الجنـوب كورة إِلْبيرَة (يـاقوت، معجم البلدان، جـ ٢، ص١٩٥)، وحـاضرتها اليوم تعد عاصمة إحدى المحافظات التي تتألف منهـا مقاطعة الأندلس في جنوبي إسبانيا (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكـي، ص٤٧٦، تعليق ١٩٦؛ ابـن الأبـــــار، الحلة، جـــــ ٢، ص١٢١، حاشية١).

★★★ كورة إِلْبيرَة Alvira فأحوازهـا تتصل بأحواز كورتي قَبْرَة وجَيَّـان، وهي تقع إلى الجنوب الشرقي من قـرطبة (ابن غـالـب، فرحة الأنفس، ص١٤، ١٥؛ يـاقـوت، معجم البلدان، جـ ١، ص ٢٤٤، جـ ٢، ص١٩٥)، وقد غلب على هذه الكورة اسم غَرْنَاطة بعد ازدهار مدينة غَرْنَاطَة منها (النباهي، نزهة البصائر والأبـصار، مخطوط الإسكوريال، رقـم ١٦٥٣، ورقة ٤٠/ أ).

(٣٩) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١١٥.

★★★★ بَاغُة Priego مدينة من أعمال كورة إِلْبيرَة، وتقع إلى الجنوب من قـرطبة منحرفة عنها يسيرا، وتبعد عنهـا مسافة خمسين ميـلا (ابن غالـب، فرحة الأنفس، ص١٤) وهي تبعـد عن غَرْنَـاطَة حوالي مئـة كيلو متر إلى الشمال الغـربي منها، وتتبع في الـوقت الحالي محافظة قـرطبة (ابـن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٥٢٨، تعليق رقم ٣٢١).

تبعد كثيرا عن العاصمة الأموية(٤٠)، وإقامته مَسْلَحة له فيها، ثم أسره لعامل بَاغُة، كل هذا يعد انتهاكا لحرمة السيادة الأموية في الأندلس.

إزاء هذا التصاعد المخيف في تحركات عمر بن حفصون جنّد الأمير المنذر عددا من قواده، ووجههم لاسترداد سيادة الإمارة في الأقاليم المسلوبة فاستطاع بعضهم القضاء على مسلحة ابن حفصون في قَبْرَة قضاء مبرما، كما أن بعض هؤلاء القواد قد تمكن من الإشراف على الأطراف الشمالية لكورة رَيُّة وافتتح أحد الحصون هناك(٤١).

ومن المعروف أن معقل ابن حفصون بُبَشْتَر كان يقع ضمن حدود هذه الكورة؛ ولذا فمن المظنون أن الأمير المنذر أراد بعمله هذا أن يستعيد المراكز الحيوية التي تشكل حائلا بينه وبين الوصول إلى عمر بن حفصون في معقله(٤٢)، إذ أننا نراه قد خرج من قرطبة بجيش كبير عام ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م فاخترق رأسا المنطقة الوسطى، فلم يستغرق وقتا يذكر لبلوغ ببشتر رغم استعادته أيضا لبعض الحصون في طريقه، وعندئذ أطبق الحصار على ابن حفصون، وانتشرت بعض جحافل الجيش لتحطيم أي مرفق من شأنه أن يُعَضِّدَ هذا المتمرد(٤٣). ويظهر أن الأمير المنذر في تلك الأثناء رأى أن يدع محاصرة ابن حفصون بُرْهَة من الزمن بعد أن أضعف قوته العسكرية الذاتية،

---

(٤٠) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٩.

(٤١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١١٥.

(٤٢) محمد عيسى الحريري، **حركات المولدين في الجنوب الأندلسي في عصر الإمارة الأموية**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥م) ص ٥٤

(٤٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١١٦، ١١٧، ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن ابن عذاري في هذا الموضع يستخدم كلمة «بَرْبَشْتر» بدلا من «بُبَشْتَر» للدلالة على معقل ابن حفصون، وهذا - كما هو واضح - تصحيف، إذ أن بربشتر تقع في شمالي الأندلس (البكري، جغرافية الأندلس، ص٩٢) أما ببشتر - المعقل الذي اتخذه ابن حفصون قاعدة له - فلا خلاف في أنه في جنوبي الأندلس كما أبنا من قبل.

فعزم على ضرب أولئك المشايعين لـه، والـذين كانـوا يمثلـون مع غيرهم من المتمردين في المنطقـة شوكة في جنب الجيش الأموي المحـاصر لابن حفصون، فزحف نحو مدينة أُرْشُدُونَة★، واستطاع أن يعيد السيادة الأمـوية عليها بعد أن قبض على عـاملها من قبل عمـر بن حفصـون★★، وقـد استمـر الأمير الأموي في تنفيذ خطتـه تلك، وقصد بني مطروح★★★ الذين كانوا قد تمردوا في جبل بَـاغُـة، فتمكن من أسرهم بعـد أن فتح حصـونهم، ثم مـا لبث أن قتلهم صبرا(٤٤).

أثمرت خطـة الأمير المنذر التي نفـذها في تلك المنطقـة حينما كرّ ثـانية إلى عمـر بـــن حفصــون، وحـاصره في حصــن قَـامَـرة★★★★ في كـورة رَيُّـــة

★ أُرْشُدُونَة أو أرجذونة Archidona كانت حاضرة كورة ريـة (ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص٤٨؛ ابن غـالب، **فرحـة الأنفس**، ص٢٥) بينهـا وبين مـالقة على السـاحل مقـدار ثمانيـة وعشرين ميلا (الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٢).

★★ وعامل ابن حفصون على أرشدونـة هو عيشون، وكان قد بلغ الغَاية في الشجـاعة والشدة، وقد أبدى تحديـا صريحا للأمير المنذر فقـال: «إذا ظفر بي فليصلبني وليصلب عن يميني خنـزيرا وعن يساري كلبـا»، فلم يستطيع الأمير أن يقبض عليه إلا بمكيـدة دبرهـا أحد أهل أُرْشُـدُونَة بـاتفاق مسبق مع الأمير، فقـام هذا الأخير لما تمكن منـه بصلبـه على الطريقـة التي كان قـد تحداه بها (ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص١١٧).

★★★ بنو مطروح يعودون في نسبهم إلى بكـر بن وائل العدنانيين (ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص٣٢١؛ ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ٢، ص٦٣٩).

(٤٤) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢ ص. ص ١١٦-١١٧.

★★★★ قَامَرة Camara تطلق هـذه التسمية عـادة على مخازن المحصولات الـزراعية، وأيضـا على التربة الخصبـة المنتجة، ولذا عـرفت بها أماكن مختلفـة من الأندلس (ابن الخطيب، **مشاهداته في المغرب والأندلس** تحقيق: أحمد مختار العبادي (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٣م)، ص٦٠، حاشية ١؛ ابن الكردبوس **تاريخ الأندلس** ص ١١٨ حاشية..). وحصن قامرة المشار إليه في المتن يقع حاليا قرب قرية كولمينار بمحافظة مالقة.

(Joaquin Velvés, op. cit, p. 146, 157).

نفسها(٤٥)، ساعتئذ «عدم ابن حفصون أعوانا وأنصارا» كما يقول ابن عذارى(٤٦)، فلما اشتد عليه الحصار، ورأى تصميم الأمير المنذر على اقتحام حصنه لجأ إلى المكر والخديعة، حيث تظاهر بالخضوع والإذعان على أن يسكن قرطبة هو وأولاده، ويصبح من خاصة الأمير وجنده، وزيادة في الاحتيال طلب أن يقدم إليه مئة بغل لحمل أمتعته وأهله إلى قرطبة، فوافق الأمير المنذر على كل هذا، ثم انحل الجيش الأموي عن الحصن المحاصر بعض الانحلال، وعكف القاضي وعدد من الفقهاء على إتمام الصلح، لكن ابن حفصون ما عَتّم أن فر من حصن قَامَرة بعد أن أظلم الليل، واستولى على ما كان الأمير قد رفده به، واعتصم هذه المرة بمعقله الحصين بُبَشْتْر(٤٧).

ويبدو أن من الأسباب التي جعلت ابن حفصون يتظاهر بالطاعة والخضوع ـ علاوة على ما ألمحنا إليه من انعدام الأنصار وشدة الحصار ـ هو أن الأمير المنذر كان قد حاصره في حصن قَامَرة، فلعل هذا الحصن ليس منيعا بالقدر الذي يؤهله للوقوف طويلا في وجه الجيش الأموي، فأراد ابن حفصون بما بيّته من احتيال أن يتحول منه إلى مركزه الحصين بُبَشْتْر، خاصة وأن المسافة بين الموقعين ليست ببعيدة(٤٨).

لم يستطع الأمير المنذر أن يكظم غيظه نحو هذا الغدر السافر من ابن حفصون والذي ينطوي على استهتار مهين لحكومته، ولذلك أعاد ترتيب جيشه بسرعة، وطوق بالحصار الشديد حصن بُبَشْتْر، ونذر على نفسه ألا

---

(٤٥) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٣١.

(٤٦) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص١١٧.

(٤٧) ابن عبد ربه، **العقد**، جـ٥، ص٢٢١، ٢٢٢؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٣١. ويذكر النويري أن الأمير المنذر كان قد حاصر ابن حفصون في طُلَيْطُلَة (النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٣٩٣) ولا يخفى ما في ذلك من بعد عن الصواب بحيث لا يحتاج الأمر إلى بيان.

(٤٨) Joaquin Velvés, op. cit, p. 147

يقبل من ابن حفصون صلحا ولا عهدا وألا يدعه حتى ينزل على حكمه[٤٩]، لكن الأمير في ذلك الحين أصيب بمرض عُضَال، فتردت صحته، ثم ما لبث أن توفي تحت أسوار ببشتر في شهر صفر من سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م[٥٠]، بعد مرور ثلاثة وأربعين يوما على محاصرته لهذا الثائر[٥١].

وهكذا ظل الأمير المنذر بن محمد حاكما للدولة في الأندلس فقط ما يقرب من سنتين[٥٢]، فلم «يدرك فيهما ـ لقصر مدته، وتقلص أيامه ـ رتق ما كان انفتق من الملك، مع عزم كان منه في ذلك وجد»[٥٣].

---

(٤٩) ابن عبد ربه، **العقد**، جـ ٥، ص٢٢٢.
(٥٠) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٥.
(٥١) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص١١٨.
(٥٢) المقري، **نفح الطيب**، جـ ١، ص٣٥٢.
(٥٣) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص١٣٢.

ثانياً: الأمير عبد الله بن محمد وولايته للإمارة الأموية

١ ـ عبد الله بن محمد قبل ولايته العرش

كـان عدد من أبنـاء الأمير محمد قـد بـرعوا في الأدب، ونبهـوا في كثير من مجالاتـه، فكان بعضهم منصرفـا تماما إلى ذلـك، فلا تخلـو مجالسه من عـالم جليل، أو شـاعر مجيد، أو راويـة متفنن(٥٤). أمـا البعض الآخر منهم فقـد كانت له اهتماماته الأدبية الـواسعة ـ أيضا ـ ولكن ذلك لم يصرفه عن الخوض في غمار السياسـة والحرب في حكومـة والده الأمير محمـد، بل كـان يشارك في حكم الـولايات، أو في الخروج بـالجيوش لضرب أعـداء الـدولة في الـداخل والخارج(٥٥).

ولقد كان الأمير عبد الله بن محمد في حيـاة والده من الصنف الثاني، فمنذ نعومة أظفاره بانت اتجاهاته الأدبية، فكان من أظهر إخوته في هذه الناحية، ولـذلك أصبح فيما بعـد «متفننـا في ضروب العلوم، بصيرا بلغـات العـرب، فصيح اللسـان، حسن البيـان. . . حافظـا لأشعـار العـرب وأيامهـا وسير الخلفاء، راويـة للشعر»(٥٦)، بل إنه كـان بنفسه شـاعراً مطبـوعا فكـانت له أشعار حسنة بديعة المعنى قالها في بعض أغراض الشعر المختلفة(٥٧).

---

(٥٤) ابن حيـان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٠٠ ومـا بعـدهـا؛ ابن الأبـار، الحلة، جـ١، ص. ص١٢٧-١٣٠، جـ٢، ص٣٦٧؛ ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص١٣٤.

(٥٥) ابن حيـان، المقتبس، تحقيق مكـي، ص٢١١، ٢١٤؛ ابن الأبـار، الحلـة، جـ٢، ص. ص٣٦٦-٣٦٧.

(٥٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص. ص١٥٣-١٥٤.

(٥٧) ابن حيـان، المقتبس، تحقيق مكـي، ص. ص ١٩٥-٢٠٠؛ ابن الأبـار، الحلة، جـ ١، ص. ص١٢٠-١٢٣.

ولقد كان مجلس الأمير عبد الله قبل ولايته للإمارة في كثير من الأحايين من أحفل المجالس بأهل العلم والمعرفة، وأجمعها لأرباب الأدب، فكان يحرص على مجالسة هؤلاء النابهيين، ويحاورهم في كثير من الفنون(٥٨)؛ حتى إنه قرَّب بعض من اشتهروا بالعلم والأدب في ذلك العصر إليه، وجعلهم من خاصته(٥٩).

أما دوره في الحياة السياسية قبل ولايته الإمارة فلا يمكن إغفاله، إذ كان يعد أحد رجال الدولة المعدودين وبالأخص في النصف الثاني من عهد والده الأمير محمد، لكنه لا يصل إلى مقام بعض إخوته الذين بذلوا جهدهم، وأوقفوا أيام حياتهم من أجل الذب عن حياض الدولة الإسلامية أمام هجمات النصارى عليها من جهة، والمحافظة على عرش أسرتهم من السقوط في ذلك الجو المُكْفَهِرِّ الذي كان قد غَشِيَ الأندلس بعد منتصف القرن الثالث الهجري من جهة أخرى★.

وأول ذكر لعبد الله بن محمد في ساحة الأحداث تطالعنا به المصادر حينما برز مع والده الأمير محمد سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٤م إلى عبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي الذي كان قد هرب من قرطبة وقتذاك، وتحصن في قلعة الحَنَش★★، فحاصره الأمير محمد، وضيق عليه الحصار، فلما ساءت أحوال أهل هذه

---

(٥٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣٤ـ٣٥.

(٥٩) الخشني، قضاة قرطبة، ص ١٨١، ١٨٦، ١٨٩.

★ نذكرَ على سبيل المثال ـ من إخوة عبد الله بن محمد الذين كان لهم دور عسكري بارز في دولة والدهم الأمير محمد بجانب أخيه المنذر الذي أشرنا إلى دوره سابقا ـ نذكر أيضا عبد الرحمن بن الأمير محمد الذي توفي عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م، والحكم بن الأمير محمد.

انظر: أخبارهما في (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢١٤، ٢٧١، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٤؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٩٤ وما بعدها).

★★ قلعة الحَنَش Alange تنتصب على الطريق الواصل بين قرطبة ومَارِدَة (الإدريسي، صفة المغرب، ص٢١٣) وهي إلى الجنوب الشرقي من ماردة على بعد عشرين كيلو مترا منها (ابن حيان، =

القلعـة طلب ابن مروان الأمـان، ولكن الأمير محمدا لم يستجب لطلبـه(٦٠)، وعندئذ لم يجد هذا المتمرد غير اللجوء إلى الولد عبد الله ـ حيث كان حبل الود بينهما متصلا منذ أن كان ابن مـروان رهينة في قرطبة(٦١)، فتلطف إليه لإقناع والده بإعطائه الأمان، فكلم عبد الله «أبـاه الأمير فيه، ورققه عليه، وشفع له في أمانه، فأسعفـه الأمير بمسألته له، وأعطى ابن مروان وقـومه الأمان»(٦٢)، بشرط أن يتحول من قلعته - قلعة الحنش - إلى بَطَلْيَوْس(٦٣).

ولا ريب أن توسل ابن مروان بـالولد عبد الله في هـذه اللحظات الحرجة لم يأتِ إلا عن إيمان أكيد بقـدرته على حل مشكلتـه المتأزمة، كما أن توجـه عبد الله إلى والده في هذه المسألة، وقبول هذا الأخير شفاعته في ابن مروان كل هذا يُلهم بأن عبد الله بن محمد كان يحتـل منزلة مرموقة آنذاك في حكـومة قرطبة، وليس إلى الشك سبيل في أن هذه المنزلة التي كان عبد الله قد اكتسبها لم تظهر بين يـوم وليلة، وإنما تكـونت بفعل مـواقف سـابقة لا بـد أنـه قد عـرف من خلالها، لا سيما وأنه في ذلك الحين كان قد جاوز من عمره الثلاثين★.

ولقد اعتمد الأمير محمد على ابنه عبد الله في إدارة البلاد، وقيادة العساكر،

= المقتبس، ص٦٣٢، تعليق ٥٧٨) وتتبع اليوم محافظة بطليوس.

Lévi Provencal, "Historia de España Musulmana, T. Emilio G. Gomez Coleccion," **Historia de España de Menendez pidal,** Tomo 4,, Madrid, 1967, p. 194, 253.

(٦٠) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص. ص٣٤٦-٣٥٤.

(٦١) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١٠٢.

(٦٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٥٥.

(٦٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٥٥.

★ ذاك أن الأمير عبد الله قد ولد في سنة ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م (مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٥٣)، وشفاعته لابن مروان حدثت في عام ٢٦١هـ/ ٨٧٤م كما ذكرنا في المتن.

إذ أسند إليه ولاية كـورة شَذُونَة(٦٤)★، ومن أسف أننـا لا نعرف متى حـدث هذا، وما المدة التي كـان قد قضاها واليا على هذه الكـورة؛ فالمصادر لم تشر إلى هذا مطلقـا، لكن مع ذلك لا بد أن الأمير عبـد الله قد بقي ــ فيما يبدو ـ أعوامـا في إدارة هذه الكورة، ذلك أنـه حينما كان واليا عليهـا اتصل به بعض الأشخاص، وتعمقت الصداقة بينه وبينهم، وأصبحوا من خاصته إلى درجة أنه استعان بهم في حكومته عندما آلت إليه السلطة فيما بعد(٦٥).

أما نشاط الأمير عبـد الله في النواحي العسكرية إبـان عهد والده فلم يكن فعالا، إذ أن خروجـه على رأس الجيوش الأموية كان قليـلا، ولعل هذا يُجسد طبيعته الـوادعة، وسجيتـه المسالمة، حيث يُـوصف بأنـه كان «لين العـريكة شديد الحب للعافية»(٦٦).

والظاهر أن الأمير محمـدا لم يستعن بابنه عبـد الله في المجال الحربي إلا بعد أن ألحت عليه الظروف الـداخلية للدولة بذلك، والتي بـدأت في طريقها إلى التدهور خلال الشطر الثاني من حكمـه، ولذا فإن أول حملة ترأسها عبد الله ـ حسب المصادر المتـوافرة لدينـا ـ كانت في سنـةِ ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م(٦٧). وهذا يعني أنـه كـان في ذلك الحين قـد قـارب الأربعين من عمـره، بعكس بعض

---

(٦٤) الخشني، قضاة قرطبة، ص١٨٦؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١١٥.

★ كورة شَذُونَة Sidonia تتصل أحوازهـا من الشرق بأحواز كورة الجزيرة الخضراء، وتمتـد أراضيها إلى البحر (ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٥) حيث يحدهـا المحيط الأطلسي من الغرب، أمـا من الشمال فتحدهـا كورة مَوْرُور (ابن الكـردبوس، تاريخ الأندلس، ص٣٦، من مقـدمـة المحقق) وكانت سعة أعمالها خمسين ميـلا في مثلها (ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٠).

(٦٥) الخشني، قضاة قرطبة، ص١٨٦؛ ابن القـوطيـة، تاريخ افتتـاح الأندلس، ص١١٥؛ ابـن حيان، المقتبس، ق٣، ص٥؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص١١٤.

(٦٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٥٥.

(٦٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٩٥؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٠٣.

إخوته كالمنذر ـ مثلا ـ الذي كان قد خرج بالعساكر في بدايات العشرينيات من عمره★.

ومهما يكن من أمر فقد بعثه والده في تلك السنة ومعه الوزير هاشم بن عبد العزيز إلى كورتي رَيُّة والجزيرة الخضراء★★ في الجنوب الأندلسي لضرب أولئك الذين بدأوا يشيعون الاضطرابات فيهما في ذلك الوقت(٦٨)، وعلى الرغم من هذه الحملة قد دوخت هؤلاء العاصين فإن عبد الله بن محمد اضطر قبل قفوله إلى قرطبة أن يبني حصونا هناك، ويضم إليها المستمسكين بالطاعة ليتولوا بأنفسهم مغاورة أهل الخلاف(٦٩). وهذا يلوح بأنه لم يوفق كثيرا في مهمته تلك، ولم يستطع قطع جرثومة العصيان في هذه المناطق مما كان له أثره في التهابها بعد ذلك.

ولقد شارك عبد الله بن محمد الوزير هاشم بن عبد العزيز ـ أيضا ـ في حملة جهزت ضد ابن مروان الجِلِّيقي الذي كان آنذاك يقدم طاعة اسمية للإمارة الأموية، ويسيطر على غربي الأندلس تقريبا من قاعدته بَطَلْيَوْس، حيث إن هَاشمَ بن عبد العزيز طمع في القضاء عليه، وزين للأمير محمد تجريد حملة نحوه، وحَبَّذ أن يسند قيادتها له، وأن يجعل الولد عبد الله أميرا عليها لأن له

★ يظهر أن أول غزوة ترأسها المنذر بن الأمير محمد كانت عام ٢٥١هـ/ ٨٦٥م. (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص. ص ٣١٩-٣٢٠؛ ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص١٦٢). وحيث إن ميلاده كان عام ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م (الحميدي، **جذوة المقتبس**، ق١، ص٤١) فإنه يكون قد بدأ يترأس البعوث العسكرية منذ أن كان عمره فوق العشرين بقليل.

★★ الجزيرة الخضراء Algeciras كورة صغيرة تشمل عدة مدن (ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص١٩٩، حاشية ٣). وهي تجاور كورة شذونة من الشرق وكورة رَيُّة من الجنوب (ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٥) كما أنها تطل على البحر المتوسط (المراكشي، **العجب**، ص٥١٩).

(٦٨) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص. ص ٣٩٣-٣٩٥.

(٦٩) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٩٥.

صلة بابن مروان مـذ أن كان رهينة في قرطبة(٧٠) ـ كما سبق أن قلنـاه ـ ، وكأن هاشما ـ فيما يبدو ـ أراد بخروج عبـد الله أميرا للجيش أن يضع ابن مروان بين الرجاء والخوف، وأن يظهـر له بأن الإمارة لن تمسه بسـوء إن هو تخلى عما كان قد اقتطعه من أراضيها، ومع أن الجيش الأمـوي سلك طريق غربي الأندلس غازيا بـرئاسة عبد الله بن محمد إلا أنـه لم يشتبك مع ابن مروان؛ ذاك أن هذا الأخير لمَّا علم بخبر الجيش هدد الأمير محمداً تهديـدا صريحا من خلال كتاب أرسله إليه(٧١)، ومما جـاء فيه: «بـالله لئن جـاز . . . إلي لأضرمن بطليـوس بالنـار، ثم أعـود إلى حالي الأول [كذا] معـك»، فعندئذ أصـدر الأمير محمد أوامره بصرف ابنه عبد الله عنه(٧٢).

ولا نعلم على وجه التحديد في أي سنة حدث هذا، ولكن من الواضح أنه حـدث بعد عـودة عبد الـرحمن الجليقي إلى دار الإسلام إثـر خلافـه مع مجيره ملك أَشْتوريس(٧٣) إذ أن الـرواية التي أوردت الخبر بينت أن هـذه المحاولـة التي قـامت بها الإمـارة ضـد الجليقي إنما كـانت عقب الاعتراف القسري بـه باعتباره حاكما لبَطَلْيَوْس(٧٤)، وقد كـان ذلك بعد سنـة ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م كما أثبتنا سابقا★، وعلى هذا فمن المحتمـل جدا ألا يخرج زمن هذه الحملـة التي اشترك فيها عبـد اللهعن الفترة ما بين هـذه السنة وسنـة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م التي هـاجمت فيها قـوات حكـومة قـرطبـة مـدينة بطليـوس(٧٥)، معيـدة بـذلك

(٧٠) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص. ص ١٠١-١٠٢.

(٧١) ابن القـوطيـة، **تاريخ افتتـاح الأندلس**، ص١٠٢؛ ابن حيـان، **المقتبس**، تحقيـق مكـي، ص٣٤٥.

(٧٢) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١٠٢.

(٧٣) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٤، ص١٦٨.

(٧٤) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١٠٢؛ ابن حيان، **المقتبس**، ص٣٤٥.

★ انظر التمهيد من هذا الكتاب، ص٥٠.

(٧٥) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص٤١٦.

الاشتباكات حامية بينها وبين هذا المتمرد، وتلهم الرواية ـ أيضا ـ أن سبب طمع الوزير هاشم بن عبد العزيز في إنهاء وجود ابن مروان هو أن هذا الأخير كان قد سكن إلى الدعة بعد أن عمَّر بطليوس وما حولها، وأصبحت تحاط بكثير من البساتين(٧٦)، ولن يكون ذلك إلا بعد مرور وقت ليس بالقصير على سكناه إياها.

ولقد كان آخر عمل عسكري قام به عبد الله بن محمد في عهد والده هو خروجه ـ أيضا ـ على رأس جيش مع القائد هاشم بن عبد العزيز سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م(٧٧) إلى عبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي كان قد اعتصم بجبل أَشْبَرَغُزَّة ★ فحاصره عبد الله وضيق عليه، ولكن ذلك لم يغير من موقف هذا المتمرد شيئا(٧٨).

أما عن نشاط عبد الله بن محمد في عهد أخيه الأمير المنذر، فلقد عرف عن الأمير المنذر أنه كان «يحب إخوته . . . ويدني مجالسهم، ويكرمهم ويصلهم»(٧٩)، فكان يؤثر أخاه عبد الله بالذات، ويوقره من بينهم(٨٠) إلى درجة أنه كان أحيانا يوكل إليه شؤون الحكم في قرطبة في أثناء غيابه عنها لمحاربة أهل الخلاف، كما فعل معه عند خروجه إلى عمر بن حفصون في سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م، ذلك أنه لما استدعى عبد الله ليتولى أمور الجيش المحاصر

(٧٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٢.

(٧٧) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٠٥.

★ جبل أَشْبَرَغُزَّة Esparragosa يقع إلى الشرق من بطليوس (Provencal, op, cit, p, 195) بين وادي آنه (يانه) وجبل المعدن (عنان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص٣٠٧، حاشية١)، وموقعه الآن في قرية القصير الداخلة ضمن محافظة بطليوس (Provencal, op. cit, p. 253)

(٧٨) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص٤٢٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٠٥.

(٧٩) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٥٠.

(٨٠) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٥٦.

لابن حفصون في ببشتر ـ استدعي من قرطبة «وهو. . . خليفة فيها» كما يقول الرازي(٨١).

وصفوة القول أن للأمير عبد الله قبل ارتقاء العرش في البلاد دوراً غير منكور، فكان أحد رجال حكومة والده الأمير محمد الذين اعتمد عليهم في بعض المهمات، كما كانت له أيضا مشاركة إدارية في عهد أخيه الأمير المنذر، وإن لم تكن واضحة تماما.

٢ ـ اعتلاء الأمير عبد الله بن محمد عرش الإمارة الأموية

كان الأمير عبد الله أحد أبناء الأمير محمد المؤهلين لاعتلاء عرش الإمارة الأموية من بعده، فعلاوة على أنه مثَّل الدولة في أكثر من حملة لردع المخالفين خلال السنوات العشر الأخيرة من حكم والده المذكور فإنه كان يتميز أيضا من بين إخوته بميزات تزيده تأهيلا لذلك؛ منها أن والده الأمير محمدا كان يدنيه ويقربه من بين جميع أبنائه الآخرين، فبالإضافة إلى ما ألمحنا إليه سابقا فقد خصه ببعض الأشياء دونهم، فنجده ــ مثلا ــ يخصه من بينهم بداره الخاصة التي كان يقيم فيها قبل توليه الملك، ويملكه أياها، فأصبحت بذلك المسكن الرسمي للأمير عبد الله(٨٢). ومن تلك الميزات ــ أيضا ــ ما كان يحظى به عبد الله لدى العلماء المعاصرين من تقدير واحترام، فلقد قال أحد أصحاب بقي بن مخلد ★ «كنا إذا ذكرنا أبناء الخلفاء أوضع الشيخ بقي

(٨١) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص٢.

(٨٢) ابن حيان، المقتبس، جـ ٥، تحقيق بدرو شالميتا (مدريد، ١٩٧٩م)، ص١٩.

★ بقي بن مخلد هو أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد بن يزيد، ولد بقرطبة عام ٢٠١هـ/ ٨١٦م، وتتلمذ في صباه على أيدي شيوخ بلده، ثم رحل لطلب العلم، فالتقى بكثير من علماء المشرق وإفريقية، ثم عاد إلى بلاده مرة أخرى، فكان من أوائل العلماء الذين نشروا رواية الحديث بالأندلس، له عدة مؤلفات منها: كتاب في تفسير القرآن، ومصنف في الحديث. وقد توفي عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م. =

في ذكر الولد عبد الله، وصفه [كذا] بالصفات الجميلة، والمذاهب الرضية»(٨٣)، وفوق هذا كله فإنه كان أسن من أخيه المنذر، إذ كان يكبره بسنة تقريبا★ . على أن الظروف في الأندلس حينذاك كانت تتطلب أن يرث السلطة فيها بعد الأمير محمد رجل ذو صفات قد قصرت همة عبد الله عن بلوغها، ويبدو أن الأمير محمدا نفسه قد تنبه إلى هذا الأمر، فاختار ابنه المنذر بالذات ـــ كما سبق أن أبنّا ـ لما كان يتحلى به من شجاعة في القتال، وصرامة في التعامل، وسرعة في اتخاذ القرار، فكان رجل الموقف، والمؤهل للتصدي للفتنة التي بدأت تستشري في أجزاء متفرقة من البلاد.

وبناء على هذا فأغلب الظن أن الأمير عبد الله كان المرشح الثاني لحكم الأندلس بعد أخيه الأمير المنذر، وإن لم يعلن ذلك رسميا، فهناك بعض

= انظر ترجمته ـــ على سبيل المثال ـــ في (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ ١، ص.ص١٦٩-١٧١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص.ص ٢٧٤-٢٧٧؛ السهيلي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، مخطوط المكتبة الظاهرية رقم ٦٤٩/ تاريخ ـ ميكروفلم، جامعة الإمام محمد بن سعود، رقم ١٠٥٣/ تاريخ، ورقة ٩/ أ). ومن الدراسات الحديثة: أكرم ضياء العمري، بقي بن مخلد القرطبي ومقدمة مسنده، ط١ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص.ص٣٣-٦٢؛ محمد نور الدين محمد حسين شيخ الإسلام بقي بن مخلد، مجلة الجندي المسلم، السنة ١٣، العدد ٤٠ (جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص.ص ٧٦-٨١).

(٨٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٣٣.

★ أُختلف في إثبات تاريخ ميلاد الأمير عبد الله، فقد ذكر الحميدي أنه ولد في عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م (جذوة المقتبس، ق٢، ص٤١)، وأورد صاحب ذكر بلاد الأندلس أنه ولد عام ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م (مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٥٣)، بالرجوع إلى مصادر أخرى نجد ابن الفرضي ـــ مثلا ـ ينقل عن الرازي أن الأمير عبد الله توفي سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م وله من العمر ٧٢سنة (تاريخ علماء الأندلس، جـ ١، ص٣١)، بمعنى أن ميلاده كان عام ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م. وحيث إن ابن الفرضي ـ فضلا عن الرازي ـ أقدم من الحميدي فإننا اعتمدنا ما رواه صاحب ذكر بلاد الأندلس المطابق لما ذكره الرازي، فكان الأمير عبد الله بذلك أسن من أخيه الأمير المنذر المولود في عام ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م، كما عرفنا سابقا.

الشواهـد التي تومـىء إلى مثل هذا؛ منها مـا ذكر من أن القـاضي سليمان بن أسود ★ عندما عزله الأمير المنـذر عن قضاء الجماعة في الأيام الأولى من عهده أصبح ينتظر بلهفة شديدة ولايـة الأمير عبد الله ليعود إلى القضاء مرة أخرى، نظـرا للصلة الـوثيقة التي كـانت تجمع بينهما، فقد قـال الخشني(٨٤) في هذا الشأن ـ نقـلا عن بعض أهل العلم ـ: «كان سليمان بن أسود صنيعـة للأمير عبد الله ـــ رحمه الله ـ قبل ولايته، فكـان سليمان يستبطئ قيام دولتـه طمعا في العودة، فلما ولي وأغفله جعل سليمان ينشد في بعض مداخله عليه:

لَـمَّـا بَلَغْنــا التــي كُنَّـا نُؤَمِّلُهــا صِرْنـا شُهُـودا كـأنَّـا مِثْلُ غُيَّـابِ».

كما أن اتكاء الأمير المنذر بعد استلامـه السلطة في البلاد على أخيه عبد الله ـ أحيانا ـ في إدارة شؤون الحكومة في قرطبة(٨٥) يعزز وجهة النظر هذه، بل إن تقلده زمام الحكم في الدولة الأموية بعد أخيه الأمير المنذر من بين جميع إخوته العديديـن يعد بمثابة شاهـد قوى لما نحن بصدد الـوقوف على حقيقته؛ ذاك أن الأمير المنذر كان ـ كما سبق أن تحدثنا ـــ قد أقسم سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م ألا يـدع حصار ابن حفصـون حتى يقع في يده، لكن الأجل لم يمهلـه، فقضى نحبه هناك بعد علة ألمت به، وعنـدها بويع لأخيه الأمير عبد الله في المعسكر نفسـه. وقد اختلفت الـروايات حـول الكيفية التي استلم بها الأمير عبـد الله

★ القاضي سليمان بن أسود: هو أبـو أيوب سليمان بن أسود بن سليمان بن المعلى بن إدريس بن محمد ابن يوسف الغـافقي، ولاه الأمير محمد منصب قـاضي الجماعة في قرطبـة مرتين، فاستمـر في ولايته الثانيـة حتى وفاة هـذا الأمير، وقد طال عمـره حتى قارب المئـة العام. انظـر أخباره في (الخشنى، قضاة قـرطبة، ص. ص ١٥٥-١٦٩، ١٧٣-١٨١؛ ابن الفـرضى، تـاريخ علماء الأنـدلس، جـ١، ص٣٢٥؛ ابن سعيـد، المغرب، جـ١، ص١٥١، ١٥٢؛ النبـاهي، المرقبة العليـا، ص. ص ٥٦-٥٩).

(٨٤) قضاة قرطبة، ص١٨١.

(٨٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٢.

مقاليد الأمور، فبعض الروايات تذكر أن الأمير المنذر عندما انتابه المرض أرسل إلى أخيه عبد الله لينوب عنه، فلما قدم عبد الله إلى المعسكر توفى الأمير المنذر، فبويع في ذلك اليوم(٨٦). وهناك رواية أخرى عن الرازي(٨٧) يظهر منها أن الأمير عبد الله لم يُستدع إلى المعسكر إلا بعد أن حصلت الوفاة للأمير المنذر، وحرصا على التئام وحدة الجيش أراد أحدهم ـ ربما كان القائد أو الحاجب أو غيرهما ـ أن يوصل الخبر إلى عبد الله «المؤهل لمكانه، فأنفذ الخدم البربر فيه إلى قرطبة ـ وهو كان خليفة فيها ـ يوحون إليه بشأن أخيه، فطار بجناح الإشفاق على العسكر الجماع، ووافى سريعا إليه، فأدخله الخدم إلى أخيه بداخل المضرب، ووقفوه على موته . . . » ثم بويع له حينئذ بالإمارة .

وعلى أي حال فقد تمت البيعة للأمير عبد الله بالإمارة في معسكر الجيش المحاصر لعمر بن حفصون، حيث بايعه من كان حاضرا من أسرته ومن القواد والوزراء، ثم بايعه عامة الجند(٨٨)، ثم قرر الأمير عبد الله فك الحصار عن ابن حفصون بعد أن عجز عن ضبط الحشود التي انصدعت بمجرد علمها بوفاة الأمير المنذر(٨٩)، فانقلب إلى عاصمته قرطبة حاملا معه جثمان أخيه، فلما حل بها واراه التراب بعد أن صلى عليه، وطلب المبايعة من أهالي العاصمة، فبايعه عِليةُ القوم في يوم الاثنين السابع عشر من صفر سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م، ثم قدم له البيعة أيضا عامة الناس، فاستغرق ذلك عدة

(٨٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١١٨ ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٥ .

(٨٧) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص٢ .

(٨٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١١٤ ؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٥٢ .
وهناك رواية نصرانية تشير إلى أن رجال العسكر بايعوا الأمير عبد الله، وإن لم يكونوا راضين عنه
Pedro Alfanso, op. cit, p,194.

(٨٩) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣٣ .

أيام[٩٠]. ومن ناحية أخرى فقد وافته الكتب بالبيعة من ولاة الكور التي لم تزل مقيمة على الطاعة، وبذلك استوثق له الأمر باعتباره حاكما للإمارة الأموية[٩١].

ومن غير المناسب أن نتحدث عن اعتلاء الأمير عبد الله عرش حكومة قرطبة، ونغفل ما اقترن بذلك لدى عدد من المؤرخين من وجود مؤامرة للقضاء على سلفه أخيه الأمير المنذر حيث إن هذا الأخير حينما اشتد به المرض وهو يحاصر عمر بن حفصون في معقله بُبَشْتْر اضطر إلى الفصد★، فلما فصد مات من يومه ذلك[٩٢]. ولقد جاء في مجموعة من الروايات أن طبيبه الذي تولى فصده هو الذي قد وضع له السم في جرح الفصد[٩٣]، وقد اختلف في الدافع الذي ساق هذا الطبيب للقضاء على سيده الأمير المنذر؛ فيذكر البعض أنه قام بذلك انتقاما لنفسه، إذ كان الأمير المنذر قد تهدده بالعقاب حال رجوعه إلى قرطبة بسبب تقصيره في بعض الأمور[٩٤]، أما البعض الآخر فيذكر أن ذلك الطبيب كان مدفوعا من قِبَل الأمير عبد الله[٩٥]، حيث أغراه بالمال لتنفيذ تلك الجريمة[٩٦].

---

(٩٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٣، ٤.

(٩١) ابن حيان، المقتبس، ق٣٨، ص٣.

★ الفصد: هو فتح أحد الأوردة في الجسم، وكان كثير الشيوع بين الناس فيما سبق، إذ كانوا يعتقدون أنه من أنجع الوسائل لعلاج الأمراض (محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ط٣، بيروت: دار المعرفة، مادة الفصد، م٧، ص. ص ٢٨٩-٢٩١.

(٩٢) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٥١.

(٩٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١١٤؛ ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص٤١؛ ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص٥٤؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٥١

(٩٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٥١.

(٩٥) ابن حزم، «نقط العروس في تواريخ الخلفاء»، تحقيق شوقي ضيف «مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول»، م١٣، جـ٢ (ديسمبر، ١٩٥١م)، ص٨٧؛ ابن حيان، المقتبس ق٣، ص٤١.

(٩٦) ابن سعيد، المغرب، ص. ص٥٣-٥٤.

ويبدو أنه لا تعارض بين أن يكون الذي نفّذ عملية السم غاضبا على الأمير المنذر، وبين أن يكون في الوقت نفسه مدفوعا من جانب الأمير عبد الله.

وحيث إن أصابع الاتهام تشير ــ كما نرى ــ إلى تورط الأمير عبد الله في إزهاق روح أخيه طمعا في الملك من بعده فحرى بنا أن نتمهل قليلا حول هذه المسألة.

بالرجوع إلى المصادر نجد أن أقدم مصدر بين أيدينا أشار إلى وجود مؤامرة للقضاء على الأمير المنذر هو ما جاء عند ابن القوطية(٩٧) ــ المتوفى سنة ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م ــ حيث يقول عن وفاة هذا الأمير: «ويقال إن ميسورا فتاه سمّ له القطن المجعول في جرح الفصد؛ إذ كان قد هدده لشيء استقصره فيه أنه يوقع به عند انصرافه إلى قرطبة، فلما هجم عليه الدم فجر تفجير ضرورة ببشتر فعاجله الموت». ففي هذا الخبر تحرز ابن القوطية فصدره بكلمة «يقال» بمعنى أنه لم يجزم بتحميل الفتى تبعة موت سنيده الأمير المنذر إلا أنه أتى بعبارة أخرى سبقت هذا الكلام أوحى فيها عن اعتقاده بأن الوفاة ليست عادية، فقال عن الأمير المنذر: «ثم شمر إلى ابن حفصون . . . وكان قد أوفى عليه لولا أن المنية فاجأته وهو محاصره»(٩٨)، وبهذا لم يقطع ابن القوطية بشيء واضح حول حقيقة ما حدث؛ فضلا عن عدم ذكره لاسم الأمير عبد الله مطلقا بصفته متورطا في المؤامرة★.

---

(٩٧) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١١٤.

(٩٨) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١١٣، وقد أورد تلميذ ابن القوطية ــ ابن الفرضي - نقلا عن الرازي عبارة تماثل ذلك فقال: «توفي الأمير المنذر. . . فجأة في . . . . . ببشتر» (ابن حفصون، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ١، ص٣٠).

★يتبادر إلى الذهن عند قراءة ما أورده بعض المؤرخين المحدثين عن وفاة الأمير المنذر أنهم يعدون ابن القوطية ممن اتهم الأمير عبد الله بالسعي للتخلص من أخيه المذكور (عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص٣٢١؛ بيضون، **الدولة العربية**، ص٣٨٢، حاشية ١).

Provencal, op. cit. p. 213.

بيد أن أبا محمد ابـن حزم ـ المتوفى سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م ـ الذي يعد ثاني مؤرخ تطرق للقضيـة بعد ابن القوطية حسب المصادر الموجودة لـدينا ـ صرح بجلاء بأن الأمير عبد الله «كـان قتالا تهون عليه الدمـاء . . . فإنه احتال على أخيه المنذر بن محمـد على إيثاره إياه، وواطأ عليه حجـامه بأن سم له المبضع الذي فصده به وهو نازل بعسكره على ابن حفصون، فكانت منه منيته»[٩٩].

وحيث إن ابن حزم قـد عرف عنه اعتماده «على منهج الحديث والظاهـرية في توثيق سند الـرواية ومتنها»[١٠٠] كما كـان يحرص ـ أيضـا ـ على أن «يقـدم المترجم له بما يعتقـد أنه فيه»[١٠١] فالظـاهر أنـه لم يصدر ذلك الحكم الجازم على الأمير عبد الله، فيصرح ـ بلا تحفظ ـ بأنه هو الذي خطط للتخلص من أخيه الأمير المنذر إلا بناء على أخبار موثوقـة وصلت إليه بالتواتر؛ لا سيما وأنه في زمن ابن حزم كـانت الدولة الأمـوية قـد زالت من الوجود، فلم يعـد أحد يخشى من التصريح بما يعـرفـه من عيـوب الأمـراء الأمـويين؛ نـاهيك عن العلاقات المأسـاوية التي حدثت بين بعضهم من أجل الـوصول إلى السلطة في الأندلس★.

(٩٩) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص٤١، وقد ذكر ابن عذاري رواية ابـن حزم نفسها باختلاف في بعض الكلمات (ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص١٥٦) كما ذكرها أيضا ابن الخطيب، ولكن بأسلوب آخر (ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٦).

(١٠٠) عبد الحليم عويس، **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري** (القاهرة: دار الاعتصام، د.ت)، ص١٧٦.

(١٠١) عويس، **ابن حزم**، ص٢٥٣.

★ لقد عبر ابن حـزم عن وصول الحقائق إلى الناس ولـو بعد حين ـ مهما حاول الحكـام إخفاءها ـ بقوله: «ومن الملـوك من يشتد عليهم وصف أسلافهم بالجور والظلـم والقبائح، ويحمى هذا الباب بالسيف فما دونـه فما انتفعوا بذلك في كتمان الحق؛ قد نقل ذلـك كله وعرف . . .» ابن حزم، **الفصل في الملل والأهـواء والنحل**، تحقيق محمـد إبـراهيم نصر، وعبـد الـرحمن عميرة (بيروت: دار الجيل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، جـ٦، ص١٤٤.

ولا يستبعد أن يكون الأمـر طبقا لما جزم به ابن حـزم من أن الأمير عبد الله ضالع في التدبير للقضاء على أخيه، فلقد كـان يؤمن ـ فيما يبدو ـ بأحقيته في حكم البلاد بعد والـده الأمير محمد، وله مبرراته التي أشرنا إليهـا سلفا ولكنه نُحِّي عن الحكم ليتـولى المنذر، فـربما أنه أسرّ ذلك في نفسه، وبـدأ يعمل في الخفاء لإنهاء حياة مَنْ يراه قد انتزع السلطة من يده؛ بل لعل ترشيحه لاعتلاء السلطة من بعـد أخيه المذكور قد أجج طعمـه في الملك، وأغراه بأن يسرع في تنفيذ مؤامرته خاصة وأنه ـ أيّ: عبد الله ـ كان يبلغ من العمر آنذاك أكثر من خمسة وأربعين عاما.

ثالثا : الفتنة الكبرى في الأندلس

تربع الأمير عبد الله على عرش الإمارة الأموية في الأندلس بالصورة التي وصفناها سابقا، فورث حملا ثقيلا من المشكلات العويصة التي لم يتهيأ لسلفيه التمكن من حسم أمرها، فالإمارة لما أفضت إليه كانت ـ كما يقول ابن عذاري ـ[١٠٢] «قد تحيَّفها النَّكْثُ، ومزَّقها الشِّقاق، وحلَّ عُرَاها النِّفاق». ولقد زاد أوار الفتنة في أوائل حكم هذا الأمير، واشتد لظاها، وتعقدت دوافعها وظهر عدد من الزعماء المنشقين[١٠٣]، فلم يبق تحت طاعته سوى قرطبة وأقاليم معدودة[١٠٤].

ولقد بلغ النزاع ـ آنذاك ـ أشده بين الإمارة من جانب وطوائف المجتمع من مولدين وعرب وبربر من جانب آخر، كما أن هذه الطوائف تصارعت مع بعضها بعضا، فلقد عمت حركات المولدين معظم أنحاء الأندلس تقريبا، وكان من أبرز زعمائهم في ذلك الحين عمر بن حفصون في جنوب البلاد، وعبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي في المناطق الممتدة من مَارِدَة حتى البحر المحيط (الأطلسي) في الغرب، وبنو قَسِي في الثغر الأعلى، ودَيْسَم بن إسحاق في تُدْمِير وغيرهم[١٠٥].

---

(١٠٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٢١.

(١٠٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ١، ص٤١؛ النويري، نهاية الأرب، جـ ٢٣، ص٣٩٥.

(١٠٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٧.

(١٠٥) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص. ص ٩، ١٥-١٧؛ ابن خلدون، تاريخه جـ ٤، ص. ص ١٧٠-١٧٣.

كما أن البربر كانوا قد قاموا بالانتفاضة على السلطة الأموية في بعض مناطق الأندلس، وكان بنو موسى بن ذي النون من أشهر من حمل لواء هذه الانتفاضة البربرية[١٠٦].

أما العرب فإن جل حركاتهم المؤرقة لحكومة قرطبة قد ظهرت في السنوات الأولى من عهد الأمير عبد الله، ولعل أبرز حركاتهم كانت في منطقتي إِلْبِيرَة وإِشْبِيلِيَّة[١٠٧].

وإذا أنعمنا النظر في هذه الحركات التي عصفت بالأندلس، وجعلت عرش بني أمية على حافة السقوط لوجدنا أنها تختلف كثيرا عما عهدناه سابقا من حركات عصيانية ضد الدولة الأموية، سواء في اتساع نطاقها، أو في العناصر التي أثارتها، أو في الدوافع المحركة لها.

فلقد بدأت هذه الحركات منذ أوائل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري - كما سبق أن عرفنا - وما زالت تتفاقم وتتسع حتى وصلت إلى ذروتها في عصر الأمير عبد الله، ولم تكن تقتصر على عنصر بعينه من عناصر المجتمع المختلفة، وإنما شاركت فيها جل العناصر السكانية الكبرى في البلاد تقريبا.

والواقع أن الأمراء الأمويين السابقين لم يجابهوا حركات معارضة بمثل التي جابهها أمراء هذه الفترة بالذات، فلم يكن غريبا لدى أولئك الأمراء السابقين قيام ثورات ضدهم تكون عادة محدودة المكان فلا يجدون صعوبة كبيرة في القضاء عليها.

والشيء الذي يستوقف النظر هو أن حركات هذه الفترة قد تولى كِبْرها منذ البداية زعماء من المولدين؛ وفي الوقت الذي ضادوا فيه الدولة، وحققوا

---

(١٠٦) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ١٧ - ١٩.

(١٠٧) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص. ص ١٣٣-١٣٥.

بعض النجاح تمرد عدد آخر من إخوانهم المولـدين أيضا، ثـم تمرد بتمرد هؤلاء زعماء من العرب والبربر.

وليس إلى الشك سبيل في أن هذه الحركـات المعارضة للسلطة الأمـوية إنما انفجـرت بفعل عوامل عـديدة بعضهـا نـابع من المجتمع الأندلسي نفسـه، وبعضهـا الآخر صـادر بسبب تلك القـوة السيـاسية التي تعـاملت مع هـذا المجتمع.

فلقد كان التفكك الاجتماعي واضحا في الأندلس بحيث لا يمكن إنكاره خـلال القـرن الثالث الهجـري؛ وخـاصـة في نصفـه الثاني، فظهـر سكـان الأندلس وكأنهم لم ينصهـروا بعد انصهارا تـاما، ولم يندمجوا الاندمـاج الذي يجعلهم شعبا واحدا(١٠٨) على الرغم من طول المدة التـي عاشها بعضهم مع البعض الآخر.

ولا خـلاف في أن الفـاتحين الأُوَل من العـرب والبربـر قـد اختلطـوا بأهل البلاد، وحرصـوا على نشر الإسلام بينهم(١٠٩)؛ بيد أنـه لم يمر وقت طـويل حتى غابت تلك القيادات المؤثرة التي كـان يمثلها الفاتحون الكبار، وجاءت قيادات جديـدة لم تَرْقَ إلى مستوى الأحداث المحيطـة بها، إذ انساقت تلهث وراء وجهات نظـر حزبيـة أو عنصرية بل حتـى قبلية(١١٠)، مما خلـف آثارا سيئة على المجتمع الإسلامي في هذه البلاد.

---

(١٠٨) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٦٧؛ إبراهيم بيضون، **الدولة العربية في إسبانيا** (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م)، ص٢٧٤.

(١٠٩) أرنـولـد، **الـدعوة إلى الإسـلام**، ص.ص ١٥٩-١٦٠؛ الحجـــي، **التاريـخ الأندلسي** ص.ص١٥٦-١٥٨؛ حسين مـؤنس، **فجـر الأنـدلس**، ط٢ (الـدار السعـوديـة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص.ص٤٢٣-٤٢٤.

(١١٠) علي حبيبـة، **مع المسلمين في الأنـدلس**، ط٢ (جـدة: دار الشروق، د.ت.)، ص١٦٧؛ بيضون، **الأمراء الأمويون الشعراء**، ص٢٢.

ولما أقام عبد الرحمن الداخل صرح دولته في الأندلس غيَّر مفهوم الحكم فيها؛ حيث أحل سلطة الدولة محل سلطة القبيلة، فغدا سلطان الدولة بذلك فوق العصبيات القبلية(١١١)، وقد سار خلفاؤه من بعده على هذا النهج(١١٢)، فكان من المنتظر ألا تمضي فترة من الزمن في ظل هذا النظام إلا وقد انصهرت كل العناصر السكانية، وظهرت الشخصية الأندلسية المميزة؛ بيد أن ذلك لم يحدث نظرا لوجود بعض الزعامات العربية والبربرية القوية التي ما برحت تنمي الإحساس بالأصل البعيد، وكذلك وجود النصارى في البلاد قد زعزع المجتمع الأندلسي(١١٣)، بل إن الأمراء الأمويين أنفسهم ـ كما يظهر ـ يتحملون كفلا من تبعه ذلك التفكك في البنية الاجتماعية، إذ لم يمنع إحلالهم سلطة الدولة محل سلطة القبيلة من اعتمادهم على بعض العناصر دون العناصر الأخرى، كما أنهم لم يهتموا كثيرا بتنظيم العلاقات بين الأجناس المكونة للمجتمع في العديد من الحالات، كما سنرى.

ولا بد لنا ـ هنا ـ أن نقف قليلا لننظر في وضع تلك العناصر التي حملت لواء الفتنة في الأندلس إبان النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.

فلقد كان العرب يمثلون ـ آنذاك ـ أقلية عددية بالنسبة لغيرهم(١١٤)، وكان معظمهم ـ وخاصة أهل الكور المجندة ـ لا يزالون يحسون بالتفوق على

---

(١١١) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، ص١٠٣؛ بيضون، الدولة العربية، ص. ص١٨٦-١٨٧.

(١١٢) فيليب حتى، صانعو التاريخ العربي، ترجمة د. أنيس فريحة، ط٢ (بيروت: دار الثقافة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص٩٦.

(١١٣) حبيبة، مع المسلمين في الأندلس، ص. ص ٣٠٣-٣٠٤.

(١١٤) بيضون، الأمراء الأمويون الشعراء، ص٣٧٤.

Montgomery Watt, op. cit., p. 44.

سواهم في هذه البلاد(١١٥)، وقد كانت الدولة الأموية منذ أيام نشأتها تخشى منافسة هؤلاء العرب لها(١١٦)، ولذلك فإنها أشاحت بوجهها عنهم، ولم تركن إليهم كثيرا؛ الأمر الذي أحفظهم عليها، وجعلهم لا يفتئون يثيرون المتاعب ضدها كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا(١١٧).

أما البربر فقد كانوا أكثر عددا من العرب(١١٨)، وقد ارتفع شأنهم في الإمارة الأموية منذ عهد مؤسسها عبد الرحمن الداخل الذي عمد إلى اصطناعهم، فسار خلفاؤه من بعده على ذلك(١١٩) حتى أصبح لهؤلاء البربر دور واضح في الجيش والإدارة(١٢٠)، ومع هذا فإننا لا نعدم قلاقل أثارها أحيانا بعض أصحاب الطموح السياسي منهم(١٢١)، أما علاقتهم بالعرب فإنها لم تكن عدائية(١٢٢)؛ بل إن كلا الطرفين كانا هدفا لسخط المولدين بعد أن قاموا بحركتهم الكبرى ضد الدولة الأموية(١٢٣).

وهناك أهل البلاد الأصليون الذي دخلوا في الإسلام، فكان يطلق على ما

(١١٥) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، ص٢٣٣.

(١١٦) حبيبة، مع المسلمين في الأندلس، ص٢٠٤، ٢٩٢.

(١١٧) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٣٨.

(١١٨) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٦٨.

Montgomery Watt, op. cit., p. 25.

(١١٩) عنان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص٢٠٥.

(١٢٠) محمد بركات البيلي، البربر في الأندلس (من الفتح حتى نهاية عصر الإمارة). رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص. ص ٩٨-٩٩.

(١٢١) انظر على سبيل المثال: ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص٤٨؛ الشاطبي، الجمان في مختصر أخبار الزمان، مخطوط، المكتبة الأهلية في باريس رقم ١٥٤٥، ميكروفلم، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، رقم ١٠٢٤٠/ تاريخ، ورقة ١٦٤/أ.

(١٢٢) خالد الصوفي، تاريخ العرب في إسبانيا (نهاية الخلافة الأموية، في الأندلس)، ط١ (حلب: مكتبة دار الشرق)، ص٨٥.

(١٢٣) انظر مثلا على ذلك في: ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٤٨.

بعد الجيل الأول منهم اسم المولدين، وقد كانوا في ازدياد مطرد، حتى أضحوا في القرن الثالث الهجري شريحة كبرى في الشعب الأندلسي(١٢٤)، ولقد كان هؤلاء ينظر إليهم غالبا بأنهم أقل رتبة من الفاتحين(١٢٥). ففي أواخر عصر الولاة بالأندلس، نرى العرب - وبالأخص المتعصبين منهم - ينظرون إلى هؤلاء المولدين نظرة لا تخلو من الازدراء والاحتقار★، ويظهر أن هذه النظرة استمرت في عصر الدولة الأموية حتى غلبت على المعاملة بين الجانبين في الفترة التي نتحدث عنها(١٢٦)، فهناك عدد من الشواهد التي توحي بذلك، وسنكتفي بذكر بعضها من أماكن مختلفة من الأندلس، فأحد الشعراء يصم من اشترك في موقعة وادي سَلِيطٍ سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م، بالعُبْدَان في قوله:

بَكَى جَبَلا وادي سَلِيطٍ فَأَعْوَلا على «النَّفَرِ العُبْدَانِ» والعُصْبَةِ الغُلْفِ(١٢٧)

ومن المعروف أن جمهرة من أهل طليطلة المولدين قد شاركوا في هذه الموقعة(١٢٨).

---

(١٢٤) جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص٣٥؛ أحمد هيكل، الأدب الأندلسي (من الفتح إلى سقوط الخلافة)، ط٧ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩م)، ص٧٦.

(١٢٥) الصوفي، تاريخ العرب في إسبانيا (نهاية الخلافة الأموية في الأندلس)، ص٨٩.

★ ولقد ظهرت هذه النظرة بجلاء عند الصميل بن حاتم - وزير يوسف الفهري آخر الولاة - الذي قال بعد أن سمع قول الله تعالى ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ - قال: والله إني أرى هذا الأمر سيشركنا فيه العبيد والسفلة والأراذل» (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٠؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٦٨) وهو يشير بهذا إلى غير العرب. كما نلاحظ المعاملة السيئة للمولدين في موقف آخر، وذلك أن كاتب يوسف الفهري - وهو من أصل إسباني - تباهى أمام أحد أتباع عبد الرحمن الداخل بأنه لن يصل إلى درجته في تحبير الرسائل، فما كان من حاشية عبد الرحمن إلا أن احتجزوه لأنه «بدأ بالشتيمة والانتقاص، وهو - كما يقولون - ابن الخبيثة العلج» (مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٦).

(١٢٦) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص٢٣٣.

Rafael Altomira Y crevea, **Historia de España Y de La Civilizacion Espanola**, Tomo I, (Barcelona, 1913), p.244.

(١٢٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٥، ص٢٢١؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١١٢.

(١٢٨) عنان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص٢٩٢. وكنا قد أشرنا إلى أحداث هذه الموقعة في التمهيد.

وإذا انتقلنا إلى الثغر الأعلى في الشمال فإننا نجد شاعرا آخر ينعت أتباع أبناء موسى بن موسى القَسَوي ــ وهم في غالبيتهم من المولدين ــ بالأراذل، وذلك بقوله:

رَأَيْتُ ابْنَ مُوسى والأراذِلَ صَحْبَهُ جِبَاهُهُمُ فيها المساميرُ تُصْلَفُ(١٢٩)

أما شاعر كورة إلبيرة فينظر إلى المولدين في الجنوب بأنهم في منزلة العبيد، وذلك حينما قال:

ورِثْنا العِز عن آباءِ صِدقٍ وإرْثُكُمُ بَني العُبْدَانِ ذُلُّ★ (١٣٠)

وبهذا نرى الشواهد السابقة قاسمها المشترك ازدراء المولدين، والحط من قدرهم.

ولما أسند الأمير محمد القضاء إلى القاضي عمرو بن عبد الله الذي كان من الموالي(١٣١) «شق ذلك على العرب وتكلموا فيه» حتى إنهم امتنعوا من الصلاة خلفه، مما اضطر الأمير إلى أن يولي إماما من العرب ليصلي بالناس(١٣٢). ومن المعروف أن الموالي في الأندلس لم يكونوا على الوضع نفسه الذي كان عليه موالي المشرق، فقد كان هؤلاء في مركز اجتماعي لا يقل عن مركز

---

(١٢٩) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٣٨.

(١٣٠) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص٦٥؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٥٣.

★ يقول شاعر العرب في إشبيلية واصفاً تغلبهم على المولدين في أوائل الربع الأخير من القرن الثالث الهجري:

أَبَدْنا بالسيوف بني العبيد فراحوا هامدين على الصعيد

إلى أن يقول:

بنو قحطان للأذواء تنمي وينمي العبد منهم للعبيد

(ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص٨٥).

(١٣١) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص١٤٦؛ ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ٢، ص٥٣٩.

(١٣٢) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص١٤٦.

الأحرار(١٣٣)، فكانت القبائل العربية تسعى إلى كسب تأييدهم، وقد ازداد مركزهم رفعة بعد قيام الدولة الأموية(١٣٤)، وعلى هذا فمن المرجح أن السبب الرئيس في تذمر العرب بولاية هذا القاضي، وأنفتهم من الصلاة خلفه إنما كان لأصله الإسباني*، وقد كان في موالي الأندلس الكثير ممن يرجع إلى أصول إسبانية(١٣٥).

والظاهر أن المولدين من أهل البلاد الأصليين ـ دون الموالي منهم ـ لم يكن لهم حظ في الحكومة الأموية(١٣٦)، فلقد كان الأمراء الأمويون قد قصروا المناصب في الدولة على أناس معينين دون غيرهم، حيث تجلت هذه السياسة على لسان الأمير محمد حينما قال: «إن مذهبنا أن نقصر خططنا هذه النبيهة

(١٣٣) مؤنس، **فجر الأندلس**، ص٤٠٨؛ حكمة علي الأوسي، **فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة**، ط٤ (الرباط: مكتبة المعارف، ١٩٨٣م)، ص. ص٣٨-٣٩.

(١٣٤) مؤنس: **فجر الأندلس**، ص٤١٢؛ حبيبة، **مع المسلمين في الأندلس**، ص١٤٦.

* يذكر أن جد عمرو بن عبد الله كان مولى لإحدى بنات عبد الرحمن بن معاوية (الخشني، **قضاة قرطبة**، ص١٤٦؛ ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ٢، ص٥٣٩)، وإذا أشير إلى رجل أنه مولى لعبد الرحمن أو لأحد أفراد عائلته، ولم يذكر أنه قد أتى من المشرق فغالباً ما يعني أن هذا الرجل ـ المولى ـ من أهل البلاد الأصليين (مؤنس، **فجر الأندلس**، ص٤٠٩)، والبون شاسع جداً بين موقف العرب من تولية هذا القاضي وبين موقفهم في الفترة الأولى للحكم الإسلامي في الأندلس، حينما أسند القضاء للقاضي مهدي بن مسلم الذي كان أحد أبناء المسلمين الإسبان (الخشني، **قضاة قرطبة**، ص٣٨) فلا نسمع بأي امتعاض من العرب أو غيرهم بعد ولاية مهدي بن مسلم للقضاء بل إنه كَتَبَ كتابَ عَهْدٍ لنفسه، فأصبح أصلاً من الأصول للعهد في القضاء لمن جاء بعده من قضاة الأندلس (الخشني، **قضاة قرطبة**، ص. ص٣٨-٤٣؛ النباهي، **المرقبة العليا**، ص٤٢).

(١٣٥) عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، ص١٢٦؛ عبد العزيز عتيق، **الأدب العربي في الأندلس**، ط٢ (بيروت: دار النهضة العربية، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ص١٣٤.

(١٣٦) محمد ألوزاد، «الاتجاهات الفكرية في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري»، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس**، عدد٤ ـ ٥ (١٩٨٠م/١٩٨١م)، ص١٦٤.

Anwar G. Chejne, **Historia de España Musulmana**, p. 104

على أبناء موالينا، وأهل السابقة في خدمتنا»[١٣٧] ثم بين أنهم لو حادوا عن تلك السياسة لتقلد الخطط في الدولة ـ كما يقول ـ «أبناء السوق وأبناء الناس أولى الأعراق الدنيئة»[١٣٨] ومن الواضح أن الأمير قصد من قوله هذا العامة من سكان البلاد الذين هم في غالبهم من المولدين؛ فضلاً عن كونه وصفهم بأنهم من أولي الأعراق الدنيئة، ومثل هذا الوصف يتوافق مع نظرة العرب في الأندلس إلى المولدين التي سبق أن شرحناها.

وفوق ذلك فإن الحكومة الأموية لم تحاول ـ فيما يبدو ـ تحسين أوضاع هؤلاء المولدين لا سيما في بعض المناطق، فلقد كان العرب الذين قدموا إلى الأندلس في أوائل القرن الثاني الهجري قد فُرِّقوا على بعض الكور[١٣٩]، وخصص لهم ثلث أموال أهل الذمة فيها[١٤٠]، على أن يقدموا عددا من الجند مقابل ذلك[١٤١]، وقد استمرت سكناهم بين هؤلاء المعاهدين[١٤٢]. وبمرور الزمن انتشر الإسلام في الكور، ولكن العرب ـ فيما يظهر ـ قد أصروا على المطالبة بامتيازهم القديم حتى مدار بحثنا[١٤٣]، وكان هذا ظلما فاحشا من قبل أولئك العرب، ولم ينقل أن الدولة الأموية قد بذلت شيئا لإزالة هذا

---

(١٣٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١٤٤.

(١٣٨) ابن حيان، المقتبس، ص١٤٤.

(١٣٩) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص٤٤؛ ابن عذاري، **البيان**: جـ ٢، ص٣٣؛ المقري، **نفح الطيب**، جـ ١، ص٢٣٧.

(١٤٠) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ ١، ص١٠٣، ١٠٤، ١٠٦.

(١٤١) مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص٢٤٦؛ عبد الواحد ذنون طه، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس** (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢م)، ص٢٤٠.

(١٤٢) ابن الخطيب: **الإحاطة**، جـ ١، ص١٠٧.

(١٤٣) ابن الأبار، **الحلة**، جـ ١، ص١٥٢، حاشية؛ أحمد بدر، **دراسات في تاريخ الأندلس**، ص٢٣٤.

الامتياز، بل إن هذه الكور المجندة في عهـد الأمير محمد نفسه كانت أكثر من غيرها في إمداد الدولـة بالعساكر[١٤٤]، مما يـوحي بعدم إلغاء النظـام القديم فيها، وهناك ــ بطبيعة الحال ـ أراضٍ أخرى غير الكور المجنـدة قد اقتطعها الفاتحون، أو صالحوا عليهـا أهلها[١٤٥] فـلا ينتظر ــ كما يبدو ــ أن تختلف الحالة فيهـا كثيرا عن الحالة في الكور المجنـدة الآنفة الذكر، لأننـا سنرى تبرم المولـدين لن يقتصر على تلك الكـور المجنـدة فحسب؛ بل سيشمل منـاطق أخرى في أنحاء متفرقة من البلاد.

ولقد شهدت الأنـدلس في النصف الأول من القرن الثالث الهجـري تقدما ملموسا في المجال الحضاري[١٤٦] انعكس على الحياة الاجتماعيـة فيها، فبينما كان الأمـراء وذوو النفوذ والجاه ينعمون بالـرخاء والترف[١٤٧] ظلت الأحـوال الاقتصاديـة والاجتماعية لقطـاع كبير من المجتمع ـ وخـاصة المولديـن الذين كانت أعـدادهم في ازدياد ـ دون أن يطرأ عليهـا تغيير يذكر[١٤٨]. ونستشف هـــذا من أن ابن حفصـــون كـــان يمني أتبـــاعـه «بفتح البـــلاد، وغنـــائم الأموال»[١٤٩]، كما أن أملاك كبار رجال الدولة أصبحت هدفا لغارات هؤلاء الحانقين[١٥٠].

---

(١٤٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص. ص ٢٧١-٢٧٢؛ ابن عـذاري، البيان، جـ ٢، ص١٠٩؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص. ص ٥٥٦-٥٥٧.

(١٤٥) مؤنس: فجر الأندلس، ص٦٢٥، ٦٢٧.

(١٤٦) أحمد بـدر، دراسـات في تاريخ الأنـدلس، ص١٤٢؛ أحمد هيكـل، الأدب الأنـدلسي، ص١١٩، حسين مؤنس، غارات النورمان، ص٢٠، ٦٥.

(١٤٧) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص١٥٧.

(١٤٨) بيضون، الأمراء الأمويون، ص١٠١، ١٠٢.

(١٤٩) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص١١٤.

(١٥٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٧٢.

ومما لا ينبغي إغفاله في الحديث عن العناصر التي شاركت في الفتنة طائفة المستعربين، وهم ـ كما أسلفنا ـ أولئك الذين تمسكوا بالنصرانية من أهل البلاد، ولكنهم تعربوا ثقافة ولسانا(١٥١)، وفي الحقيقة أن هناك أعدادا جمة من النصارى عاشوا في مختلف المدن الأندلسية(١٥٢)، وكانوا يلقون تسامحاً كبيرا من جانب الدولة الأموية، ولما ازدهرت الأندلس في النصف الأول من القرن الثالث الهجري تأثر بذلك هؤلاء النصارى المستعربون، وبدا أنهم سيذوبون في الثقافة العربية الإسلامية مما أقلق نفراً من رجال الدين النصراني المتعصبين(١٥٣)، فتبنوا حركة أطلق عليها حركة الاستخفاف أو (الاستشهاد) وقد حاولت الدولة الأموية إنهاءها بالحسنى، ولكنها لم توفق كثيرا، حينئذ لجأت إلى الشدة فتمكنت من إخمادها(١٥٤)، بيد أنها لم تستطع محو ما خلفته هذه الحركة من فجوة بين المسلمين والنصارى★(١٥٥) والتي أدت بهؤلاء

(١٥١) بيضون، الأمراء الأمويون، ص٥٩؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٢٨٤.

(١٥٢) بروفنسال، حضارة العرب في إسبانيا، ترجمة: ذوقان قرقوط (بيروت: دار مكتبة الحياة)، ص٧٩.

Anwar G. Chejne, op., cit., p. 108.

(١٥٣) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص٢٠٠؛ ريتشارد سوذرن، صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى، ترجمة رضوان السيد ط١ (بيروت: معهد الإنماء العربي ١٩٨٤م)، ص٥٧، ٥٨.

(١٥٤) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس ص. ص ٢٠٤-٢٠٥.

Rafael Attamira, op. cit., p. 242 - 243.

(١٥٥) الحريري، حركات المولدين في الجنوب الأندلسي، ص٣٧.

Jose R. Aguilar, op. cit., p. 123.

★ ولقد حدثت في عهد الأمير عبد الله حالات فردية تماثل حركة الاستخفاف الجماعية التي وقعت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري. انظر: ابن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس (مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى)، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف (القاهرة: المركز العربي للإعلام، ١٩٨٠م)، ص. ص ٧٠-٧١؛ القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (بيروت: دار الكتب العلمية) جـ٢، ص. ص٢٦٦-٢٦٧.

الأخيرين إلى الميل الصريح في جانب أولئك الذين يعملون لهدم صرح الدولة الأموية ـ كما سيأتي ـ.

وهكذا يتبين أن المجتمع الأندلسي كان يحوي تناقضات عنصرية وقومية أضعفت من تماسكه، وهددت وحدة جبهته الداخلية،، فكانت من الصعوبة أن تتحكم فيها حكومة قرطبة؛ خاصة وأنها كانت تواجه ظروفا أخرى ـ كما سنرى ـ تتزامن مع حالة المجتمع هذه.

وهناك قاعدة لدى ابن خلدون ربما أنها تنطبق على الوضع الاجتماعي في الأندلس ـ آنذاك ـ حيث يقول: «إن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قَلَّ أن تستحكم فيها دولة، والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء... فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت...»[١٥٦].

زد على ذلك أن التكوين الجغرافي لهذه البلاد كان يخلخل البنية الاجتماعية، ويُغري في الوقت ذاته بالخروج على الدولة، فلقد كانت الأندلس تنقسم إلى عدد من الأقاليم الطبيعية التي تتباين فيما بينها[١٥٧]، حيث يتوزع السطح بين هضبة عالية محوطة بالجبال، ومنقسمة على نفسها، وبين سهول ووديان تفصلها سلاسل جبلية أيضا[١٥٨]، علاوة على أنها هناك أنهارا تخترقها في العرض بعضها يجري من الشرق إلى الغرب، والبعض الآخر يجري عكس ذلك[١٥٩]، ولا ريب أن كل هذا من شأنه أن يعزل كل إقليم

---

(١٥٦) ابن خلدون، المقدمة، نشر خليل شحادة، ط١ (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٢٠٦.

(١٥٧) محمد عبد الحميد عيسى، **الفتح الإسلامي للأندلس** (القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، ١٩٨٥م)، ص٧٣.

(١٥٨) محمد أحمد حسونة، **أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية**، (القاهرة: دار نهضة مصر)، ص٧٨.

(١٥٩) عبد الحميد العبادي، **المجمل في تاريخ الأندلس**، ط٢ (القاهرة: دار القلم، ١٩٦٤م)، ص١٠٤.

عن الآخر[١٦٠]، بل إن ما يزيد العزلة أن ثمة أقاليم تتوافر بها مقومات الحياة بحيث لا ترى الواحد منها يحتاج إلى الآخر في شيء[١٦١].

ولقد أومأنا ـ آنفا ـ إلى أن الأندلس نعمت بفترة ازدهار ورخاء في النصف الأول تقريبا من القرن الثالث الهجري، وقد جاء ذلك في غالبه تتويجا لسياسة الانفتاح أمام المؤثرات الوافدة التي كان الأمراء الأمويون في تلك الحقبة قد اتبعوها[١٦٢]. وقد لا نتنكب الصواب إذا قلنا إنه قد نتج عن هذا الانفتاح بعض الأمور التي أضرمت الفتنة في البلاد؛ ذلك أن الأمير عبد الرحمن الأوسط كسر حاجز الانعزال الذي كان أباؤه قد ضربوه على أنفسهم نحو العراق[١٦٣]، وشجع حركة العلوم والآداب[١٦٤]، وقد اقتفى دربه ابنه الأمير محمد؛ بل إنه كان أشد ميلا منه للحرية الفكرية[١٦٥] حتى إنه وقف موقف المنافح عنها في وجه المتزمتين[١٦٦]، وبسبب هذا كله انتشرت علوم المشرق الإسلامي بين الناس في الأندلس، وصاحب ذلك دخول علم الحديث وبعض المذاهب الفقهية كالمذهب الشافعي والمذهب الظاهري

---

(١٦٠) علي إسلام باشا: إسبانيا والأندلس، ص١٦؛ حبيبة، مع المسلمين في الأندلس، ص٣٩٥، ٣٠٦.

(١٦١) حسين مؤنس، «صورة الأندلس»، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، م١٤، (١٩٦٠م)، ص٣٧.

(١٦٢) بيضون، الأمراء الأمويون، ص. ص٩١، ٩٦-٩٧.

(١٦٣) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٣٩؛ بروفنسال، حضارة العرب، ص٥٢.

(١٦٤) عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص٥٨.

Joseph Mccabe, op. cit., p. 55.

(١٦٥) محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٢م)، ص٩٥.

(١٦٦) انظر: موقف الأمير محمد مع العالمين بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني في: (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٤٨. وما بعدها).

وغيرهما(١٦٧)، وحيث إن الدولة الأموية مع تمسكها بالمذهب المالكي لم تحارب مثل تلك المذاهب الوافدة(١٦٨) فإنه قد انفتح باب الجدل والاختلاف بين العلماء على مختلف مذاهبهم، ففي فترة دراستنا نرى أحد العلماء ــ غير المتقيدين بمذهب الإمام مالك ـ قد كتب عدة مؤلفات في الرد على مخالفيه منها(١٦٩) كتاب «الإيضاح في الرد على المقلدين»(١٧٠)، وبذا وقع الخلاف الذي كان فقهاء الأندلس المالكيون يحذرون منه أبدا خوفا من تفتت وحدة البلاد(١٧١)، كما لا يستبعد ـ أيضا ــ أن مبادرة الأمراء الأمويين في ذلك الحين لرفع منزلة العلماء غير المنتمين لمذهب الإمام مالك(١٧٢) قد دفعت بالفقهاء المالكيين إلى تبني تيار معارض ـ وإن لم يكن ظاهرا ـ ضد الحكومة الأموية★.

---

(١٦٧) بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله إلى العربية حسين مؤنس (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م)، ص٤٣١، ٤٣٩. ؛ إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي** (عصر سيادة قرطبة) ط ٥ (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٨م)، ص٢٩.

(١٦٨) أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، ط ٥ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩م)، جـ٤، ص٨٤.

Montgomery Watt, op. cit., p. 56.

(١٦٩) ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ ٢، ص٥٩٩؛ المقري، **نفح الطيب**، جـ ٢، ص٥١.

(١٧٠) الحميدي، **جذوة المقتبس**، ق ٢، ص٥٢٤؛ الضبي، **بغية الملتمس** ص٤٤٦.

(١٧١) حسين مؤنس، **صورة الأندلس**، ص٤٣.

(١٧٢) حسين مؤنس، **شيوخ العصر في الأندلس** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م)، ص٣٥، ألوزاد، **الاتجاهات الفكرية في الأندلس**، ص١٦١.

★ يذكر أن القاضي عامر بن معاوية اللخمي الذي تولى منصب قاضي الجماعة زمن المنذر (الخشني، **قضاة قرطبة**، ص. ص ١٨٢-١٨٥) كان قبل ولايته لهذا المنصب قد شجع عمر بن حفصون في ثورته على الأمويين، فقال له: «يا بن حفصون اتق الله في الناس إذا ملكت رقابهم». (الونشريسي، المعيار المعرب، جـ ١٠، ص١١١) وقد عقب الرازي على هذه المقولة بقوله: «فمن هناك زعموا قوي [كذا] طمع عمر في أمله، وعمل على دركه» =

ولقد كـان ذلك الانفتاح ـ أيضـا ـ فرصـة لدخول تيـارات فكرية جـديدة حملت معهـا آراء بعض الفرق الإسـلامية(١٧٣)، ومع أن السلطـة الأمويـة لا تسمح بانتشارها(١٧٤) إلا أنه لا بد أن البعض قد تبنى تلك الآراء، وحاول أن يُرَوِّج لها بين أفـراد المجتمع الأندلسي، إذ من الملاحظ أن أسباب الانتفـاضة التي تزعمها المولـدون في الأندلس تكاد تشابـه تلك الأسباب التي من أجلها قـاد الخوارج الثـورة في المغـرب ضـد الخلافـة الأمـويـة في المشرق قبيل سقوطها(١٧٥)؛ بل ربما أن الاتجاه الكـلامي ـ الـذي تمثل في المذهب الشيعي والنزعة الاعتزالية(١٧٦) ـ ربما كان له أثر في تحريك الثورات على الدولة الأموية في الأنـدلـس، حيث إن هـذا الاتجاه قـد عـرف طـريقـه آنـذاك إلى هـذه البلاد(١٧٧)، فمن المرجح أن التشيع ساهم ولـو من الناحيـة الإيديولـوجية ـ وبالـذات فيما يتعلق بمبدأ المهدوية أو الشخصيـة المنقذة ـ ساهم في إشـاعة الثورات بين أوساط العامة(١٧٨)، كما أنـه من المرجح أيضـا أن يكون لمبـادئ الاعتزال ـــ وخاصة مبـدأ حرية الإرادة الإنسانيـة ـ أثر في بث روح التـذمر في

الونشريسي، المعيار المعـرب، ، جـ١٠، ص١١١)، وحيث إنه لم يذكر في تـرجمة هذا القاضي أن له وجهة إلى مذهب آخر غير المذهب المالكي والتي عادة يهتم بها المترجمون لعلماء الأندلس في تلك الفترة (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ١، ص٣٦٦؛ ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص١٥٣) فإنه لا بد أن يكون من علماء المالكيـة، فإذا كان كذلك فإن تشجيعه لعمر ابن حفصون يعزز ما ذهبنا إليه في المتن.

(١٧٣) Montgomery Watt, op. cit., 57.

(١٧٤) حسين مؤنس، صورة الأندلس، ص٤٥؛ محمد عيسى، تاريخ التعليم، ص١٠٧.

(١٧٥) الحريري، حركات المولدين، ص٤٨.

(١٧٦) ألوزاد، الاتجاهات الفكرية في الأندلس، ص١٥٣.

(١٧٧) محمود علي مكي، «التشيع في الأندلس»، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، م ٢، سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ص١٠٤؛ أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس، ص١٩٢.

(١٧٨) ألوزاد، الاتجاهات الفكرية، ص١٦٣.

الأندلس[١٧٩]، وقد جعل ابن الخطيب[١٨٠] «علو الهمم، وشموخ الأنوف، وقلة الاحتمال لثقل الطاعة» أحد أسباب الفتنة في ذلك الحين.

ومن العوامل التي سعرت حركات التمرد في البلاد الوضع الإداري للدولة الأموية في عهد الأمير محمد، فبالإضافة إلى إخفاق هذه الدولة إلى حد كبير في تعاملها مع عناصر المجتمع الكبرى في الأندلس ـ كما سبقت الإشارة ـ فإن جهازها الإداري قد تسرب إليه الفساد.

ومن الحق أن نذكر أننا نلمح في سيرة الأمير محمد ما يدل على أنه كان حازما في الأمور المالية[١٨١]، ذا خبرة في الشئون الإدارية[١٨٢]، بيد أن ذلك لا ينفي استخدامه لأساليب إدارية قد لا تكون موفقة تماما؛ فضلا عن حدوث بعض الممارسات غير المحمودة في جهاز الدولة، سواء صدرت منه أو من رجال حكومته، ولعل تلك الممارسات وقعت في الشطر الثاني من حكم هذا الأمير قبيل اندلاع الفتنة الكبرى أو في بدايتها.

فلقد كان الأمير محمد يعتني بأخبار رجال دولته إلى درجة أنه كان يحتفظ بأضابير تحوي معلومات عنهم يقدمها له بعض المتطوعين، إلا أنه مع ذلك قليل المحاسبة لهم كثير التجاوز عنهم إلى حد الإفراط ـ إن صح لنا هذا التعبير ـ ويتضح هذا حينما أَطْلَعَ الأمير وزيرا له على مجموعة كبيرة من الشكاوى ضده، فخشي هذا الوزير على نفسه، ولكنه طمأنه[١٨٣] ثم بين سياسته مع رجال حكومته بقوله: «رب عجلة أعقبت رثيا، وسرعة أورثت

---

(١٧٩) ألوزاد، **الاتجاهات الفكرية**، ص١٦٧.

(١٨٠) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٣٦.

(١٨١) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص١٠٧؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٢.

(١٨٢) أحمد بدر، **دراسات في تاريخ الأندلس**، ص١٤٣.

(١٨٣) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص.ص ١٢٦-١٢٧؛ ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص.ص١٤٧-١٤٨.

ندماً ولبثـا، وليس من شيمتنا الإسراع، ولو كان لكنت أول طـائح بما قد بدا لك من تناصر السعايات عليك . . »(١٨٤).

وربما أن هذه السياسة التي انتهجها الأمير أغرت موظفي الدولة بالانسياق وراء رغباتهم دون مراعاة المصلحة العامـة للشعب، والظاهر أن ما حدث من بعض عمال الولايات يفسر ما نحن بصدده، فلقد شهر بعضٌ منهم بالظلم، والشدة على الناس، والعنف في معاملتهم، والشدة في جباية الأموال(١٨٥).

ولم يجد الأمير محمـد ــ في بعض الأحيـان ـ غضـاضـة في عـزل من عـرف بالنـزاهة والعدل لا لسبب إلا لأنهم تحرجـوا من ممالأتـه في بعض الأمور، ثم يعين آخرين لا هَمَّ لهم إلا تحقيق ما يـرسم لهم، وإن كان في ذلك حيف على الرعية(١٨٦).

ثم إنه ــ أحيانـا ـ أسند بعض الخطط إلى رجـال عرفـوا بالصلف والجور، فلقد ولى على الشرطـة في بعض السنين رجلا فظـا، غليظ القلب(١٨٧)، ثم أَذِنَ لـه فـوق هـذا «بـالتنفيـذ في القطع والصلب بـلا مـؤامـرة منـه، ولا استئذان»(١٨٨)، فظل الناس يتذاكرون تلك الأيام مدة من الزمن(١٨٩).

---

(١٨٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١٤٨.

(١٨٥) انظر على سبيل المثال: ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص٩٩؛ ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص٣٩٣.

(١٨٦) انظر أمثلـة على ذلك في: ابن القـوطيـة، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١٠٠؛ ابن سعيـد، **المغرب**، جـ١، ص. ص ١٥٢-١٥٣.

(١٨٧) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص ٢٠٨؛ القاضي عيـاض، **ترتيب المدارك وتقريب المسـالك لمعرفة أعلام مـذهب مالك**، تحقيق أحمد بكير محمـود، (بيروت: دار مكتبـة الحيـاة)، جـ٣، ص. ص٤٦- ١٤٧. ـ وهـذا الرجل هـو إبراهيم بن حسين بن عـاصم. انظر: تـرجمة له في (القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ص. ص١٤٦-١٤٧).

(١٨٨) الخشني، **قضاة قرطبة**، ٢٠٨. ومن الواضح أن الخشني يقصد بقوله «بـلا مؤامرة منه» أي بلا مشاورة منه.

(١٨٩) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص٢٠٧.

ولقد فَوَّضَ الأمير محمد كثيرا من أمور دولته إلى أخص وزرائه هاشم بن عبد العزيز(١٩٠)، فكان لهذا الأخير دور عظيم في تغيير السياسة الداخلية للدولة الأموية، حيث عَدَلت الحكومة ـ بتأثير منه ـ عن اختيار العمال من الشيوخ والكهول ذوي الخبرة إلى الأحداث الذين يفتقرون إلى الدارية والدربة(١٩١)؛ بل إن هذا الوزير يُتهم بأنه كان يشاطر أولئك العمال الأحداث أرباحهم، «فكان العمال يسمون: المناصفين» ـ كما يقول ابن القوطية ـ (١٩٢). وما من شك أن مثل هذه السياسة وهذا المسلك سيوقع البلاد ـ حتما ـ في تضعضع إداري ومالي، ولن يعاني من أضرار ذلك سوى المحكومين.

ولقد كان لهذا الوزير تدابير قاسية، وتصرفات رعناء أحقدت الرعية على الحكومة الأموية فهو لا يتورع في بعض الأوقات عن اغتصاب أملاك الناس إذا ما رأى منهم تمنعا في بيعها(١٩٣)، ولما خرج قائدا سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م في حملة إلى غربي الأندلس تعامل بقسوة شديدة مع المولدين والنصارى هناك، فصب جام غضبه عليهم بدعوى مناصرتهم للمتمرد عبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي، إلى درجة أنه أَمَّنهم، ثم نكث بعهده، وأجرى لهم امتحانا جائرا، فلم ينج منهم إلا القلة القليلة(١٩٤)، وفي الحملة ذاتها أخذ عدداً من سراة البربر المعتبرين هناك ـ أخذهم بالظنة، وقتلهم بالدعوى السابقة نفسها(١٩٥).

---

(١٩٠) ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص٥٢، جـ٢، ص٩٤.

(١٩١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١٣١.

(١٩٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٦.

(١٩٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٨، ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، ص. ص١٤٨-١٤٩.

(١٩٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص. ص٣٦٢-٣٦٣.

(١٩٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٦٤.

كما أن هاشما وقف ـ أحيانا ـ عائقا أمام حوائج بعض الكور من أن تصل إلى الأمير محمد، فحرمهم من حقوقهم، حتى سخطوا على الدولة، بدليل قعودهم عن مساعدتها أوقات الأزمات(١٩٦).

ويخيل إلينا أنه على الرغم من كل هذه التصرفات التي بدرت من الوزير هاشم فإنه ينبغي ألا نبالغ في تحميله تبعتها كلها، إذ لا بد أن بعضها كان بتوجيه من الأمير محمد نفسه، أو على أقل تقدير كانت تتوافق وسياسته الداخلية.

وكذلك لم يكن رجال البلاط في حكومة الأمير محمد على كلمة واحدة، بل كانت بينهم عداوات صريحة، ودسائس فاضحة(١٩٧)، حتى إن أحدهم ـ ليغيظ الوزير هاشم بن عبد العزيز ـ أساء للمتمرد ابن حفصون بعد أن رضي باللحوق ببلاط الأمير، فكانت النتيجة أن هرب هذا المتمرد وفجر ثورته العارمة في رجال بلاطه، ولم يفعل ـ كما يبدو ـ تجاه ذلك شيئا، بل إنه عالج مشاكسات الوزير هاشم بِنَصْبِ وزيرٍ آخر ضده، حيث نصب الوزير محمد ابن عبد الملك «إزاء هاشم بن عبد العزيز ليكسر منه»(١٩٩).

ولقد ترتب على هذا التفسخ في بلاط الحكومة أن تسربت أخبارها وخططها العسكرية إلى المناوئين لها(٢٠٠)، وأقطع دليل على ذلك ما ذكره ابن

---

(١٩٦) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص١٦٨.

(١٩٧) انظر الأمثلة في الخنشي، **قضاة قرطبة**، ص١٥٩؛ ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص١٤٦، ١٥٢، ١٥٥؛ مجهول، **أخبار مجموعة**، ص١٢٦.

(١٩٨) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١٠٥؛ الونشريسي، **المعيار المعرب**، جـ١٠، ص.ص١١١-١١٢.

(١٩٩) ابن الأبار، **الحلة**، جـ٢، ص٣٧٥.

(٢٠٠) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١٠٢؛ ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، صص. ٣٤٥-٣٤٦، ٣٦١.

حيان(٢٠١) من أن المتمرد عبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي كان «يتعرف أخبار الأمير محمد بالساعات، ويكاتبه بها بعض مَنْ كان يَسْتَنِيم إليه من رجاله، فلا يكاد يغيب عنه شيء من أموره».

وخلاصة القول أن الوضع في الجهاز الإداري للدولة الأموية كان من العوامل المسعرة للفتن في الأندلس في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.

وغني عن القول أن النصارى في الدول المجاورة كانوا يعملون على تأجيج الفتنة داخل أراضي الدولة الأموية في تلك الفترة(٢٠٢)، فملك أشتوريس مثلا رحب بما اقترحه أحد حلفائه المسلمين من تقديم العون لأحد المخالفين للأمويين، ولم يكن ذلك إلا «حرصا على تشتيت المسلمين»(٢٠٣) ويصفه ابن الخطيب(٢٠٤) بأنه «الحريص على ضرب المسلمين بعضهم ببعض».

على أنه لا ينبغي أن نُسْرف في تقدير هذا العامل، لأنه منذ أن وطئت أقدام المسلمين أرض هذه البلاد والقوى النصرانية ما فتئت ــ كلما وجدت منهم ضعفا، أو رأت من نفسها قوة ــ تعمل بجد للنيل منهم، وتقويض دولتهم إما بالقوة العسكرية تارة، وإما بإيواء العاصين للسلطة و إثارة الشقاق في المجتمع الأندلسي تارة أخرى. وقد لا نبتعد عن الحق إذا قلنا إننا في الفترة التي نتحدث عنها لولا وجود العوامل الأخرى التي حركت الفتنة

---

(٢٠١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٥٦.

(٢٠٢) بيضون، الدولة العربية، ص٢٧٤؛ حبيبة، مع المسلمين، ص٢١٠؛ النيلي، البربر في الأندلس، ص١٠٢.

José R. Aguilar, op. cit., p, 144; Luis S. Fernandez, op. cit., p. 48.

(٢٠٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٥٠.

(٢٠٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٦.

لكان أثر النصارى في الخارج في هذه الفترة بالـذات ـ بالموازنة مع نشاطهم في فترات سابقة ـ لكان أثرهم غَيْر خطير.

وهكـذا على مدى العـرض السابق حـاولنا أن نتلمس أهم العـوامل التي انطلقت بسببهـا الفتنـة في الأندلـس إبان النصف الثـاني من القـرن الثـالث الهجري، والتي اشتد أوارها في ربعه الأخير، فكانت هذه العوامل متشعبة في مصـادرهـا، متشـابكـة في غـايـاتها، وكـانت متنـوعـة مـا بين الاجتماعي والاقتصـادي والسيـاسي والإيـديولـوجي، وإن كـان أثـر بعضهـا أفعل من البعض الآخـر في تحريك موجـة الاضطـراب والتمرد ضـد السلطة الحاكمـة المتمثلة في الإمارة الأموية.

الفَصل الثاني

حركات المولدين
وموقف الإمارة الأموية منها

حركات المولدين

المولدون - كما تحدثنا عنهم من قبل - هم أبناء أهل البلاد الأصليين الذين دخلوا في الإسلام، وهناك مَنْ يطلق هذه التسمية على الفئة الناشئة من زواج الفاتحين من العرب والبربر بنساء أهل البلاد[١] وزواج العرب خاصة بنساء أهل البلاد وغيرهم من الأجناس الأخرى[٢]، ولا اعتراض على إطلاق لفظ المولدين على هذه الفئة، إلا أن قَصْرَ هذا اللفظ عليها دون أبناء أهل البلاد الذين أسلموا، وتصنيف تاريخ المولدين في الأندلس ضمن إطارها، إن ذلك - فيما يبدو - ليس من الحق في شيء.

فمن الواضح أن المولدين الذين خلعوا طاعة بني أمية في الأندلس هم أولئك المسلمون الذين يئولون في أصلهم إلى جنس أهل البلاد قبل الفتح الإسلامي، حيث إن آباءهم أو أجدادهم قد اعتنقوا الإسلام، فكان هؤلاء المولدون ذرية من بعدهم لم يعرفوا معتقدا سوى الدين الإسلامي الحنيف[٣]، ويكفي أن نشير هنا إلى قول ابن القوطية عن المتمرد عبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي بأنه «كان من المولدين»[٤] وهو يرجع في أصله إلى بلدة جِلِّيقية[٥].

(١) عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين**، ص ١٢٨؛ العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، ص ١٢٨؛ الحريري، **حركات المولدين**، ص ١٦.

(٢) عبد العزيز عتيق، **الأدب العربي في الأندلس**، ص ١٣٥؛ بيضون، **الأمراء الأمويون**، ص ٥٥.

(٣) انظر - على سبيل المثال - نسب عمر بن حفصون في (ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٠٦؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ ٤، ص ٣٨؛ والتمهيد من هذا البحث) وانظر نسب بني قسي في (ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٥٠٢).

(٤) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ١٠٠.

(٥) الحميدي، **جذوة المقتبس**، ق٢، ص ٤٤٢، السمعاني، **الأنساب**، جـ ٢، ص ٧٨؛ الضبي، **بغية الملتمس**، ص ٣٧١.

على أنه لا يمكن أن ننفي اشتراك المولـدين الذين نتجـوا بفعل التزاوج بين الفاتحين ونساء أهل البلاد ــ لا يمكن أن ننفى اشتراكهم في الفتنة بالأندلس آنذاك؛ لأن أولئك الأبناء الذين كان آباؤهم عربا ـ بحكم التقليد الإسلامي ـ ينسبون إلى آبـائهم العرب[٦]، ونستطيع أن نطبق هـذا على أبنــاء البربـر من النساء الإسبانيات[٧]. ولقـد كـان للعـرب والبربر ــ كما سبق ــ حـركـاتهم التمرديـة الخاصة، ومع هذا كلـه فإن بقاء الـرابطة العاطفيـة بين هؤلاء وبين المولدين ذوي الأصل الإسباني النقي يظل محتملا.

والراصد لحركات المولدين في الأندلـس يلاحظ أنها قد بدأت تظهر للعيان في أواخر القرن الثاني الهجري، وقد اتسم موقف الحكام الأمويين منها بالشدة القصوى[٨]، ولكنهم لم يفلحــوا في اجتثــاث أصلهــا؛ بل ربما أن قمعهم الشديد لها ـ دون أن يعالجوا بواعثها ـ قد وَلَّد تحديا من جانب أولئك المولدين الذين كانوا في تكاثر دائم؛ ولـذا فإن حركاتهم ما زالت تتعاظم حتى وصلت إلى ذروتها زمن الأمير عبد الله بن محمد.

ولقد التفَّتْ بعضُ طـوائف المجتمع الأندلسي حـول المولدين حينما قـاموا بحركـاتهم التمرديـة ضد الدولـة الأمويـة في النصف الثاني من القـرن الثالث الهجري، فكان من البدهي أن يسير في ركـابهم أولئك الذين اعتنقوا الإسلام حديثـا من الإسبان، والـذين كان يطلق عليهـم في التاريخ الأنـدلسي عادة «الأَسالِمة» أو «المُسَالِمة»[٩]. فقد أشار ابن حيان إلى التعاضد بين الطائفتين في

---

(٦) حسين مـؤنس، معالم تاريخ المغـرب والأندلس، ص ٢٧٦؛ أحمد هيكــل، الأدب الأندلسي، ص٣٤؛ دوروثي، إسبانيا، ص ٣٤.

(٧) حبيبة، مع المسلمين، ص ٣٠٥.

(٨) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص. ص ١٢٨-١٣١.

(٩) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٢٨٤، مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٢٨.

قوله عن الفتنة في إلْبِيرة: «وتحزبت المُسَالمة مع المولدين»(١٠)، ويشير في موضع آخر إلى أن أحد زعماء العرب قام بالخروج على الدولة «فتعصب على المولدين والأسالمة»(١١)، كما أن حصون المسالمة قصدها العرب المتمردون في نزاعهم مع المولدين(١٢).

على أنه من المستغرب حقا أن يتحالف المولدون مع النصارى أو العجم ★ في الأندلس، ويصبحوا إلْبا واحداً على الدولة الأموية والعرب؛ حيث إن المولدين في إلْبِيرة قد «تَمَيَّزَتْ إليهم نصارى الذمة»(١٣)، وهناك عدد من زعماء التمرد قد نادوا بالعصبية للمولدين والعجم معا في أماكن مختلفة من البلاد(١٤).

ويبدو أن هذا التحالف ناتج عن أواصر القربى التي كانت تجمع بينهم، كما أنهم كانوا يحسون بالانتماء إلى الأصل الواحد(١٥)؛ فضلا عن كون هذا التقارب قد يطغى عليه اتحاد المصالح بين الرعاع - من كلتا الطائفتين - أكثر من أي شيء آخر.

ولقد انتشرت حركات المولدين في مختلف أنحاء الأندلس إبان الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ويمكننا أن نُصَنف حركات كل إقليم على حدة،

---

(١٠) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٥١.

(١١) ابن حيان، المقتبس، ص ٦٧.

(١٢) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٤٩.

★ كان الجاري لدى عرب الأندلس أن يطلقوا لفظ العجم أو نصارى الذمة على المستعربين النصارى من أهل البلاد، (مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٢٨)، وربما أن هذا اللفظ لا يقصد به المستعربون فحسب بل يشمل أولئك الذين لم يستعربوا.

(١٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥١.

(١٤) ابن حيان، المقتبس، صص. ١٦، ٢٤، ٢٧، ٦١، ١٢٨؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص. ص ١٤٨، ١٥٩.

(١٥) حبيبة، مع المسلمين في الأندلس، ص ٣٠١.

فندرسها كالتالي : ـ

- ـ حركات المولدين في جنوبي الوادي الكبير.
- ـ حركات المولدين في تُدْمِير شرقي الأندلس .
- ـ حركات المولدين في المناطق الغربية من الأندلس .
- ـ حركات المولدين في الثغر الأعلى الأندلسي .

أولا: حركات المولدين في جنوبي الوادي الكبير ★:

جابه الأمير عبد الله بن محمد عدداً من المعارضين لسلطته في المناطق الواقعة جنوبي نهر الوادي الكبير، وقد كانوا في أغلب حالاتهم يداً واحدة ضد حكومة قرطبة، بل إن عمر بن حفصون ـ أعتى المعارضين للدولة ـ قد بسط نفوذه في بعض الأحايين على جل هذه المناطق منطلقا من قاعدته بُبَشْتْر في كورة رَيُّة . ولقد صرف الأمير عبد الله معظم جهده على مدى حكمه ـ الذي امتد ربع قرن من الزمان ـ لكسر شوكة هؤلاء المتمردين، وإعادة السيطرة الأموية على هذه البقاع .

وستتناول هنا أبرز الحركات التمردية للمولدين في الجنوب الأندلسي والتي تركزت في عدد من الكور، مثل كورة رَيُّة ، وكورة جَيَّان، وكورة إِلْبِيرَة .

ا ـ عمر بن حفصون في كورة رَيُّة

بدأت ثورة عمر بن حفصون في كورة رَيُّة ـ كما تحدثنا سابقا ـ في أواخر

★ نهر الوادي الكبير: ويعرف أيضا بالنهر الأعظم، وبنهر قرطبة، وكان يسمى قديما نهر بيطي، ويبلغ طوله ثلثمائة وعشرة أميال. (ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٩، كولان، الأندلس ـ من كتب دائرة المعارف الإسلامية (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠م)، ص ٧٦)، وهذا النهر يروي أكثر أراضي السهل الجنوبي، ويمر بمدينتي قرطبة وإشبيلية ثم يصب في المحيط الأطلسي، ولا يزال الإسبان يسمونه ـ إلى اليوم ـ كما كان العرب يسمونه، ولكن بتحريف يسير فيقولون :Guadalquivir (أحمد هيكل، الأدب الأندلسي، ص ١٨).

عهد الأمير محمد فلم يتمكن من سحقها رغم المجهـود الذي بذله، فلما تولى الأمير المنذر من بعـده الحكم كانت هـذه الثورة شغلـه الشاغل، فضيق على صاحبهـا، ولكنه ــ أيضا ـ لم يكتب لـه النجاح في القضـاء عليها★، فورث عقابيلها الأمير عبد الله، وما زالت أكبر هَـمه طول ولايته كما سنرى.

ولقد استفاد ابن حفصون أيما فـائدة من ذلك التداول السريع للسلطة بين حكام الـدولة الأمـوية، فطفق يعمل جـاهدا لتحقيق طمـوحاتـه، إذ أنه في الفترة التي ظهر فيهـا تعاقب على الحكم في قرطبـة ثلاثة من الأمـراء الأمويين فكان انتقال السلطة يقتضي من الأمير الجديد أن يصرف طـرفا من وقته لأخذ البيعة، ومن ثم النظر في شئون الدولة الإدارية والمالية (١٦) التي قد تستغرق ـ في بعض الأحيان ـ زمناً غير قصير، فضلا عن أنه قد تُستدعى قـوات الدولة العسكرية إلى العاصمة حتى تستقر الأمور للحاكم الجديد.

وفي حالـة ابن حفصون تـوافق أن كانت القوات الـرسمية تحاصره عنـدما توفي الأمير محمـد، وفوق ذلك كـانت تحت إمرة ولي العهـد ـ آنـذاك ـ الأمير المنذر، فلم يكن أمامه إلا أن يفك الحصار عنه، ويعود على جناح السرعة إلى العاصمة، فاهتبل هذا المتمرد الفرصة لتقوية شأنه، وإعزاز جانبه، ثم إنه ما إن صمم هذا الأمير على قمع حركته حتى تكـررت العملية مرة أخرى، ولكن في ظروف أكثر توفيقا لعمـر بن حفصون أيضا، حيث إن الأمير المنذر نفسه ـ وهو على رأس السلطة ـ قـد مات عند أسوار معاقله، وكـان أخوه الأمير عبد الله قد قـدم إلى معسكر الجيش الـذي أصبح حينئذ في أمـر مَريج بعـد شيوع خبر وفاة حاكـم الدولة★★، فكـان على الأمير الجديـد أن يـرْأَبَ الصـدعَ،

★ انظر التمهيد من هذا البحث، والفصل الأول منه أيضا.

(١٦) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٤٤.

★★ انظر الفصل الأول من هذا البحث.

وينسحب بالجيش إلى قرطبة ليتمكن من الحصول على البيعة العامة، فأفاد ابن حفصون من هذه الظروف، حيث هاجم بشراسة الجموع المنسحبة إلى درجة أن الأمير عبد الله اضطر إلى أن يسأله الكف عن مهاجمته(١٧).

ولقد وفق عمر بن حفصون في اختيار مكان قاعدته التي اعتصم بها، حيث إنه التجأ — كما سبق أن أشرنا — إلى حصن بُبَشْتْر في كورة رَيُّة، ومن الواضح أن هذا الحصن كان في جبل هذه الكورة (١٨)★ الذي يقع ضمن سلاسل الجبال الجنوبية في الأندلس(١٩).

وقد وُصف هذا المعقل — أعني بُبَشْتْر — بأنه شديد الامتناع، قوي التحصين. «تزل عنه الأبصار، فكيف الأقدام!» — على حد تعبير الحميري — (٢٠)، حيث إنه قد شُيِّد على صخرة عالية، مُنْقطعةٍ من جميع النواحي(٢١)، ولم يكن له غير بابين لا سبيل إلى الوصول إليهما إلا عبر شعْبٍ وعر محاذٍ للنهر(٢٢)، ولهذا فقد كان الصعود إليه في غاية الصعوبة(٢٣) وفوق ذلك كانت المنطقة التي أقيم فيها هذا المعقل موغلةً في داخل الجبال، لا يمكن ولوجها إلا من خلال خوانق وعرة، بعضها لا يحتمل سوى المرور بتؤدة

---

(١٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢.

(١٨) البكري، جغرافية الأندلس، ص ٨٤.

★ جبل رَيُّة هو ما يعرف بـ Sieera de Málaga (حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس – ط٢. – (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٦٤.

(١٩) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٧٠.

(٢٠) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٧.

(٢١) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦، ابن غذاري، البيان، جـ٢، ص ١٩٦.

(٢٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٧.

(٢٣) الإدريسي، صفة المغرب، ص ٢٠٤.

لاثنين أو ثلاثـة معا(٢٤)، بل إن هـذه المنطقـة عـامـة بها تحويـه من «جبـال ووهاد، ومنحنيـات ومنعرجات، لو اختبأ فيهـا اليوم قاطعُ طـريق فلا سبيل إلى إدراكه»(٢٥).

هـذا من ناحيـة، ومن نـاحيـة أخرى، فإن الممتنعين بهذا الحصن قـد لا يتعرضـون لضائقة اقتصـادية، ذاك أن سطح الصخـرة التي بُني عليها معقل بُبَشْتَر كان غنيـا بالماء وفير الشجـر والثمر(٢٦)، ليس هــذا فحسب؛ بل إن هناك العديد من القرى والحصون المحيطة بهذا المعقل التي كانت هي الأخرى كثيرة المياه، غاصة بالأشجار، مترعةً بأنواع الثمار(٢٧).

ثم إن عمر بن حفصون قد نجح في اجتذاب الأتباع، وحشد الأنصار من كل أوب وجهـة، فلقد كـانت دعوتـه التي رددهـا أبداً تـوافق في ذلك الحين هوًى في نفوس قطاع كبير من سكان الأنـدلس، فمن أقواله التي حرص على نشرهـا قولـه «طالما عَنف عليكم السلطـان، وانتـزع أموالكم، وحملكم فـوق طـاقتكم، وأذلتكـم العـرب، واستعبـدتكم، وإنما أريـد أن أقـوم بثأركم، وأخرجكم مـن عبوديتكم»(٢٨) ومن المعـروف أن لمثل هــذه الـدعـوات التي يشيعها عادة أولئك المعـارضون للسلطات ـ أن لها بريقا جـذابا، ووقعاً فعالا في نفوس الناس، ولـذا فإن ابن حفصون كان لا يوردها «على أحـدٍ إلا أجابه وشكره» ـ كما يقول ابن عذاري ـ(٢٩).

---

(٢٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٩.

(٢٥) مؤنس، رحلة الأندلس، ص ٢٤٩.

(٢٦) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٧.

(٢٧) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٧.

(٢٨) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١١٤.

(٢٩) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١١٤.

ولقد تعود معظم المؤرخين الأندلسيين أن يسموا أكثر شيعة ابن حفصون بأنهم من «أهل الباطل، ومبتغي الفساد في الأرض»[٣٠] وبأنهم «شُطار الناس وشرارهم»[٣١]. ولا ينبغي من باب الإنصاف التسليم بهذا الوصف «لأن أولئك المؤرخين ـ فيما يبدو ـ كانوا يمثلون غالبا وجهة النظر الرسمية التي تتمثل في سلطة الأمويين، ثم إن هؤلاء المؤرخين أنفسهم ذكروا أن المناطق التي أحكم ابن حفصون قبضته عليها قد خيم الأمن في ربوعها حتى «إن المرأة . . . تجيء بالمال والمتاع من بلد إلى بلد منفردةً لا يعترضها أحد من خلق الله»[٣٢]، وهذا الانضباط التام ـ وإن كان يرجع بالدرجة الأولى إلى ما اتخذه عمر من إجراءات صارمة وقوانين قاسية ضد مَنْ تحدثه نفسه بالعبث والفساد[٣٣] ـ إلا أنه يعكس الصورة التي كان عليها أتباع ابن حفصون، فلو كانوا ـ كما وصفوا ـ لنزعت نفوسهم المتعودة على الفساد والشر إلى الانفلات وخرق النظام.

ولقد كان لعمر بن حفصون من الصفات ما يجعله محط إعجاب العديدين، منها أنه «كان جلدا شجاعا»[٣٤]، كما أنه قد انتهج مع أصحابه المقربين خاصة ومع أتباعه عامة نهجا حظي على إثره بتأييد كثير من الساخطين على الأمويين آنذاك، فقد كان يخفض جناحه لأصحابه، ويتألف قلوبهم كما كان يكرم مَنْ عُرفوا بالشجاعة من أنصاره، حتى إنه كان

(٣٠) الونشريسي، المعيار المعرب، جـ١٠، ص ١١٢.

(٣١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١١٤.

(٣٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١١٤.

(٣٣) الونشريسي، المعيار المعرب، ص ١١٢.

(٣٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ق٢، ص ٤٧٦؛ الضبي: بغية الملتمس، ص ٤٠٦.

يُسَوِّرهم ــ أحيانا ــ بأسورة الذهب تقديرا لهم[٣٥]، وعلاوة على هذا فقد ضرب المثل في العدل بنفسه وأسرته، فلا يتوانى في أخذ الحق من ابنه[٣٦]، كل هذه الخلال وما أوردناه سابقا من غشيان الأمان في أرجاء الأقاليم التي كان قد أصَّل فيها سلطانه ـ كلها تعد من أسرار نجاح حركة ابن حفصون في الجنوب الأندلسي، فأصبحت بذلك «سَمَرَ الركابِ، وحديث الرِّفاق»[٣٧].

كانت الدولة الأموية تمر بفترة عصيبة من تاريخها حينما آلت السلطة إلى الأمير عبد الله، فكان عليه أن يواجه الكثير من المتمردين الذين نجموا في أماكن مختلفة من البلاد، فلقد «امتلأت الأندلس بالفتن، وصار في كل جهة متغلب»[٣٨].

ولقد كان من المرتقب أن ينصرف هَمُّ الأمير عبد الله ــ منذ المبايعة له بالحكم في قرطبة ــ إلى عمر بن حفصون وحركته التي عَجَّتْ في جوانب الجنوب الأندلسي، فبادر بُعَيْد تقلده أمر البلاد إلى إرسال إبراهيم بن خمير أحد القواد الأمويين بصفته مبعوثا له ليتعرف على نوايا هذا المتمرد، وليطلب منه البيعة، فقدَّم ابنُ حفصون بيعته للأمير عبد الله، إلا أنه أَشْخَص مع ذلك المبعوث ابنه حفصاً وثلة من أصحابه ليفدوا على الأمير في قرطبة، فلما وصلوا إلى هذا الأخير رحب بمقدمهم، واحتفى بهم، وأكرم مثواهم، ثم خلع عليهم الأعطيات والهدايا قبل عودتهم[٣٩].

---

(٣٥) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١١٤، ١١٥.

(٣٦) ابن عذاري، **البيان**، ص ١١٥.

(٣٧) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٤، ص ٤٠.

(٣٨) الحميدي، **جذوة المقتبس**، ق٣، ص ٤١؛ ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص ٤٣٥.

(٣٩) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٥٠؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص. ص ١٢١-١٢٢، ١٣٢.

وفي تلك الأثناء أصدر قراراً بتعيين عمر بن حفصون والياً على كورة رية بالاشتراك مع والٍ آخر يدعى عبد الوهاب بن عبد الرؤوف كان قد أمره بالتوجه إلى تلك الكورة(٤٠).

ويبدو أن تلك الزيارات التي تمت بين مندوبي الطرفين، وما جرى فيها من محادثات قد تمخضت عن ذلك الاتفاق الذي يقضي بإشراك ابن حفصون في حكم كورة رَيُّة بشرط أن ينهي معارضته للحكومة الأموية(٤١)، فكان هذا اعترافا صريحا من الأمير عبد الله بنفوذ هذا المتمرد في الجنوب الأندلسي(٤٢).

والظاهر أن طموحات ابن حفصون كانت أكبر بكثير من الرضا بالمشاركة في حكم كورة من كور الأندلس فقط، ولكنه أظهر رضاه ـ فيما يبدو ـ عن ذلك الإجراء لأنه رأى فيه فسحة من الوقت ليعيد بناء قوته التي تضررت أعظم الضرر في مواجهات سابقة مع حكومة قرطبة، وليسعى أيضا إلى نشر ادعاءاته المضادة للأمويين وتعميقها في النفوس.

ولم تمضِ بضعة شهور حتى خاس بالعهد، ونبذ الطاعة، وعاد إلى سيرته المعهودة ضد الدولة الأموية، فبث غاراته في أنحاء كورة رية نفسها، ثم فيما حولها من أقاليم(٤٣)، كما وجه شمالا أحد قواده الأشداء ـ وهو حفص بن المرة ـ على رأس جيش كثيف، فقام بالهجوم على كورة إِسْتِجَّة★، وما يليها من أعمال قرطبة، حينئذ لم يجد الأمير عبد الله بُدا من الرد عليه، فأخرج إليه

(٤٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٠.

(٤١) الحريري، حركات المولدين، ص ٦٣، ٦٤.

(٤٢) أنيس زكريا النصولي، **الدولة الأموية في قرطبة** (بغداد: المطبعة العصرية، ١٩٢٦)، جـ ١، ص ٨٥، Joaquin Valvés, op. cit., p. 148.

(٤٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٠، ٥٢؛ ابن عذاري، **البيان** جـ ٢، ص ١٢٢.

★ إِسْتِجَّة: Ecija كورة تقع بين كورتي رَيُّة وقرطبة (ياقوت، **معجم البلدان**، جـ ١، ص ١٧٤)، وهي الآن مركز تابع لمقاطعة إشبيلية (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٤٢٥، تعليق ٣٧).

جيشا بقيادة عبد الملك بن مسلمة الباجي، ولكن قوات ابن حفصون تمكنت من هزيمة هذا الجيش، وقتلت قائده عبد الملك، وذلك في معركة جرت بين الطرفين من أحواز إقليم أُشُونَة(٤٤) أحد الأقاليم الجنوبية لكورة إِسْتِجَّة(٤٥).

وبعد أن تحقق ابن حفصون من ضعف الإمارة بعد هذا الانتصار الكبير الذي أحرزته قواته طرد عامل الأمير عبد الله المشارك له في حكم كورة رَيُّة(٤٦)، وبدأ يتطلع لضرب قرطبة ذاتها(٤٧).

إزاء هذه الانتهاكات الصارخة من جانب عمر بن حفصون تحرك الأمير عبد الله بنفسه إليه في بحر العام الثاني من ولايته ـ أي في عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م ـ فقصده في حصنه بُبَشْتْر وضرب عليه الحصار أياما، وانتسف ما حول الحصن من مزارع، وعند قفوله إلى عاصمته قرطبة ترك عاملا على كورة رَيُّة(٤٨).

وطبقاً للخطة التي طالما أتقن تنفيذها ابن حفصون بنجاح ـ وهي الانكماش داخل معقله المنيع عند قدوم قوات الدولة، ثم العودة بعد قفولها لمد سلطانه على أراضيه السابقة(٤٩) ـ طبقا لذلك خرج على إثر جيش الإمارة، وبدأ يعمل لبسط نفوذه على كورة إستجة، حيث تعاقد مع أهل

---

(٤٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥١.

(٤٥) الإدريسي، صفة المغرب، ص ٢٠٦، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٦.

(٤٦) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٥١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٩.

(٤٧) أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس (ليبيا ـ تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م)، ص ١٢٦.

(٤٨) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٥٣، ٥٤.

(٤٩) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٤٤.

بعض نواحيها، واحتل أُشبونة وإِصْطَبّة(٥٠)★، بل إن أهل حاضرة إستجة نفسها قدموا طاعتهم له(٥١)، ولهذا كله انزعج الأمير عبد الله غاية الانزعاج فبعث جيشاً لمواجهة هذا الوضع الجديد، إلا أن ابن حفصون طلب الأمان والصلح، فسارع الأمير عبد الله، بإعطائه إياه(٥٢)، بل إنه ـ فوق ذلك ـ أسند إليه ولاية كورة رية للمرة الثانية(٥٣).

إن هذا التصرف الأخير الذي صدر عن الأمير عبد الله ــ والذي يظهره وكأنه يخطب وُدَّ ابن حفصون ــ يعكس مدى الضعف الذي انتاب الإمارة الأموية، ذاك أنه لم يكن ليخفى ــ بالطبع ــ على الأمير عبد الله ورجال حكومته تلك الأساليب الماكرة التي كان يسلكها هذا المتمرد منذ بداية حركته؛ فضلا عن كونه لم يَمْضِ وقت كثير على نكثه للميثاق الذي كان الأمير عبد الله نفسه قد أبرمه معه، ولذا من المعقول أن نقول بأن الأمير قد اضطر إلى مداراة عمر بن حفصون نظرا لما كانت تعانيه دولته من تدهور مالي مَرِيعْ أثَّر على كل نشاطاتها؛ فلقد كانت الموارد التي ترفد خزينة الدولة قد انخفضت جدا بسبب تلك الفتن المنتشرة في أنحاء البلاد، وبسبب انقطاع جباية عدد من الأقاليم، زد على ذلك أن المدخرات المالية ــ وقتذاك ــ قد نفِدت، إذ أن الدولة قد أنفقت قبل حكم الأمير عبد الله مصروفات ضخمة في سبيل إخماد تلك التمردات المتنامية(٥٤)، ولذا قَلل هذا الأمير من

(٥٠) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٢٢؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٢٨.

★ وإِصْطَبَّةُ: مدينة تبعد عن قرطبة بمقدار خمسة وثمانين ميلا. (الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ٢٣).

(٥١) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٥١.

(٥٢) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٢٢؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٢٨.

(٥٣) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٥٤.

(٥٤) النويري، **نهاية الأرب**، جـ ٢٣، ص. ص ٣٩٥-٣٩٦؛ ابن خلدون، **تاريخه**، جـ ٤، ص ١٧٠.

أعطيات الجند، الأمر الذي جعلهم يزهدون فيه، فتخلى عنه العديد منهم(٥٥).

وبينما كانت الإمارة تَمُرُّ بتلك الظروف الحرجة إذ نشبت خلافات بين الأمير عبد الله وابنه الأكبر محمد الذي استجار بعمر بن حفصون فأجاره، ولم يعد إلى قرطبة إلا بعد أن أَمَّنَهُ والده، ولكنه لم يلبث أن سجنه، ثم قتل في سجنه بعد ذلك في سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م(٥٦).

فلعل هذه الأوضاع المالية المتردية للإمارة، وما ترتب عليها من آثار، وكذلك الانشقاق في البيت الأموي، والتجاء الولد محمد إلى عمر بن حفصون بالذات ـ لعل كل هذا حدا بالأمير عبد الله أن يصانع ابن حفصون تلك المصانعة التي ذكرناها آنفا.

وبعد أن سارع الأمير عبد الله بعقد ولاية كورة رَيُّة لهذا المتمرد، خفت هيبة الإمارة في قلبه، وأصبحت أعماله تميل إلى الاستهانة بها؛ بل ربما أنه بدأ يخطط جِدياً في تقويض عرش الأمويين في الأندلس، فنشاطاته العسكرية في ذلك الحين كانت تنم عن محاولة لتحقيق هذه الغاية.

فأول المناطق التي توجه إليها هي الأراضي الواقعة إلى الجنوب من مركزه بُبَشْتْر، فقد هاجم ـ وهو يدعي أنه على الطاعة ـ بعض حصون كورة الجزيرة الخضراء، فتمكن من احتلالها ثم حاصر حاضرتها(٥٧)، ومع أنه عجز عن الاستيلاء عليها إلا أنه نجح ـ فيما يبدو ـ في تأليب أهل هذه الكورة على الأمير عبد الله، إذ ما إن ابتعد عنهم قليلا حتى خلعوا طاعة الإمارة، وعصى

---

(٥٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٣٣.

(٥٦) ابن الأبار، الحلة، جـ ٢، ص. ص ٣٦٧-٣٦٨؛ ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص. ص١٧٥-١٧٦.

(٥٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٨٩-٩٠.

بعصيانهم أهل كورة شَذُونَة(٥٨) التي كانت أعمالها متصلة بالكورة السابقة(٥٩).

وقبل أن يغادر ابن حفصون هذه المناطق عمل على التخلص من بعض الشخصيات المنافسة له فيها(٦٠)، وبذا اطمأن ـ قبل أن يتجه شمالا ـ إلى أن المناطق الجنوبية إذا لم تكن تحت طاعته فإنها على الأقل مخالفة للسلطة الأموية فضلا عن اطمئنانه إلى عدم وجود منافسين بارزين له فيها.

ولقد توافق آنذاك أن اشتد عبث المتمرد سعيد بن مَسْتَنَة ★ في الأطراف الشمالية الغربية من كورة إلْبِيرَة(٦١)، فاستغاث الناس بالأمير عبد الله، فجند جيشا بقيادة إبراهيم بن خمير لتأديبه، كما طلب من ابن حفصون ـ بحكم طاعته له ـ أن يشارك في مقاتلة ابن مَسْتَنَة، فبادر في الالتحاق بقواته مع قوات الإمارة(٦٢).

ويبدو أن ابن حفصون وجد في ذلك نُهْزة لدعم مخططاته التي شرع في تنفيذها؛ ذلك أنه ما إن التحق بالمعسكر الأموي حتى كتب إلى ابن مستنة يحثه على إخلاص الدعوة المولدية ضد العرب(٦٣)، والتي كان ابن حفصون نفسه قد أخلص في سبيلها(٦٤).

ويظهر أن القواد الأمويين في الجيش لم يكونوا قد تبينوا نوايا ابن حفصون

---

(٥٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٠.

(٥٩) ياقوت، معجم البلدان، جـ٢، ص ١٣٦.

(٦٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٠.

★ سوف نتطرق ـ إن شاء الله ـ إلى هذه الشخصية فيما بعد.

(٦١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٦.

(٦٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ٩١.

(٦٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩١.

(٦٤) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٥٩.

بَعْدُ، إذ أنهم في تلك الأثناء قد أسندوا إليه القيادة العليا في الجيش كله[٦٥]، ربما كان طمعا في إخلاصه للدولة، أو أن مَقَامَه آنذاك كان يحتم عليهم أن يجعلوه القائد الأعلى.

وعلى أي حال فقد اغتنم ابن حفصون هيمنته تلك على الجيش في صرف مَعرَّتِه عن ابن مَسْتَنة، ثم جال به في معظم أرجاء كورة إلبيرة، وكان لا يمر في مكان إلا أعز المولدين فيه وأذل العرب، ولما أبدى القائد الأموي إبراهيم ابن خمير اعتراضه عليه مَوَّهَ له بالاعتذار، وإن كان لم يغير من سلوكه شيئا؛ بل إنه لم يلبث أن كشف نواياه المبيتة، وجاهر بعصيان الإمارة بعد تلك الجولة التي نظمها في مناطق إلبيرة، وقبض على عدد من القواد الأمويين، وكان منهم القائد ابن خمير[٦٦]، وكأنه بمسارعته إلى خلع الطاعة قد تحقق من ضعف قبضة الإمارة على المناطق التي مَرَّ عليها؛ فضلا عن كسبه لتأييد المولدين فيها.

ويبدو أن النجاح الذي أحرزه عمر بن حفصون قد جرأه على أن يتقدم شمالاً إلى أراض جديدة، فدخل كورة قَبْرَة، حيث حاصر حاضرتها بَيَّانَة★، فلما استعصت عليه لاطف أهلها، وأعطاهم الأمان حتى تمكن من مدينتهم، عندئذ غدر بهم «وقتل جماعة منهم وأصاب أموالهم، وسبى ذراريهم»[٦٧].

فلعله بفعله القاسي هذا قصد أن يُشيع الفزع في نفوس أهل هذه المناطق ليسهل عليه إخضاعها؛ خاصة وأن أراضي قَبْرَة كانت تتصل بأحواز كورة

---

(٦٥) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٩١.
(٦٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩١.
★ بَيَّانَة Baena تقع في شرقي كورة قبرة (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٥٩).
(٦٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩١.

قرطبة(٦٨)، إذ لم تكن بَيَّانة تبعد عن قرطبة العاصمة سوى ثلاثين ميلا فقط(٦٩).

وكان قد وقع في العاصمة الأموية أَزْمة حادة بين الأمير عبد الله والمستعربين النصارى فيها، حيث شكلوا كتلة واحدة ضده، واتجهوا بعواطفهم نحو ابن حفصون ثم بدأ زعيمهم شربند بن حجاج★ يدبر لحركة عصيان، ولكن خبرها ـ فيما يبدو ـ قد تسرب إلى الأمير عبد الله قبل استحكامها، فعالجها بحزم(٧٠)، وقبض على بعض مَنْ تورطوا فيها؛ بيد أن شربند نفسه تمكن من الفرار والاعتصام بحصن بُلاي(٧١)★ في الشمال الغربي من كورة قَبْرَة(٧٢).

وبعد أن احتل ابن حفصون مدينة بَيَّانَة توجه بما غَنِمَه من أموال ومتاع إلى حصن بلاي فدخله(٧٣)، والظاهر أن شربند هو الذي استدعاه إلى هذا

(٦٨) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٣.

(٦٩) ياقوت، معجم البلدان، جـ ١، ص ٥١٨.

★ شربند بن حجاج أو حسان القومس أحد رجال الدين الذين كانوا يتملقون الإمارة الأموية حينما كانت في موقف قوة، حيث حاول أن يكسب ثقة الأمراء الأمويين بطرق امتعض منها المتطرفون النصارى، وبعد أن أضحى الأمير عبد الله في موقف لا يُحسد عليه قَلَبَ له ظَهْرَ المِجَنِّ ـ كما أوردنا في المتن ـ (أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٥٢). ويذكر بروفنسال أن ما قلناه عن شربند بن حجاج إنما ينطبق على والده حجاج الذي كان يسمى ـ أيضا ـ شربند بجانب اسمه حجاج، أما شربند الابن فلا يعدو عن كونه هاربا من وجه العدالة في قرطبة بعد ارتكابه جريمة القتل فيها (Provencal, op. cit., pp. 235 - 236).

(٧٠) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٥٣.

(٧١) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص. ص ٩١-٩٢.

★★ بُلاي Poley قلعة حصينة تبعد عن قرطبة حوالي خمسين كيلومترا إلى الجنوب الغربي منها (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٥٥٧، تعليق ٣٨٠؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ٦٠)، وتقوم اليوم على أطلالها بلدة Aguilar de la frontéra (دائرة المعارف الإسلامية، مادة بلاي، م ٤، ص ٧٤). (Francisco de Paula Villa-Real, op. cit., p. 182.

(٧٢) الإدريسي، صفة المغرب، ص ٢٠٦.

(٧٣) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٩١.

الحصن(٧٤) ليعملا معاً ضد السلطة الأموية، ذاك أنه ما إن حل ابن حفصون به حتى أسند مهمة شن الغارات على قرطبة إلى شربند هذا(٧٥).

ولقد صادف في تلك الآونة أن بلغ النزاع بين العرب والمولدين في إلبيرة حدا خطيرا حيث إن زعيم العرب فيها ـ سوار بن حمدون الذي سنتطرق إليه عند حديثنا عن حركات العرب ـ قد هاجم ـ وهو على طاعة الأمير عبد الله ـ عددا من الحصون الموالية لابن حفصون (٧٦) التي كانت ـ فيما يظهر ـ قد قَدَّمت فروض الطاعة والولاء له بعد جولته في أرجاء كورة إلبيرة المشار إليها سابقا.

ولقد غضب المولدون في حاضرة إلبيرة لهذا الاعتداء الذي شنَّه العرب، وتجمعوا في أعداد غفيرة للرد عليه، ولكن العرب هزموهم هزيمة مَاحِقة(٧٧)، فما كان منهم إلا أن استنجدوا بعمر بن حفصون، فخف إليهم بجيشه، ثم اشتبك مع العرب الذين اتحدوا فيما بينهم، فكانت الهزيمة عليه هو الآخر، ليس هذا وكفى؛ بل إنه أصيب في هذا الاشتباك حتى أَثْخَنته الجراح، وكاد سوارٌ أن يقضي عليه(٧٨)، ولعل ابن حزم حينما أشار إلى أن ابن حفصون قد تلقى ضربة في يده اليمنى، فأصبح عاجزا عن الأكل بها مع أنه «عاش بعد ذلك ثلاثين سنة»(٧٩) ـ لعل ابن حزم حينما أشار إلى ذلك كان يعني بعض ما حدث له في هذه الموقعة بالذات(٨٠).

---

(٧٤) Luis S. Fernandez: op. cit., p. 56.

(٧٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٢، ١٠٢.

(٧٦) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٤، ص ٢٧١.

(٧٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٧.

(٧٨) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٤، ص. ص ٤٠، ٢٧١-٢٧٢.

(٧٩) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٢؛ مجهول، نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، جـ ١ (منتخبة من كتاب مفاخر البر بروفنسال (الرباط ، : إ. ليفي بروفنسال، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م)، ص. ص ٧٨-٧٩.

(٨٠) الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٢٦.

والظاهر أن هـذه الهزيمة ـ على الرغم من فـداحتها ـ لم تغير في خطط ابن حفصون التـي كان قـد رسمها(٨١)؛ ذلك أنـه كَرَّ على مـدينة إلبيرة، فأغـرم أهلهـا، وقبل أن يعـود إلى قـاعـدتــه بُبَشْتَر استعمل عليهم قـائده المخلص حفص بن المرة، وأوكل إليه مغـاورة سوار بن حمدون للانتقـام منه(٨٢)، فلم يمر إلا بعض الـوقت حتى نجح هذا القائد في مهمته، وقتل سـواراً في صدر عام ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م(٨٣)، وبقتله ردّ ابن حفصون اعتباره في منطقة إلْبِيـرة.

وفي تلك الأثنـاء قام أحد المولـدين ـ وهـو خير بن شاكـر ـ ★ بمعارضة السلطة الأموية في حـاضرة جَيَّان، وأظهر ولاءه لابن حفصون(٨٤)، فلما علم الأمير عبد الله بخبره بـادر بإرسال البعـوث نحوه، ولكنـه لم يستطع أن يقضي عليه(٨٥).

ويظهر أن اهتمام الأمير عبد الله بأمر هذا المتمـرد الجديد منذ الوهلة الأولى قد جاء بسبب خشيتـه الشديدة من توحيد جهـوده مع ابن حفصون للهجوم على قـرطبــة؛ خـاصـة وأن جيــان كـانت تجاور الأراضي التي يحتلهـا ابن حفصون، كما أنها كانت تقع إلى الشرق من قـرطبة، ولا تبعد عنها كثيراً(٨٦). ولذا فإن الأمير عبـد الله أثناء محاولتـه القضاء على ابن شـاكر قـد حرص على الإيقـاع بينـه وبين ابن حفصــون، حيث دس على هـذا الأخير بأن خير بن شاكـر يوالي دَيْسَم بـن إسحاق★★ أحـد المتمردين في شرقي الأنـدلس(٨٧)،

---

(٨١) Luis. S. Fernandez, op. cit., p. 56.

(٨٢) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٦٠؛ ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٤، ص ٤٠.

(٨٣) ابن الأبار، الحلة، جـ ١، ص ١٥٤.

★ سنتكلم عن خير بن شاكر عند الحديث عن ثوار جيان من المولدين.

(٨٤) ابن عذاري، البيان، ص ١٣٦.

(٨٥) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٩٢.

(٨٦) اليعقوبي، البلدان (ليدن، ١٨٩١م)، ص ٣٥٥؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥.

★★ ستتحدث عن هذا المتمرد في صفحات قادمة إن شاء الله.

(٨٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٤.

وربما أن ابن حفصون قد تحقق من ذلك، فوجد أن ابن شاكر كان بالفعل لا يمحضه الولاء، لأنه كان يميل إلى ديسم بن إسحاق(٨٨).

والمتتبع لسياسة ابن حفصون في هذه الفترة بالذات يَظْهر له أنها كانت ترمي إلى القضاء على كل اتجاه في منطقة جنوبي الوادي الكبير يخالف اتجاهه مهما كانت هويته، وعلى هذا الأساس فقد ضاق بالازدواجية التي كان عليها ابن شاكر في ولائه، وبالأخص أنه كان يوالي ديسم بن إسحاق أحد جنوده الذين كانوا قد انشقوا عنه(٨٩).

ولذلك كله فقد تحايل ابن حفصون على ابن شاكر وقتله عام ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م، ثم بعث برأسه إلى قرطبة، وتَزْعم بعض المصادر أن ابن حفصون فعل ذلك تقربا منه للأمير عبد الله، وإيهاماً له بأنه مستمسك بالطاعة(٩٠)، ولكن الذي يبدو أن ابن حفصون لم يقصد من فعله التقرب إلى الأمير عبد الله أو التظاهر له والطاعة، لأنه كان قد بلغ - آنذاك - من السطوة والنفوذ ما يجعله غير عابئ برضا الإمارة عنه، والتي كانت في المقابل تعيش في ظروف سيئة جدا، ولعل ابن حفصون قصد بعمله ذلك أن يضغط على الأمير عبد الله من الناحية النفسية، فيخلخل صموده ومقاومته، ويدمر الإرادة القتالية لرجاله، ويزعزع الثقة في نفوسهم، حيث إنه قد قضى على مَنْ عجزوا هم عن القضاء عليه.

وعلى أي حال فقد سارع ابن حفصون في ضم جيان بعد قتله لابن شاكر؛ إذ سار إليها ودخلها، «فأغرم أهلها الأموال الجسيمة»(٩١).

وبذا أمسى عمر بن حفصون الرجل الأول في المناطق الواقعة جنوبي

---

(٨٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٤.

(٨٩) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١١.

(٩٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٢٣.

(٩١) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٢٣.

الـوادي الكبير، ومـا زال يجتهد في تعميق نفـوذه فيهـا حتى «استشرى داؤه، وأعيا أمره، وأحدق ملكه بقرطبة»(٩٢)، وقد اتخذ من مدينـة إِسْتِجَّة عاصمة له(٩٣)، ومن حصن بُـلاي مـركـزا لتسليط هجماتـه على أراضي العـاصمـة الأموية(٩٤).

ويظهر أن ابن حفصـون قد أدرك أهمية حصـن بلاي في إضعاف قـرطبة، حيث إنـه كان يشرف على القـرى والمزارع التابعـة لها(٩٥)، فضلا عن شـديد منـاعته وقـوة تحصينـاته. ولـذا فقد صعـد غـاراته عليهـا انطـلاقا من هـذا الحصن، وعهد بهذه المهمـة ـ بـالدرجة الأولى ــ إلى شربند بن حجـاج أحد القـرطبيين الفارين مـن الأمير عبد الله ــ كما سبق أن أشرنـا ـ وذلـك لدرايتـه بمسالكها، ومعرفته بعوراتها(٩٦)، وقد يكون شربند هذا(٩٧) هو الذي اقتحم القنطرة، وأصاب البـاب الجنوبي لمدينة قرطبـة نفسها(٩٨)، وبالـرغم من أن الأمير عبد الله قد أوقع بشربند وقتله(٩٩)، فإن ابن حفصون لم يهن بذلك، بل تابع تضييقه على قرطبة، وشدد في غاراتـه على أقاليمها، فكانت قرية شَقُنْدَة ــ التي لا يفصلهــا عن قصر الحكم إلا النهــر قــد تضررت كثيرا من تلك الغارات(١٠٠).

---

(٩٢) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٤، ص. ص ٤٠-٤١.

(٩٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٢.

(٩٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٣٣.

(٩٥) عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس (التاريخ السياسي) (بيروت: دار النهضة العربية، د. ت)، ص ٢٩٦.

(٩٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢.

(٩٧) الحريري، حركات المولدين، ص ٧٢.

(٩٨) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٣٣.

(٩٩) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٩٢.

(١٠٠) ابن حيان، المقتبس، ص ٩٣.

وبسبب ذلك ازدادت الأحوال في قرطبة سوءًا، فانتشر بين أهلها الخوف، وساد الذعر، فتعطلت الأسواق، وارتفعت الأسعار(١٠١)، فكان هذا مدعاة لسقوط هيبة الأمير عبد الله بين مواطنيه، حيث إنهم استقصروا قدرته على التدبير، وقلة حيلته في دفع هذا الخطر الداهم(١٠٢)، أما من جانب ابن حفصون فإنه أصبح آنذاك لا يقيم للأمير قدراً، ولا يقدِّر لقوته وزَناً، وقد بلغ من استهتاره به أنه كان يستبعد خروجه من قرطبة لقتاله إلى درجة أنه كان يقول من جاءني بفصوله نحوى أعطيته خمسمائة دينار»(١٠٣).

وفي ظل هذه الظروف أظهر ابن حفصون الدعوة العباسية(١٠٤)، وكاتب الأغالبة في القيروان ـ الذين يَدْعُون للعباسيين ـ، وتبادل معهم الهدايا(١٠٥)، ولعله أراد بهذا أن يحصل على تأييد خارجي لثورته، وأن يضفي الصفة الشرعية عليها بإظهار اسم العباسيين الذين يعدون حماة الحرمين، وبذلك يحظى بتأييد أكبر عدد من مسلمي الأندلس(١٠٦)؛ وبخاصة السكان الأندلسيون غير المولدين، وحينئذ يتمكن من إزالة عرش بني أمية، ومن ثم يتحقق حلمه في حكم البلاد من بعدهم(١٠٧).

أحدثت هذه الأمور الآنفة الذكر ضغوطا نفسية مُحْرِقة لدى الأمير عبد الله

---

(١٠١) حسن مراد، تاريخ العرب في الأندلس (القاهرة: دار الفرجاني، ١٩٨٤م)، ص ٧٤.

(١٠٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٢.

(١٠٣) ابن حيان، المقتبس، ص ٩٧.

(١٠٤) ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص ١٧٣.

(١٠٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٣.

(١٠٦) عبد الجليل عبد الرضا الراشد، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس في القرنين الثاني والثالث للهجرة (بيروت، ١٩٦٦م/ ١٣٨٩هـ)، ص ١١٨.

(١٠٧) النصولي، الدولة الأموية، ص.ص ٩١-٩٢؛ أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص٢٥٤.

فلم يعد في طوق صبره قدرةٌ على احتمال هـذه الرزايا التي انصبت على رأسه، ولا تلك الانتكاسات التي حلت بإمارته، والتي جعلتها آيلة للسقوط لا محالة أمام ذلك كله انتفض الأمير عبد الله فقرر التصدي لابن حفصون مهما كانت النتائج، حتى إنه رفض نصائح وزرائه الذين أشاروا عليه بالبقاء في قرطبة، وإسناد المهمة لأحد قواده(١٠٨).

وتحقيقا لهذا الهدف أمر بضرب سرادقه في شَقُنْدَة (١٠٩)، ليكون ـ فيما يظهر ـ نقطة تجمع واستعدادٍ للمعركة الحاسمة، فما كاد ابن حفصون يعلم به حتى هاجمه ليلا بفرقة من رجاله بغية الاستيلاء عليه، بيد أن حراس هذا السرادق انبروا للدفاع عنه، وتمكنوا ـ بعد استغاثتهم بجنود من قرطبة ـ أن يردوا عادية رجال ابن حفصون، وأن يبددوا شملهم، ويقتلوا عددا منهم(١١٠).

ولا جرم أن هذا الانتصار لجند الإمارة على ابن حفصون ـ وإن كان محدودا ـ قد بعث الثقة في النفوس من جديد، ورد على أهل قرطبة بعض روحهم المعنوية التي كانت قد انحطت، وشجعهم على البروز للقتال، فكانت النتيجة أن خرج منهم مع الأمير عبد الله عشرة آلاف رجل ـ في رواية ـ(١١١)، وأربعة عشر ألفا ـ في رواية أخرى ـ(١١٢)، بجانب الجيش النظامي الذي كان تعداده يبلغ نحو أربعة آلاف جندي(١١٣).

(١٠٨) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٩٣.
(١٠٩) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٣٢.
(١١٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٩٤، ١٠٢-١٠٣.
(١١١) ابن حيان، المقتبس، ص ١٠٤.
(١١٢) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، جـ ٥، ص ٢٢٢؛ النويري، **نهاية الأرب**، جـ ٢٣، ص ٣٩٥؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبي المهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م)، جـ ١، ص ٤٣٨.
(١١٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، جـ ٥، ص ٢٢٢؛ ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٤.

سارت هذه الجموع تحت إمرة الأمير عبد الله قاصدة ابن حفصون في حصنه بُلاي، وعلى بعد ميلين من هذا الحصن عند نهر الفوشكة ★عسكرت إزاء حشود ابن حفصون(١١٤) التي بلغت ما يقرب من ثلاثين ألف مقاتل(١١٥)، وفي مستهل صفر عام٢٧٨هـ/ ٨٩١م ★★ التقى الفريقان في هذا المكان(١١٦)، حيث بدأت المناوشات بينهما ثم حملت مَيْسرة العسكر الأموي بالهجوم على ميمنة ابن حفصون فكسرتها، وعلى إثر ذلك دب الذعر في بقية أفراد جيش ابن حفصون، وانهزموا هاربين، فتولت فرقة الخيالة الأموية ملاحقتهم، أما ابن حفصون نفسه فقد لاذ بالفرار، وقصد حصنه بلاي، فلم يستطع دخوله إلا مِنْ فوق السور بمساعدة بعض أصحابه نظراً للازدحام الشديد حول أبواب هذا الحصن بعد حلول الهزيمة، وقبل أن يلتقط أنفاسه ـ وتحت جنح الظلام ـ تسلل غالب أتباعه خارج الحصن، ففتوا في عضده، وعندئذ لم يجد مناصا من مغادرة «بُلاي» فهرب في قلة قليلة جدا من أصحابه المقربين حتى لحق بقاعدته في الجنوب بُبَشْتر(١١٧).

وحيث إن معركة بُلاي تعد نقطة تحول واضحة في صراع الإمارة الأموية مع عمر بن حفصون إذ أنها قلبت الموازين، وأبعدت الإمارة عن شبح السقوط ـ لذا فمن المناسب هنا أن نتلمس الكيفية التي تمكن بها الأمير عبد الله من

★ نهر الفوشكة يسمى بالإسبانية Las Carchenas وهو أحد فروع نهر الوادي الكبير (عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٢٥، وحاشية ٢ منها).

(١١٤) ابن حيان، **المقتبس**، ق ٣، ص ٩٤.

(١١٥) الذهبي، **العبر**، جـ١، ص ٤٣٨؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٣٨، ٣١.

★★ ويضع ابن الخطيب تاريخ هذه الموقعة في سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م، (ابن الخطيب، **الإحاطة** جـ٤، ص ٤١؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٣٢).

(١١٦) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٢٣.

(١١٧) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص. ص ٩٦-٩٧.

الانتصار على عدوه عمر بن حفصون الذي بـدا قبل المعركة وكأنه أكثر عدة، وأعز نفراً.

لقـد كانت غـارات ابن حفصون المتكـررة على كـورة قرطبـة، واستباحتـه للـدماء، وانتهـابـه للأمـوال كل هـذا كان بمثـابـة شحن لنفوس أهل هـذه الكورة، إذ سرت فيهم الـروح القتالية ثأراً لكـرامتهم، ورداً على الضيم الذي بُلُـوا به. ولعل تلك الضربـة التي ألحقها جنـد الإمارة بـابن حفصون ــ حين هجومـه على مخيم الأمير في شَقُنْدَة ــ قد قضت على مـا كان يـدور في نفوس البعض من تردد وقصـور عن الإقدام للحـرب، فكان الجيش الأمـوي الذي تصـاول مع قوات ابن حفصـون في بـلاي يقاتل بتفـانٍ وإخلاص، إذ كـان هدفهم واحـداً، ثـم إن جُلَّهم من بلد واحـد، فالمتطـوعون من أهل قـرطبة لم يخرجوا إلا من أجل القضاء على الخطر الـذي طالما نغص عليهم حياتهم، أما الجنود النظاميون فقـد كانوا يمثلون رمز الولاء لـلأمير عبد الله لأنهم هم البقية البـاقيـة من جنـده الـذين كـانوا قـد انفضـوا عنـه عقب انحطـاط الأحـوال الاقتصاديـة لحكومته كما سبقت الإشـارة. ولا ريب أن هؤلاء الجنود ــ فضلا عن تفانيهم للـذب عن عرش بني أمية ـ كـانوا قد مرنـوا على القتال، وتمرسوا على أسـاليبه المختلفـة، سواء أكـان في الوهـاد أم الجبال، أم في السهـول أو التلال.

وإذا نظرنا إلى الجيش المضاد ـ جيش ابن حفصون ـ وجدنا أنه يختلف عن جيش الإمارة في أمور شتى، فلقد كـان أكثره قد تجمع من المدن والقرى التي كـان ابن حفصون قـد احتلهـا، حيث إنـه قد «جَيَّشَ ثـلاثين ألفـا من أهل الكور» ـ كما يقول ابن الخطيب ـ(١١٨)، كما أنه كان يحوي أعدادا من النصارى

(١١٨) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٣١.

الممالئين لابن حفصون★، ولذا فإن هذا الجمع سيكون ـ حتما ـ متباين الاتجاهات متعدد الأهداف، فالغالب أن يكون هَمُّ أفراده بالدرجة الأولى الحصول على المغانم، فإذا ما حز بهم القتال ولّوا مدبرين، وليس فرار أتباع ابن حفصون عند ما عَضّتهم الحرب بنابها، ثم تسللهم من حصن بلاي ليلا إلا دليلا على ما نقوله.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الفئة التي نتوقع أن تكون مخلصة من جند ابن حفصون كانت قد اعتادت على القتال في الأحراج والجبال، ولم تتعود ـ فيما يبدو ـ على القتال المكشوف مثلما حدث في معركة «بلاي» فكان ذلك من أسباب تراجعها أمام قوات الإمارة النظامية التي أتقنت فنون القتال المختلفة.

كما أن الأمير عبد الله ـ فيما يظهر ـ قد فوت على ابن حفصون فرصة اختيار زمان المعركة ومكانها، فبروز الجيش الأموي نحو حصن بلاي قد ضيَّع على ابن حفصون التفكير في إحكام الحصار حول قرطبة، والاستفادة من مجهودات ما يمكن أن يُسمى بـ «الطابور الخامس» فيها الذي تمثل في أولئك النصارى الحانقين على الأمير عبد الله، وكنا قد ألمحنا إلى نموذج منهم فيما سبق.

وينبغي ـ أيضا ـ ألا يغرب عن البال ما للقواد الأمويين من دور في إحراز النصر على ابن حفصون، فعلى سبيل المثال كان القائد الأموي عبد الملك بن عبد الله بن أمية قد رأى الانحراف عن جيش ابن حفصون، والركون إلى أحد

★ يفهم هذا من قول ابن حيان عن ابن حفصون عند هربه من حصن بُلاي: «وتعلق ببرذون هجين لبعض نصارى أصحابه»، وقوله عن الأمير عبد الله حينما أراد قتل أصحاب ابن حفصون الذين التجأوا إلى عسكر الإمارة: «أمر بضرب رقاب الفاسقين إلا رجلا منهم نصرانيا أسلم تحت السيف» (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٦).

الجبال القريبة، لتكون رِدْءًا للقوات الأموية عند شبوب القتال، بيد أن القائد الأموي الآخر عبد الله بن محمد بن أبي عبدة خالف هذا الرأي ووجد أنه سيطمع عدوهم فيهم، وارتأى أنه من الأفضل الاختلاط بهم ومناجزتهم رأساً، وفعلا كانت هذه الخطة من عوامل النصر للأمير عبد الله(١١٩).

كما لا ننسى دور العلماء في هذه المعركة، حيث إنهم كانوا يُحَمسون الجنود، حتى إن أحدهم قد أضفى مَسْحَةً جهادية على قتال ابن حفصون، واستشهد ببعض الآيات القرآنية لتعزيز وجهة نظره(١٢٠).

وعلى الرغم من أن لهذه الخطط دورا في جلب النصر للأمير عبد الله بلا أدنى ريب، فإنه من الحق ألا نعول كثيرا عليها، لأننا في واقع الأمر لا نملك إلا وصفا للمعركة من طرف واحد، فالمصادر التي بين أيدينا لم تصف سوى الخطط التي انتهجها جيش الإمارة، وأهملت الجانب الآخر الذي لا بد أنه قد خَطط عند دخوله المعركة، ولكنه لم يوفق في مسعاه.

وبعد أن انتصر الأمير عبد الله على خصمه عمر بن حفصون هذا النصر المؤزر دخل حصن بُلاي في اليوم التالي، ولم يجد صعوبة تذكر في اقتحامه نظراً لفرار مَنْ كان فيه مِنْ الرجال، وقد غنم مغانم كثيرة جدًّا، حيث كان هذا الحصن «مُتْرَعاً بالذُّخر، مَلآن مِنْ العُدَد»(١٢١).

ثم انطلق في إثر ابن حفصون فحاصر مدينة إسْتِجَّة ــ التي كان ابن حفصون قد اتخذها عاصمة له فضاق أهلها ذَرْعاً بالحصار، حتى استعطفوا الأمير عبد الله بعويل الأطفال والنساء، فأمنهم ودخل مدينتهم(١٢٢)، ثم

---

(١١٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٩٤-٩٥.

(١٢٠) ابن حيان، المقتبس، ص ٩٥.

(١٢١) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٢٣.

(١٢٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣ ص ٩٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص. ص ١٢٣-١٢٤.

تـابع سيره جنـوبـا إلى أن وصل معقل ابن حفصـون الـرئيس «بُبَشْتَر»(١٢٣)، فأطبق المحاصرة عليه، وجَدَّ في تخريب ما حوله من حقول، ومرافق حيوية، إلا أنه لم يلبث أن فك الحصار عنه بعد أن لاحظ مَلَلاً في نفوس أفراد جيشه، وبدأ رحلـة العودة إلى قرطبة، وقبل أن يخرج الجيش الأمـوي من أحواز ببشتر حاول ابن حفصـون أن يوقعه في كمين في أحـد المضائق الـوعرة، لكن الأمير عبـد الله فَطِـن إلى ذلك، فأحبط مفعـول هـذا الكمين بترتيب دقيق لخروج قـواته عبر ذلك المضيـق، وأسند في الـوقت ذاتـه إلى قسم من أنجـاد رجالـه بقيادة عبيد الله بـن محمد بن أبي عبدة مهمة التصدي لجماعـة ابن حفصون، فقامـوا بمهمتهم خير قيام، وهـزموا عدوهم هـزيمة شنيعـة، ثم تابع الأمير عبـد الله قفولـه، وقبل وصولـه إلى عـاصمته عَـرَّج على حاضرتي رَيُّـة وإِلْبِيرَة وأعادهما إلى طـاعته(١٢٤)، كما استعـادت الإمـارة ــ أيضـا ــ في تلك الأيـام حاضرة جَيَّان التي كانت تابعة لعمر بن حفصون(١٢٥).

وهكذا استطاع الأمير عبـد الله أن يستفيد من انتصاره في معـركة بُلاي★، فبسط نفـوذه ـ وإن كـان اسميا ــ على الأراضي الجنوبيـة، وكسر شوكـة ابن حفصون، وحطم تلك الهالة التي كانت تحف به قبل هذه المعركة.

ولقـد كـان من الطبيعي بعـد هذا الإنجـاز الكبير الـذي حققـه الأمير أن يحتاج إلى بعض الوقت ليعيد خططه، ويبني قوته، ويرسخ هيبة الإمارة التي

---

(١٢٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣٢.

(١٢٤) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص. ص ٩٩-١٠٠.

(١٢٥) ابن حيان، المقتبس، ص ١٠٢.

★ ولقد أشـاد الشعراء بنصر الأمير عبد الله في معـركة بـلاي (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٧، ١٠٣) انظر وصفا مفصلا لمجريات هذه المعركة في قصيدتين لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ـ صاحب العقد الفريد ـ انظر ذلك في (ابن حيان، المقتبس، ص. ص ٩٧، ٩٩، ١٠٠-١٠٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٤، ص ٤١).

كانت قد نزعت من النفوس، ثم يدخل مرحلة جديدة في صراعه مع عمر ابن حفصون خاصة، ومع المتمردين الآخرين بصفة عامة.

أما من جانب ابن حفصون فالظاهر أن قوته الذاتية لم تتأثر كثيرا في ذلك الحين؛ ذاك أنه بعد أن هُزِم في معركة بلاي ـ كما رأينا ـ سارع مباشرة إلى معقله ببشتر الذي كان قد هيأه بما يستطيع من أسباب القوة والمنعة، ثم ما لبث أن هاجم القوات الأموية القافلة بعد أن عجزت عن اقتحام حصنه، وعلى الرغم من أنه خسر في ذلك الهجوم فإنه لم يكف عن مزاولة ممارساته السابقة مع الأمير عبد الله حيث طلب منه الصلح سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م فبادر هذا الأخير بإعطائه له(١٢٦)، إذ كانت الإمارة بحاجة ماسة إلى ذلك لمعالجة التمردات الأخرى في البلاد(١٢٧)، وكالعادة لم يطل زمن هذا الصلح، إذ نقضه ابن حفصون(١٢٨)، واتصل بأهل أُرْشُذُونَة ★ القريبة منه، وحرضهم على نبذ الطاعة الأموية، فاستجابوا له، وقبضوا على عامل الأمير عبد الله، ثم استدعوا مُحَرِّضَهم ابن حفصون، وسلموه المدينة(١٢٩).

وفي السنة نفسها ـ أيضا ـ قام أنصار ابن حفصون في حاضرة إلبيرة باستدعائه بعد أن نكثوا طاعة الإمارة، فبعث إليهم بعض رجاله، وعندما سمع أهل هذه الحاضرة بمَقدم الأمير عبد الله لمقاتله أحد المتمردين القريبين

(١٢٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص١٠٦.

(١٢٧) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٥٧.

(١٢٨) ابن عذاري، البيان المغرب جـ٢، ص ١٢٤.

★ أُرْشُذُونَة Archidona كانت تمثل حاضرة كورة رَيُّة. (الإصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر الحيني (مصر : دار القلم، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، ص ٣٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥) بينها وبين مَالَقَة ثمانية وعشرون ميلا، (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢، ١٧٩) وتقع هذه المدينة الآن في ولاية مَالَقَة Malaga الحديثة (العبادي، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ٩٤، حاشية ٤).

(١٢٩) ابن حيان، المقتبس، ص١٠٦.

منهم أظهروا الطاعة، ولكن بمجرد أن بَعُدَ عنهم عادوا مرة أخرى لاستدعاء عمر، فَقَدِم هذه المرة بنفسه، وتقاتل مع العرب وهزمهم، وضم إلبيرة إليه، ثم قام بهجوم خاطف على جَيَّان(١٣٠).

ويبدو أن امتداد نفوذ ابن حفصون إلى هذه المناطق لم يحصل بالدرجة الأولى نتيجة لمجهودات عسكرية من جانبه، وإنما تَأتَّى له ذلك بمبادرات مُلحة من أنصاره فيها وهم كُثْر★، فضلا عن أن هذا النفوذ كان شكلياً، ذلك أن ابن حفصون لم يتخذ قواعد ثابتة له في تلك المناطق؛ بل إنه آثر المكوث في معقله «بُبَشْتُر».

ولقد تحسن الوضع في الإمارة الأموية بعد مرور سنتين من معركة بلاي، فبعث الأمير عبد الله ابنه المُطرِّف في صائفة إلى عمر بن حفصون في ببشتر(١٣١)، وقد نجح المطرف في ضرب مراكز كبيرة حول هذا المعقل، الأمر الذي أغضب ابن حفصون، فبرز لقتاله، ولكن المُطرِّف أوقع به هزيمة قاسية جدا، وقتل أكبرَ قواده، وساعده الأيمن في حركته ضد الأمويين - أقصد: حفص بن المرة - كما قتل آخرين من خيرة رجاله(١٣٢)، وبعد هذا الانتصار الساحق اتجه المطرف إلى إلبيرة، فوطد السلطة الأموية فيها(١٣٣).

ولا ريب أن هذه الغزوة قد أضرَّت بعمر بن حفصون، وشلت قوته؛ خاصة بعد أن قُتِل فيها عددٌ من كبار رجاله الذين «اشتد بهم فجعه، ووهن

---

(١٣٠) ابن حيان، المقتبس، ص ١٠٧.

★ على سبيل المثال كان عبيد الله بن أمية بن الشالية الثائر بجيان الذي سنتحدث عنه فيما بعد قد صاهر عمر بن حفصون (ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٣٠).

(١٣١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٤؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٣، ص ٢٧٩.

(١٣٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٨.

(١٣٣) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٣، ص ٢٧٩.

فيهم جناحه» ـ على حد قول الرازي ـ[١٣٤]. وفي المقابل كانت الإمارة الأموية قد انتعشت بتحسن أحوالها السياسية والاقتصادية بعض الشيء، حيث إنها تمكنت من إعادة سيادتها على بعض الأقاليم، وترتب على هذا ورود الجباية منها إلى العاصمة قرطبة، وبذا بدأت هيبتها تسري في النفوس من جديد.

ويبدو أن الإمارة الأموية ارتأت أنه من المتعذر عليها في ذلك الوقت القضاء على ابن حفصون، فاتجهت ـ على ضوء التطورات الجديدة ـ إلى تجميد حركته في ببشتر، ومحاولة عزله عن المتمردين الآخرين ما وجدت إلى ذلك سبيلا؛ فلقد أخذ الأمير عبد الله في تقوية وجود إمارته العسكري في معظم النواحي[١٣٥]، وركز أولا ـ فيما يظهر ـ على المناطق القريبة من هذا المتمرد، إذ بعث أكثر من حملة إلى أراضي الجنوب الأندلسي، وقد جالت هذه الحملات في تلك الأراضي حتى ساحل البحر، ونجحت في ضرب العديد من المدن والحصون العاصية[١٣٦]؛ علاوة على ضربها ابن حفصون، وتكبيدها له أفدح الخسائر[١٣٧].

وفي سبيل عزل عمر بن حفصون حاول الأمير عبد الله إقامة علاقات متوازنة بينه وبين حلفاء هذا الثائر من المتمردين الآخرين[١٣٨]، فلم يمانع في حكمهم للمدن أو الأقاليم التي تمردوا فيها بشرط أن يدفعوا له قطيعا معينا من المال كل عام دلالة على تبعيتهم للإمارة الأموية[١٣٩].

---

(١٣٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ١٠٨.

(١٣٥) الحريري، حركات المولدين، ص ٧٩.

(١٣٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٩ وما بعدها.

(١٣٧) ابن حيان، المقتبس، ص ١٠٩، ١١٢، ١٢١، ١٢٢.

(١٣٨) الحريري، حركات المولدين، ص ٨٠.

(١٣٩) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٢٤.

وغالب الظن أن هـذه السياسة قـد أفلحت في التضييق على ابن حفصون والحيلولة ـ في أكثر الأحيان ـ بينه وبين الاستفادة من حلفائه في الجنوب الذين كـانوا عـادة يسيرون في ركابـه، فبدأ ابن حفصـون عندئذ يفتش عن حلفـاء آخرين في داخل الأندلس، ولكنهم خارج نطـاق نفوذه السابق، وكأنه شعر بالضعف أمام الـدولة الأموية، ووجد أنه لا يستطيع العمل وحيـداً ضدها، فتخلى عما كان يطمح إليـه سابقـا من احتواء هـذه الدولـة، والفوز بعـرشها وحـده دون أن يشـاركـه فيهـا أحـد من المتمـردين الأقـويـاء داخل الجزيـرة الأندلسيـة، وعلى هذا جرت عـام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م سفارات بينـه وبين محمد بن لب القسوي ـــ أحد المتمردين في الثغر الأعلى والذي كـان يتمتع بقدر من القوة والنفـوذ كما سنرى عند التطـرق لحركته ـ وانجلت هـذه السفارات التي سعى فيها رجل يُدعى أبا علي السراج★ ـ انجلت باتفاق على لقاء مشترك بين الجانبين في أطراف جيان، فبعث محمد بن لب ابنـه لينوب عنه، إلا أنه ما إن وصل هذا الابن إلى مكان اللقـاء حتى وردت الأنباء بمقتل والده فكَرَّ مسرعا إلى بلاده دون أن يُعْقَد أي اتفاق بين الجانبين(١٤٠).

ولقد أشـارت المصادر في تلـك الأثناء إلى أن عمر بـن حفصون قـد أظهر النصرانية★★، حيث كـان قبل ذلك قـــد ارتـد عن الإسـلام، واعتنق هـذه

★ أبو علي السراج هـو أحد الشخصيـات المغامرة التي ظهـرت في زمن الأمير عبد الله، وقـد كان من المرابطين في الثغور، المترددين في جنبـاتها (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٧، ١٣٣) وسـوف نُلقي الضوء عليه أثناء دراستنا لعلاقات الأندلس السياسية مع مملكة أشتوريس.

(١٤٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٧.

★★ جعلت بعض المصـادر إظهار ابن حفصـون للنصرانية سنة ٢٨٥هــ/ ٨٩٨م. (ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣٢؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٥٥). وهناك مصادر أخرى جعلت ذلك في ٢٨٦هـ/ ٨٩٠م (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٨؛ ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص١٣٩).

الديانة خفية[١٤١]، فكان إظهاره لمعتقده هذا سببا في ابتعاد الكثير من أتباعه المسلمين عنه، وأصبح جهاده فرضا لدى جميع المسلمين في شتى أنحاء الأندلس[١٤٢].

وقد اعتبر بعض المؤرخين المحدثين هذه الخطوة من ابن حفصون ــ بما ترتب عليها من النتائج التي ذكرتها المصادر ــ علامة على الرعونة وقصور الرأي[١٤٣]، بينما عدها البعض الآخر أنها داخلة في نطاق تصرفاته المترددة أبدا، والتي لا تثبت على حال[١٤٤].

وفي الحقيقة أن للظروف التي أحاطت بابن حفصون خلال معارضته الطويلة للإمارة الأموية تجعل أمر اعتناقه للنصرانية وارداً، فلقد كانت المناطق الجنوبية يسكنها العديد من النصارى[١٤٥]، فالوجود النصراني في الجنوب كان واضحا في الفترة التي نتحدث عنها ذاك أننا نجد المؤرخين يشيرون بين آونة وأخرى إلى عدد من الحصون الغاصة بالنصارى[١٤٦]، كما أن تحالف النصارى البين مع المولدين في المنطقة يدل غلى كثرتهم[١٤٧]، بل إن تولية عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ/ ٩١٢م ـ ٣٥٠هـ/ ٩٦١م) في الأيام الأولى من عهده أحد النصارى عاملا على إحدى المدن الأندلسية الجنوبية[١٤٨] يوحي بأنهم كانوا يمثلون شريحة كبيرة من سكان المنطقة.

---

(١٤١) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٣٩.

(١٤٢) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٢٨، ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٣٩.

(١٤٣) Luis S. Fernandez, op. cit., p. 57.

(١٤٤) Rafael Altamira, op., cit., p. 245.

(١٤٥) ابن حوقل، **صورة الأرض** (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م)، ص ١٠٦.

(١٤٦) انظر مثلا: ابن حيان، **المقتبس**، جـ ٥، ص ٦٨، ١٧١، ١٧٩؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٦٥، ١٨١.

(١٤٧) انظر على سبيل المثال: ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٢٤، ٢٧، ٥١، ٦١؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ ١، ص ١٤٨، ١٥٩.

(١٤٨) ابن حيان، **المقتبس**، جـ ٥، ص ١٣١.

ومن يَسْتَقْرِئ نشاط ابن حفصون المضاد للسلطة الأموية يتضح له عظيم اعتماده على النصارى في حروبه، فلقد انضم إليه المنشق القرطبي شربند بن حجاج النصراني - كما سبقت الإشارة - الذي لا بد أنه قد اجتمع إليه الكثير من الأتباع ممن هم على ملته، كما أن الحضور النصراني في جيش ابن حفصون أثناء معركة بلاي المشهورة كان بارزاً [١٤٩]، ولا نعدم أيضا أن نجد في المعارك التي خاضها ابن حفصون ضد الإمارة - قبل إشارة المصادر إلى إظهاره النصرانية - لانعدم مشاركة للعناصر النصرانية فيها؛ ففي الصائفة التي خرج بها المطرف بن الأمير عبد الله سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م - على سبيل المثال - قام الجيش الأموي بتدمير بعض المرافق حول معقل ببشتر، فعندئذ «خرج ابن حفصون ومَنْ معه مِنْ النصرانية يُدافع عنها»[١٥٠].

كما أن وجود الكثير من الكنائس والأديرة في المراكز الرئيسة لابن حفصون يدل على أن جمهرة كبيرة من النصارى كانت تلتف حوله، فلقد أُنشِئ العديد منها داخل المعقل ببشتر[١٥١]، كما أن القرى التي تحف بهذا المعقل كانت هي الأخرى غنية بالكنائس[١٥٢]؛ بل إن المناطق الجنوبية ككل لا تخلو من وجود الكنائس بها[١٥٣].

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن هناك بعض التصرفات والأعمال لابن حفصون وأسرته تومئ إلى أنه كان بالفعل قد اعتنق النصرانية، فيقال إن ابن حفصون قد تسمى بصاموئيل Samuel [١٥٤]، وتسمت زوجته بكولومبة

(١٤٩) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٩٦.
(١٥٠) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٣، ص ٢٧٩.
(١٥١) ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ٢١٧؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٧.
(١٥٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٨، ١٤٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٩٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٣، ص ٢٧٩.
(١٥٣) ابن خلدون، تاريخه، جـ٤، ص ١٧٤.
(١٥٤) José R. Aguilar, op. cit, p. 126; Villa-Real, op. cit., p. 182.

Kolumba ، كما أن ابنتـــه أرجينتيـــة Argentea تـرهبنت واعتــزلت في أحـد الأديرة[١٥٥]، أما والده حفصون فإنه قد ابتنى كنيسة في منطقة ببشتر، وكانت موجودةً قبل عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م[١٥٦].

ولقد كان ابـن حفصون يُقَرِّب النصارى، ويدني مـراتبهم، وقد يفضلهم على المسلمين في بعض الأحيان[١٥٧]، كما أنه كـان قد عين أسقفـا رسميا في معقله ببشتر، وكـان هذا الأسقف اسمـه جعفر بن مُقْسِم[١٥٨]، وفوق ذلك كلـه فإن أحد أبنـاء عمـر بن حفصون قـد شهـد على والده بـالتنصر[١٥٩]، بالإضافة إلى أن ابن حفصون قد دفن بعد موته كما يدفن النصارى[١٦٠].

وعلى الـرغم من أن جميع الـدلائل تشير إلى أن ابن حفصـون ربما كان قـد تنصَّر فعـلا فإن إعلانـه لعقيـدتـه الجديدة على رءوس الأشهـاد[١٦١] ينبغي الشك فيه، وذلك مـن وجوه، الوجـه الأول: أن ابنه جعفـر أخبر بأن والده عمر قـد دخل في الدين النصراني، ولكنـه كتم ذلك عن الناس، فلـم يظهره قط[١٦٢].

الوجـه الثاني: أن رجـال الدولـة الأمويـة لم يثبت عندهم ــ وهم أولى من غيرهم بذلك ـ أن ابن حفصون قد تنصر حتى آخـر يوم من حياته؛ ولذا فقد

---

(١٥٥) الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب، ص ١٣٢ .

(١٥٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص١٠٨ .

(١٥٧) ابن حيان، المقتبس، جـ ، ص١٢٨ ، جـ ٥ ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

(١٥٨) ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ١١٣ .

(١٥٩) ابن حيان، المقتبس، ص ١٣٩ .

(١٦٠) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٩٦ .

Pedro Chalmeta, Precisiones acerca de "Umar B. Hafsun", Actas de la II Jornadas de la Caltura Arabe e Islamica (1980) (Madrid, 1985), p. 164.

(١٦١) النصولي، الدولة الأموية في قرطبة، جـ١، ص ٩١ .

(١٦٢) ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ١٣٩ .

حرص عبد الرحمن الناصر أشد الحرص على أن ينبش قبر ابن حفصون بعد دخوله حصن ببشتر عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م لكي يتعرف على الكيفية التي دفن بها، ولما تأكد بأنه سُجِّيَ في قبره على الطريقة النصرانية حَرَصَ أن يطلع أهل العسكر عليه(١٦٣)، «وشهد ذلك عامة . . . الفقهاء الغازين مع الناصر لدين الله، وأيقن جميعهم بهلاك المشرك على دين النصرانية لا محالة»(١٦٤). فلو كان ابن حفصون قد أعلن نصرانيته أمام الملأ فما الذي يدعو الناصر إلى أن يلجأ إلى مثل هذا الأسلوب، خاصة وأن حركة ابن حفصون قد انتهت في ذلك الوقت؟ ولقد عَقَّب ابن حيان(١٦٥) على تلك العبارة بقوله: «فهتك الله بذلك ستره، وفضح شركه»، مما يعني أنه قد أسرَّ ديانته النصرانية قبل ذلك.

الوجه الثالث: أنه من المستبعد أن تغيب عن خاطر ابن حفصون الخسارة التي ستلحق به من المجاهرة بالنصرانية، فلقد كان معظم أتباعه الكثر المؤيدين لحركته كلهم من المولدين المسلمين ـ كما سبق أن أبنا ـ.

الوجه الرابع: أنه كان لابن حفصون علاقات طيبة مع الزعماء المولدين المسلمين، وكذلك مع الزعماء العرب، فلقد تعاون ـ على سبيل المثال ـ مع إبراهيم بن حجاج زعيم العرب في إشبيلية سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م(١٦٦)، وقد ظلت العلاقة قائمة بينهما حتى توفى هذا الزعيم العربي عام ٢٩٨هـ/ ٩١٠م(١٦٧)، بل إن البعض قد ذكر أن مصاهرة تمت بين

(١٦٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٩٦.

(١٦٤) ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ٢١٦.

(١٦٥) ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ٢١٦.

(١٦٦) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ١٢٩.

(١٦٧) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٨٥، ١٣١.

الاثنين[١٦٨]. كل هذا حدث على مرأى ومسمع من الأمير عبد الله وغيره من الناس، ولم نسمع اعتراضاً أو انتقاداً لابن حجاج على هذا الارتباط بعمر بن حفصون.

وعلى ضوء ما سبق فإنه من المرجح أن يكون ابن حفصون قد اعتنق النصرانية ولكنه أخفاها عن الناس ما وجد إلى ذلك طريقا.

والظاهر أن الدولة الأموية لم يكن لديها من الأدلة الدامغة على اعتناق ابن حفصون للنصرانية، فموقف عبد الرحمن الناصر الذي أشرنا إليه بعد دخوله ببشتر يدل على ذلك، كما أن هذه الدولة لم تجد حرجا في عقد الصلح مع ابن حفصون سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م على أن يعود إلى طاعتها[١٦٩]، أي أن ذلك حدث بعد شيوع نصرانية ابن حفصون بسنتين أو ثلاث، وليس ببعيد أن تكون الإمارة الأموية هي نفسها التي تبنت التشهير بنصرانية ابن حفصون، إذ أنه من غير المعقول أن تعيش حركة مناوئة لها فترة زمنية طويلة دون أن تنال منها[١٧٠]، فالسلطات الأموية قد حصلت بالفعل من الفقهاء على فتوى تقضي بمعاملة ابن حفصون معاملة النصارى، وأصدروا حكما على مَنْ يعيشون داخل منطقته ــ بأن يُعدوا كمَن يعيش تحت سلطة حاكم نصراني[١٧١]، حيث نصُّوا على «عدم جواز شهادتهم، وترك خطاب قضاتهم»[١٧٢].

وليس إلى الشك سبيل أن هذه الفتوى لم تصدر من الفقهاء اعتباطا، فيحتمل أن يكون فعلا ثبت لديهم بطرقهم الخاصة أن ابن حفصون قد

---

(١٦٨) الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب، ص ١٣٣. Provencal, op. cit., p. 233.

(١٦٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٣.

(١٧٠) بيضون، الدولة العربية في إسبانيا، ص ٢٨٧.

(١٧١) الونشريسي، المعيار المعرب، جـ١٠، ص ١٠٩.

(١٧٢) الونشريسي، المعيار المعرب، جـ٦، ص ٩٥.

تنصر، وإما أن يكـون قد شُهِدَ لديهم ــ بتدبير من السلطة الأمويـة ـ بأن ابن حفصـون قـد اعتنق النصرانيـة فـأصدروا هـذه الفتـوى في حقـه، وفي كـلا الاحتمالين لا يقتضي أن يكون ابن حفصون قـد أعلن تنصره أمام الناس وإلا فما الـذي حدا بحكـام الدولـة الأمويـة وقضـاتها أن يتأكدوا من عقيـدة ابن حفصون بعد نهاية حركته ؟

ونخلص ممـا سبق إلى أنــه ربما كـان ابن حفصـون قــد اعتنق النصرانيـة بالفعل، ولكنه عمل على إخفاء ذلك بقدر المستطـاع، بيد أن الدولة الأموية في إطار حربها لحركتـه على كل المستويات حاولت نبش معتقـده وإشاعته في الآفاق لعلها بذلك تضرب وتـرا حساسا يؤثر في عواطف العامـة الذين كانوا عماد حركته، فينفضـون عنه، بيد أن نجاحهـا في هذا الاتجاه لم يكن كبيرا فيما يظهر، إذ لا نشهـد سوى حليفين من حلفائه يقـاطعانه ويبتعـدان عنه حين أشيع تنصره، وهما عَوْسَجـة بن الخَلِيع، ويحيى بن أَنْتُلُة(١٧٣)★، بينما استمر العديـد من حلفائه ــ ومِن خلفهم أتباعهم ـ مـرتبطين به إلى آخـر عهده كما سنرى.

(١٧٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٨.

★ يحيى بن أَنْتُلُه ــ يبدو أنه يحيى بن زكـريا بن أنتلة الذي غـدا في أوائل عهد عبد الـرحمن الناصر من رجال الدولة المعدودين (ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ١٥٥، ١٦٦، ١٨١، ١٨٦؛ مجهول، أخبار عبد الرحمن الناصر، ص ٦٢)، ولقد ذكـر ابن سهل أن رجلا يسمى ابن أبتلـة ادعى لدى الأمير أنه يمتلك خـادماً نصرانية في ببشتر، ولكن ابن حفصـون امتلكهـا ثم زَوَّجهـا (ابن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة، ص. ص ٨٣-٨٤) وإذا نظرنا إلى ملابسات هذه القضية خُيِّل إلينا أن ابن أبتلة هـذا ما هو إلا ابن أَنْتُلَة المذكـور في المتن، وأن الأمر لا يعدو عن كونـه قد حدث تصحيف في رسم الاسم، فامتـلاك ابن أبتلة لخادم في ببشتر، ثم تصرف ابن حفصـون بها إلى حد أنه زوجها قد يـوحي بأن ابن ابتلة كان يعيش في ببشتر عند ابن حفصون، ولكنـه غادر هذا المكان لظرف ما، وهـذا ربما انطبق على يحيى بن أنتلة الذي كان قبل انفصاله عن ابن حفصـون يرتبط به ارتبـاطا وطيـدا، حيث كـان «صـاحبه الأثير عنـده» ــ حسب تعبير ابن حيـان ـ، (ابن حيـان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٨) أما عَوْسَجة بن الخَليع فسوف نتحدث عنه في الفصل الرابع ـ إن شاء الله ـ.

ومهما كان الأمر فإن ابن حفصون عندما فشل مشروعه في التحالف مع بني قَسِي المتمردين في الثغر الأعلى بدأ يبحث عن حلفاء جدد، وفي سبيل ضَرْبِ الدولة الأموية لم يجد غضاضة في الاتصال بإبراهيم بن حجاج الذي كان قد تفرد بالزعامة في إشْبِيلِيَّة★، وكان في ذلك الحين على خلاف مع حكومة قرطبة(١٧٤)، ومن شدة حرص ابن حفصون على انعقاد التحالف بينه وبين ابن حجاج قَدِم بنفسه إليه في بلده، وتم اللقاء بينهما فأبرما اتفاقا للعمل معا في مواجهة الأمويين «فصار كل واحد منهما يُعد لصاحبه إذا استمده، ويرسل إليه بخيله ورجاله»(١٧٥).

ولقد كان ابن حفصون أثناء اتصالاته بابن حجاج قد أظهر الطاعة للأمويين سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م(١٧٦)، وكأنه أراد بهذا التفرغ لترتيب أموره، والاطمئنان على استحكام تحالفه الجديد، فَلَمّا تَمَّ له ما أراد بادر بخرق الصلح مع الإمارة في العام التالي، وذلك بغارة خاطفة على أحواز قرطبة(١٧٧).

ولما عاد الخلاف جَذَعاً بين ابن حفصون والإمارة الأموية ــ بسبب هذه الغارة ــ طلب ابن حفصون المدد من إبراهيم بن حجاج، وحثه أن يُقدم له أشجع الرجال عنده فاستجاب له ابن حجاج، وبعث إلى ببشتر كوكبة من رجاله عليهم أعظم قواده فجيل بن أبي مسلم الشذوني، وبدأ ابن حفصون عند وصول هذا المدد يتطلع إلى لقاء الأمويين(١٧٨)، وكانت الآمال تساوره يومذاك بتشتيت القوات الأموية، ومن ثم الزحف حتى يضرب قرطبة

★ سنفصل الحديث عن ابن حجاج عند استعراض حركات العرب.

(١٧٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص. ص ١٢٥-١٢٦.

(١٧٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٩.

(١٧٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٩.

(١٧٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٩.

(١٧٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٢٠.

نفسها(١٧٩). ولقد تم اللقاء بين جيش ابن حفصون والجيش الأموي في حدود إِسْتِجَّة قرب نهر شِنِّيل★، فجرت بينهما معركة شديدة كانت الهزيمة فيها على الأمويين(١٨٠)، وعلى الرغم من تحذيرات القائد فجيل لعمر بن حفصون بعدم مطاردة الفلول المنهزمة، والاكتفاء بما تحقق النصر، فإن عُمَرَ أَصَرَّ على مواصلة المطاردة وحينئذ كَرَّ عليهما قائد الجيش الأموي أحمد بن محمد بن أبي عبدة، وأوقع بهما هزيمة ساحقة استرد بها ما كان خسره في الموقعة السابقة(١٨١).

ولما ترامت الأنباء إلى الأمير عبد الله بما فعله هذان الحليفان كاد يَتَميَّز من الغيظ، وأمر بقتل ابن أخي عمر بن حفصون، وكذلك عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج حيث كان قد احتجزهما عنده، ولما نُفِّذ القتلُ في ابن أخي عمر أشار بعض رجال الدولة بإيقاء عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج، لأن في قتله توثيقا للحلف القائم بين والده وعمر بن حفصون، فاستصوب الأمير عبد الله هذا الرأي، فقام بإطلاق سراح عبد الرحمن بن إبراهيم؛ وعلاوة على ذلك سَجَّل رسميا لبني حجاج عامة على المناطق التي كانوا يسيطرون عليها(١٨٢)، وبسبب هذه السياسة التي انتهجها الأمير عبد الله انحلَّ ما كان يجمع بين ابن حفصون وابن حجاج من اتفاق عسكري، فلم يشتركا معا بعد ذلك في تجهيز أي جيش ضد الإمارة الأموية، بالرغم من أن الاتصال الودي بقي قائما بينهما حتى آخر أيامهما(١٨٣).

(١٧٩) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ١٢٠؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٣٥.

★ نهر شِنِّيل Genil أو Xenil ويسميه الأندلسيون أيضا نهر سنجيل، وهو النهر الذي تقع عليه غرناطة (ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ١، ص ١١٨، حاشية ١) ويعد هذا النهر أحد روافد الوادي الكبير، وينبع من جبل شلير (سييرا نيفادا) (الإدريسي، **صفة المغرب**، ص ٢٠٣؛ كولان، **الأندلس**، ص ٦٦).

(١٨٠) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ١٢٠.

(١٨١) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص.ص ١٢٩-١٣٠.

(١٨٢) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص.ص ١٢٢-١٢٣.

(١٨٣) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ١٢٣؛ ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص١٣١.

ولقد أصبحت الإمارة الأموية في ذلك الوقت أكثر ثباتا في حروبها مع العاصين، حيث إنها كانت قد ألحقت بجيشها فرقةً أشبه ما تكون بالفرقة الانتحارية في الجيوش الحديثة(١٨٤)، وكانت تتكون من نحو «ثلثمائة فارس وكانوا أنجاداً نخبة، فلم يجتمع مثلهم في عسكر بالأندلس»(١٨٥). وقد قَصَدَتْ هذه الفرقة المتمردين، وحاربتهم بأسلوبهم نفسه الذي كان يعتمد على ما يمكن أن يسمى بحرب العصابات(١٨٦)، وقد استطاعت الإمارة الأموية بهذه الاستراتيجية العسكرية القضاء على عدد من العاصين(١٨٧)؛ فضلا عن إجبارها لقسم آخر منهم بدفع كمية من الجباية كل عام مع السماح لهم بالحكم في أقاليمهم(١٨٨)، أضف إلى هذا أن بعض الخارجين على السلطة ــ الذين لم تصلهم جيوش الإمارة ــ قد بدأوا في ذلك الحين يحاولون التقرب من الأمير عبد الله بإعلان الطاعة ليسجل لهم على مناطقهم بشكل رسمي(١٨٩).

بهذه الظروف الطيبة للإمارة الأموية تابع الأمير عبد الله جهوده في سبيل القضاء على ابن حفصون، فاشتد في التعامل معه أعظم من ذي قبل، ففي سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م ــ على سبيل المثال ـ غزا بالصائفة نحوه أَبَّانُ بن الأمير عبد الله، وما إن بلغ الجيش الأموي بُبَشْتَرِ حتى خرج عمر بن حفصون

---

(١٨٤) الحريري، حركات المولدين، ص ٨٠.

(١٨٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٩.

(١٨٦) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٥٨؛ الحريري، حركات المولدين، ص ٩٠.

(١٨٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٩، ٢٤٢، ١٤٩، ١٤٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٨، ١٤١ وما بعدها.

(١٨٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١١٨، ١١٩؛ ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٣٤.

(١٨٩) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٣، ٣٧، ٤٢، ٤٩، ٦٦، ١١٢، ١١٣.

بقـواتـه، فجـرت بين الجانبين معـركـة شـديـدة تكشفت عن نصر كبير للأمويين(١٩٠)، وفي يوم تـالٍ جاءت ابن حفصون بعض الإمـدادات فهاجم القـوات الأمـويـة التي تـراجعت قليلا، ولكنهـا مـا لبثت أن كـرَّت عليـه، فأوقعت به هزيمة منكرة(١٩١)، ثم إن عسكـر الإمارة ظل «حـول ببشتر ستة عشر يوما يستقرى قراها، ويتقصى أكنافها بالإحراق والتدمير والانتساف»، عـاد بعـدهـا إلى قـرطبـة عقب إحـرازه عـدة انتصـارات على أتبـاع ابن حفصون(١٩٢).

ومن الملاحظ أن الـدولة الأمـويـة في هذه الفترة لم تعـد تقبل من عمـر بن حفصون الموادعة(١٩٣) التي كان يلجأ إليها عـادة عند شعوره بالضعف، كما تابعـت ـ أيضا ـ سياستهـا في التخذيل عن ابـن حفصون، وتفريـق أنصاره عنـه، فقامت قـواتها بـافتتاح ومصـالحة العديـد من الحصـون الواقعـة تحت طاعته(١٩٤)، بل إن الأمير عبـد الله اهتم ـ فيما يبـدو ـ بقطع اتصالات هـذا المتمرد بـالعدوة المغـربية إذ أنـه أرسل جيشا كبيرا سنـة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م تحت رئاسة ابنه أبان لتنفيذ هذه الغاية★، فحل هذا الجيش بالجزيرة الخضراء(١٩٥)

(١٩٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٠.

(١٩١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤٠.

(١٩٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤١.

(١٩٣) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٦٠.

(١٩٤) ابن حيـان، المقتبس، ق٣، ص ١٤١، ١٤٢؛ ابن عـذاري، البيان، جـ٢ ص ١٤١، ١٤٢.

★ ولقد رجح أحد المؤرخين أن أحداث الحملة التي أدرج تفاصيلها ابن حيان سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م ما هي إلا أحداث حملة سنـة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م ـ التي أوردناها في المتـن ـ لأن وضع تلك التفاصيل في سنة ٢٨٤هـ لا يتناسب مع التسلسل التاريخي الدقيق لـلأحداث، فهو يرى بهذا أن ابن حيان قد خلط بين أحداث تلك الحملتين نظـراً لأن كلا منهما عرفت بصائفة الجزيـرة كما أن أبَّان بن الأمير عبد الله قد خرج فيهما معا (Joaquin Vallve, op. cit., p. 151). للاطلاع على تفـاصيل حملة سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م انظر (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص.ص ١٢٠-١٢٢).

(١٩٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤٢.

التي تعد أقرب المرافئ الأنـدلسية مجازاً إلى المغرب(١٩٦)، ثم تقـدم إلى حاضرة رَيُّة فـأخضعها، وبعد ذلـك سار بحـذاء البحر محاولاً إعادة أهـل الحصون الساحلية إلى التبعية الأموية(١٩٧).

ومن الحق أن نعترف أنـه على الرغم من ذلك النشـاط الذي كـانت تبديـه الإمارة الأموية في هذه الفترة ضد ابن حفصون وغيره من الثوار فإنها لم تكن قد بلغت القوة التي تمكنهـا من السيطرة الفعلية على أقاليم الأنـدلس المختلفة؛ إذ أنها ـ كما عرفنـا ـ قد رضيت بالجبـاية من أكثر المتمردين، وتـركتهم يديرون أقاليمهم بأنفسهم، هذا الخلل في موقف الإمارة فَطِنَ إليـه ـ فيما يظهر ـ عمر بن حفصون، فحاول أن يخفف من وطأة الحمـلات العنيفة التي وجهت إليه بـالاتصال بـاثنين من الثـائرين أحدهما سعيـد بن مَسْتَنَـة والآخر سعيـد بن هذيل★ ، فكـوَّن معهما حلفـا ثـلاثيـاً (١٩٨)، فشنـوا عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م غارات شديدة على أهل الطاعة «انتهوا بها إلى نـاحية جَيَّان، فأصابوا الدواب والبقر والمواشي» إلا أن الإمارة لم تَجد أدنى صعوبة في فلِّ هذا الجمع، وتفريق شمله(١٩٩)، ثم عـاود ابن حَفصـون في العـام التـالي، فأغـار هـذه المرة مع حليفه سعيد بن مستنة على قرى قَبْرَة، وأقاليـم قرطبة نفسها، مستغلا خروج جيش الإمارة الرئيس في مهمة عسكرية بعيدة، بيد أنه لم يحقق نجاحا، إذ أن الأمير عبد الله تمكن من تجنيـد جيش آخر للـرد على هذه الغـارة، فدارت بين الطرفين حرب ضارية، انهزم فيهـا ابن حفصون وحليفه «فَقُتِلَ من أصحابهما خلق كثير، وافترقوا أيادي سبأ»(٢٠٠).

---

(١٩٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٤.

(١٩٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤٢؛ ابن عذاري: البيان، جـ٢، ص ١٤٣.

★ سوف نتحدث فيما بعد عن هذا الثائر.

(١٩٨) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٥.

(١٩٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤٥.

(٢٠٠) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٧.

والظاهر أن هذا الحلف لم يكن من العمق والجدية بما يجعله يقف على قدميه في وجه الإمارة التي أصبح في مُكْنَتِها ـ آنذاك ـ أن تجهز أكثر من جيش في آن واحد، وربما أن هدف ابن حفصون من ذلك التحالف ـ كما هو واضح ـ السلب والنهب و إشاعة الاضطراب والفوضى؛ فضلا عن محاولته بعثرة القوة الأموية التي ركزت جهودها في الآونة الأخيرة على معقله ببشتر، إذ لم تمر سنة من السنوات الخمس الأخيرة من حكم الأمير عبد الله الذي توفى عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م(٢٠١) دون أن يتوجه بعث إلى هذا المعقل(٢٠٢).

وخلاصة القول أن الأمير عبد الله عالج عمر بن حفصون★ بالسبل التي أتيحت له، فاستطاع بعد سنوات ليست قليلة من الصراع المُضْنِي أن يحولها

(٢٠١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، جـ٥، ص ٢٢٢.

(٢٠٢) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٤٣ وما بعدها.

★ ومما يجدر التنويه عنه أن بعض مؤرخي القرن التاسع عشر الميلادي من غير العرب أمثال المؤرخ الإسباني كوندي، والمؤرخين الفرنسيين رومي وسيديو قد تحدثوا عن ثورة عمر بن حفصون ـ أو كما يسمونه أحيانا حفصون باسم والده، أو عمر بن حسن ـ قد تحدثوا عنها وكأن أحداثها وقعت في الشمال عند جبال البُرْتَات. (محمد دياب، **تاريخ العرب في إسبانيا**، ص. ص ١٧٩-١٨١، ١٨٨، ١٩١، ١٩٥؛ سيديو، **خلاصة تاريخ العرب**، نقله إلى العربية علي باشا مبارك وآخرون (بيروت: دار الآثار ١٤٠٠هـ)، ص. ص١٥٥-١٥٦)؛ كما ذكروا أن وفاة عمر بن حفصون كانت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م، وأن الذي أكمل مشوار ثورته من بعده ابنه غالب، فكان غالب هذا ـ في رأيهم ـ هو المعاصر للأمير عبد الله (محمد دياب، **تاريخ العرب في إسبانيا**، ص. ص ١٩٩، ٢٠٨-٢٠٩، ٢١٦؛ سيديو، **خلاصة تاريخ العرب**، ص ١٥٦) ومن الواضح أن تفصيل أحداث ثورة ابن حفصون على هذه الشاكلة مخالفٌ تماما لما جاء في المصادر المعتبرة، ولعل هؤلاء المؤرخين ومَنْ لَفَّ لَفَّهم قد خلطوا بين حركة ابن حفصون في الجنوب والحركات التي وقعت في الثغر الأعلى؛ خاصة وأن رسم أسماء بعض الأماكن في جنوبي الأندلس قريب الشبه برسم أسماء أماكن أخرى في الشمال مثل بُبَشْتَر وبَرْبَشْتر. ولكن الذي لا نجد له مبررا هو كونهم قد أتوا باسم «غالب» على أنه ابن لعمر بن حفصون، وأنه هو المعاصر للأمير عبد الله، إذ ليس في المصادر ابن لعمر بن حفصون يدعي بهذا الاسم؛ دع عنك كونه معاصرا للأمير عبد الله.

من ثورة عارمة تهدف إلى الإطاحة بالحكم الأموي إلى حركة قد لا تختلف عن غيرها من الحركات الكثيرة في الأندلس، اللهم إلا أنها كانت تمتلك موقعا تضاعفت تحصيناته بمرور الوقت فأصبح معقلا حصينا لا يرام، الأمر الذي جعل عبد الرحمن الناصر خليفة الأمير عبد الله وحفيده لا يتمكن من فتحه إلا عقب مُضِّي خمس عشرة سنة من حكمه[٢٠٣]، بالرغم من طاعة أكثر البلاد له تقريبا، واختلاف أسلوبه عن أسلوب جده الأمير عبد الله في معالجة الثورات.

٢ ـ تمرد المولدين في كورة إلْبِيرَة

عرفت كورة إلبيرة ـ قبل الفتح الإسلامي للأندلس ـ بتقاليدها النصرانية العريقة، إذ كانت من أوائل المواضع الإسبانية التي حل بها الدعاة النصارى[٢٠٤]، فكانت أرضها مقرا لأول مجمع كنسي أقيم في إسبانيا حوالي سنة ٣٠٠م، ولذا تأصلت فيها النصرانية، ورسخت قواعدها. ولقد تمسك معظم سكان هذه الكورة بدينهم النصراني عند دخول المسلمين للأندلس[٢٠٥]، إلا أنه مع تزايد الداخلين في الإسلام من أهل البلاد ـ والذي بلغ ذروته في عهد عبد الرحمن الأوسط[٢٠٦] ـ أقبل العديد من سكان إلبيرة النصارى على اعتناق الدين الإسلامي، فأصبح المسلمون الإسبان في

---

(٢٠٣) ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص ١٧٤.

(٢٠٤) محمد دياب، تاريخ العرب في إسبانيا، ص ٢٧٧.

(٢٠٥) عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص ٣٠٧.

R. P. Dozy, **Historia de Los Musulmanes de España,** Tomo II, (Madrid, 1984), p. 169.

(٢٠٦) جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص ٣٥.

هـذه الكورة إبـان النصف الثـاني من القرن الثـالث الهجـري يمثلون أغلبيـة سكانها (٢٠٧)★.

وعندما رفع المولدون في الكور المجندة رايـة التذمر والعصيان كان المولدون في إلبيرة من أوائل الذين انضووا تحتها، وجدوا في تأييدها(٢٠٨)، ولا يُستبعد أنهم ظاهروا عمر بن حفصون في بـدايات حركته، وربما أنهم سهلوا مهمته في الهجوم على بعض حصـون كورتهم في عهـد الأمير المنذر(٢٠٩)، ومن اللافت للنظر أن مولدي إلبيرة قد اتحدوا مع بني جلدتهم النصارى من أهل بلدهم، وبدأ الجميع يعمل معاً ضد العرب المجاورين لهم★★.

(أ) في حاضرة إلبيرة:

ففي حاضرة إلبيرة (قَسْطَلَّـة) تكتل المولدون والنصـارى تحت لواء زعيمين من زعمائهم هما نابل والشميس(٢١٠)، ولقد استطاع المولدون بقيادة زعيمهم نابل أن يطـردوا سكان حصن «مُنْتَ شـاقَر» ★★★ من العرب، ثـم ما لبث

---

(٢٠٧) نعنعى، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٠٨.

★ ومما يـدل على استمراريـة انتشار الإسـلام بين نصارى إلبيرة حتى ذلـك الحين هو أن المصـادر تورد كلمة المولدين بجانب كلمة المُسالمة في أحداث تلك الفترة (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥١؛ ابن الأبار، الحلة، جـ ١، ص ١٤٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٤، ص ٢٧٠) ومـن المعروف في التاريخ الأندلسي أن كلمة «المسالمة أو الأسالمة» كانت تطلق على أولئك الذين أسلموا حديثا.

(٢٠٨) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٤٧. R. Altamira, op. cit., p. 246.

(٢٠٩) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١١٥.

★★ يفهم هذا من اعتصـام المولدين والنصـارى معا في حصون واحـدة (ابن الأبار، الحلة، جـ ١، ص١٤٨).

(٢١٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٢، ٥٥.

★★★ مُنْت شـاقَر Monte jicar حصن يقع في شمال شرقي غـرنـاطـة (ديـاب، تاريـخ العرب في إسبانيا، ص ٢٢٧) ويبعد عنها بمقدار ستين كيلومتراً (Provencal, op. cit., p. 220)

المولدون في الحاضرة أيضا أن قتلوا يحيى بن صقالة ـ زعيم العرب★ غِيْلَةً سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م بعد أن كانوا قد أعطوه الأمان(٢١١). وبسبب غدرهم بيحيى أسرف سوار بن حمدون الذي خلفه في حربهم، وما زال يفتح حصونهم «حصنا حصنا، ويقتل مَنْ يظفر به منهم فيها، ويغنم أموالهم» حتى ضجوا واحتشدوا للرد على هذه الانتهاكات من العرب، وطلبوا من عامل الإمارة في إلبيرة أن يتضامنَ معهم(٢١٢)، وخوفا من خروج هذه الكورة بأسرها عن السلطة الأموية سارع هذا العامل ـ فيما يبدو ـ في الاستجابة لطلبهم(٢١٣)، وبرز معهم لقتال العرب، ولكن الدَّبَرَة كانت مرة أخرى على هؤلاء المولدين، وهنا تدخل الأمير عبد الله فأصلح بين الطرفين، ولكن لما مال إلى زعيم العرب سوار بن حمدون فقام الأخير بالإغارة على الحصون المماثلة لعمر بن حفصون لما حدث ذلك اشتد غضب المولدين في الحاضرة، وكأنهم رأوا في هجوم الزعيم العربي على تلك الحصون خطة مرسومة لكبت أي تحرك مولدي ضد السلطة الأموية، ولذا هبوا للقتال، وتجهزوا في نيِّف وعشرين ألفا، وقصدوا العرب، وبعد حرب ضروس بين الجانبين هُزِمَ هؤلاء المولدون، وجرت عليهم مذبحة كبيرة(٢١٤)، الأمر الذي جعلهم يجأرون إلى الزعيم المولدي عمر بن حفصون ـ الذي كان في مقتبل نشاطه ـ فخف إليهم بقواته، ومع أن العرب هزموه هو وأتباعه من المولدين إلا أنه تمكن من ضم هذه المنطقة إلى سلطانه المتنامي آنذاك، بل إنه ما لبث أن قَتَلَ زعيم العرب سِوَار بن حمدون، وكان ذلك عام ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م(٢١٥).

★ وسوف نفصل الكلام عن حركة العرب في هذه الكورة في الفصل القادم.

(٢١١) ابن حيان، **المقتبس**، ق ٣، ص ٥٥، ٦١.

(٢١٢) ابن حيان، **المقتبس**، ق ٣، ص ٥٥.

(٢١٣) ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ١٤٩، حاشية ١.

(٢١٤) ابن حيان، **المقتبس**، ق ٣، ص. ص ٥٦-٥٧.

(٢١٥) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٣، ص ٤٠، ٢٧٢.

ويصور لنا الرازي(٢١٦) موقف نساء المولدين في حاضرة إلبيرة من قتل سوار بقوله «وذُكر أن الثكال من نسائهم قطعن لحمه مزقا [كذا]، وأَكَلَه كثيرٌ منهن حنقاً عليه لما قد نالهن به المرة بعد المرة من الثُّكْل في بعولتهن وأهليهن، واليتم في أبنائهن».

وبدخول حاضرة إلبيرة (قسطلة) وما جاورها تحت نفوذ ابن حفصون دخل المولدون هناك في إطار الصراع الدائر بين هذا المتمرد والدولة الأموية والذي بسطنا فيه القول سلفا.

(ب) سعيد بن مَسْتَنَة في بَاغُة:

يبدو أن إغارة عمر بن حفصون في مطلع عهد الأمير المنذر على مدينة بَاغُة ــ إحدى المدن التابعة لكورة إلبيرة ــ ثم أسره لعاملها(٢١٧)، كان السبب المباشر لاضطرابها على الحكم الأموي، ومن ثم قيام المتمردين فيها وفيما حولها من قرى، فكان سعيد بن وليد بن مستنة★ ــ الذي كان من المولدين ـ أبرزهم(٢١٨)، إذ أننا نراه قد بسط سيطرته على عدد من الحصون★★ المطلة على مدينة بَاغُة التي وصف بعضها بشدة المنعة، وقوة التحصين(٢١٩)، ثم

---

(٢١٦) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٦١.

(٢١٧) ابن عذاري. البيان، جـ ٢، ص ١١٥.

★ أورد ابن حيان نسبا آخر لسعيد هذا حينما تحدث عن قضاء عبد الرحمن الناصر على أسرته فقال: «استنزل الناصر بني سعيد بن ناصح المعروفين ببني مستنة من حصونهم» (ابن حيان، المقتبس، جـ ٥، ص ١٧٣).

(٢١٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٧.

★★ وقد كان من أشهر هذه الحصون: الغالية، والنظرة، ولقونش وأقوط، وكركبولية. (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٧).

(٢١٩) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٣٦.

تحالف مع بني مطروح العرب(٢٢٠) الذين كانوا قد ثاروا على حكومة قرطبة بجبل باغة زمن هذا الأمير(٢٢١).

بيد أن تمرد ابن مستنة على الإمارة الأموية قد بان بشكل ساطع في أوائل عهد الأمير عبد الله، فتعاقد مع عرب أَشْبِتيط ووسقة★، وأغراهم بالهجوم على مَنْ كان يقيم على طاعة الأمويين من العرب وغيرهم(٢٢٢)، كما أنه باين عمر بن حفصون(٢٢٣) حينما أظهر الطاعة للأمير عبد الله حينذاك(٢٢٤).

وعلى ضوء هذا يبدو أن سعيد بن مَسْتَنَة قد حرص في بداية أمره على الاستقلال بحكم أراضيه دون الالتفات كثيرا إلى اعتبارات العصبية التي كانت على أشدها في الأندلس في ذلك الحين، فبالرغم من كونه قد عُرف بالتعصب الحار للمولدين(٢٢٥) فإنه في سبيل تحقيق مأربه لم يجد بأسا ـ كما رأينا ـ في التحالف مع العرب لا سيما المعادين للإمارة الأموية منهم؛ بل وفي مقاطعة زعيم المولدين ابن حفصون حين تظاهره بالولاء لها.

ومهما كان الأمر فقد كثرت الأضرار التي أحدثتها ممارسات ابن مستنة وغارات حلفائه في المنطقة، فتضجر الناس، وبعثوا إلى الأمير عبد الله يطلبون منه أن يخلصهم من ذلك، فسارع هذا الأمير ـــ على الرغم من الضعف الذي كانت تعانيه دولته ـ بإرسال جيش لمحاربة ابن مستنة عام

---

(٢٢٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٧.

(٢٢١) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص. ص ١١٦-١١٧.

★ أَشْبِتيط ووسقة حصنان من الحصون التابعة لقلعة يَحْصُب (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٠) وهما يبعدان عن إلبيرة بمقدار خمسة وثلاثين ميلا (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٨٩).

(٢٢٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٧، ٩٠.

(٢٢٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٠.

(٢٢٤) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٣١.

(٢٢٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٧.

٢٧٦هـ/ ٨٨٩م[٢٢٦]، وحيث إن ابن حفصون في الوقت نفسه كان في موقف قوي، وكان يُظهر الطاعة لأسباب ذكرناها في موضعها فقد آثر الأمير عبد الله أن يستعين به في قتال ابن مستنة، ولعله بهذا أراد أن يزيد شُقة الخلاف بين هذين المتمردين اللذين كانت تجمعهما رابطة الدعوة للمولدين، بيد أن عمر بن حفصون - فيما يبدو - تنبه إلى مقصد الأمير عبد الله، فكتب إلى «ابن مستنة في السر يُثَبِّتُه على الخلاف، ويثنيه عما شرع فيه من موالاة العرب. . . ويوصيه بالثبات على الدعوة المولدية وضمن له تخفيف وطأة الجيش الذي هو فيه عنه، وفعل ذلك. . . وأوطأ الجيش بلده وطأة مَنْ لا أربَ له في النكاية، ولا رغبة له في الإصلاح»[٢٢٧].

فكانت هذه الموقعة سببا في اجتماع الكلمة بين سعيد بن مستنة وابن حفصون، وتوافقهما على العمل معا لإنجاح دعوة المولدين الهادفة إلى الإطاحة بصرح الدولة الأموية، وعلى هذا كان سعيد بن مستنة على رأس المشاركين مع عمر بن حفصون في معركة بلاي الفاصلة سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م★.

والظاهر أن سعيد بن مستنة قد انفصل عن ابن حفصون بعد الهزيمة التي حاقت بهما في بلاي وبدأ يعمل وحده؛ خاصة وأن ابن حفصون كان قد

---

(٢٢٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٠ - ٩١.

(٢٢٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩١.

★ نستشف مشاركة ابن مستنة في معركة بُلاي من ذلك الحوار الذي دار بينه وبين ابن حفصون عقب المعركة مباشرة، فلقد كان ابن حفصون قد استهتر بالأمير عبد الله إلى درجة أنه تكفل بجائزة مقدارها خمسمائة دينار لمن يُنْبِئه ببروزه إليه - كما ذكرنا سابقا - فلما حدث ما حدث، ونجا الاثنان بنفسيهما من ميدان المعركة قال ابن مستنة لعمر: «قد وَفَّرَ الله عليك الخمسمائة الدينار التي كنت بذلتها، فكيف رأيت عُقبى الاغترار ببني أمية ؟ فغضب من قوله، وقال: ذلك من جبنك وجبن أمثالك أشباه الرجال ولا حقيقة!!» (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٧).

هادن الأمير عبد الله في السنة التالية على العكس منه إذ استمر على عصيانه للإمارة، مما جعل الأمير عبد الله يخرج إليه بنفسه في السنة عينها التي وقعت فيها المهادنة لعمر بن حفصون، فحاصر ابن مستنة في جبال باغة، وأتلف زروعها، وانتسف أشجارها إلى أن وصل إلى حصن كركبولية ـ أحد الحصون المعروفة بالمناعة هناك، والذي كان هذا الثائر قد اعتصم فيه ـ فضيق عليه، وأجهد أهله بالحصار، فما كان من ابن مستنة إلا أن لاذ بالطاعة، وطلب الأمان، فلم يصالحه الأمير عبد الله إلا بشرط أن يهدم حصنه بنفسه علامة على خضوعه «ففعل ذلك بمرأى من الأمير حتى غادره قاعا صفصفا»(٢٢٨).

وبالرغم من هذا الخنوع والتسليم الذي أبداه ابن مستنة للإمارة لكن نفسه لم تطاوعه في التخلي عن آماله التي كانت تراوده لحكم منطقته حكما له ذاتيا، يشجعه على هذا وضع الإمارة المتدني في ذلك الجبن، ولذا فإنه ما لبث أن جاهر بالعصيان، فبعث إليه الأمير عبد الله سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٤م قائده عبد الملك بن أمية، فتقدم إلى منطقته، ونازل حصن آشر ★، وحصونا أخرى مجاورة(٢٢٩)، كما دخل مدينة باغة نفسها(٢٣٠). ومع أنه لم يحدث اشتباكات بائنة بين القائد الأموي وابن مستنة إلا أنه لا يستبعد أن يكون هذا الأخير سواء في هذه الغزوة أو بعدها قد أظهر الطاعة للإمارة ليحكم حصونه بعد دفع كمية من الجباية كل عام مثلما فعل غيره من المتمردين(٢٣١)، لأننا لا

---

(٢٢٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ١٠٦-١٠٧.

★ حصن آشر Iznajar بينه وبين مدينة باغة حوالي ثمانية عشر ميلا (الإدريسي، صفة المغرب، ص ٢٠٤) وهو يقع على ضفة أحد روافد نهر شنيل (المقري، نفح الطيب، جـ ٦، ص ٣٦٨ حاشية ٢).

(٢٢٩) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٢٤.

(٢٣٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٠.

(٢٣١) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٥٨.

نسمع بخروج أي جيش أموي نحوه على مدى عدة سنوات، مما يعني أنه ظل فترة من الزمن خاضعا للسلطة الأموية، ويعضد ما نذهب إليه كون الأمير عبد الله قد استعان به سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م للتخلص من فهر بن أسد أحد المتمردين في جَيَّان(٢٣٢)، فلبى الطلب، وقبض على فهر هذا، «فتقرب به إلى الأمير عبد الله» ـ حسب تعبير ابن حيان ـ (٢٣٣).

زد على ذلك أن سعيد بن مستنة كان على غير وئام مع زعيم الدعوة المولدية عمر بن حفصون في بعض سنوات الفترة التي رجحنا أنه قد أطاع الإمارة الأموية فيها، بدليل أنه حينما فر مسلم بن مولود★ من ببشتر في حدود عام ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م التجأ إليه لأنه كان في تلك الأيام منابذاً لابن حفصون(٢٣٤).

ولا ريب أن عداوة سعيد بن مستنة لابن حفصون لا تقتضي أن تكون روابطه حسنة بالإمارة الأموية، لكن التقارب بينه وبين الأمير عبد الله سيكون أكثر احتمالا مما لو كانت المودة قائمة بين هذين المتمردين، ذلك أننا نرى ابن مستنة ما إن ساءت علاقته بالأمير عبد الله سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م حتى اتجه رأسا إلى ابن حفصون، وتخلى له «عن حصن بَلْدة . . . ★★ وظافرة، وأبدى

---

(٢٣٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٢ .

(٢٣٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٥ .

★ وهو أحد الثوار في كورة شذونة، وكان عمر بن حفصون قد قبض عليه واحتجزه عنده في ببشتر. انظر (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٤، ١١٥) وسوف نفصل الحديث عنه في الفصل الرابع بمشيئة الله .

(٢٣٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٥ .

★★ حصن بَلْدة Balda يقع في الطرف الحالي لمغارات القديس ماركوس Cuevas de san Marcos . ومن المحتمل جدا أن هذا الحصن يشغل الآن مكان بلدة توركس Torrox .

(Joaquin Vallve, op. cit., p. 154, 155)

ما كـان بضميره من العصيان»(٢٣٥)، وعندئذ وجـه الأمير عبد الله في السنـة التـاليـة حملـة للانتقـام منـه، ومع أن قـائد الحملـة تمكن من اقتحـام بعض حصونـه إلا أنه لم يرتدع، بل بـادر في الالتحاق بالحلف الـذي ضمه مع ابن حفصون وابن هذيل الذي استطاعت الإمـارة أن تفضه بسهولة ـ كما سبق أن ذكـرنا ــ ثم أعـاد الكـرة مرة أخـرى بـالتحالف مع ابـن حفصون فقط عـام ٢٩٨هـ/ ٩١٠م، ولكن الإمارة أيضـا ضربت الاثنين ضربـة مـوجعة عنـد هجومهما على قرى قَبْرَة وقرطبة★.

وفي السنة نفسهـا التي تلقى فيها ابن مستنة هـذه الهزيمة قَتَلَ أهلُ حصن آشر عاملَهم مِنْ قِبَلِه، فتقربوا «بقتلـه إلى الإمام عبد الله. . . فقدم منهم قوم برأسه. . . فشكر لهم ذلك»(٢٣٦). ولعل هذا يلهم بأن أتباع ابن مستنة بدأوا يميلون إلى جـانب الإمـارة في الأيام الأخيرة من عهـد الأمير عبد الله الـذي ما لبث أن توفى.

٣ ـ تمرد المولدين في كورة جَيَّان

ظلت كورة جَيَّـان في عصر الأمير محمد على الطاعة، إذ كـانت من الكور التي تزود الجيش الأموي بالكثير من الجند(٢٣٧)، وفي أوائل عهد الأمير المنذر - فيما يظهـر - بدأ الـوضع فيهـا يتضعضع إثر تلـك الغارة التي شنهـا زعيم المولدين عمر بـن حفصون عليها(٢٣٨)، وحينما اعتلى الأمير عبـد الله عـرش

---

(٢٣٥) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٤٣.

★ انظر ما سبق في هذا الفصل، ص ١٥٥.

(٢٣٦) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٤٧.

(٢٣٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٢٧١.

(٢٣٨) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١١٥.

الإمارة كان في كورة جيان عدد من المتمردين ★، وكانت أكثريتهم من المولدين وسنذكر منهم خير بن شاكر، وعبيد الله بن أمية بن الشالية وسعيد ابن هذيل .

(أ) خير بن شاكر

كان خير بن شاكر أحد المولدين الذين خالفوا على الدولة الأموية في كورة جَيَّان ، وقد اتخذ من حصن شَوْذَر ★★ مركزا لنشاطه ، وكان يتعصب لبني جلدته تعصبا شديدا إلى درجة أنه «قام بدعوة المولدين والعجم» معا(٢٣٩).

ولما انتفض المولدون على الحكم الأموي في كورة جيان عامة بقيت حاضرتها على الطاعة في السنة الأولى من حكم الأمير عبد الله ، فهي لم تبادر بالعصيان كغيرها من مدن هذه الكورة بدليل أن عاملها الأموي تحرك منها في تلك السنة لضرب المناوئين للسلطة الذين ظهروا في الأقاليم والحصون التابعة لها(٢٤٠) بيد أن أهلها سرعان ما انجرفوا في سيل الفتنة ، وانتقضوا على الإمارة في السنة التالية ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م ، وطردوا عاملهم ، ولم يجدوا خيراً من خير ابن شاكر ـ القريب منهم ـ ليتولى شؤونهم ، الذي سارع بضمها إلى سلطانه(٢٤١).

★ يفهم ذلك بناء على أنه في السنة التي تولى فيها الأمير عبد الله سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م . كان عامل هذه الكورة قد انشغل بمحاربة المتمردين فيها . انظر (ابن حيان ، **المقتبس**، ق٣، ص . ص٥١-٥٢).

★★ شَوْذَر: حصن عظيم يقع في الشرق من حاضرة جيان قبالة مدينة بَيَّاسَة (الإدريسي ، **صفة المغرب**، ص ٢٠٣) وهو الآن بلدة Jodar الحديثة من أعمال ولاية جيان (ابن الخطيب ، **الإحاطة**، جـ ١ ، ص ١٢٨ ، حاشية ، ١٤ ، ص ٣٤٢ ، حاشية ٣٠).

(٢٣٩) ابن حيان ، **المقتبس**، ق٣، ص ٢٤ .

(٢٤٠) ابن حيان ، **المقتبس**، ق٣، ص . ص ٥١-٥٢ .

(٢٤١) ابن عذاري ، **البيان**، جـ ٢ ، ص ١٢٢ .

تفاقم أمر خير بن شاكر فاتصل بعمر بن حفصون زعيم المولدين في الجنوب الأندلسي، وتحالف معه، وفي المقابل عادى العرب في كورة إلْبيرة المجاورة، فقصد حصونهم، وعاث فيها، «فأوقع بهم، وأباد خلقا منهم»(٢٤٢).

خشي الأمير عبد الله مغبة تَرْكِ ابنِ شاكر الذي احتل عاصمة جيان، وعاقد عمر بن حفصون، وبث الفوضى والاضطراب في المناطق المجاورة ـ خشي من مغبة ذلك فاجتهد في تأديبه بكل قوته التي كان يملكها في أوائل عهده ـ وهي ضئيلة فيما يبدو ـ حيث أغزى إليه القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة فحاصره في حاضرة جيان، وعلى الرغم من أن القائد قد قتل العديد من أصحاب ابن شاكر فإنه لم ينل من ابن شاكر نفسه شيئا(٢٤٣)، الأمر الذي دفع بالأمير عبد الله إلى إعادة الكرة عليه في السنة نفسها مرة أخرى، فبعث إليه قائده الآخر عباس بن عبد العزيز(٢٤٤)، وحينما كان جيش الإمارة يُضيق على هذا المتمرد كان الأمير عبد الله في الوقت عينه يدبر للتخلص منه بالكيد والحيلة، فأوقع بينه وبين حليفه عمر بن حفصون الذي كان غير راضٍ عنه ـ من منطلق أسباب ذكرناها في مكانها★ ـ فكاد لصاحبه وقتله، وتفصيل ذلك أن ابن شاكر كان قد أرسل إليه يطلب المدد منه لدرء الجيش الأموي، فأنفذ إليه ابن حفصون خيلا بقيادة أحد رجاله الأشداء، وواطأه في السر على الفتك بابن شاكر، فلما خرج هذا الأخير لاستقبال قائد ابن حفصون باغته بالقتل، وبعث برأسه إلى ابن حفصون الذي أرسله بدوره إلى الأمير عبد الله،

(٢٤٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٤.

(٢٤٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٢؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٢٢.

(٢٤٤) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٩٢.

★ انظر ما سبق ذكره في هذا الفصل.

وكان هذا في عام ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م(٢٤٥)، وبذلك انتهى أمر هذا المتمرد.

(ب) عبيد الله بن أُمية بن الشَالِيَة

كان عبيد الله بن الشالِيَـة من زعماء المولدين البارزين في زمن الفتنة(٢٤٦)، وقد خـرج على السلطة الأمـوية في جبـل شُمُنْتَان (٢٤٧)★، الـواقع في شمالي حاضرة جَيَّان(٢٤٨)، وقد استفحل أمره، وعلا شأنـه، إذ أن سلطانه امتد إلى حصن قَسْطَلُونة(٢٤٩)★★، والظـاهر أن هـذا التوسع لابن الشـالية كـان في السنوات الأولى من دولة الأمير عبد الله حينما كانت في أسوأ أيامها.

ويشير ابن حيان(٢٥٠) إلى أن الأمير عبد الله قد بعث القـائد عبد الملك بن عبد الله بن أمية على رأس جيش لحرب ابن الشاليـة، فاستطاع عبد الملك أن يهزمـه في موقعـة جرت بينهما، فـالتـزم بعدهـا بـدفع قطيع من المال للإمـارة الأموية على أن تتركه يحكم أراضيه كما فعلت مع غيره من المتمردين.

(٢٤٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٩٢-٩٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٣.

(٢٤٦) الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب، ص ١٣١.

(٢٤٧) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٣٠؛ ابن سعيد، المغرب، جـ٢، ص ٦٩.

★ جبل شُمُنْتـان Somontin يقع الآن بين مـدينـة لينـارس الحديثة ونهر الـوادي الكبير (عنـان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص ٣٣٠، حاشية ٢)

(٢٤٨) عنان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص ٣٣٠، حاشية ٢).

(٢٤٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٣٠.

★★ وبذلك أصبح عبيد الله بن أميـة يحكم منطقة تصل إلى أكثر من ثلاث مـراحل من كورة جيان، ذاك أن قَسْطَلُونـة يقع بقرب مـدينة بَسْطَـة (القزويني، آثار البلاد وأخبـار العباد، (بيروت: دار صادر، د. ت.)، ص ٥٥٣، ومـدينة بَسْطَة كـانت تقع في جنوب شرقي حاضرة جيـان على بعد ثلاث مـراحل منها (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص. ص ٤٤-٤٥) لكن حسين مـؤنس يذكر أن قَسْطَلُونة قرية تسمى Cazlona إلى جوار بلدة لينارس الحالية في شمالي مـديرية جيان (ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ٢٥١، حاشية ٣).

(٢٥٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠.

ولا تذكر المصادر سنة هذه الموقعة، إلا أنه مع ذلك لا بد أن تكون قد حدثت قبل سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م التي قتل فيها القائد عبد الملك بن عبد الله ابن أمية(٢٥١)، حيث إن الدولة كانت في موقف ضعف قبل معركة بُلاي سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م(٢٥٢)، فلم تكن قادرة على تجهيز الجيوش نحو الثائرين الذين هم ـ في الوقت ذاته ـ كانوا لا يخشونها بحيث يقومون بدفع الأموال لها؛ فضلاً عن كون الإمارة قبل هذه المعركة لم تكن تستخدم أسلوب إبقاء الثائرين في مناطقهم عند تكفلهم بدفع قدر من المال لها، بناء على ذلك كله فمن المرجح أن تكون الموقعة التي أذعن فيها عبيد الله بن الشالية للدولة الأموية كانت بين سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م وسنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م.

على أن ابن الشالية لم ينشب أن انحاز إلى ابن حفصون، فاتصل به ووالاه، ولتوثيق هذه الموالاة ارتبط معه برباط المصاهرة، إذ زوج ابنته من جعفر ولد عمر بن حفصون(٢٥٣)★.

وحيث إن المكان الذي اقترح ليتم اللقاء فيه بين ابن حفصون ومحمد بن لب القسوي الثائر بالثغر الأعلى حينما هَمَّ الاثنان بالتحالف ضد الدولة الأموية عام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م، كما أبنا من قبل ـ حيث إن ذلك المكان كان في أحواز جيان(٢٥٤) فغير بعيد أيضا ـ أن هذا اللقاء لو تم سيقع تحت رعاية ابن الشالية نفسه، ويكون طرفا ثالثا في التحالف، يلهم هذا أن لب بن محمد بن لب ـــ الذي بعثه والده نيابة عنه ـ قد دافع عن ابن الشالية، وقتل قَوْماً من النصارى كانوا يحاربونه يومذاك(٢٥٥).

---

(٢٥١) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ٣٧٤.

(٢٥٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٣.

(٢٥٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠؛ ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ٢٣٠.

★ وقد أنجبت ابنة عبيد الله بن الشالية لجعفر بن عمر بن حفصون ولدا ذكرا (ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ١١٦).

(٢٥٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٧.

(٢٥٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٩.

ولم تكن علاقـة ابن الشالية بـالمتمردين المجـاورين حسنة طول أيـامه، إذ تصـادف أن تجري بينه وبين بعضهم مشكـلات، مثلما حـدث مع الفتح بن ذي النون★ الذي حاول أن ينـازعه حصن ذيمية★★، ولكن ابن الشالية وفق في هزيمته، ثم حاز الحصن دونه(٢٥٦).

ويخيل إلينا أن عبيـد الله بن الشاليـة قد ظل هادئا، فلـو أنه كـان يناصب الـدولـة الأمويـة العـداء لأخـرج الأمير عبد الله الجيـوش إليـه كما تصرف مع المتمردين الآخرين★★★، خاصـة أنه كـان أخطر من غيره من نـاحية قـربه للعاصمة، حيث كانت حصونه في كورة جيان المجاورة لكورة قرطبة.

ويشهد بهذا الهدوء الذي ظل عليه ابن الشاليـة أنه حاول في إطار السلطة

★ الفتح بن ذي النون ثار في أُقْلِيش في النواحي الشرقية من طليطلة، وسوف نتحدث عنه فيما بعد.

★★ حصن ذيمية: لم يتيسر في المصادر التي بين أيدينا العثور على اسم لموقع في الأندلس بهذا الرسم نفسه، لكنَّ هنـاك موضعاً باسم وَيْمِيَـة ذكر ياقوت أنـه تابع لكورة جيان (يـاقوت الحموي: **معجم البلدان**، جـ ٥، ص ٣٨٧) كما ذكـر الـرازي مـوضعـا بلفظ رَيْميَّـة حينما وصف نهر الوادي الكبير فقال بأن «مخرجه من ناحية ريمية» (حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية**، ص ٦٥) والـوادي الكبير ينبع من جبـال شَقُـورَة (الإدريسي، **صفة المغرب**، ص ١٩٥، ابن سعيـد. **كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العـربي، ط١ (بيروت: المكتب التجـاري، ١٩٧٠م)، ص ١٦٧، وشَقُورَة من المناطق التابعة لكورة جيان (الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ١٠٥) وهي في شماليهـا الشرقي لا تبعـد كثيرا عن أُقْلِيش (الإدريسي، **صفة المغرب**، ص ١٩٥) وقد جاء في وَصْـف غزوة لعبـد الرحمن الناصر سنـة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م أن ريميـة (بالـراء) من أوائل محطات الداخل لكورة جيان بعد خـروجه من كورة شَنْتَ بَرِيَّة (ابن حيان، **المقتبس**، جـ ٥، ص ٣٦٢) وحيث إن الفتح بن ذي النون نازع ابن الشالية حصن ذيمية، بمعنى أن الفتح قد تحرك من أُقْلِيش في كورة شنت بـرية للسطو على هذا الحصن فإنـه من المرجح أن يكون حصن ذيمية = ويميـة = ريمية، ومـوقعه في المنطقـة الشمالية الشرقيـة من كورة جيـان كما اتضح من العرض السابق.

(٢٥٦) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٠؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ٢٣٠.

★★★ لا تذكر المصادر أن الدولة الأموية وجهت أي حملات نحو ابن الشَالِيَة سوى تلك التي قادها عبد الملك بن أمية والتي أشرنا إليها في المتن.

التي منحتـه إياهـا الإمارة الأمـوية أن يُكَـوِّن دويلة لـه في الأراضي التي بسط عليهـا سلطانـه، فبنى الحصـون★، وولى عليهـا بعض المُصَـافِين لـه من أصحابه(٢٥٧)، كما كـون قـوة عسكريـةً خـاصـة بـه، فكـان لديـه «رجـال شجعـان، وقـواد معـروفـون، يخرجهم بجيشـه لمغـاورة من يُحاده إذا لم يخرج بنفسه»(٢٥٨) ثم إنه شيَّدَ القصور والمباني الفخمة، وانتجعه الشعراء والأدباء، وأجزل لهم العطاء★★، وقد استمر على هذه الحالة إلى أن انقضت إمارة الأمير عبد الله(٢٥٩).

(جـ) سعيد بن هُذَيل

يعـد سعيـد بن هذيـل أحد الـزعماء المولـدين(٢٦٠)★★★ الـذين أعلنـوا

★ عندما استنزله الناصر من حصونه سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م كانت تلك الحصون قد قارب عددها المئة (ابن حيان، المقتبس، جـ ٥، ص ٦٠، ٦٢).

(٢٥٧) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٣٧.

(٢٥٨) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ١٠.

★★ ويقول أحد الشعراء مادحا لابن الشالية:

أيا ملكاً طاعت له الإنس والجن   وقد مال من تيْهٍ بأيامـه الغصـنُ
علاؤك فوق النجم أضحى مُخَيَّماً   وأنت على ما نِلْتَ من رفعةٍ تدنـو

انظر (ابن سعيد، **المغرب**، جـ ٢، ص ٧٠) على الرغم من هـذه المبالغة المفرطـة إلى أبعد حد فإن هذين البيتين ـ على أي حال ـ يشيران إلى طرف مما كان عليه ابن الشالية.

(٢٥٩) عبد المجيد نعنعي، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس**، ص ٢٩٢..

(٢٦٠) عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين**، ص ٢٥٤، الطيبي، **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب**، ص ١٣١.

★★★ لم تذكر المصـادر صراحة أن سعيد بن هذيل كـان من المولدين؛ بيد أنه في ثنـايا الحديث عن جهود الدولـة الأموية في إخماد فتنته نجـد إشارات يفهم منهـا أنه كـــان من المولديـن. يقـول ابن حيان ـ على سبيل المثال ـ حاكياً عما فعله أحد القواد الأمويين بعد فتحه لأحد حصون ابن هذيل: «فأخرج عنه أصحاب ابن هـذيل، وأدخل فيه العرب والبربر» (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص١١٦).

عصيانهم للحكم الأمـوي في صـدر أيـام الأمير عبـد الله، فـدخل حصن المُنْتِلُون★ من كورة جيان، واهتم ببنائه وتحصينه(٢٦١).

حاول الأمير عبـد الله أن يثنيه عن غيه ويـرده إلى حبل الدولـة، فأنْهَد إليه جيشا بقيادة عبد الملك بن عبد الله بن أميـة، «فأذعن بالطاعة، والتزم قطيعا من الجباية»(٢٦٢)، ولا يستبعد أن يكـون هذا الجيش هـو ذاته الذي كـان قد خرج نحو عبيد الله بن الشـالية ـ الذي ذكرناه سابقا ــ خاصة وأن هذا الأخير وابن هذيل كليهما كـان في نطاق كورة جيـان؛ فضلا عن كون القـائد في كلتا الحالتين كان عبد الملك بن عبد الله بن أمية.

ولم يلتزم ابن هذيل ـ فيما يبدو ـ بما قطعـه على نفسه تجاه الإمارة الأموية لذا عرج عليه الجيش النافـر إلى تُدْمِير سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م(٢٦٣)، ولما حل هذا الجيش بأراضيه شرع القائد الأموي أحمد بن محمـد بن أبي عبدة بنسف كل ما يحيط بحصن المنتلـون، فأفسد الـزرع وقطع الشجـر، الأمر الـذي أزعج ابن هذيل فخرج لمقابلة القوات الأموية، وقـاتلها قتالا ضاريا، إلا أنه في النهاية

★ حصن المُنْتِلُون Monteléon لم أهتد بـالضبط في أي مكان يقع هذا الحصن من كـورة جيان، إلا أن ثمـة أسماء لأمـاكن وردت في الاشتبـاكات التـي جرت بين هـذا المتمـرد وبين الأمـويين يمكن أن نستنتج منها مكان حصن المنتلون على وجه التقريـب، فيقول ابن حيان عن العسكر الأموي الذي أراد أن يحارب ابن هذيل في بعض السنوات: «وحَيَّش على وادي بُلُّـون، ونزل على قلعة الأشعث» (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٥) وقلعة الأشعث هذه كان قد حَصَّنها أحد قواد الإمارة من أجل التضييق على ابن هـذيل (ابن عـذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٤٦) وبما أن قلعـة الأشعث كانت تُتخذ لمحاصرة هذا المتمرد في حصنه المُنْتِلُـون وهي تقع عند نهر بُلُّون الذي يبعد عن حاضرة جيـان بمقدار ميل واحـد فقط (الإدريسي، صفة المغرب، ص ٢٠٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٠) فإذن نستنتج أن حصن المنتلون كان قريبا جدا من حاضرة جيان.

(٢٦١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٢٥-٢٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٣٦.

(٢٦٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٦.

(٢٦٣) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٣٨.

لاذ بطلب الصلح، فأجيب إلى ذلك بعد أن قدَّم رهائن تدل على صدق نواياه (٢٦٤).

ومن الملاحظ أن القائد الأموي بعد أن صالح ابن هذيل في حصنه عمد إلى حصن آخر كان يعتصم به أنصار له، فحاربهم حتى غلبهم، ثم قام بإخراجهم من ذلك الحصن(٢٦٥)، وهذا يعني - فيما يظهر - أن الصلح الذي جرى بين القائد الأموي وابن هذيل كان لا يشمل جميع الحصون الموالية له، وربما أنه كان وقفا على حصن المنتلون فقط.

وأغلب الظن أن سعيد بن هذيل ظل فترة من الزمن يقدم طاعته للإمارة الأموية دون أن يُكِنَّ الإخلاص التام لها، إذ كان لا يدخر وسعا في عون الخارجين عليها، ولكنه لا يلبث أن يتراجع تحت وطأة الرهبة أو الرغبة، فمن ذلك أنه بذل مساعدة عسكرية لعمر بن مُضِمّ ★ الذي انتزى على عامل جيان وقتله، ولكن سرعان ما تغير موقفه منه بعد أن ضغط عليه قائد الجيش الأموي الذي خرج لقتال ابن مضم، فلما تقابل هذا الأخير مع الأمويين أمر ابن هذيل أصحابه الذين كان قد أرسلهم مددا له بالتخاذل عن القتال(٢٦٦)، فكان ذلك السبب الرئيس في القضاء على عمر بن مضم سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م(٢٦٧).

---

(٢٦٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٥.

(٢٦٥) ابن حيان، المقتبس، ص ١١٦ ويسمى ذلك الحصن بحصن «اللقون».

★ عمر بن مُضِمّ الهَتْرُوليّ، ويعرف بالملاَّحي لأن أصله من قرية «ملاَّحة»، وينسب إلى البربر. كان أحد الجنود المُدَوَّنين لدى عامل جيان، فتحركت عنده - فيما يبدو - طماعية في حكم جيان، فقتل عاملها، ونصب نفسه بدلا منه، إلا أن الأمير عبد الله لم يكن ليرضى عن هذا الانتهاك الصارخ خاصة أن دولته قد قويت في ذلك الحين، فأرسل جيشا إليه، واستطاع هذا الجيش أن يجبر ابن مضم على الاستسلام، حيث قبض عليه وأُخِذَ إلى قرطبة، فتم القضاء على حركة ابن مضم - كما في المتن - (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٥؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٦).

(٢٦٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٢٥.

(٢٦٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٩.

وحينما وجد ابن هذيل إصرارا من زعيم المولدين عمر بن حفصون على نقض كيان الدولة الأموية قام بعقد حلفٍ وثيق معه، وأظهر عصيانه للأمير عبد الله(٢٦٨)، على الرغم من كون دولته آنذاك في أعز أيامها، وعلى إثر ذلك اجتمع ابن هذيل سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م مع عمر بن حفصون وسعيد بن مَسْتَنَة ـ كما سبق أن ذكرنا ـ فأغار ثلاثتهم على نواحي جيان(٢٦٩)، وحيث إن حصون ابن هذيل في جيان نفسها فمن المتوقع جدا أن بعض تلك الحصون قد اتخذت مراكز انطلاق لتلك الغارات يُصدِّق ما نذهب إليه أنهم التجئوا ـ عندما هزمتهم جيوش الدولة الأموية ـ إلى حصن جَرِيشة(٢٧٠) الواقع ـ فيما يظهر ـ في جبل جَرِيشة المطل على حصن المُنْتِلون(٢٧١) القاعدة الأولى لابن هذيل.

ولم تنِ الدولة الأموية في قتال ابن هذيل بعد إقدامه على هذا التحالف الخطير، إذ سارع القائد الأموي الذي أوقع الهزيمة بالحلفاء الثلاثة ـ سارع في التضييق على ابن هذيل، فافتتح بعض حصونه، وابتنى قواعد عسكرية قبالة بعضها الآخر وشحنها بالرجال من أجل مغاورته(٢٧٢).

وبالرغم من أن الأمير عبد الله تابع إرسال الحملات إلى ابن هذيل، وجَدَّ في سبيل إعادته إلى الطاعة خلال السنتين الأخيرتين من عهده(٢٧٣)، فإن هذا المتمرد استمر مصارحا للإمارة بالخلاف، ومكاشفا لها بالعصيان حتى توفى ذلك الأمير.

---

(٢٦٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٦.
(٢٦٩) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٥.
(٢٧٠) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٦.
(٢٧١) ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ٦٠.
(٢٧٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٦.
(٢٧٣) انظر على سبيل المثال: ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ١٤٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٧، ١٤٩.

وجملة القول أن المتمردين المولدين في جنوبي الأندلس حاول أكثرهم الاتحاد فيما بينهم ضد الدولة الأموية قبل معركة بُلاي، وذلك مع تنامي نفوذ ابن حفصون، أما بعد معركة بُلاي فإن المناداة بالدعوة المولدية، والذود في سبيلها قد خَفَّ، وأضحى كل متمردٍ مولدي يعمل في إطار خاص به، ولم يمتنع بعضهم من الالتفاف مع غير المولدين بُغية ضرب الدولة الأموية، وأبرز برهان على ذلك الاتجاه الحلف الذي تمَّ بين ابن حفصون المولدي وابن حجاج العربي، ولكن هذا لا ينفي بقاء تحالفات مولدية خالصة ضد السلطة كما شاهدنا طرفا منها بين ابن حفصون وابن هُذيل وابن مَسْتَنَة في أواخر عهد الأمير عبد الله.

ثانياً : حركات المولدين في شرقي الأندلس

أما المولدون في شرقي الأندلس فقد اتخذوا من كورة تُـدْمِير ساحة للتعبير عن مشاعرهم المعادية للدولة الأموية، فقام بدعوتهم هناك زعيم منهم يدعى دَيْسَم بن إسحاق، وقد كان ديسم قبل ذلك أحد الفرسان المعدودين لدى عمر بن حفصون عميد المخالفين للسلطة الأموية في عهد الأمير عبد الله(٢٧٤)، ولكنه انشق عنه ربما لخلاف حدث بينهما، فيمم وجهه صوب كورة تُـدْمير، وتغلب على قاعدتها مُرْسِيَة★، وعلى مدينة لُورَقَة★★، وما يليها من حصون(٢٧٥).

وفي أوائل حكم الأمير عبد الله عظم ذكر ديسم بن إسحاق، وبَعُد صيته وكَثُر أنصاره(٢٧٦)، فكان خير بن شاكر أحد ثوار كورة جيان ـ على سبيل المثال ـ يُمَالِئُه، ليس هذا فحسب بل كان يعدل به ابن حفصون ذاته(٢٧٧).

ولقد كانت إمارة بني أمية في سنوات عهد الأمير عبد الله الأولى -كما

---

(٢٧٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١.

★ مُرْسِيَة Murcia مدينة أُنشِئت في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وقد تم ذلك على يد جابر بن مالك بن لبيد ومن يومها أصبحت هي القاعدة لكورة تُدْمِير (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٦؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٦) وتعد اليوم من مدن إسبانيا الكبرى (عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٩٩؛ الناعوري، في ربوع الأندلس، ص ١٤١).

★★ لُورَقَة Lorca إحدى المدن المعروفة في كورة تُـدْمِير، تبعد عن قاعدتها مُرْسِيَة ـ آنفة الذكر ـ حوالي أربعين ميلا (الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٩٦؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٧) وهي تقع إلى الجنوب الغربي من مرسية أيضا في الطريق إلى غرناطة (ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٢، ص ٤١٢، حاشية ٥).

(٢٧٥) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٣٥.

(٢٧٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٩.

(٢٧٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٤.

عرفنا- تمر بظروف صعبة جدا فوضعها الإداري والمالي كان سيئا، وكانت عاصمتها تهدد صباحا ومساءً من قبل عمر بن حفصون وغيره، فلا ينتظر - وحالتها هكذا - أن تلتفت إلى ديسم بن إسحاق البعيد عن مركزها، والذي لا يشكل خطرا مباشرا عليها، فلم يكن هَم الأمير عبد الله آنذاك سوى تسعير الخلاف بينه وبين ابن حفصون الذي كان لا يطيق حلفا مع أحد يميل إلى ديسم بن إسحاق(٢٧٨).

ولما زال الخطر الذي كان محدقا بالإمارة الأموية، ووقفت - نوعا ما - على قدميها، وتحسن موقفها العسكري، وبدأت تُخرج الجيوش لأخذ الطاعة من العصاة، جهز الأمير عبد الله عمَّه هشام بن الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م في حملة إلى كورة تُدْمِير حيث ديسم بن إسحاق، وقد جعل القائد فيها أحمد بن محمد بن أبي عبدة(٢٧٩)، وبعد أن وطِئت هذه الحملة أراضي جيان، وأخضعت عددا من حصونها دخلت أحواز كورة تُدْمير، فكانت «بلش»★ أول موضع قابل الجنود الأمويين في هذه الكورة، فاشتبكوا مع حاميتها وجرى بين الطرفين قتال شديد، وما زال الجيش الأموي يستقرئ حصون تلك الناحية إلى أن وصل إلى وادي طادروا★★، فاشتبك مع الحصون القريبة منه، ثم حل بمدينة مُرْسِيَة «وتَلَوَّم بها عشرة أيام حتى تقاضى مغارم أهلها»(٢٨٠)، وعقب ذلك سار الجنود الأمويون إلى مدينة لورقة التي كان فيها ديسم بن إسحاق نفسه في تلك الأثناء، وبعد رحلة شاقة - ندرت فيها المياه - وصلوا إلى هذه المدينة فاستقبلهم ديسم بالقتال فظلت الحرب سجالا بين

---

(٢٧٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٤.

(٢٧٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٤؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٨.

★ يرجح أن تكون بلش هذه هي «بالش» التي ذكرها العذري على أنها من أقاليم كورة تدمير، وكانت قاعدة بذللش (نصوص عن الأندلس، ص ١٠).

★★ طادروا: هو نهر مدينة مُرْسِيَة (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٧) ولعله نهر تادر Tader الذي أطلق عليه فيما بعد اسم شَقُورَة Segura (أرسلان، الحلل، جـ٣، ص ٢٩٠).

(٢٨٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص.ص ١١٦-١١٧.

الجانبين عدة أيام اضطر بعدها القائد الأموي إلى مغادرة المكان بجيشه عائداً إلى قـرطبة، وعنـدها حـاول ديسم أن ينـال من ذلك الجيش بضرب سَاقَتِـه، ولكن رُدَّ على أعقابه، فارتد منهزما(٢٨١).

ومن الواضح أن هـذه الحملة لم تستطع إعادة السيادة الأمـوية على منطقة تدمير؛ فضلا عن كونها عجزت عن رد هذا المتمرد إلى حبل الطاعة بأي شكل من الأشكال.

ولقد ذكر ابن القوطية(٢٨٢) أن القائد أحمد بن أبي عبدة ـ آنف الـذكر ـ قد خرج إلى تدمير فنشب بينـه وبين أصحاب ديسم بن إسحاق معركـة مهولة، انتصر فيهـا عليهم انتصاراً سـاحقـاً، ثم تقـدم نحو زعيمهم ديسم ومـا زال يتوعده بـالعبارات القارصة، ويهدده بتخريب كل أثـر للحياة في بلاده إلى أن أذعن بالخضـوع للدولة الأمـوية، والتزم بـدفع الجبايـة لها شأنه في ذلك شأن الكثير من المتمردين في الأندلس في ذلك الحين.

وليؤكد ديسم طـاعته لحكومة قرطبة سَكَّ النقود في مَحِلَّتِـه باسم الأمير عبد الله(٢٨٣)، وهذه بادرة لم تَذْكر المصادر ـ فيما يظهر ـ أحدا سواه قام بها.

وفي نطاق الصلاحيات التي تهيأت له في كـورة تُدْمِير تشبه بالملوك، واتخذ جيشاً حسن التدريب، وافـر العدد والعدة، كما كانت له اهتمامـاته الأدبية، الأمر الـذي جعل العديد من الأدبـاء والشعراء يترددون على قصره(٢٨٤)، وقد ظل على هـذه الحالة حتى وافـاه الأجل المحتـوم سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م(٢٨٥) فقدَّم أهل تُدْمِير ابنيه أمية وعبيد الله مكانه، ولكن ما لبث أن قُتِل عبيد الله، فانفرد أمية بالحكم فيها(٢٨٦)، والظاهر أنه لم يغير في سياسة والده ديسم تجاه الإمارة الأموية بقية أيام الأمير عبد الله.

---

(٢٨١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ١٧ – ١١٨؛ ابن عذاري، البيان، ص ١٣٨.
(٢٨٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١١٩.
(٢٨٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١.
(٢٨٤) عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص ٢٩٢.
(٢٨٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٢.
(٢٨٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٢.

ثالثا: حركات المولدين في غربي الأندلس

كان زعماء المولدين في غرب الأندلس من أوائل من حمل راية الدعوة المولدية في الأندلس، فقد خرجوا على الدولة الأموية في زمن مبكر من عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، ولذا فقد صرف هذا الأخير شطرا من مجهوداته الحربية لإخماد انتفاضاتهم، إلا أنه مات دون أن يكتب له التوفيق في القضاء عليهم وانتقل بذلك عبء مقاومتهم لابنيه الأمير المنذر، ومن بعده الأمير عبد الله، وسنتحدث فيما يلي عن حركات هؤلاء المولدين وعلاقتهم بالإمارة الأموية في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري.

١ ـ عبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي وأسرته في كورة مَارِدَة:

كان جده قد قَدِمَ من جِلِّيقِيَّة فاستقر بمدينة ماردة، واعتنق الإسلام، فأمست أسرته في هذه المدينة من الأسر المولدية البارزة إبان عصر الإمارة(٢٨٧)، ولقد تزعم مروان بن يونس ـ والد عبد الرحمن ـ الثورة على الأمير الحكم الربضي سنة ٢٠١هـ/ ٨١٦م(٢٨٨)، ويبدو أنه عاد إلى حظيرة الأمويين لأننا نرى الأمير عبد الرحمن بن الحكم يسند إليه عمل ماردة(٢٨٩)، فاستقامت طاعته حتى قتل عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م بأيدي الخارجين على الدولة الأموية في هذه المدينة نفسها(٢٩٠).

وكما سبق أن عرفنا كان عبد الرحمن بن مروان قد تمرد على الأمير محمد في كورة ماردة، ودارت بين الجانبين خطوب عظيمة تمخضت عن لجوء ابن

(٢٨٧) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٣١. Provencal, op. cit., p. 193.

(٢٨٨) ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص ٤١.

(٢٨٩) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٦٢٣، تعليق ٥٦٧.

(٢٩٠) عنان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص ٣٠٤. Provencal, op. cit., p. 193.

مروان إلى ملك أشتوريس، لكنـه عاد بعد عدة سنوات إلى قاعـدته بَطَلْيُوس من كورة ماردة، وحيث إن الأمير محمدا كـان قد اضطر إلى الاعتراف به حاكما عليها فإنه لم يَنِ في إرسال البعوث نحوه محاولا القضاء عليه، إلا أنه توفي دون أن يتمكن من الوصول إلى مراده★.

ولا تعيننـا المصادر بأخبـار صريحة عن ابن مـروان في عهد الأمير المنـذر، وكل ما لدينا أن ابن مروان ـ قبل ولايـة الأمير عبد الله ـ كان قد استغلظ شأنه في بـلاده، ووقعت بينـه وبين زعيم البربـر في مـاردة محمـد بن تـاجيت★★ حروب شنيعـة كان النصر فيهـا حليفه[٢٩١]، كما ضَمَّ إلى قـاعدتـه بطليوس أراضي واسعة[٢٩٢].

وحينما تولى الأمير عبد الله الحكـم بادر عبد الرحمن بن مروان بـإظهار الولاء له[٢٩٣]، وكتب إليه «أن يُجَدِّدَ له سِجِلاً على بلده، وعَقْـداً على قومه المولدين فأجابه إلى ذلك»[٢٩٤] ليس هذا فقـط، بل إن الأمير قدم له العـون من أجل بناء بعض المرافق العمرانية في مدينة بَطَلْيَوْس[٢٩٥].

ولم تكن صلات الجليقي بالأمير عبد الله ـ والتي غلب عليها الطابع الودي ـ لم تكن تلك الصلات لتمنعـه من المشاركة في أحداث التمـرد الجارية آنذاك في الأنـدلس، وبخاصـة القريبـة منه، فعنـدما اشتعلت الثـورة على الدولـة الأمويـة في كورة إشْبِيليـة سنة ٢٧٦هــ/ ٨٨٩م، زحف ابن مروان إليهـا من

★ انظر التمهيد من هذا البحث.

★★ سنفصل الكلام عن محمد بن تاجيت في الفصل الرابع.

(٢٩١) ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص ١٧١.

(٢٩٢) ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص ١٧٠.

(٢٩٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٥٣.

(٢٩٤) البكري، جغرافية الأندلس، ص. ص ١٢٢-١٢٣.

(٢٩٥) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١١٣، الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣.

قاعدته بطليوس فنزل في قرية مورة★، ثم شن الغارات منها على حاضرة إشبيلية وما حولها، وظل يفعل ذلك أياما، ثم قفل إلى قاعدته[٢٩٦].

ويبدو أن الذي دفع عبد الرحمن بن مروان للقيام بهذا الزحف هو استعانة كريب بن خلدون ـ مؤرث الفتنة في مدينة إشبيلية★★ ـ ببربر ماردة لمعاونته على ضرب المعارضين[٢٩٧] له من أهل المدينة ونحن نعرف أن بربر ماردة كانوا أعداءً لابن مروان، وكان قد قَلَّم أظفارهم فربما أن زحفه ذلك جاء بسبب خشيته من تحالفهم مع ابن خلدون ضده إن نجح هذا الأخير في الاستقلال بحكم إشبيلية؛ فضلا عن كون ابن خلدون كان مناوئا للمولدين في هذه المدينة[٢٩٨]، الذين كان ابن الجليقي يتعصب لدعوتهم.

ولم ينسأ الله لابن مروان في أجله بعد عودته إلى بلده من هذه الغزاة، إذ ما لبث أن توفي في السنة نفسها[٢٩٩]، فخلفه ابنه الذي دخل في صراع مرير مع البربر المجاورين، ولكن ذلك لم يدم سوى شهرين، لأن هذا الابن قد لحق بأبيه[٣٠٠].

ويَلُوح لنا أن الأمير عبد الله قد استفاد من هذه الحروب المستشرية بين بني مروان والبربر فأعاد مدينة بطليوس لحكمه المباشر، لأننا نراه يغتنم وفاة

★ مورة Mora قرية في إقليم الشرف من إشبيلية (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٥) وهي تبعد عنها بمقدار ثلاثة فراسخ، أي: تسعة أميال.

(Francisco Codera, Estudios Criticos de Historia Arabe Espanola (Madrid, 1917), p. 49.

(٢٩٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٩.

★★ سوف نبسط القول عن هذه الفتنة في الفصل القادم.

(٢٩٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٩.

(٢٩٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٨.

(٢٩٩) الحجي، أندلسيات، المجموعة الثانية، ص ١١٨. Anwar G. Che jne, op. cit., p. 32.

(٣٠٠) ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص ١٧١. وفي تاريخ ابن خلدون ـ هذا المطبوع ـ أن ذلك الابن هو: عبد الرحمن بن مروان، ولذا فالظاهر أن اسم ابن عبد الرحمن بن مروان الذي خلف والده قد سقط من العبارة، خاصة وأن «كوديرا» قد اطلع على مخطوطة لتاريخ ابن خلدون في باريس تحت رقم «٥٠١٩» وَجَدَ فيها أن هذا الابن يُدعى مروان (Francisco Codera, op. cit., p. 75).

ابن عبد الرحمن بن مروان، ويولي عليها أميرين عربيين ــ لا تحدد المصادر اسميها ـ فكان هذا سبباً لجلاء أسرة الجليقي عن بطليوس وحلولهم بحصن شُوَنَّة★، ثم التحقوا بأحد حلفائهم(٣٠١)، وبدءوا يتربصون السوانح للعودة إلى بلدهم، وشاء الله أن ينشب خلاف بعد فترة من الزمن بين الأميرين اللذين كانا قد أسندت إليهما ولاية بطليوس من قبل الأمير عبد الله، فقتل أحدُهما الآخر، واستقل بالحكم فيها، وحينئذ تهيأت الفرصة لعبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن مروان ـ حفيد عبد الرحمن الجليقي★★ ـ فقدم إلى بطليوس، وقتل حاكمها المستقل سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م، ونصب نفسه، واليا عليها(٣٠٢)، فاسترد بهذا مجد أسرته التليد.

ولقد استأنف عبد الله بن محمد الجليقي الحرب مع البربر المحيطين به إلى أن أخضعهم، كما حارب ابن تاجيت زعيم بربر مَارِدَة، ثم اصطلح الطرفان

★ حصن شُوَنَّة: صَنَّفه ياقوت في كتابه، لكنه لم يذكر عنه سوى أن أحد العلماء كان منه ـ نقلا عن ابن الفرضي ـ (ياقوت، **معجم البلدان**، جـ٣، ص ٣٧٤)؛ وعند ابن الفرضي نفسه رُسِمَ بألف هكذا «أشونة». (ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ١، ص ٨٥). ولم أستطع الظفر بتعريف لحصن شونة المذكور في المتن، ، فهل يا ترى حصن شونة هو أشونة؟ الظاهر أن ذلك بعيد الاحتمال، لأن أشونة ـ بالألف ـ تقع ضمن كورة إِسْتِجَّة كما علمنا سابقا، فهي بعيدة عن كورة مَارِدَة التي منها مدينة بطليوس، ومن المنطقي أن يعتصم بنو الجليقي قرب المدينة التي أجلوا عنها، وإذا لم يكن كذلك فلا بد أن يعتصموا في حصن يكون في وسط مُحَالِفٍ لهم؛ خاصة وأنهم التحقوا بأحد حلفاء عميدهم عبد الرحمن؛ ومن المعروف أن حلفاء الجليقي كانوا في المناطق الغربية البعيدة عن كورة إستجة، وعلى هذا نخلص أن «شونة» ـ! بدون ألف ـ لا بد أنها تقع في الجهات الغربية من الأندلس.

(٣٠١) ابن خلدون، **تاريخه**، (بيروت: مؤسسة جمال، د. ت.)، جـ٤، ص ١٣٤.

★★ ويذكر ابن حيان أن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقي مَرَّ عليه زمن عاش فيه بدار الرهائن في قرطبة، وذلك بصفته رهينة عن جده عبد الرحمن بن مروان (ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٥).

(٣٠٢) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٤، ص ١٣٤.

وأعطى كل منهما الطاعة للأمير عبد الله، فهدأت الأحوال بذلك، على أنه لم يمر وقت طويل حتى تجدد النزاع بينهما مرة أخرى(٣٠٣)، وظل الوضع هكذا حتى أيام عبد الرحمن الناصر(٣٠٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أن آل الجليقي أثناء حكمهم لبطليوس كانوا يشجعون العلم في مدينتهم بطليوس، ويُجِلُّون العلماء، ويعلون مراتبهم(٣٠٥).

٢ ـ بكر بن يحيى بن بكر في كورة أُكْشُونْبَة★:

كانت كورة أُكْشُونْبَة إحدى المناطق التي استهدفها عبد الرحمن بن مروان الجليقي بعد خروجه على سلطة الأمير محمد، حيث قام هو وأحد حلفائه بغارات حادة عليها حتى تمكن من ضبط بعض النواحي هناك(٣٠٦).

وفي أخريات أيام الأمير محمد قام أحد المولدين في هذه الكورة ـ وهو يحيى ابن بكر ـ★★ بحركة معارضة ضد الدولة الأموية، فغلب على مدينة

(٣٠٣) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٤، ص ١٣٤.

(٣٠٤) ابن حيان، **المقتبس**، جـ٥، ص ٩٦.

(٣٠٥) ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ٢، ص ٩٣٥.

★ كورة أُكْشُونْبَة أو أخشونبة Ocsonoba كانت تحتل الركن الجنوبي الغربي من الأندلس (ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ٦٢، حاشية ١) وكانت قاعدتها مدينة «شِلْب» (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ٢٢؛ ياقوت، **معجم البلدان**، جـ٣، ص ٣٥٧)، وهي الآن تقابل مديرية الغرب El Algarve في البرتغال الحالية (ابن الأبار، **الحلة**، جـ٢، ص ٢٠٣، حاشية ٣؛ حسين مؤنس، **رحلة الأندلس**، ص ٤٠٨).

(٣٠٦) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص.ص ١٠١-١٠٢؛ ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٤٥.

★★ ذكر ابن النظام أن نسب هذا الزعيم يعود إلى أهل البلاد الأصليين، فهو يحيى بن بكر بن زدلف، حيث كان جده زدلف هذا عجميا من عجم الأندلس، فدخل في موالاة بكر بن نجاد الأوري، وسمى ابنه باسم مولاه (ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص١٦).

شَنْتَمَرِيَّة★، وما زال يجتهد في تقوية نفوذه في زمن غياب السلطة الأموية عنه إلى أن امتلك كورة أكشونبة بأكملها(٣٠٧).

ولما توفى يحيى آلت الزعامة في هذه البلاد إلى ابنه بكر الذي أبدى الميل إلى الطاعة، فخاطب الأمير عبد الله بن محمد، ولاطفه ليعترف به حاكما على هذه المنطقة، فلم يكن أمام الأمير عبد الله إلا الموافقة على ذلك(٣٠٨).

وفي الحقيقة أن المصادر لا تبين لنا في أي سنة كان ذلك، ولكن من المتوقع أن هذه المراسلات بين بكر بن يحيى والأمير عبد الله قد تمت في أواسط عهد هذا الأمير بعد أن أصبحت الإمارة الأموية على قدر من القوة، بحيث خشي بكر أن ترسل الجيوش لحربه، علاوة على قناعته بأن الأمير عبد الله لا يمانع في إقراره على حكم بلاده أسوة بغيره من المتمردين.

وباعتراف الإمارة به حاكما هناك انتقل بكر بن يحيى إلى حاضرة الكورة «شِلْب»★★، فجدد عمارتها، وأصلح مرافقها(٣٠٩)، ثم دعم سلطانه بهذه الكورة، فكوّن ما يماثل الدويلة، إذ استعان بأصحاب الرأي، وعين

★ شَنْتَمَرِيَّة الغرب Santa Maria de Algarve مدينة تابعة لكورة أكشونبة، وكانت على البحر بحيث إن مياهه في حالة المد كانت تصطدم بسورها، بينها وبين القاعدة شِلْب حوالي ثمانية وعشرين ميلا (الإدريسي، **صفة المغرب**، ص ١٧٩؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ١١٥) وهي الآن مدينة فارو Faro البرتغالية الواقعة على المحيط الأطلنطي (عنان، **الآثار الأندلسية**، ص ٣٩٧؛ **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة: شَنْتَمَرِيَّة الغرب، جـ١٣، ص ٣٩١).

(٣٠٧) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٦.

(٣٠٨) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٦.

★★ شِلْب Silves مدينة على قيد ثلاثة أميال فقط من الساحل الغربي الجنوبي للأندلس. (الإدريسي، **صفة المغرب**، ص ١٨٠، الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ١٠٦) وهي الآن مدينة صغيرة في أقصى جنوبي البرتغال تشرف على نهر Arade قرب ثغر «بورتماو» الصغير (عنان، **الآثار الأندلسية**، ص ٤٠٢).

(٣٠٩) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٦.

كُتّاب لأعماله، وشكل جيشا من الرجال الشجعان★، ثم حرص على نشر الأمن والاستقرار في أرجاء دويلته، فأخذ عهدا مؤكداً على «جميع مَنْ في طاعته بإضافة أبناء السبيل وقِرَاء النزيل، وحفظ المجتازين، فكان السالك بناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه»[٣١٠].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن هذا الزعيم ظل إلى أن توفى في أوائل عهد عبد الرحمن الناصر ــ ظل يظهر العصبية للمولدين والعجم، مضادا بذلك العرب[٣١١]، ولذا كانت علاقاته وثيقة مع الثوار المولدين في المناطق الغربية من الأندلس[٣١٢].

وبجانب هذين المتمردين كان هناك عبد الملك بن أبي الجواد، وقد تمرد على الدولة الأموية في مدينة بَاجَة[٣١٣]، واتخذ من حصن مَارْتُلَة★★ مركزا لحركته[٣١٤]، نظرا لما كان يحتله هذا الحصن من المناعة، وشدة التحصين[٣١٥].

وكان قد عُرف عن هذا المتمرد تحمسه للدعوة المولدية في غربي الأندلس، فكان يرتبط برباط متين بآل الجِلِّيقي ــ الذين كانت مناطق نفوذهم تقع في

★ يقال عن بكر بن يحيى أنه كان «يتشبه في سلطانه بإبراهيم بن حجاج» (ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٧)، وإبراهيم بن حجاج هذا كان يحكم إشبيلية حكما ذاتيا بإقرار من الأمير عبد الله، كما سيأتي في الفصل الثالث.

(٣١٠) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٧.

(٣١١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٦.

(٣١٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٥.

(٣١٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٧.

★★ حصن مَارْتُلَة ومِيرْتُلَة Mértala إلى الشرق من مدينة باجة على نهر آنة. (ياقوت، معجم البلدان، جـ٥، ص ٢٤٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٥، ١٩١).

(٣١٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٥؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٥.

(٣١٥) الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٧٩.

الشمال منه ـ وبصاحب أُكْشُونْبَة الواقعة في جنوبي منطقة حركته(٣١٦)، وكأنه بـذلك يمثل حلقة وصل بين الجانبين، ولـذا فقـد كان الجميع «إلْبـاً على مَن خالفهم، ويَداً على مَن خرج عنهم»(٣١٧).

وهكذا كان المولدون في غربي الأندلس أكثر تضامنا مع بعضهم بعضاً★، وأخلص من غيرهم في الدعوة المولدية، ولكنَّ عداءهم للدولة الأموية لم يكن مُغْرِقـا كما كان عند ابن حفصون في الجنـوب الأندلسي مثلا، فهم لم يـوجهوا أي قـواتٍ لمحـاربـة الأمويين في عقـر دارهم قـرطبـة، ولم ينضمـوا إلى زعيم المولدين عمـر بن حفصون، بل إن الجليقي ـ على سبيل المثال ـ رفض بشدة الانضواء تحت رايته حينما ناشده بذلك(٣١٨).

---

(٣١٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٥؛ ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٣٥.
(٣١٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٥.
★ وكـان من زعماء المولدين في غـرب الأنـدلس سعدون بن فتح السرنبـاقي، كـان قد ثـار على الأمير محمد، ولجأ إلى الفـونسو الثـالث ملك أشتوريـس، وكان من حلفـاء عبد الرحمن الجليقـي، وقد ساعده في تمرده على الأمير محمـد (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠١؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص. ص ٣٤٤، ٣٤٩-٣٥٢، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٧٩) ثم حدث بينهما خلاف فابتعد سعدون عن حليفه (ابن خلدون، تاريخه، جـ٤، ص ١٧١) ثم لم يلبث أن قتله الفونسو الثالث، (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ق٣، ص ٢٣) وفي الواقع أننا لا نجد أخباراً صريحة عـن السرنباقي في عهـد الأمير عبد الله، فلا نعـرف متى فارق حليفـه الجليقي، ولا متى قتله الفونسو، فربما كان ذلك في عهـد الأمير محمد أو في عهد أحد ابنيه المنذر أو عبد الله!!، وكل ما نعرفـه أن له ابناً اسمه مسعود كـان له نشاط سياسي في غربي الأنـدلس في أوائل عهد عبد الرحمن النـاصر، وكانت علاقتـه حسنة جدا بحفيد الجليقي ـ عبد الله بن محمد بن عبـد الرحمن ـ (ابن حيان، المقتبس، جـ ٥، ص ٩٦، ١٠٤).
(٣١٨) ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص١٧١.

رابعا : حركات المولدين في الثغر الأعلى

كان المولـدون في الثغر الأعلى يمثلـون نسبة كبيرة من سكـانه[٣١٩]، فلقد احتفظ أهل مـدن بكاملها هنـاك بأصلهم الإسبـاني، يقول الحميري[٣٢٠] ـ مثلا ــ عن أهل مدينـة وَشْقَة: ★ «فليس بـوشقـة من أهلهـا المتأصلين رجل ينتهي إلى أصل صحيح من العــرب». وعلى هـذا كـان من الطبيعي أن يبرز عدد من الأسر المولـدية في هذه المنطقـة أيام الإمـارة الأموية، فيقلـد زعماؤها حكم بعض المدن[٣٢١].

ولقد كان هؤلاء الزعماء موالين لحكومة قـرطبة حينما كانت قوية، فبذلوا لها خـدمـات جليلـة، فلما ظهـر الضعف فيهـا، وتأججت في الأنـدلس نـار العصبيـة للمـولدين وغيرهـم إبان القـرن الثـالث الهجـري أصبح ولاؤهم لها اسميـا في أكثر الأحيـان[٣٢٢]، فكـانوا يصـانعـونها متى وجبت المصانعـة، ولكنهم لا يترددون لحظـة واحدة في انتهـاز أية فـرصة للتمـرد عليها ومحالفـة أعدائها من النصارى[٣٢٣].

ثم إن المولــدين في الثغـر الأعلى ســاروا على نهج إخـوانهم من مــولـدي الأنــدلس بالتعصــب ضد العـرب، فأقـدم بعض زعمائهم على قتل كثير من

(٣١٩) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٢٣٨ ؛ أحمد بـدر، **دراسات في تاريخ الأندلس**، ص ١٣٠.

(٣٢٠) الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ١٩٥.

★ وَشْقَة أو أشقـة Huesca مـدينة تقع إلى الشرق من تُطِيلـة (الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ١٩٥) وهي على بعد ثلاثة وسبعين كيلومترا من سَرَقُسْطَة إلى الشمال الشرقي منها (ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص ٧٤، حاشية ٣).

(٣٢١) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص. ص ٤٩٩–٥٠٠.

(٣٢٢) السامرائي، **الثغر الأعلى**، ص. ص ٢٨٨–٢٨٩.

(٣٢٣) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٢٦٠.

عرب سرقسطة بعد خلافهم مع الحكومة الأموية(٣٢٤) وفي الصفحات التالية سوف نتحدث عن أبرز زعماء المولدين في الثغر الأعلى وعن علاقتهم ببني أمية في قرطبة أيام الأمير عبد الله :

١ ـ محمد بن لُبّ القَسَوي وأسرته

كان قَسِي الجد الأعلى لمحمد بن لب القَسَوي★ واليا للقوط على الثغر الأعلى قبل الفتح الإسلامي للأندلس، ولما فتح المسلمون أراضي ولايته سار إلى الشام، فأسلم على يدي الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، ثم دخل في ولائه(٣٢٥)★★، فعندئذ أقره هذا الخليفة على ولايته، فغدا قَسي وأولاده زعماء المولدين في هذه المنطقة(٣٢٦).

ولما قامت الدولة الأموية في الأندلس أضحى أفراد هذه الأسرة موالين لها، ولذا نرى الأمراء الأمويين يعولون عليهم أبدا في تثبيت سلطان دولتهم في الثغر الأعلى(٣٢٧)، غير أن هذا الولاء بدأ يتناقض بمرور الزمن، فتمردوا على

---

(٣٢٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣١.

★ هو محمد بن لُبّ بن موسى بن موسى بن فُرْتُون بن قَسِي. (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٢٩)، وأفراد أسرة قَسِيّ يُنسبون إليه عادة فيقال لهم القَسَوى» (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ١، ق٣، ص ١٦).

(٣٢٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢.

★★ إن دخول قَسي في ولاء الخليفة الوليد بن عبد الملك يفرض علينا أن نُصنف حركة تمرد أحفاده على الدولة الأموية ضمن حركات الموالي في الفصل الرابع، ولكن صنفناها هنا لأن أسرة بني قسي قد انحلت من رابطة الولاء، يدل على ذلك قول ابن حزم بعد أن ذكر ارتباط قسي بولاء الخليفة : «ولذلك كان بنو قسي في أول أمرهم إذا وقعت العصبية بين المضرية واليمانية يكونون في جملة المضرية» (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢) وقوله « في أول أمرهم» إشارة إلى أن بني قسي قد احتفظوا بصبغة الولاء فترة من الزمن، ثم خلعوها فيما بعد.

(٣٢٦) عنان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص ٢٦٠.

(٣٢٧) السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٢٩٠، ٢٩٢.

الحكم الربضي(٣٢٨)، وفي عهد ابنه الأمير عبد الرحمن الأوسط برز من أسرة القسويين موسى بن موسى فصاهر أمراء مملكة نافار الناشئة، وتقلب في ولائه بين الدولة الأموية تارة، ونصارى الشمال تارة أخرى، وما زال نفوذه في الثغر الأعلى يتنامى حتى أطلق عليه الملك الثالث لإسبانيا في عهد الأمير محمد، ولذا فإن هذا الأخير خاف من سطوته، فجرده من ولاية الثغر، وحينئذ قام موسى بن موسى بحركات تنم عن ميله إلى العصيان، وبعد وفاته حمل أبناؤه وأحفاده لواء التمرد والعصيان ضد الدولة الأموية، وبقي خطرهم ماثلاً حتى نشب خلاف بين إسماعيل بن موسى وابن أخيه محمد بن لب بن موسى، وتطور الخلاف إلى حرب بينهما انتصر فيها محمد بن لب على عمه، وأجبره على التنازل عن سَرَقُسْطَة وغيرها، وهنا تفاوضت حكومة قرطبة مع محمد بن لب، فتخلى لها عن سرقطة سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م مقابل بعض الأموال★، واعترفت به حاكما على أَرْنيط★★ وطَرَسُونَة★★★ وما حولهما من مدن الثغرْ الأعلى الغربية، وبذا استقامت طاعته حتى مطلع عصر الأمير عبد الله(٣٢٩).

---

(٣٢٨) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٧٠.

★ انظر التمهيد من هذا الكتاب.

★★ أَرْنيط Ar nedo مدينة من أعمال تُطِيلة. (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ١٨) وتبعد عنها بمسافة ثلاثين ميلا وهي من المدن المصاقبة لنصارى مملكة أشتوريس (الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ١٤) وتمثل اليوم بلدة صغيرة في مديرية لجرونيو Logrono (حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين**، ص ٢٦١).

★★★ طَرَسُونَة Tarazona وهي أيضا مدينة من أعمال تُطِيلة (ابن غالب: **فرحة الأنفس**، ص ١٨؛ ياقوت، **معجم البلدان**، جـ ٤، ص ٢٩) وتقع في الجنوب الغربي منها على بعد اثنين وعشرين كيلومترا (ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٤١٩، تعليق ٢٦؛ أرسلان، **الحلل**، جـ ٢، ص ١٧٢) وهذه المدينة لا تزال قائمة حتى اليوم (البكري، **جغرافية الأندلس**، ص ٩١، حاشية ١).

(٣٢٩) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٦.

وفي السنة الثانية من عهد الأمير عبد الله حدث نزاع بين محمد بن لب ومحمد بن عبد الملك الطويل★ ـ أحد زعماء الثغر الأعلى ـ حول أحقية من تئول إليه أملاك إسماعيل بن موسى★★ ـ عم محمد بن لب ـ الذي توفى حينذاك فارتضيا أن يتحاكما للأمير عبد الله، فكتبا إليه بذلك، فآثر محمد بن لب، وولاه على أملاك عمه(٣٣٠).

على أن محمد بن لب لم ينفع فيه تفضيل الأمير عبد الله له، إذ سرعان ما شق عصا الطاعة، وحاصر مدينة تُطِيلة، وقتل أحد القواد الأمويين هناك(٣٣١)، ثم احتل هذه المدينة، وأسند إدارتها إلى ابنه لُبّ(٣٣٢).

وليس بمستغرب أن يتمرد محمد بن لب القسوي على السلطة الأموية عندما أحس من نفسه قوة؛ ذاك أن الأمويين لم تكن قبضتهم محكمةً على مناطق الثغر الأعلى قبل عهد الأمير عبد الله، فكيف بالسنوات الأولى من عهد هذا الأمير الذي خرجت عليه معظم أنحاء الأندلس؟

ولقد بدأ محمد بن لب يَشْرئب إلى توسعة رقعة نفوذه في الثغر الأعلى والمناطق المجاورة فكان من المنتظر أن تكون مدينة سرقسطة أول هدف له؛ ذاك أنها كانت تمثل قاعدة الثغر الأعلى، وكان قد تنازل عنها للإمارة الأموية في وقت لاحق، ثم إنها قد أصبحت منذ أواسط سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م تحت

★ سوف نتحدث عن محمد الطويل في فقرة تالية من هذا الفصل.

★★ كان إسماعيل بن موسى حين أطلق سراحه ابن أخيه محمد بن لب قد اتخذ من حصن مُنْتشون ـ أحد حصون لاردة ـ قاعدة له (العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٤) وكانت لاَرِدَة وبَرْبطَانِيَة تحت حكمه (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٧).

(٣٣٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٧.

(٣٣١) ابن حيان، المقتبس، ص ١٦.

(٣٣٢) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٦.

حكم أسرة بني تُجِيب العربية(٣٣٣)★ التي كانت في عداءٍ فاضح مع بني قسي عامة(٣٣٤)، زد على ذلك أنه كان لسرقسطة أهمية اقتصادية كبيرة، حيث كانت تحتل موقعا جغرافيا ممتازا، وكانت تشتهر بخصوبة الأرض، وعذوبة المياه، وكثرة الثمار(٣٣٥).

وبناءً على ما سبق فقد حاصر محمد بن لب مدينة سرقسطة في أواخر عام ٢٧٦هـ/ ٨٩٠م بغية الاستيلاء عليها، وحيث إن هذه المدينة قد صمدت أمامه، فلم يفلح في اقتحامها، فقد عزم على مواصلة الحصار ولو اقتضى ذلك منه عدة سنوات(٣٣٦).

ولم يأل محمد بن لب جهدا في تدعيم نفوذه، وتقوية جانبه حينما كانت قواته تحاصر سرقسطة فلقد أرسل ابنه لُبًّا سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م ليعمق سلطانه في المناطق الشرقية من الثغر الأعلى وذلك عن طريق بناء بعض الحصون، فاشتبك معه محمد بن عبد الملك الطويل، فكانت الهزيمة على هذا الأخير(٣٣٧).

وصدف أنه في العام نفسه استدعاه أهل مدينة طُلَيْطلَة ــ ربما بسبب تذمرهم من أسرة بني ذي النون البربرية(٣٣٨)★★ ـ فسار إليهم محمد بن لُبّ

(٣٣٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٨٥-٨٦.

★ سوف نتكلم عن هذه الأسرة في الفصل القادم عند التطرق إلى حركات العرب.

(٣٣٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٤١، ٤٩.

(٣٣٥) المنجم، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، (بدون تاريخ ومكان الطبع)، ص ٣١؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٣٤.

(٣٣٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٢٤؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٦.

(٣٣٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٨.

(٣٣٨) عنان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص ٣٤٠.

★★ سنتحدث عن هذه الأسرة في الفصل القادم إن شاء الله.

بنفسه، ودخل مدينتهم، فأصبحت ضمن أملاكه(٣٣٩)، وبذا امتد نفوذه حتى الثغر الأوسط من الأندلس.

ولعل تعاظم نفوذ محمد بن لُبّ هو الذي حدا بعمر بن حفصون ـ زعيم المولدين في الجنوب الأندلسي ـ أن يتشوق للتحالف معه ضد الدولة الأموية سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م(٣٤٠)، فوافق ذلك هوى في نفس ابن لب، بيد أن دعوة ابن حفصون قد جاءته في وقت كان قد قرر فيه التضييق على سرقسطة بأقصى ما يستطيع، حيث كان قد شرع في بناء سور يحيط بها(٣٤١)، ليقطع صلتها تماما بالمدن المجاورة، ولذلك فقد أناب ابنه لُبا لإتمام التحالف، فبعثه على رأس قوة كبيرة(٣٤٢)★، وكأنه أراد بهذا أن يحقق هدفين. أولهما: توسيع نطاق سلطانه جنوبا، بدليل أن لباً استولى بالقوة على حصنٍ في نواحي جيان بعد أن قتل أهله(٣٤٣)، وثانيهما: عَقْدُ حلفٍ مع عمر بن حفصون وغيره من المولدين في المنطقة من أجل تسديد ضربة قاصمة للإمارة الأموية(٣٤٤).

وفي الوقت الذي كان فيه لب بن محمد يقوم بمهمته تلك إذ ترامت إليه الأنباء باغتيال والده محمد بن لب القسوي وهو يتفقد جنده المحاصرين لسَرَقسْطة(٣٤٥)، فعجل بالإياب دون أن يتم اللقاء بينه وبين ابن

---

(٣٣٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٨.

(٣٤٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٧.

(٣٤١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣٦.

(٣٤٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٧.

★ أشار ابن حزم إلى هذا الحدث بقوله عن لب بن محمد: «هو الذي هبط لتلقي عمر بن حفصون» (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٣).

(٣٤٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٩.

(٣٤٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٧.

(٣٤٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٢٤؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٦.

حفصون[٣٤٦]، وبذا وُئِدَ مشروع التحالف بينهما في مَهْدِه.

تابع لُبّ بن محمد ـ الذي آلت إليه الزعامة بعد أبيه ـ محاصرة بني تُجيب في سرقسطة فور وصوله إلى الثغر الأعلى[٣٤٧]، وحيث إن محمد بن عبد الملك الطويل قد قدم المؤن لأهل سرقسطة، وأغار على الجند المحاصر لها عقب مقتل محمد بن لب مباشرة وغياب لب نفسه عن الثغر ـ حيث إن الطويل قام بذلك فقد شاء لب بن محمد أن يؤدبه، فسار إليه في قاعدته وَشْقة، واشتبك معه، وتمكن من القبض عليه، فلم يطلقه إلا بعد أن افتدى نفسه بفدية جزيلة[٣٤٨].

وفي تلك الأثناء أظهر لُبّ بن محمد الطاعة للأمير عبد الله، وطلب منه أن يسجل له رسميا على أراضيه، فأجابه الأمير إلى ذلك[٣٤٩]، ويبدو أن الذي دفع لُبًّا إلى فعله هذا هو أن الإمارة الأموية كانت قوتها ـ آنذاك ـ في تصاعد مستمر، وكان أعداؤه في الثغر من بني تُجِيب وبني الطويل يظهرون الولاء لها[٣٥٠]، فلعله أراد ـ بإظهار الطاعة ـ أن يضمن بقاء حكمه على ما كان تحت يديه من بلاد.

وبينما واصل لب بن محمد محاصرة بني تُجِيب في سَرَقُسْطَة ـ بعد خضوعه الظاهري للإمارة[٣٥١] ـ فإنه فتح صفحةً جديدةً مع أسرة بني الطويل عقب مصاهرته لهم، حيث تلاشت العلاقة العدائية بين الجانبين، وحل محلها علاقة ود وصداقة[٣٥٢].

---

(٣٤٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٧.
(٣٤٧) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٦.
(٣٤٨) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٧، ٦٥.
(٣٤٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٧؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٧.
(٣٥٠) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٤٢، ٦٥.
(٣٥١) السامرائي، **الثغر الأعلى**، ص ٣٣٢، ٣٧٣.
(٣٥٢) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص. ص ٦٥-٦٦.

ويبدو أن طليطلة كانت قد خرجت عن سلطان بني قَسِي لأننا نجد أهل الحل والعقد فيها قد جنحوا سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م إلى الدخول في حماية لب ابن محمد، فبعث إليهم أخاه مطرفا، وحينئذ «صارت في ملكه» ـ على حد تعبير ابن حيان ـ(٣٥٣).

ويذكر ابن عذاري(٣٥٤) أنه في سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م «خرج لب بن محمد لمحاصرة مدينة سرقسطة، وأخذ في ردم الخندق المجاور لسورها، وشرع في البنيان عليها، فلما كَمُلَ رَدْمُ الخندق، وبنيان ما فيه رحل عنه، وأدخل نَدْبَةً فيه من رجاله».

ويُلهم هذا النص أن لب بن محمد لم يكن قد جَدَّ في محاصرة سرقسطة كما فعل والده من قبل، فربما أن حصاره لها قبل هذه السنة قد اقتصر على دور المراقبة لبني تُجيب فيها، وذلك بالحجر عليهم، ومنعهم من الامتداد إلى ما حول مدينتهم من أراضٍ، ثم إنه بعد أن عزم على اقتحام هذه المدينة لم يتمكن من الاستمرار في المكوث بنفسه عندها، لأنه ما لبث أن رحل عنها بعد أن أوكل مهمة حصارها إلى مَفْرزة من رجاله، ولعل الذي دفعه إلى ذلك هو الخطر النصراني الذي كان يحدق بأراضيه، إذ ما فتىء حكام مملكتي أشتوريس وناقار يتربصون بالقرى والمدن الإسلامية المجاورة لهم، فكان على لب بن محمد أن يتصدى لهم(٣٥٥)★، حتى إنه فَقَدَ حياتَه في حرب مع نصارى ناقار سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م(٣٥٦).

---

(٣٥٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤٠.
(٣٥٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٢.
(٣٥٥) انظر على سبيل المثال: العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤١.
★ سيأتي تفصيل ذلك ـ إن شاء الله ـ في الفصل الذي وضع لعلاقات الأندلس الخارجية.
(٣٥٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٧؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص. ص ٣٧-٣٨؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٣.

وبمقتل لب بن محمد ضَعُف شأن بني قَسِي في الثغر الأعلى(٣٥٧)، فلم يبق لهم أي دور بارز في حركة التمرد ضد حكومة قرطبة، اللهم إلا دورهم في العلاقة مع الأسر الأخرى من ناحية، ومع نصارى الشمال من ناحية أخرى(٣٥٨) ذاك أنه لما قتل لب تولى أمر أسرة بني قسي من بعده أخوه عبد الله(٣٥٩)، فكان أول عمل قام به هو فض الحصار المضروب على سرقسطة(٣٦٠)، ثم إنه استمر في الانضواء تحت لواء الإمارة الأموية(٣٦١)، كما آثر ـ أيضا ـ مهادنة جاره محمد بن عبد الملك الطويل الذي كان قد اشتد بأسه بعد سيطرته على عدد من حصون النصارى المجاورة(٣٦٢)، ولذا نرى الاثنين يتعاونان في حرب ضد نصارى ناقار سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م(٣٦٣).

ولبث عبد الله بن محمد بن لب بن موسى زعيماً لبني قسي في الثغر الأعلى يظهر الولاء للأمير عبد الله، ويرتبط ـ غالبا ـ بعلاقة طيبة مع جيرانه زعماء الأسر الحاكمة في المنطقة ـ لبث كذلك حتى عصر عبد الرحمن الناصر(٣٦٤).

٢ ـ محمد بن عبد الملك المعروف بالطويل★.

ينتمي محمد بن عبد الملك الطويل إلى بني شَبْريط(٣٦٥)★★ الذين كانوا

---

(٣٥٧) Luis S. Fernandez, op. cit., p. 58.

(٣٥٨) السامرائي، **الثغر الأعلى**، ص ٣٣٢.

(٣٥٩) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٤٣.

(٣٦٠) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٨.

(٣٦١) عنان، **دولة الإسلام**، ع ١، ق ١، ص ٣٤٢.

(٣٦٢) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٤٤، ١٤٦.

(٣٦٣) ابن عذاري، **البيان**، ص ١٤٨.

(٣٦٤) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٨.

★ لُقِّب بذلك لطوله الفائق (عنان، **دولة الإسلام**، ع ١، ق ١، ص ٣٤٢).

(٣٦٥) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٦٥.

★★ حيث إن نسب الطويل: هو محمد بن عبد الملك بن عبد الله بن شَبْريط (العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٦٥).

يمثلون إحدى الأسر المولدية البارزة في الثغر الأعلى(٣٦٦)، وكان ظهوره لأول مرة على مسرح الأحداث حينما استولى على الحكم في مدينة وَشْقَة ونواحيها بعد أن انتزى على حاكمها مسعود بن عمروس ـ أحد أبناء عمومته من بني عمروس ـ وقَتَلَه عام ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م(٣٦٧).

ولقد اقتفى محمد بن عبد الملك الطويل سياسة أبناء عمومته من قبله في بذل فروض الطاعة لحكومة قرطبة، ولما تولى الأمير عبد الله مقاليد الأمور في البلاد سارع ببعث بيعته إليه، فما كان من الأمير إلا أن أقره على عمله، وسجلَ له على المناطق التي كانت تحت نفوذه(٣٦٨)، فأصبح بهذا يحكم أراضيه حكما ذاتيا.

(٣٦٦) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٥٠٠.

(٣٦٧) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص. ص ٦٤-٦٥. ذلك أن الحاكم المقتول هو مسعود بن عمروس بن عمرو بن عمروس بن يوسف (العذري؛ **نصوص عن الأندلس**، ص. ص ٦٤-٦٥، السامرائي، **الثغر الأعلى**، ملاحق الكتاب) وعمروس بن يوسف كان ابن عم لشبريط الجد الأعلى لمحمد بن عبد الملك الطويل (ابن سعيد، **المغرب**، جـ١، ص ٤٢)، ولقد كان عمروس وشبريط غلامين لعيشون بن سليمان الأعرابي ـ أحد حكام الثغر في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل ـ فلما قُتِلَ عيشون خلفه أخوه مطروح وعندئذ التحق غلاما أخيه في خدمته، فلما ثار مطروح على الأمير هشام بن عبد الرحمن في الثغر الأعلى أسدى عمروس وشبريط خدمةً للدولة الأموية بقتلهما له سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م ومنذ ذلك التاريخ أصبحا من أنصار الإمارة (العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٢٨، ٢٩) فأما عمروس بن يوسف فقد أَسْنَد إليه الأميرُ الحكم الربضي مهمةَ القضاء على ثورة طليطلة سنة ١٩١هـ/ ٨٠٦م (ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس** ص. ص٦٥-٦٧؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص. ص ٦٩-٧٠) ثم ولاه الثغر الأعلى إلى أن هلك، وفي زمن الأمير محمد قام أحفاده بالتمرد على الدولة الأموية، لكنهم ما لبثوا أن عادوا إلى الطاعة، وحكموا مدينة وَشْقَة وما حولها، فكان آخرهم مسعود بن عمروس بن عمرو الذي أشرنا إليه في المتن (ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٢٥ وما بعدها؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص. ص ٦٢-٦٤). أما بالنسبة لشبريط فقد قَتَلَه الأمير الحكم الربضي بعد ثورة الربض المشهورة عام ٢٠٢هـ/ ٨١٧م (ابن سعيد، **المغرب**، جـ١، ص ٤٢) ثم لا نسمع بأي نشاط سياسي لأسرته حتى ظهر حفيده محمد بن عبد الملك الطويل.

(٣٦٨) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٦٥.

والظـاهـر أن محمـد بن عبـد الملك تطلع إلى مـا تطلع إليـه غيره من زعماء الأندلس الآخـرين للفوز بأكبر قـدر ممكن من أراضي البلاد عند انتشـار عقد الإمارة الأموية في أوائل عهد الأمير عبد الله، فحينما تدهورت صحة جاره من الشرق إسماعيل بن مـوسى القَسَـوي عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م استشرفت نفسـه للاستيلاء على أملاكـه، وقد سنحت له الفرصة عندمـا خرج موسى ومُطَرِّف ابنا إسماعيل للقيام ببعض الأعمال المتعلقة بـولاية أبيهما حيث كان هذا الأخير قـد فوض شـؤون ولايتـه لابنيـه المذكورين فكمن لهما محمـد بن عبـد الملك، فجرت بينـه وبينهما حرب شديدة، تمكن فيهـا من قَتْلِ موسى بن إسماعيل، وأَسْرِ أخيه مطرِّف، ثم تغلب على مدينتي لارِدَة★ وبَربِطَانِيَة★★ اللتين كانتا ضمن أملاك إسماعيل بن موسى(٣٦٩).

ولم يكن باستطاعـة إسماعيل بن موسى ـ الـذي أنهكه المرض ـ أن يتحمل هذه المصيبـة التي نزلت به، فسرعـان ما هلك، وعندئذ وقع نـزاع بين محمد الطويل ومحمـد بن لب بشأن مآل المنـاطق التي كان يحكمهـا، وقد تَمَّ حَسْمُ النزاع ـ كما سبق أن أبنا ـ بالـرجوع إلى الأمير عبد الله الذي فَضَّل إلحاق أملاك إسماعيل بن مـوسى بـولايـة ابن أخيـه محمـد بن لُبّ بن مـوسى★★★، أما

★ لارِدَة Lerida هي إحدى قواعـد ولاية الثغر الأعلى الأندلسي، وتقع إلى الغرب من برشلـونة (عنان، الآثار الأندلسية، ص ١١٤) وكـانت تبعد عـن مدينـة وشقـة بمقدار سبعين ميـلا (الإدريسي، وصف المغرب، ص ١٩٠).

★★ بَرْبِطَانِيَة Barbitania مدينـة تتصل أحوازهـا بأحواز مدينـة لارِدَة (ابن غالـب، فـرحة الأنفس، ص١٧) إلى الشمال الغربي منها (أرسلان، الحلل، جـ٢، ص ١٩٦) وهي اليوم المنطقـة المعروفة باسم Baltaña في أقصى شمال إسبانيا، وهي تابعة لمحافظة وَشْقَة إلى الشمال الشرقي على بعد نحو ستين كيلومتراً (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٦١٨، تعليق ٥٥٢).

(٣٦٩) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٨٧.

★★★ انظر ما سبق عند حديثنا عن أسرة بني قَسِيّ.

المدينتان اللتان كان محمد بن عبد الملك قد اقتطعهما من أملاك إسماعيل - أعني مدينتي لارِدَة وبَربِطَانِيَة - فالظاهر أنه اصطلح على أن يتخلى الطويل عن لاردة لمحمد بن لُبّ ★، بينما تبقى مدينة بربطانية تحت حكمه★★.

ويبدو أن الطويل لم يكن قد بلغ القوة التي تؤهله للوقوف في وجه ابن لُبّ، ولذا فقد أبدى رضاه عن حل الأمير عبد الله، إلا أنه ظل يضمر العداء لخصمه محمد بن لُبّ فكان يتربص به الدوائر، ويتوق إلى انتزاع تلك الأراضي التي حُرِم منها، فمن ذلك أنه أراد أن يغتنم انشغال محمد بن لُبّ في محاصرة سرقسطة فحشد حشودا كثيرة سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٧م، وحاول أن يضرب لُبّ ابن محمد الذي كان قد أرسله والده لبناء بعض الحصون في المناطق الشرقية من الثغر، ومع أن محمدا الطويل كان أكثر نفرا من لُبّ بن محمد، إلا أن الهزيمة في النهاية حلت به، فَقُتِل جملة عظيمة من أصحابه، وأُسر جماعة أخرى كان أخوه فرتون بن عبد الملك منهم(٣٧٠).

ولقد وَحدتْ عداوةُ محمد الطويل لبني قسي الكلمةَ بينه وبين أسرة بني تُجِيب العربية الحاكمة في مدينة سرقسطة، ولذا فإنه بمجرد أن قُتِلَ محمد بن لُبّ سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م أثناء حصاره لهذه المدينة بادر الطويل بحشد جموعه وحمل الكثير من الأطعمة، وقصد سرقسطة فزود أهلها بالمؤن، ولم يكتفِ بذلك بل أغار على القوات المحاصرة، وشتت شملها(٣٧١).

★ نستشف هذا من عبارة أوردها العذري قال فيها إن محمد بن لب «ملك مُنْتشُون ولأرَدَة، وصحت له طاعته» (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣٦).

★★ وعلامة ذلك أن ابن حيان يذكر بعد بضعة أعوام من وقوع هذا الحدث ـ يذكر أن مدينة بربطانية تقع ضمن أملاك محمد بن عبد الملك (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٨) وحيث إن المصادر لا تروي حربا بين الطويل ومحمد بن لب بشأن هذه البلاد فإن ذلك يرجح أن بربطانية قد بقيت في حوزة الطويل.

(٣٧٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٨.

(٣٧١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣٧، ٦٥.

وحينما علم لُبّ بن محمد بن لُبّ بعد عودته من الجنوب الأندلسي بما فعله محمد الطويل خفّ مسرعا للانتقام منه، فاتجه إلى عاصمته وَشْقَة، وكَمن له قربها، ثم أمر خيلا للإغارة عليها، فلما خرج الطويل لمدافعتها طَوّقه لُب بن محمد بجموعه، فَقُتل العديدُ من أصحابه، وتمكن من أَسْرِه[٣٧٢].

ولقد دفع الطويل الثمن غاليا لتخليص نفسه من الأسر، إذ لم يطلقه لُبّ ابن محمد إلا بعد أن تكفل له بالتنازل عن مدينتي بَرْبِطَانِيَة وَوَشْقَة، فلما سُلمت له حاضرة وشقة وما حولها عُدِّل الاتفاق بأن يدفع الطويل مئة ألف دينار بدلا من تسليم بقية الأراضي التي اصطلح عليها، فدفع النصف الأول من هذا المبلغ، أما النصف الثاني فقد أمهله لُبّ فيها بشرط أن يقدم له ابنه عبد الملك وابنة عبد الملك «سَيِّدة». ونفرا من بني عمه ــ أن يقدمهم باعتبارهم رهائنَ حتى يتم التسديد[٣٧٣].

ولم يمض وقت كثير حتى زَفَّ عبد الملك بن محمد الطويل ابنته سيدة إلى لب بن محمد، وبهذه المصاهرة رد هذا الأخير أملاك الطويل عليه، وأسقط عنه المبلغ المتبقي، وأطلق الرهائن[٣٧٤]، فقامت بين الأسرتين المولديتين علاقات ودية.

ولقد ركن محمد بن عبد الملك الطويل إلى الهدوء في حياة لُبّ بن محمد فلما قتل لُبّ عام ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م[٣٧٥] تحرك مرة أخرى لتنفيذ مخططاته التي كان

---

(٣٧٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٦٥.

(٣٧٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٦٥.

(٣٧٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص. ص ٦٥-٦٦.

(٣٧٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٧.

يطمح إليهـا، فتـوسع على حسـاب بني قَسي، حيث استـولى على عـدد من الحصون، كان أبرزها حصن بَرْبَشْتُر(٣٧٦)★، كما أنه في عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م ضم إليه حصن مُنْتَشُون★★ ومدينة لاَرِدَة(٣٧٧)، ويبدو أن الطويل باحتلاله لهذه المواضع قد أنهى حكم بني قسي في شرقـي الثغر الأعلى، فأصبح ملكهم بهذا يقتصر فقط على الجهات الغربية منه.

ومن الغريب أننـا لا نجد معارضة صريحة من جـانب زعيم بني قسي عبد الله بن محمـد بن لُبّ الطـويل على هـذا التـوسع، فلعل السبب في ذلك أن زعيم بني قسي كـان لا يرى نفسـه قـادرا على مواجهـة جـاره الذي اشتـدت شـوكتـه في الثغـر الأعلى بعـد إحـرازه انتصـارات رائعـة على النصـارى المجاورين(٣٧٨)؛ فضـلا عن كـون سلطـانـه قـد بلغ جنـوبـا حتى مـدينـة طُرْطُوشَة(٣٧٩).

ولقد ظل محمد بن عبد الملك الطويل على علاقة حسنة مع حكومة قرطبة طـوال عصر الأمير عبد الله فكـان يُبدي طـاعتـه الاسمية لها، ويحكم بـلاده حكما ذاتيا بحيث إنـه كان يعين بنفسه موظفي منطقتـه دون الرجوع إلى الأمير الأموي في قرطبة(٣٨٠).

---

(٣٧٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٣.

★ بَرْبَشْتُر Barbastro فلقد كان من أعمال بَرْبطـانية (ابن غالـب، فرحة الأنفس، ص ١٧) ويعد الآن مركـزاً إداريا في مـديريـة وَشْقَة على بعـد ستين كيلومترا شمال شرقي سرقسطـة (ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ٢٤٧، حاشية ٢).

★★ حصن مُنْتَشون Monzon أحد الحصـون التابعة لمدينة لاردة (يـاقوت، معجم البلدان، جـ ٥، ص ٢٠٧) وهو إلى الجنوب من بَرْبَشْتُر (أرسلان، الحلل، جـ ٢، ص ١٩٦) على بعد حوالي ثمانية عشر كيلومترا (ابن حيان، المقتبس، ق٣، تحقيق مكي، ص ٦١٩، تعليق ٥٥٤).

(٣٧٧) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٤٤.

(٣٧٨) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٥٦.

(٣٧٩) السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٣٣٤.

(٣٨٠) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ ٢، ص ٥٢٥.

وهكذا كان المولدون في الثغر الأعلى من أوائل من رفع رايات التمرد في وجه الدولة الأموية، ولكنهم في زمن الأمير عبد الله مالوا إلى الدخول في طاعة اسمية لها، وقد انشغلوا في معظم الربع الأخير من القرن الثالث الهجري بمشاحنات بين بعضهم بعضاً مما أوهن حركاتهم في هذه الأنحاء.

وجملة القول أن المولدين في الأندلس على الرغم من سخطهم على الدولة الأموية، وقيامهم بالتمرد عليها في جميع أنحاء البلاد فإنهم لم يوحدوا صفوفهم، ولم يجمعوا كلمتهم، ولم ينضووا تحت قيادة واحدة. فقد تمرد المولدون في بعض الجهات قبل إخوانهم في جهات أخرى، كما ظهرت خلافات بين زعمائهم سواء في الكورة الواحدة، أو في كورة وأخرى، ثم إن بعضهم لم يحجم عن الاتحاد مع الزعماء العرب أو البربر ضد المولدين الآخرين في سبيل الاحتفاظ بالمنطقة أو المدينة التي كان يحكمها، ولقد قامت الإمارة من جانبها بإرسال الجيوش صوب أكثر هؤلاء المتمردين، ومع أنها لم تستطع استنزالهم من أماكن تمردهم إلا أن أكثريتهم أظهروا الطاعة لها بعد أن تركتهم يحكمون مناطقهم كفاء دفعهم بعض الأموال، بل لقد أظهر الطاعة لها في النصف الثاني من عهد الأمير عبد الله أولئك الذين لم تبعث إليهم أية بعوث عسكرية قط، فلم يشذ عن هؤلاء جميعا إلا ثلاثة في جنوبي الأندلس؛ وهم عمر بن حفصون، وسعيد بن هذيل، وسعيد بن مَسْتَنَة حيث إنهم استمروا على العصيان حتى وفاة الأمير عبد الله، وإن كانوا في بعض أيامهم اضطروا إلى إظهار الطاعة أيضا.

الفَصل الثالث

حركات العرب
وموقف الإمارة الأموية منها

حركات العرب

كان دخول العرب على هيئة تيار متصلٍ بدأ مع الفتح الإسلامي لها★، وقد كانت حملة موسى بن نصير التي عبرت إلى هذه البلاد سنة ٩٣هـ/ ٧١١م والبالغ تعدادها نحو ثمانية عشر ألفا[١]★★ كانت جلها من العرب[٢]. ولقد استقر هؤلاء مباشرة في الأراضي التي تم فتحها[٣].

وبعيد الفتح تدفقت إلى الأندلس جماعات عربية أخرى على شكل أفواج قلّت في أعدادها عن عدد الفوج الأول الكبير من الفاتحين[٤]، حيث وفد بعضها بصحبة ولاة الأندلس المعينين من خارجها، سواء كانوا من قبل الخلافة أو من قبل والي إفريقية[٥]، والبعض الآخر قدم بصفة غير رسمية، تمثل ذلك في تلك القبائل العربية النازحة إلى هذه البلاد عقب الفتح مباشرة[٦].

على أن أكبر مجموعة عربية وفدت إلى الأندلس بعد الفوج الأول الفاتح

★ هناك قليل من العرب دخلوا الأندلس مع طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م (المقري، نفح الطيب، جـ١، ص ٢٣١، ٢٣٣).

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٤.

★★ وهناك رواية تقول إن أفراد هذه الحملة كانوا نحو عشرة آلاف (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٩).

(٢) الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، نشر الفريد ـ البستاني، (ط مؤسسة الجنرال فرانكو)، ص١٠٨، ١١١.

(٣) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٧١؛ عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي، ص ٢٠٣، ٢١١.

(٤) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٦٠؛ سعد حسين عثمان، المجتمع الإسلامي في الأندلس في القرن الرابع، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، ص ٧٥.

(٥) محمد فخري الوصيف، العرب اليمنية في الأندلس (من الفتح حتى قيام الإمارة الأموية). رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص ١٠٢.

(٦) الوصيف، العرب اليمنية، ص ١٠٦.

كانت طالعة بَلْج بن بشر القشيري★ سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠م(٧) التي كان قوامها عشرة آلاف، وكان العرب يمثلون ثمانية آلاف منها(٨). وهؤلاء ما لبث الوالي أبو الخطار ضرار الكلبي (١٢٥هـ/ ٧٤٢م ـ ١٢٨هـ/ ٧٤٥م) أن أخرجهم عن قرطبة، وفرقهم في بعض كور الأندلس(٩)، واتبع في ذلك نظام الأجناد أو الكور المجندة★★ المطبق في الشام(١٠).

ولقد توافد أيضا إلى الأندلس عدد من العرب زرافات ووحداناً في فترة الإمارة الأموية، وبالأخص في عهدي الأمير عبد الرحمن الداخل وابنه الأمير هشام(١١)، وكان هؤلاء الوافدون المتأخرون غالباً ما ينزلون في قرطبة أو يقصدون منازل القبائل التي ينتمون إليها، والتي كانت متفرقة في نواحي البلاد(١٢).

انتشر العرب في الأندلس انتشارا واسعا، فكان لهم وجود ظاهر في نواحيها الشرقية والغربية والجنوبية وكذلك الوسط(١٣)، ولعل هذا يعني أن

★ كان بَلْج بن بشر القشيري أحد القواد الذين أرسلهم الخليفة هشام بن عبد الملك عام ١٢٣هـ/ ٧٤٠م على رأس جيش كبير لضرب ثورة البربر في المغرب، وحينما هَزَمَ البربر هذا الجيش تحصن بلج ومن معه من الفلول المهزومة في مدينة سبتة، ثم عبروا إلى الأندلس عقب سماح واليها لهم بذلك. (مجهول، **أخبار مجموعة**، ص. ص ٣٦-٤٣).

(٧) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ٣١.

(٨) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٤٠.

(٩) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٤٤، ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص. ص ٦١-٦٢، ٦٤.

★★ المراد بالأجناد أو الكور المجندة ولايات عسكرية ينزلها جند يتكون من خمس فرق من المحاربين، ويحكمها حاكم عسكري عام (حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص ٥٥٥).

(١٠) عبد الواحد ذنون طه، **الفتح والاستقرار العربي**، ص ٢٤٠.

(١١) الوصيف، **العرب اليمنية في الأندلس**، ص ١٠٧، ١٠٨.

(١٢) حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص ١٢٦، ٣٦٨؛ سعد حسين عثمان، **المجتمع الإسلامي في الأندلس**، ص ٧٨.

(١٣) حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص ٣٦٧، ٣٧٥.

أعدادهم كانت تفوق كثيرا ما ساقته المصادر في معرض حديثها عن النزوح العربي إليها[١٤]، وربما أن ازدياد العرب في الأندلس قد جاء بفعل هجرات لم تفصح عنها تلك المصادر، كما أن معظم أولئك العرب الداخلين لهذه البلاد وخاصة الأوائل منهم قد كانوا من الذكور الذين أقبلوا على الزواج من الإسبانيات وتوسعوا في ذلك[١٥]، بل إن ظاهرة الزواج هذه قد استمرت في فترة الإمارة الأموية إذ تسابق الأمراء والعرب من حولهم على الإنجاب لا سيما في النصف الأول من القرن الثالث الهجري الذي كان أكثر عهود الإمارة رخاء واستقرارا[١٦].

ولو نظرنا إلى موقف العرب من الإمارة الأموية لوجدنا أنهم لم يجمعوا على تأييد مؤسسها عبد الرحمن الداخل، إذ شذ عدد من الزعماء العرب، وقاموا بمعارضات عارمة ضده، كما أن عهود الأمراء الأمويين اللاحقين لم تَخْلُ من حركات مناهضة تبناها أقوام من العرب[١٧].

ولقد خفتت أصوات العرب ـ فيما يظهر ـ طول فترة الأمير محمد، فلما تفاقم ضرام الفتنة في الأندلس على أيدي المولدين، وأمست الأمور في الدولة الأموية في طريقها إلى الانفلات خاصة بعد وفاة هذا الأمير. أخذ العرب يشاركون في مسلسل التمرد الذي حمله غيرهم من السكان، وفي الصفحات التاليات سندرس حركاتهم على مدى الربع الأخير من القرن الهجري.

---

(١٤) بيضون، **الأمراء الأمويون**، ص ٤٥.

(١٥) غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، عرَّبه: عادل زعيتر (القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي، د. ت)، ص٢٦٨، لطفي عبد البديع، **الإسلام في إسبانيا** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩م)، ص ٢١.

(١٦) بيضون، **الأمراء الأمويون**، ص ٤٦.

(١٧) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص. ص ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٦-٥٨، ٦٢، ٨١، وراجع التمهيد من هذا البحث.

أولا: حركة العرب في كورة إلْبِيرَة

بدأ الاستقرار العربي في كورة إلْبِيْرَة منذ العهد الأول للوجود الإسلامي في الأندلس؛ ذاك أن الفاتحين كانوا ـ غالبا ـ يستوطنون المناطق التي يتم لهم فتحها(١٨)، وحيث إن هذه الكورة كانت إحدى المناطق التي فتحت في الحملات الأولى(١٩) فإنه من المرجح أن بعض الجماعات العربية المصاحبة للجيش الإسلامي قد سكنت فيها عقب الفتح مباشرة، يدعم هذا أننا نجد عددا من العرب الذين سموا بالبلديين قد استقروا في نواحيها(٢٠).

على أن الاستقرار العربي في هذه الكورة قد وضحت معالمه حينما وزع أبو الخطار الكَلْبي العرب الشاميين في أنحاء الأندلس، إذ كانت هذه الكورة من نصيب جند دمشق(٢١).

ومع أن السكان العرب في إلبيرة قد تكاثروا إبان القرن الثالث الهجري(٢٢) إلا أن العنصر العربي فيها قد ظل قليلا بالنسبة لعدد المولدين★.

---

(١٨) حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص ٣٧١؛ أحمد بدر، **دراسات في تاريخ الأندلس**، ص٤٩، ٦١.

(١٩) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص ٢٠، ٢٢؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ١ ص ١٠١، جـ٣ ص٥٢٩؛ المقري، **نفح الطيب** جـ١ ص ٢٦١، ٢٧٥.

(٢٠) عبد الواحد ذنون طه، **الفتح والاستقرار العربي**، ص ٢١١، ٢١٢، ٢١٧ وما بعدها.

(٢١) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٤٤؛ النباهي، **نزهة البصائر والأبصار**، ورقة ٤٠/أ.

(٢٢) عبد المجيد نعنعي، **تاريخ الدولة الأموية**، ص ٣٠٨.

★ يفهم ذلك من قول أحد الشعراء العرب حينما خاطب بني قومه بعد التهاب المعارك بينهم وبين المولدين بقوله:

أنتم قليلٌ كثيرٌ في عناتكم   وغيركم قليل فيكم وإن كثروا

ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦٤؛ سعد إسماعيل شلبي، **الأصول الفنية للشعر الأندلسي ـ عصر الإمارة** (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٨٣م)، ص ٣٩٠.

ولقد كانت هناك منطقة في كورة إلبيرة تسمى البَراجِلة★، وكانت تضم قسمين: البراجلة العليا، والبراجلة السفلى، وتعد هذه الأخيرة الموطن الرئيس للعشائر العربية في هذه الكورة منذ زمن الاستقرار العربي في الأندلس(٢٣). كما أنها استمرت ــ فيما يبدو ــ مركزا للعرب في إلبيرة إلى قبيل اشتعال الفتنة بينهم وبين جيرانهم المولدين★★، وقد كان هؤلاء العرب يميلون إلى السكنى في القصور والقلاع وسط مزارعهم(٢٤).

ولقد نشأت حركة العرب في إلبيرة إثر تنامي نشاط المولدين المجاورين لهم(٢٥) حيث إن مولدي هذه الكورة ـ بسبب العوامل التي أشرنا إليها في موضعها ـ قد ناصبوا العرب العداء، وانتضوا السلاح لمحاربتهم، فقام العرب عندئذ بالالتفاف حول زعيم من زعمائهم يدعى يحيى بن صُقَالة القيسي(٢٦)، وشكلوا جبهة للرد على أولئك المولدين(٢٧).

ولقد لمح بعض المؤرخين إلى أن العرب في حركتهم تلك هم الذين ابتدأوا

★ لفظ البَرَاجِلة أو برجيلة وجمعه براجلات مشتق من اللفظ اللاتيني Parcella، ويعني قطعة من الأرض غير محدودة، ولا يزال يستعمل في هذا المعنى إلى الآن في اللغة الإسبانية (حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين**، ص ٥٥٩) ومنطقة البراجلة في إلْبِيرة تقع على سفوح جبال الثلج. Sierra Nivada (عبد الواحد ذنون؛ **الفتح والاستقرار العربي**، ص ٢٤٦).

(٢٣) عبد الواحد ذنون، **الفتح والاستقرار العربي**، ص ٢٤٦.

★★ نستشف ذلك من كون حركة العرب قد انطلقت من منطقة البراجلة (ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٥٤؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ ٤. ص ٢٧٠)

(٢٤) عبد المجيد نعنعي، **تاريخ الدولة الأموية**، ص ٣٠٨.

(٢٥) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٣٨؛ الحريري، **حركات المولدين**، ص. ص٣٨-٣٩.

(٢٦) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦١.

(٢٧) عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين**، ص ٢٦٦.

المولدين بالاعتداء المسلح[٢٨]، ومع أننا لا يمكن أن نغض الطرف عما يتحمله العرب من تبعة ذلك الاضطراب الذي حصل في كورة إلبيرة، إلا أن تكتلهم في جبهة واحدة، وقتالهم للمولدين بانتظام لم يقع إلا حين دخل هؤلاء المولدون في حلف مع مواطنيهم النصارى، وقاموا بالتضييق عليهم، يقول ابن ماء السماء[٢٩] في معرض تعريفه بيحيى بن صُقَالة بأنه «ثار. . . بدعوة العرب الذين بغت عليهم العجم والمولدون»، ومن المتفق عليه أن يحيى بن صقالة «كان أول الخارجين بالبراجلة بهذه الدعوة»[٣٠]، والبراجلة ـ كما أسلفنا ـ هي منطقة التجمع العربي في كورة إلبيرة، كما أن ابن حزم ينص[٣١] على أن ثورة العرب لم تحدث إلا لمجابهة تمرد المولدين، فيقول عن سوار بن حمدون ـ الذي تولى رئاسة العرب بعد يحيى كما سنرى ـ إنه هو «القائم بدعوة العرب بالأندلس، إذ قام عليهم المولدون» ثم إن أحد الشعراء العرب ـ حينما مدح زعيمهم في قصيدة له ـ أشار إلى أن المولدين كانوا قد تحزبوا ضدهم، فاقتص الله منهم بقيادة هذا الزعيم فيقول:

به قتلَ اللهُ الذين تحزَّبوا علينا، وكانوا أهلَ إفكٍ وباطلِ[٣٢]★

---

(٢٨) نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٠٩.

(٢٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦١.

(٣٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٥؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٤٨.

(٣١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٠.

(٣٢) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٥٠.

★ ويقول شاعر آخر يحرض العرب:

يا أيها العرب النائي محلتهم أنتم نيام ومن يشنأكم سهر

(ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٤)، ويومىء هذا البيت إلى أن العرب لم يكونوا متيقظين لاستعدادات المولدين ضدهم.

ثم إنه لا خلاف في أن المولدين هم الذين أظهروا التذمر بصورة جارفة في الأندلس منذ زمن الأمير محمد، وقد حمل رايات العصيان متمردون منهم أعجزوا الدولة بينما لا نسمع بمثل هذا من جانب العرب. وعلاوة على ما سبق فإن عرب إلبيرة لم يبارحوا ضياعهم إلا حينما أحسوا بالخطر المحدق بهم بعد وقوع اشتباكات بينهم وبين المولدين وحلفائهم النصارى(٣٣)، فالتجأوا بزعامة يحيى بن صُقَالة القيسي إلى حصن مُنْت شاقَر★ - الواقع في البراجلة(٣٤) - وطفقوا يجددون بناءه ويعززون تحصينه، وبينما هم كذلك إذ فاجأهم نابل (زعيم المولدين في إِلْبِيرة) بجمع من أتباعه، وحاربهم في حصنهم، وأذرع فيهم القتل(٣٥) إلى أن تمكن في النهاية من احتلال الحصن بالقوة(٣٦)، الأمر الذي جعل يحيى بن صقالة يفر بالفلول المغلوبة بمدينة قَسْطَلَّة حاضرة كورة إِلْبِيرَة(٣٧).

والظاهر أن توجه الزعيم العربي إلى قَسْطَلَّة مع أنها كانت مركزا للمولدين يعود إلى أمرين، أحدهما: أن العرب في إلبيرة كانوا متفرقين آنذاك، ولم تكن هذه الكورة قد خرجت بعد عن سلطة الأمويين، إذ كان العامل الأموي يمارس أعماله في حاضرتها بشكل طبيعي، وكان الوضع فيها مستتبا، فلعل يحيى رأى أن الأمان يتوافر فيها أكثر من غيرها من نواحي إلبيرة.

---

(٣٣) محمد دياب، **تاريخ العرب في إسبانيا**، ص ٢٢٧؛ حسن مراد، **تاريخ العرب في الأندلس**، ص ٧١.

★ منت شاقر - سبق تحديد مكانه من إلبيرة.

(٣٤) ابن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط٣ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ٢٩.

(٣٥) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦١.

(٣٦) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٥٥؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ٢، ص ١٤٩.

(٣٧) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦١.

والأمر الثاني: أن يحيى بن صقالة كان قبل ذلك قد وادع أهل الحاضرة من المولدين والمسالمة، وعقد بينه وبينهم أماناً مؤكداً، حلفوا له عليه أيمانا مغلظة توثق بها منهم، واطمأن إليهم، فجعل يأتي حاضرتهم فينزل فيها، ويقيم الأيام(٣٨).

ومن البائن أن هذه الموادعة قد حدثت قبل انهزام يحيى وقومه العرب أمام نابل وأصحابه، وخروجهم من حصن مُنْت شاقَر★. غير أن أهل الحاضرة بعد غلبة إخوانهم على العرب لم يراعوا تلك المعاهدة المعقودة بينهم وبين هذا الزعيم العربي، إذ سرعان ما غدروا به، واغتالوه★★ سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م(٣٩).

والظاهر أن عرب إلبيرة بعد مقتل يحيى بن صقالة قد تفرق شملهم، وتشتت أمرهم، واختلفوا على من تئول إليه الرئاسة فيهم، فوقع الخصام بين جذمي العرب القيسية واليمنية(٤٠) لكنهم ما لبثوا أن تنبهوا إلى عظم الأخطار

---

(٣٨) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٥٥.

★ يذهب بعض المؤرخين إلى أن الموادعة التي تمت بين يحيى بن صُقَالة ومولدي الحاضرة قد كانت بعد هزيمته على يد نابل، وفراره منه (محمد دياب، **تاريخ العرب في إسبانيا**، ص ٢٢٨؛ حسن مراد، **تاريخ العرب في الأندلس**، ص ٧١)، ويبدو أن ما أثبتناه في المتن أقرب إلى الصحة، لأن يحيى لن يجرؤ على الحلول بالحاضرة ــ التي كانت عش المولدين في إلبيرة ـ بعد أن هُزم من قبل المولدين عند منت شاقر؛ فضلا عن كون مولدي الحاضرة لن يرضوا بإعطائه الأمان وهو في حالة الفار من قبضة إخوانهم أتباع نابل.

★★ ولقد جسد الشاعر العربي مقتل يحيى بن صقالة بقوله:

قتلوه لما أضاف إليهم	لم يكن قتله برأي رشيد
قد غدرتم به بني اللؤم من	بعد يمين قد أكدت وعهود

(ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٥٩؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٤، ص ٢٧٦.

(٣٩) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦١؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ١٤٨.

(٤٠) محمد دياب، **تاريخ العرب في إسبانيا**، ص ٢٢٨؛ حسن خليفة وآخرون، **تاريخ العرب في إفريقية والأندلس** (القاهرة: مطبعة الاعتماد، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م)، ص ١١٣.

التي تحيق بهم، فوضعوا حدا لهذا الخصام بتولية سوار بن حمدون المحاربي القيسي(٤١)★، ولعل السبب في بقاء الزعامة في العرب القيسيين هو أن قبائلهم في مجموعها كانت أكثر من القبائل اليمنية في هذه الكورة(٤٢).

كان سوار بن حمدون أحد الرجال المقربين من الزعيم السابق المقتول(٤٣)، ويبدو أنه قد اشترك معه في معاركه مع المولدين، ومن المحتمل أنه أحد الذين نجوا من مذبحة حصن منت شاقر سالفة الذكر، إذ أن ابنه عبد العزيز كان من ضمن القتلى فيها(٤٤).

ولقد عرف الزعيم العربي الجديد بشجاعته، وجرأته في الحرب، وقدرته على تأليف القلوب ولذا «كثر أتباعه، واشتدت شوكته، واعتز العرب بمكانه فلفَّف جموعها، وحمى ذمارها، وسعى لإدراك ثأرها»(٤٥)، وقد بولغ في إعلاء شأنه والثناء عليه فقيل: «لولا أن الله مَنَّ على العرب بسوار، ونَصَرَه لما أبقى العجم والمولدون منهم أحدا»(٤٦).

---

(٤١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٥، ٦١.

★ وهو سوار بن حمدون بن يحيى (ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٢٦٠) ويذكر ابن الخطيب نسبا أَوْفَى لسوار بن حمدون، علاوة على أنه أورد اسما لجده يغاير ما جاء عند ابن حزم فيقول: «هو سوار بن حمدون بن عبدة بن زهير بن ديسم بن قديدة بن هنيدة» (ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ ٤، ص ٢٧٠)، وهو من بني محارب بن خَصَفَة بن قيس عيلان (ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٢٥٩؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ ١ ص ١٤٧)، وكان جده الأعلى قد نزل في قرية قربسانة الواقعة إلى الغرب من غرناطة (ابن الخطيب، **الإحاطة**، ص ٢٧٠).

(٤٢) اليعقوبي، **البلدان**، ص ٣٥٤؛ مجهول، **أخبار مجموعة**، ص ٧٨.

(٤٣) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٥٥؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ ١، ص ١٤٨.

(٤٤) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ ٤، ص ٢٧٠.

(٤٥) ابن الأبار: **الحلة**، جـ ١، ص ١٤٨.

(٤٦) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ ٤، ص ٢٧٠.

بعد أن وَلِيَ سوار رئاسة عرب إلبيرة انحاز بهم إلى حصن غَـرْناطة(٤٧)★، ثم خاطب زعماء العرب في الكور المجاورة يدعوهم إلى نصرته(٤٨)، فانضوى إليه العديد من البيوتات العربية في جَيَّان ورَيُّة وغيرهما(٤٩).

وعندما رأى سوار من نفسه القوة توجه بجموعة لاسترداد حصن مُنْت شاقَر شمال شرقي غرناطة، وكان قد اجتمع فيه من المولدين والنصارى حوالي ستة آلاف رجل، فحاصرهم وضيق الخناق عليهم إلى أن أخرجهم قسراً منه★★، فأصبح هذا الحصن تحت سيطرته(٥٠)، ثم استمر في تطهير الحصون التابعة للمولدين وحلفائهم النصارى، وما زال يفتتح، ويغنم حتى غلب على أكثرها، واستباح أهلها(٥١).

ويبدو أن اجتماع عرب كورة إلبيرة حول زعيمهم سوار بن حمدون،

---

(٤٧) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦١؛ ابن سعيد، **المغرب**، جـ٢، ص ١٠٥.

★ غَرْنَاطة إحدى المدن القديمة في كورة إِلْبِيرة (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ٢٤؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص ٥٤٧)، وكانت تقع على بعد ستة أميال من حاضرة هذه الكورة إلى الجنوب الشرقي منها، (الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ٢٣، ٢٩؛ **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة إلبيرة، م٢، ص ٥٠٥) والمسافة بينها وبين قرطبة تقدر بتسعين ميلا، (ياقوت، **معجم البلدان**، جـ١، ص ٢٤٤؛ ابن الخطيب: **الإحاطة**، جـ١، ص ٩٤)، وقد بدأت تنمو منذ أن انحاز العرب إليها في هذه الفتنة (ابن سعيد، **المغرب**، جـ٢، ص ٩٣)، فأمست في مطلع القرن الخامس الهجري حاضرة كورة إلبيرة، وسميت الكورة باسمها (ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص ٢١)، وحينما تقوقع سلطان المسلمين في الأندلس اقتصر على غَرْنَاطة، وما يتبعها من أقاليم وبسقوط غرناطة بأيدي النصارى عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م أمحّت دولة الإسلام في هذه البلاد، (المقري، **نفح الطيب**، جـ٤، ص ٥٢٥).

(٤٨) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦٢.

(٤٩) ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ١٤٨.

★★ ويشير ابن الخطيب ـ نقلا عن ابن أبي الفياض ـ إلى أن سوارا قد قبض على زعيم المولدين نابل، ولم يفصح عما جرى له بعد ذلك. (ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٤، ص ٤٠).

(٥٠) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص٥٥، ابن الأبار، **الحلة**، ص.ص ١٤٨-١٤٩.

(٥١) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦٢.

واشتداد بأسهم بالتحاق بعض عرب الكور المجاورة بدعوتهم، ثم إسراف هذا الزعيم بتعقب حصون المولدين والنصارى في هذه الكورة، وقسوته في التعامل معهم - يبدو أن كل ذلك قد جعل الصراع بين العرب وخصومهم المولدين ينتشر في كل أرجاء كورة إلبيرة بعد أن كان ينحصر في دوائر محدودة منها، كما أنه أكد التضامن بين أهل هذه الكورة الأصليين من مسلمين ونصارى بصرف النظر عن اختلاف عقيدتهم، ولذا فإن أهل الحاضرة المولدين فزعوا لِمَا حل بإخوانهم على أيدي العرب «ودعوا للمولدين والعجم»[٥٢].

ونتيجة لهذه الدعوة التي أشاعها هؤلاء المولدون أقبلت جموعهم من كل أوب، وتجمعوا في حشود كبيرة، واستعدوا لقتال العرب[٥٣]، ثم تقدموا إلى عامل الأمير عبد الله على إلبيرة جعد بن عبد الغافر، وحثوه على الاقتصاص من الزعيم العربي سوار بن حمدون «وكف أذاه عن طاعتهم للسلطان» - كما يقول الرازي -[٥٤]، فهم يعتلون لدى عامل الأمير فيما يظهر - بأن انسياقه معهم ضد العرب سيكون بمثابة الدفاع عن طاعتهم للإمارة، وضماناً لبقائهم في إطار سلطانها، ونظراً لخوف جعد من خروج هذه الكورة بأكملها عن سلطة الأمويين - كما سبق أن قلناه - ، وبالإضافة إلى أن الدولة الأموية - ممثلة بولاتها على الأقاليم - كانت تخشى دائما تعاظم نفوذ العرب الذي طالما حاربته على مدى تاريخها[٥٥] - فقد بادر هذا العامل بإجابتهم إلى طلبهم، فخرج على رأس جيش كثيف، أفراده من المولدين وحلفائهم النصارى★،

(٥٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٥.
(٥٣) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٤، ص ٢٧١.
(٥٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٥.
(٥٥) الصوفي، تاريخ العرب في إسبانيا، ص ٧٦.
★ نستخلص ذلك من قول ابن ماء السماء عن جعد عندما طلب المولدون منه الخروج لقتال العرب «فأجابهم إلى ذلك وحَشَدهم وأحلافهم» (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٢). والمولدون - كما عرفنا - قد حالفوا النصارى في بلدهم إلبيرة.

وقصد بهم سوارا وقومه العرب، فاصطدم الطرفان بعنف، فكان النصر للعرب، إذ قتلوا من خصومهم ما يقرب من سبعة آلاف رجل، أما جعد نفسه فقد وقع في الأسر(٥٦)، وقد سميت هذه المعركة «بوقعة جعد»(٥٧).

ولا نعرف في أي مكان من كورة إلبيرة حدثت هذه المعركة، ولكن الذي يبدو أنها حدثت بين مدينة قَسْطَلَّة الحاضرة وبين الحصون الواقعة في الجنوب أو الشرق منها، حيث كان ابن حمدون يزاول نشاطاته في عرصاتها، وعلى كل فمن المتوقع أن مكانها غير بعيد عن الحاضرة، يوحي بذلك أن سوارا قائد الجيش العربي قام باتِّباع بعض المنهزمين حتى انتهى إلى أبوابها(٥٨).

والظاهر أن سوار بن حمدون لم يُنَادِ بالاستقلال عن الإمارة الأموية في كورة إلبيرة إثر هذا الانتصار الساحق، لأنه ما عتَّم أن مَنَّ على عاملها جعد بن عبد الغافر، وأخلى سبيله من الأسر فعاد يمارس أعماله فيها(٥٩).

بيد أن ذِكْر سوار بن حمدون قد ارتفع بعد انتصاره على المولدين وحلفائهم، كما أن صيته اتسع، فازداد قوة إلى قوته(٦٠)، «وكاتبه عرب النواحي إلى حدود قلعة رَبَاح وغيرها★، فصاروا إِلْبا على المولدين، ونكالا

(٥٦) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٤٩؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٤، ص ٢٧١.

(٥٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٥٦، ٦٢؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٤، ص ٢٧١.

(٥٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٥٥-٥٦.

(٥٩) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٣٣.

(٦٠) أحمد بدر، **دراسات في تاريخ الأندلس**، ص ٢٤٨.

★ قلعة رَبَاح Calatrava من الأعمال الجنوبية لكورة طليطلة (ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ١٧٧، حاشية ٣) تقع إلى الشمال الشرقي من قرطبة (ياقوت، **معجم البلدان**، جـ٣، ص ٢٣) وهي تربض على ضفة نهر آنة (الإدريسي، **صفة المغرب**، ص ١٨٦، مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص١١، ٥٩) أما الآن فتقع في محافظة ثيوداد ريال (حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية**، ص ٢٥٩) وتبعد عن المدينة الملكية Ciudad Real مسافة اثني عشر كيلومترا (ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص٥٨٦).

لهم»(٦١)، بل إن سلطانه العسكري قد وصل إلى كورة جَيَّان، حيث امتلك مدينتي بَيَّاسَة★ وأُبَّذَة(٦٢)★★.

وأغلب الظن أن التأييد الواسع الذي لمسه سوار من العناصر العربية هو الذي أغراه بمد سيطرته إلى جيان، ولا يستبعد أن يكون العرب أنفسهم هم الذين سهلوا مهمته تلك، فمدينة أُبَّذَة - إحدى المدينتين اللتين أدخلهما سوار في سلطانه - كانت تسمى بأبذة العرب، نظرا للتجمع اللافت فيها منذ أيام الأمير محمد(٦٣).

صار سوار بن حمدون - بما وصل إليه من نفوذ في المنطقة - الرجل العربي الأول الذي يدافع عن ذمار العرب، ويذود عن حماهم، وينافح عن حقوقهم، ويزيل ما قد يقع عليهم من ضيم، قام بذلك دون أن يلتفت إلى ما كان بين أولئك العرب من التباين في الأصول، والاختلاف في الأنساب، فحينما بلغته في سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م نفسها أن أهل بَجَّانَة★★★ المعروفين

---

(٦١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٦.

★ بَيَّاسَة Baeza إحدى المدن الكبرى في كورة جيان (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ١٥، ياقوت، **معجم البلدان**، جـ١، ص ٥١٨) إلى الشمال الشرقي من الحاضرة (عنان، **الآثار الأندلسية**، ص ٢٢٨) وكانت تطل على نهر الوادي الكبير (الإدريسي، **صفة المغرب**، ٢٠٣؛ ابن سعيد، **المغرب**، جـ٢، ص ٧١). وهي حاليا مركز إداري في محافظة جيان (ابن الأبار، **الحلة**، جـ٢، ص ٢٥٣، حاشية ٢).

(٦٢) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٤، ص ٤٠.

★★ أُبَّذَة أو أبدة Ubeda فهي أيضا من مدن كورة جيان (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ١٥) وتقع إلى الشرق من مدينة بَيَّاسَة، بينهما قيد سبعة أميال فقط (الإدريسي، **صفة المغرب**، ص ٢١٣) ولكنها ليست على النهر (ابن سعيد، **المغرب**، جـ٢، ص ٧٥) وهي الآن مدينة ضمن محافظة جيان (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٥٩١، تعليق ٤٨٧).

(٦٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٢٩٤.

★★★ بَجَّانَة Bechina من المدن الجنوبية في كورة إِلْبِيرَة، بينها وبين غَرْنَاطَة مئة ميل (ياقوت، **معجم البلدان**، جـ١، ص ٣٣٩) ولا تبعد عن البحر المتوسط سوى ستة أميال (الإدريسي، **صفة المغرب**، ص ٢٠٠) وهي الآن بليدة صغيرة في شمالي ميناء المَرِيَّة Almeria على بعد عشرة كيلومترات (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٥١٧، تعليق ٢٩٠).

باسم البحريين يستخفون بمجاوريهم من العرب الغسانيين، ويتطاولون عليهم انتضى السلاح، وَهَبَّ هو وأتباعه لرفع الظلم عنهم، وذلك بتأديب أولئك البحريين، واستباحة مدينتهم، غير أن هؤلاء الأخيرين علموا بما يدبره سوار لهم، فخافوا منه، وسارع كبراؤهم «إلى العرب الغسانيين جيرانهم يستذمون بذمة جيرتهم، ويستصفحونهم عن إجرام سفهائهم، ويستشفعون بهم إلى سوار، . . . ويسألونهم لقاءه، واستلطافه لهم، ووعظه فيهم، . . . والرغبة إليه في الانصراف عنهم، ومواثقته على إجمال عشيرتهم، فأسعفهم الغسانيون بذلك، وخرجت جماعة من وجوههم إلى سوار»(٦٤)، فالتقوا به، وكلموه فيما عرضه عليهم أهل بَجَّانَة «واستلطفوه حتى انصرف عنهم»(٦٥).

والمشهور أن الغسانيين يعودون في نسبهم إلى القبائل اليمانية(٦٦)، وكان سوار من القبائل القيسية ـ كما عرفنا ـ ومع هذا فإنه لم يتوانَ في الانتصار لهم بشدة بمجرد أن سمع بمعاناتهم، وإن كانوا لم يجأروا إليه، فلم ينظر إلى اختلافه معهم في الأصل الذي طالما أثار الشقاق بين العرب في الأندلس.

ولقد استمر سوار بن حمدون يُحَاد المولدين، ويضيق عليهم، الأمر الذي حدا بهم إلى الاتصال بالأمير عبد الله يشكون إليه بثهم، ويرجونه استمالة سوار، والعمل على رفع أذاه عنهم(٦٧).

ولعل الذي جعل مولدي إلبيرة يتوجهون بشكواهم إلى حكومة قرطبة هو أنهم كانوا يرونها حتى ذلك الحين في خلاف مع أعدائهم العرب ـ أتباع سوار ـ وقد تمثل ذلك في قيام عاملها الأموي جعد بن عبد الغافر بمشاركتهم في حرب هؤلاء العرب كما رأينا.

---

(٦٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٨٧-٨٨.
(٦٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٨.
(٦٦) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٣٣١، ٤٧٠، ٤٧٢.
(٦٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٦.

ومهما كان الأمر فقد قام الأمير عبد الله بمخاطبة الزعيم العربي، وما زال يستميله، ويستلطفه حتى أظهر الامتثال للطاعة، على إثر ذلك جرت بين سوار ومواطنيه المولدين من أهل الحاضرة محادثات أسفرت في النهاية عن عقد سلم بين الطرفين «فارتفعت الحرب بينهم، وهدأت الحال، وانبسط كل منهم في قراهم، وطعموا العافية»(٦٨).

وفي تلك الأثناء عزل الأمير عبد الله عامل إِلْبِيرة جعد بن عبد الغافر، وقلد أعمالها ابن عم لهذا الأخير يدعى عمر بن عبد الله بالاشتراك مع سوار بن حمدون(٦٩)★.

ويظهر أن سواراً لم يجنح إلى الطاعة، ويَرْضَ بالمصالحة مع أهل الحاضرة إلا بعد أن تكفل له الأمير عبد الله بخلع جعد بن عبد الغافر(٧٠)، يومئ إلى هذا قول الرازي(٧١) عن الأمير بأنه عَزَلَ «جعدا عن الكورة إرضاءً لسوار»؛ بل إنه من المحتمل جدا أن مشاركة سوار في حكم إلبيرة مع العامل الجديد كانت ضمن الشروط التي ثاب بموجبها هذا المتمرد إلى الطاعة.

بهذا الترتيب الجديد أصبحت الأحوال هادئة في كورة إلبيرة، ولكن سوار ابن حمدون لم ينشب أن تجهز بحشوده، وعمد إلى الإغارة على الحصون الموالية لعمر بن حفصون(٧٢)، وما ذلك إلا ليُعَبِّرَ عن إخلاص طاعته للإمارة

---

(٦٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٦.

(٦٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٦، ٦٢.

★ يذكر ابن حيان أن الأمير عبد الله ولى عمر بن عبد الله مشتركا مع سوار بن يحيى - لا سوار بن حمدون - ومن الواضح أن ذلك تصحيف لأن ما جاء بعد هذه العبارة يزيل الالتباس. (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٦).

(٧٠) عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٦٧.

(٧١) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٤، ص ٢٧١.

(٧٢) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٣٣؛ ابن الخطيب: **الإحاطة**، جـ ٤، ص ٢٧١.

الأموية[٧٣]، وليردَ ـ فيما بعد ـ على ابن حفصون الذي كان قد انتهك حُرْمَةَ غرناطة، وعدد من المواضع العربية في كورة إلبيرة بعد أن انقلب على حكومة قرطبة أثناء محاربتها لسعيد بن مَسْتَنَة المتمرد في بَاغُة[٧٤]، وعلى هذا فمن غير المستبعد أن ما قام به سوار من غاراتٍ على الحصون آنفة الذكر إنما كان بالاتفاق مع الأمير عبد الله[٧٥].

لم يستطع أهل حاضرة إلبيرة من المولدين كتمان ما اعتلج في خبيئة نفوسهم عند سماعهم بهجوم سوار على الحصون الطائعة لعمر بن حفصون، فقاموا بالاحتجاج، ونبذوا العهد المبرم بينهم وبين سوار[٧٦]، ورأوا ـ فيما يظهر ـ أن القضاء على دعوة ابن حفصون ـ عميد المولدين في الأندلس ـ إنما يعني القضاء عليهم[٧٧]؛ ولذا بدأوا يتجهزون للرد على العرب، ففزعوا إلى حلفائهم، ودعوهم إلى الاحتشاد والتجمع[٧٨]، فلما تكاملت استعداداتهم قصدوا حصن العرب ـ غَرْناطة ـ في عدد ينوف على العشرين أَلْفَ مقاتل[٧٩]، وحلوا قبالة بابها الشرقي، حيث استندوا إلى جبل الفخَّار★، فأنزلوا فرقة من رجالهم على هذا الجبل، وكأنهم أرادوا من هذه الفرقة أن

---

(٧٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٦.

(٧٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩١، وانظر: الفصل الثاني من هذا البحث.

(٧٥) R. Altamira, op. cit., p. 54.

(٧٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٦.

(٧٧) R. Altamira, op. cit., p. 54.

(٧٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٦.

(٧٩) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٣.

★ جبل الفخَّار Monte Alfacar هو أحد شُعَب جبال شلير (سيير انفادا) المشرفة على غرناطة (ابن الخطيب، الإحاطة، جـ١، ص ١٢١، حاشية ٥)

تحمي ظهور الجنود المهاجمين الذين أخذوا مواقعهم في السهل الكائن بين هذا الجبل وغَرْنَاطة(٨٠).

بادر المهاجمون بالتضييق على العرب، وبعد مضي سبعة أيام على ذلك رأى أولئك العرب أن البقاءَ داخل غرناطة خطرٌ جسيم عليهم(٨١)، فعزم قائدهم سوار على البروز للقتال مهما أَبْهَظه ذلك من ثمن، فخرج بجمع من أصحابه، وجرت بين الفريقين مناوشات حادة، وبينما هم كذلك إذ انسل سوار من ميدان المعركة، واتجه ـ خفية ـ مع نخبة من الفرسان نحو مؤخرة جيش المولدين، وانقض على من كان في الجبل، وشتت شملهم، فلما رأى المقاتلون في السهل من المولدين ما حل بإخوانهم لم يشكوا أن مددا للعرب قد جاء من خلفهم، فولوا الأدبار منهزمين، وتبعهم سوار وأصحابه يُعْمِلون فيهم السيوف(٨٢)، فاستحر القتل فيهم حتى قيل إن عدد القتلى منهم قد بلغ حوالي اثنى عشر ألفا، وقد جرت هذه الموقعة في عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م(٨٣)، ويبدو أنها كانت في أواخره.

بعد هذه الموقعة ـ التي عرفت بوقعة المدينة(٨٤) ـ أصبح العداء صراحا في كورة إلبيرة بين العرب والإمارة من طرف والمولدين من طرف آخر، ولذا لاذ هؤلاء المولدون بممثل دعوتهم الكبير عمر بن حفصون الذي أسرع إليهم بجيشه ـ كما سبق أن أبنا ـ وتهيأ معهم لضرب العرب، وعندما بلغت هذه التحركات أسماع الزعيم العربي سوار بن حمدون استعد للقتال، واستمد

---

(٨٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٧؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٤، ص ٢٧١.

(٨١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٦٢-٦٤.

(٨٢) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ١، ص ٢٧١.

(٨٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص. ص ١٣٣-١٣٤.

(٨٤) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٥٠.

رجالات العرب في الكور الثلاث إِلْبِيرة وجَيَّان ورَيُّة[٨٥]، ثم جرت بين الطرفين معركة حامية الوطيس انجلت في النهاية عن نصر مؤزر لسوار وأتباعه، وقد أصيب ابن حفصون بإصابات بالغة «وكاد سوار يأتي عليه لولا رجال صدقوه الكَرَّ، واستنقذوه»[٨٦].

لم يهنأ سوار طويلا بهذا النصر المبين الذي حققه على أعتى المتمردين في الأندلس عمر بن حفصون، إذ كَبُرَ على هذا الأخير ما حاق به من هوان على يد ابن حمدون، فاجتهد في التخلص منه لحد أنه كلف قائده الأول حفص ابن المرة بالمرابطة في إِلْبِيرَة في وقت كان في مسيس الحاجة إليه، وأمره بمكايدةِ سوار، وتعقبِ حركاته، فظل حفص يتربص به، ويشاكسه بالغارة تلو الغارة إلى أن تمكن منه في إحدى المرات، إذ كمن له يوما في خَيل كثيرة قرب حصن غَرْناطة، وهاجمه بثلة من الجند، فخرج إليه سوار مبادراً بقليل من أصحابه، وما زال حفص يستدرجه إلى أن أوقعه في الكمين، هنالك أحيط بسوار، وقُتل[٨٧]، وكان قتله في صدر سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م[٨٨].

وبهذا يكون سوار بن حمدون قد قاد حركة العرب في إلبيرة وما حولها مدة تقدر بسنة واحدة تزيد أو تنقص، بيد أن قصر رئاسته لأولئك العرب لم تقصر به عن القيام بدور مؤثر، وبمجهود نشط في المنطقة.

ولقد خلفه في رئاسة عرب إِلْبيرة سعيد بن سليمان بن جودي، وكان من قبيلة هَوازن[٨٩]★ التي تعد إحدى القبائل القيسية[٩٠].

(٨٥) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦٠؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ١، ص ٤٠، ٢٧١.

(٨٦) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ١، ص.ص ٢٧١-١٧٢.

(٨٧) ابن حيان، **المقتبس**، ق ٣، ص.ص ٦٠-٦١.

(٨٨) ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ١٥٤.

(٨٩) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٢٣؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ١٥٤.

★ سعيد بن جودي يكنى بأبي عثمان، ونسبه كالتالي: هو سعيد بن سليمان من أسباط ابن إدريس السعدي (ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص.ص ٣٠-٣١، ١٢٣؛ ابن الأبار: **الحلة**، جـ١، ص.ص١٥٤-١٥٥.

(٩٠) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٢٦٥.

كان سعيد من أشهر رجالات العرب في إلبيرة، وقد عرف عنه عدة خصال بَزَّ فيها الكثيرين، منها «الجود والشجاعة . . . والشدة والطعن والضرب والرماية»(٩١)، وكان «شاعرا مُفْلِقاً، وخطيباً مِصْقَعاً، فصيح اللسان، ربيط الجنان، جميل الشارة، حسن الإشارة، ثبت الأصالة، واسع الأدب والمعرفة»(٩٢)، فكان يخطب في المحافل العامة والمناسبات، فهو أحد الذين تكلموا بين يدي الأمير المنذر حينما أفضت إليه الإمارة الأموية، حيث «خطب خطبة بليغة، وصلها بشعر حسن»(٩٣).

والظاهر أن سعيد بن جودي قبل ولايته كان لا يتخلف عن مشاركة قومه العرب في وقائعهم الحربية، فهو يمتلك صفات المحارب الناجح، وكان الزعيم الراحل سوار ـــ الذي قضى أيامه في الكر والفر ـ قد خصه بالصحبة نظراً «لشجاعته ورئاسته» ـ على حد تعبير ابن الفرضي ـ(٩٤). وقد انعكس ذلك على شعره الحماسي الذي قاله في وصف المعارك التي جرت بين صديقه سوار وبين المولدين(٩٥)، ثم إن سعيداً قبل رئاسته كان هدفاً لخصوم العرب إلى درجة أنه وقع أسيراً في قبضة زعيم المولدين ابن حفصون(٩٦).

---

(٩١) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٥٥.

(٩٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٣.

(٩٣) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٤، ص ٢٧٦.

(٩٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٣.

(٩٥) انظر نماذج من ذلك الشعر في: ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٥٠ وما بعدها؛ ابن هذيل، **تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس**، مخطوط نشره بالتصوير الفوتوغرافي ليوس مرسي، ورقة ٨٠-٨١.

(٩٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٥؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٥٩.

ويشير ابن عذاري[٩٧] إلى أن ما حدث لسعيد بن جودي من الأسر كان بعد رئاسته للعرب، حيث «أقام . . . ببشتر شهورا مكبولا، إلى أن قبل فيه ابن حفصون مالا جزلا مقبولا» . وأكبر الظن أن ابن عذاري لم يكن دقيقا فيما قال، وربما أنه جافى الصواب؛ فابن حيان[٩٨] ـ وهو أسبق منه ـ قد صرح بأن ابن حفصون قد قبض على سعيد بن جودي قبل أن تسند إليه إمرة العرب، ثم إنه من المستبعد أن تغفل المصادر حدثا مهما كمسألة وقوع أمير العرب أسيراً في يد زعيم المولدين، ومكوثه عنده فترة من الزمن دون أن تذكر عنه شيئا، فضلا عن أن العرب في إلْبِيرة كانوا حريصين ـ كما رأينا ـ على المبادرة بتنصيب رجل عليهم بمجرد أن يفقدوا أميرهم، ولم نسمع بأن العرب أمَّروا عليهم أحدا في الزمن الذي أُسِرَ فيه زعيمهم سعيد بن جودي .

وعلى أي حال فإن سعيد بن جودي كان يتمتع بخلال تؤهله لتولي رئاسة العرب في إلبيرة، ولذا فَزِعَ العرب إليه بعد مقتل سوار بن حمدون، ونصبوه أميرا عليهم، ثم خاطبوا الأمير عبد الله يسألونه الاعتراف به رسميا رئيسا عليهم[٩٩]، ففعل الأمير وسجل له على كورة إلْبِيرة بكاملها[١٠٠]، خاصة وأن العرب في ذلك الحين كانوا هم المسيطرين على الحاضرة[١٠١].

ولقد تميز ابن جودي بالتعصب لقومه العرب «وآثرهم حتى هوت إليه أفئدتهم، وقصدوه من كل كورة»[١٠٢] من ذلك أن العرب الغسانيين المجاورين لمدينة بَجَّانة جأروا بالشكوى إليه، حيث إن أهل بَجَّانَة حينما

(٩٧) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٣٤ .
(٩٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٥ .
(٩٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٩ .
(١٠٠) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٤، ص ٢٧٧ .
(١٠١) ابن الأبار، الحلة، جـ ١، ص ١٥٦ .
(١٠٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٩ .

علموا بمقتل سوار نكثوا ما كانوا قد عاهدوا عليه من قبل، وعادوا مرة أخرى للتمرس بجيرانهم الغسانيين، والتسلط عليهم، وعلى هذا كتب هؤلاء العرب إلى سعيد بن جودي بذلك، واستنهضوه لرفع الظلم عنهم، فلما أبطأ عليهم بعض الوقت قصده رجال منهم، وحثوه على سرعة القدوم، وساعتئذ خف إليهم بجيشه من عرب غرناطة، وحارب أعداءهم البَجَّانيين أياما، ولكنه لم يستطع الانتصار عليهم، وفي تلك الأثناء رست سفن على الساحل القريب من بجانة، وهاجمت المراكب التابعة لأهلها، وحينما رأى سعيد ذلك فزع «وظن . . . أن مددا جاءهم فرحل عنهم مسرعا»(١٠٣).

ويلهم هذا الموقف من ناحية أخرى أن سعيد بن جودي لم يصل إلى المنزلة التي تبوأها سوار بن حمدون الزعيم السابق للعرب، فهو «لم يسد مكانه، ولا بلغ مداه في السياسة»(١٠٤)، بل إنه حَادَ عن الخط الذي كان سلفه سوار قد رسمه، فلقد كان سوار يحرص غاية الحرص ـ فيما يبدو ـ على رأب أية صدوع قد تخلخل الجبهة العربية، ويحافظ على التوازن بين القبائل القيسية واليمنية بالرغم من كونه قيسيا، فلم يحدث أي انشقاق عليه، بل حارب الجميع صفًّا واحداً ضد خصومهم، وقد أكد سعيد بن جودي نفسه في شعره التكاتف الحاصل بين جذمي العرب في بعض حروبهم أيام صديقه سوار، فقال في قصيدة له:

لقيتُم لنا ملمومةً مستجيرة　　تُجِيدُ ضراب الهام تحت الهواطل
بها من بني عدنانَ فتيانُ غارة　　ومن آل قحطان كمِثْلِ الأجادِلِ(١٠٥)

وقد تكون الظروف الحالكة التي أحاطت بسوار ـ حينما كان أميرا للعرب في مدته القصيرة ـ هي التي ساعدته على تنفيذ تلك السياسة، ولكننا مع ذلك

(١٠٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٨٨-٨٩.
(١٠٤) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٥٥.
(١٠٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٨؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٥٠.

لا يمكن أن ننكر نجاحه في تطبيقها، أما سعيد بن جودي فقد أخفق في السير على نهجها إذ سرعان ما نَبَتْ به قيسيته عنها فانحدر في دَرَكِ العصبية، وخاض في وَحْلِها، فلقد تأججت العداوة بينه وبين محمد بن أضحى الهمداني★، فوصل الأمر بالأخير أن خاف على نفسه أبلغ الخوف من سعيد، فلا تراه يَقِرُّ له قرار، بل كان يهرب من مكان إلى آخر، وما ذاك إلا لأن سعيدا كان يَجِدُّ في طلبه، ويبذل المال في سبيل القبض عليه(١٠٦).

وحيث إن ابن أضحى يعد «من أكابر أبناء العرب في كورة إِلْبِيرة»(١٠٧) فإنه من المتوقع جدا أن يكون لتلك العداوة المستحكمة بين هاتين الشخصيتين أثرها في إحداث الفرقة بين العرب عامة في المنطقة، بل سيكون وقعها أشد في نفوس اليمنيين الذين تنتسب إليهم همدان قبيلة محمد بن أضحى(١٠٨)، فهو الذي يمثلهم - فيما يبدو - في كورة إِلْبِيرة.

أما عن علاقات سعيد بن جودي بمجاوريه المولدين فإنها لا تظهر في المصادر إلا من خلال علاقته مع ابن حفصون، وليس هذا بغريب لأن المولدين في إلبيرة أصبحوا يقاتلون هم وابن حفصون في خندق واحد منذ أن استجاروا به على خصومهم العرب(١٠٩)، ولقد ورد أن سعيد بن جودي «قاتل ابن حفصون وأصحابه في كل جهة، فظهر عليهم، وهابه ابن

★ وهو محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن خالد (غريب) بن يزيد بن الشمر بن عبد شمس بن غريب الهمداني (ابن الأبار، **الحلة**، جـ ١، ص ٢٢٨؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ ١، ص ١٥٠، جـ ٤، ص ٨٣) ومحمد بن أضحى سيكون أبرز الشخصيات العربية في إلبيرة بعد وفاة سعيد بن جودي كما سنرى.

(١٠٦) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٣١.

(١٠٧) ابن الأبار، **الحلة**، جـ ١، جـ ٢، ص ٣٧٨؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ ١، ص ١٣٧.

(١٠٨) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٣٩٧؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ ٤، ص ٨٣.

(١٠٩) عبد المجيد نعنعي، **تاريخ الدولة الأموية**، ص.ص ٣١٠-٣١١.

حفصون هَيْبةً لم يهبها أحدا ممن مارسه، إذ لم يلقه قط إلا عَلاَه، وهزمه»(١١٠). كما ذُكر أن عمر بن حفصون تقاعس عن مبارزة سعيد بن جودي في بعض الوقائع التي جرت بينهما(١١١).

ولا نعرف ـ في الحقيقة ـ متى وقعت هذه المواجهات بين سعيد من جهة وابن حفصون وأصحابه من جهة أخرى، لكن ربما أنها كانت محدودة النطاق؛ بحيث لا تصل إلى حجم المعارك الكبرى التي عهدنا وقوعها بين العرب والمولدين، ومن المرجح أنها كانت في غضون العامين الأولين من رئاسة سعيد على العرب، لأنه حدث في سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م موقعة حاسمة بين سعيد بن جودي وعمر بن حفصون، فانتصر هذا الأخير، وعندئذ «ظَهَرَ الوَهَنُ على سعيد، . . . وانتقضتْ عليه أمورُه، فلم يزل مترددا في نكبتها» حتى آخر أيامه(١١٢).

أما تفصيل ما حدث بين الجانبين في سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م فهو كالتالي: كان ابن حفصون قد دخل حاضرة إلْبِيرة في ذلك الحين بمساندة من أنصاره فيها، ثم انطلق منها إلى غَرْناطة لضرب سعيد بن جودي وقومه، فلما سمع سعيد بذلك استصرخ حلفاءه من القبائل العربية، فجاءت الإمدادات إليه، وحينئذ خرج بهم لصد القوات المعادية(١١٣)، والتقى الجمعان في حقول سهل نهر شِنِّيل(١١٤)، وبعد قتال ضارٍ انهزم العرب هزيمة شنعاء، ومازالت قوات ابن حفصون تتعقبهم بالقتل والتشريد حتى باب مدينتهم غَرْنَاطة(١١٥).

---

(١١٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٩، ٣٠.
(١١١) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٥٥.
(١١٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ١٠٧-١٠٨.
(١١٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٧.
(١١٤) Provencal, op. cit., p. 223.
(١١٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٧.

ويرى الرازي[١١٦] أن السبب في هزيمة سعيد بن جودي هو ابتعاده بحشوده عن معقله غَرْناطة، ومع أهمية هذا العامل من وجهة النظر العسكرية لتعليل هزيمة العرب إلا أنه لا يمكن اعتباره السبب الأمثل والوحيد، فلا بد أن هناك أسباباً أخرى تبرر تلك النكبة التي حلت بذلك الجيش؛ لعل منها أنْ سعيد بن جودي قد استعجل بالبروز للقتال دون أن يستكمل الاستعدادات الواجب القيام بها للدخول في معمعة حرب مع المولدين الذين كانوا يتربصون بالعرب لأخذ الثأر منهم، ولا يُستبعد ـ أيضا ـ أن مَنْ نَفَروا مع سعيد لم يكونوا كلهم على كلمة واحدة نتيجة لتلك الإحن التي بدأت تظهر على السطح بين جذمي العرب في كورة إلبيرة والتي ألمعنا إليها آنفا.

بعد هذه الهزيمة التي تلقاها سعيد بن جودي بدأ نجمه في الأفول، فلا نجد له نشاطاتٍ سياسيةً واضحةً في المنطقة، وظل على تلك الحالة إلى أن قتلَ غدراً بأيدي بعض أصحابه في دار امرأة يهودية، وكان ذلك في شهر ذي القعدة من سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م[١١٧].

وقد اختلف في أسباب اغتياله بهذا الشكل، فقيل في سبب قتله إن أتباعه سخطوا عليه إثر تصرفاتٍ صدرت منه، ورأوها ـ فيما يظهر ـ غير لائقة به بصفته زعيماً لهم، فلقد كان «أكبر ما نقمه عليه أصحابه استهتاره بالنساءِ، ونَهَمه فيهن، وانحطاطه في طلبهن إلى ما يقبح ذكره»[١١٨]، وقيل إنه لم يَرْعَ حقوقَ بعض أصحابه، ولم يُعِرْهم أي اهتمام، «واستخف بهم حتى دبر عليه كبيران منهم حيلة قتلاه بها»[١١٩]. وزعموا أيضا أن من أقوى الأسباب التي

(١١٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٧.
(١١٧) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٤، ص ٢٧٧.
(١١٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣٠.
(١١٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣٠.

أدت إلى قتله هو ما قاله في غَمْصِ بني أمية في شعر له، حيث يقول:

يـــا بني مـــروان جـــدوا في الهربْ   نَجَمَ الثائـــرُ في وادي القصـــبْ
يـــا بنـي مـــروان خَلُّـــوا ملكنـــا   إنما الملـك لأبنـــاء العـــربْ (١٢٠)

حيث إن سعيد بن جودي في هذا الشعـر يُحَرِّض على نبذ طاعة بني أمية، ويدعو للثورة على سلطانهم(١٢١)؛ ولذا قُتِل بتدبير من الأمير عبد الله(١٢٢).

والذي يظهر أن الأمير عبـد الله لا علاقة له بـالنهاية المفجعة لحيـاة الزعيم العـربي، فربما أن قَتَلَـةَ سعيـد بن جـودي هـم الذيـن ادعوا أنـه تحدى الأمير الأمـوي، وقـالـوا على لسـانـه تلك الأبيـات الشعـريـة لكيـلا يـؤاخـذوا بجريمتهم(١٢٣)؛ فلقد كـان سعيد في سنـواته الأخيرة من الضعف بحيث لا يتوقـع معه أن يبـدي أيَّ تَحَدٍّ للأمـويين، لا سيما وأن الأمير عبد الله كـان قد اعترف به حاكما على قومه العرب في إلبيرة ـ كما ذكـرنا ـ فضلا عن كون الإمارة الأموية في ذلك الأوان قد استعـادت ـ نوعا ما ـ قـوتها ونفوذها في الأندلس، ثم إن سعيداً كـان يقيم في بلدة غَرْنـاطة إقامة شبـه دائمة(١٢٤)، حيث ركن للهدوء، وخلد للـدعة، فكان الأدباء والشعـراء يختلفون على قصره مثله مثل غيره من زعماء التمـرد في البـلاد(١٢٥)، وبـالإضافـة إلى ما سبق، فإن قـوات الإمارة كـانت قد قامت بعمليـة تطهير واسعة في جنوبي الأنـدلس إبان تلك السنة التي اغتيل فيها سعيد بن جودي، فمرت في طريق عودتها على حاضرة إلبيرة، ثم غَرْناطة، ولم نَرَ أدنى اعتراض من سعيد الذي كان على قيد الحياة،

(١٢٠) ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ١٥٦؛ ابن سعيد، **المغرب**، جـ٢، ص. ص ١٠٥-١٠٦.

(١٢١) سعد شلبي، **الأصول الفنية للشعر الأندلسي**، ص ٣٩١. Dozy, op. cit., p. 234

(١٢٢) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٢٩.

(١٢٣) أحمد هيكل، **الأدب الأندلسي**، ص ١٦٩.

(١٢٤) Provencal, op. cit., p. 223.

(١٢٥) ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ١٥٨.

لأن مرور هذه القوات بهذه المنطقة حدث قبيل وقوع اغتياله ببضعة شهور[١٢٦].

ومهما يكن من شيء فقد حمل لواء العرب من بعده في كورة إلبيرة نِدُّه ومعارضُه محمد بن أضحى الهمداني[١٢٧]، ومحمد هذا يعود في نسبه - كما بينا سابقا - إلى القبائل اليمنية، وتُعَد قبيلته همدان من القبائل البارزة في إلبيرة، إذ كان بحوزتها إقليم كامل، وهو إقليم همدان في الفحص★ القريب من غَرناطة[١٢٨]، وثمة قرية في هذه الكورة يطلق عليها قرية همدان[١٢٩].

ولقد كان لأسلاف محمد بن أضحى شأن عظيم في إلبيرة، فجده كان من أوائل الزعماء اليمنيين الذين ناصروا عبد الرحمن الداخل حينما قدم الأندلس[١٣٠]، ولعل الزعامة في همدان كانت تتداول بين أفراد أسرته لأنها تكون «من همدان في ذؤابة شرفها، وصميم بيوتها»[١٣١]، ثم إن والد محمد بن أضحى★★ كان من الخطباء النابهين، فله مقام مذكور بين يدي الأمير المنذر[١٣٢]. كما أن محمداً نفسه كان «أديباً خطيبا يقوم بين أيدي الأمراء في

(١٢٦) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٢٢.

(١٢٧) ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ١٥٧، ٢٢٨؛ ابن سعيد، **المغرب**، جـ٢، ص ١٠٦.

★ كلمة الفحص في عُرف الأندلسيين «كل موضع يُسكن سهلا كان أو جبلا بشرط أن يُزرع» (ياقوت، **معجم البلدان**، جـ٤، ص ٢٣٦) والفحص المذكور في المتن تشرف عليه غرناطة من ناحية جنوبها الشرقي (ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ١، ص٩٩، حاشية «١»، عنان، **الآثار الأندلسية**، ص ١٦٤)، أما إقليم همدان فيبعد عن غَرْنَاطَة مسافة ستة أميال (المقري، **نفح الطيب**، جـ١، ص ٢٩٥).

(١٢٨) ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص ٣٠.

(١٢٩) ابن سعيد، **المغرب**، جـ٢، ص ١٢٧؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ١، ص ١١٢.

(١٣٠) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٤٥.

(١٣١) ابن الأبار، **الحلة**، جـ٢، ص ٢١١.

★★ عندما حاصر المولدون العرب في غرناطة كان أضحى بن عبد اللطيف يعد من مشيخة العرب المعدودين (ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦٣).

(١٣٢) ابن الأبار، **الحلة**، جـ٢، ص ٣٧٩.

المحافل، فيحسن القول، ويطيب الثناء»(١٣٣).

ولقد كان محمد بن أضحى - في حياة زعيم العرب السابق سعيد بن جودي - يسيطر على حصن الحمَّة(١٣٤) الواقع في الأجزاء الجنوبية من كورة إلبيرة، بالقرب من مدينة بَجَّانَة(١٣٥)، وكان مستهدفا من ذلك الزعيم - كما سبقت الإشارة - ، فلما قتل هذا الأخير خلت الساحة لابن أضحى، وغدا أكثر الشخصيات العربية تأهيلا لتقلد أمر العرب في كورة إلبيرة، حيث اتجهت أنظار عرب إلبيرة إليه، وعَولوا عليه حمل قيادتهم؛ ولذا فبمجرد أن تعين عليه الأمر كتب إليه أهل حصن نُوالِش★ و استدعوه إلى حصنهم، فسار إليهم، ودخل ذلك الحصن «فصار عندهم مستمسكا بالطاعة»(١٣٦).

ناصب محمد بن أضحى عمر بن حفصون العداء، ودارت بينهما حروب عصبية، تمكن ابن حفصون منه في بعضها، حيث قبض عليه، فبقي في الأَسْر عنده إلى أن افتداه العرب بمال جسيم(١٣٧)، وهناك رواية أخرى تشير إلى أن ابن أضحى هو الذي افتك نفسه من الأسر بارتهان ابنيه لدى عمر بن حفصون، إذ يذكر ابن حيان(١٣٨) أن عبد الرحمن الناصر في أوائل حكمه قد دفع إلى محمد بن أضحى أحد الأسرى الموالين لابن حفصون «ففادى به ابنيه المرتهنين عند. . . عمر بن حفصون عما كان قاطعه به عن نفسه في أَسْرِه».

---

(١٣٣) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٣٧.

(١٣٤) ابن الأبار، الحلة، جـ ٢، ص ٢٢٨.

(١٣٥) ابن الخطيب، **مشاهداته في بلاد المغرب والأندلس**، ص ٩٢، حاشية ٢.

★ نُوَالِش Noalejo كان يقع في إقليم الأشر (ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص ٢٩) وهو الآن بلدة صغيرة من مديرية جَيَّان قرب حدودها الجنوبية مع مديرية غَرْنَاطة، وفي الجنوب الشرقي منه على بعد ثلاثين كيلومترا يقع حصن اللوز في غَرْنَاطة. (ابن الأبار، الحلة، جـ ٢، ص ٣٧٩، حاشية ١).

(١٣٦) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٣١.

(١٣٧) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٣٤.

(١٣٨) ابن حيان، المقتبس، جـ ٥، ص ٦٤.

وفي الواقع أن ما جرى من وقائع بين محمد بن أضحى وابن حفصون يكتنفه الخفاء، ويجلله الغموض، فالمصادر التي بين أيدينا لا تقدم لنا عن ذلك شيئا ينقع الغُلَّة، أو يروي الظمأ؛ ولذا فإن هناك احتمالين - فيما يبدو - لاختلاف الفدية في مسألة أسر ابن حفصون لمحمد بن أضحى، إما أن هذا الأخير قد وقع في الأسر مرتين في حادثتين مختلفتين، فافتداه العرب في الأولى بالمال، وفادى نفسه في الثانية برهن ابنيه، وإما أنه لم يقع في الأسر إلا مرة واحدة، فكان ثمن إطلاق سراحه ارتهان ولديه بالإضافة إلى أموال دفعها قومه العرب.

وعلى أي حال فإن ما دار بينه وبين زعيم المولدين ابن حفصون أبان للإمارة إخلاصَه، وصِدْقَ ولايته، ولذلك فإنه عندما خاطب الأمير عبد الله يسأله التسجيل له رسميا على الأراضي التي كانت في حوزته لم يمانع الأمير، بل أسعفه على الفور بطلبه، فبقي ابن أضحى يحكم أراضيه باسم الإمارة حتى بداية عهد عبد الرحمن الناصر(١٣٩).

ويحسن بنا - هنا - وقبل نهاية حديثنا عن ابن أضحى - أن نتحرى أحوال العرب زمن ولايته فهل كانوا ينتظمون في سلك واحد أو أنهم اختلفوا وأصبحوا شيعا ؟

لقد وصف ابن حيان(١٤٠) حالة العرب بعد سعيد بن جودي بقوله «ذلت العرب بعد مقتل سعيد بن جودي، واضطرب أمرها، وانحصدت شوكتها، وهانت على محاديها المولدين المناصلين [كذا] لهم بحاضرة إلبيرة».

إن اضطراب العرب في كورة إلبيرة بعد ابن جودي، وذهاب ريحهم وهوانهم على المولدين خصومهم، قد جرى - فيما يبدو - بسبب الخلافات

(١٣٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣١؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٢٩، جـ٢، ص٣٧٩.
(١٤٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٣.

التي بدأت تسري في كيانهم، فأول ما يستوقف النظر هو أن مقتل سعيد بن جودي ليس بأيدي أعداء صرحاء له، وإنما بأيدي مَنْ كانوا ينتسبون إليه، ويعدون من أصحابه، زد على هذا أن طريقة قتلهم له كانت تبعد عن الفروسية والشجاعة، فهم قتلوه بالغدر، إذن فإن اغتيال الزعيم العربي ابن جودي على تلك الصفة تُنْبئُ عن انشقاقات خطيرة بين صفوف العرب في غرناطة، فإذا كانت حالتهم هكذا في حصن غرناطة ـ وهو رمز وحدتهم في كورة إلبيرة ـ فماذا ننتظر منهم في بقية حصون هذه الكورة ؟

وهناك أمر آخر وهو أن راية العرب كان يحملها - قبل محمد بن أضحى - زعماء من القبائل القيسية، فلم يجد العرب في كورة إلبيرة - قيسيوهم ويمنيوهم - غضاضة في الانضواء تحت تلك الراية ثم مقاتلة أعدائهم المولدين كأنهم بنيان مرصوص، وقد وضح ذلك جليا زمن سوار بن حمدون، ثم استمر هذا الوضع في أوائل ولاية سعيد بن جودي - كما يظهر - لأننا رأينا العرب قد خاطبته من كل صوب، ولكن الأمر اختلف بعد خلافة الشائن محمد بن أضحى الذي لا بد أنه قد أحدث - كما رجحنا - أزمة حادة في روابط القبائل العربية، ومن المتوقع - أيضا - ألا تتخلى القبائل القيسية - وهي الجمهرة العظمى في كورة إلْبِيرة - عن الزعامة بسهولة، إذ أن من العسير عليها أن تتقبل الرضوخ للزعيم اليمني محمد بن أضحى الهمداني، ولعل عدم سماعنا بذكر لغرناطة في فترة رئاسته مع أنها كانت تمثل يومذاك «عشّ العرب»(١٤١) في المنطقة، ومقرَّ الزعيمين العربيين السابقين لعل هذا يلهم بأن سلطة ابن أضحى لم تكن سابغة على جميع العرب في كورة إلبيرة، وأن عرب غرناطة بالذات لم يدخلوا في ظل حكمه.

(١٤١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩١.

والظاهر - على ضوء ما سبق - أن العصبية القبلية قد حلت بوجهها الكريه بين عرب إلبيرة أيام محمد بن أضحى، فبدت البغضاء بينهم، وحملوا السلاح لقتال بعضهم بعضاً، ولم يبذل الأمير عبد الله أقل مجهود من أجل تسويتها(١٤٢)، اللهم إلا أن أحد البعوث العسكرية التي كان قد أرسلها لحرب ابن حفصون عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م قد مرت على تلك الكورة، وتفقدت بعض الحصون فيها(١٤٣).

ومع أن بعض قادة عرب إلبيرة حاولوا جاهدين توحيد الصفوف من جديد بين أقوامهم، إلا أنهم لم يوفقوا في مسعاهم(١٤٤)، ولكن بمجرد أن تولى عبد الرحمن الناصر، ودعا إلى الوحدة كان أهل كورة إلبيرة أول من استجاب، حيث تخلوا له عن حصونهم ومعاقلهم «دون أمان طلبوه، ولا عهد اعتقدوه»(١٤٥)، وكان ذلك بأثر من قاضيهم★ الذي وعظهم ونصحهم «وكان فيهم مطاعا فلم يخالفوه»(١٤٦). وكأنهم بهذا الموقف قد ملُّوا النزاع فيما بينهم، وضاقوا به ذرعا فسمعوا صوت الحق من رجل المظنون فيه عدم الانتماء لأي حزب من الأحزاب السياسية المتناحرة في تلك الكورة.

---

(١٤٢) Dozy, op. cit., p. 235.

(١٤٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤٥؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٤٥ أيضا.

(١٤٤) Provencal, op. cit., p. 223.

(١٤٥) مجهول، **قطعة في أخبار عبد الرحمن الثالث (الناصر)** (مدريد ـ غرناطة: ليفي بروفنسال وأميليو جارثيا جومث، ١٩٥٠م)، ص ٣٤.

★ واسم هذا القاضي عبد الله بن محمد بن عبد الخالق الغساني في رواية (مجهول، **أخبار عبد الرحمن الثالث**، ص ٣٤) ومحمد بن عبد الخالق الغساني في رواية أخرى (ابن حيان، المقتبس، جـ ٥، ص ٨٥) ويذكر ابن عذاري أن عبد الله بن محمد بن عبد الخالق قد توفي سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، وهو يعمل قاضياً لمدينة إشبيلية (ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص١٦٧).

(١٤٦) ابن حيان، المقتبس، جـ ٥، ص ٨٥.

ثانيا: حركة العرب في كورة إشْبِيلية

كان للعرب في إشْبِيلية وما يتبعها من أقاليم نفوذ يعتد به، ذلك أن الاستقرار العربي فيها بدأ منذ الأعوام الأولى للفتح الإسلامي للأندلس(١٤٧)، ولعل اتخاذ هذه المدينة أول عاصمة للمسلمين في البلاد(١٤٨) قد ثبت دعائم ذلك الاستقرار وأرساه، ثم ازدادت أعداد العرب في كورة إشبيلية بعد قدوم الشاميين عليها حين أنزل أبو الخطار الكلبي فيها جند حمص(١٤٩).

ولقد فَضَّل معظم العرب السكنى خارج مدينة إشبيلية، حيث توزعوا في الأقاليم التابعة لها(١٥٠)، وامتلك كثير منهم المزارع الخصيبة التي كانت تمتد على حافتي نهر الوادي الكبير أو في المنحدرات القريبة منها(١٥١).

وقد كانت أكثرية عرب كورة إشبيلية من القبائل اليمنية(١٥٢)، إذ كان جند حمص من اليمن(١٥٣)، بل إنه يوجد عرب من أصل يمني ضمن المستقرين الأوائل فيها★، ولذا فلا عجب أن تكون إشبيلية مَرْتَعاً لمعارضاتٍ قادها زعماء من اليمنيين ضد الأمراء الأمويين(١٥٤)★★.

(١٤٧) حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص ١٣٤، ٣٧١، ٦٠٤.

(١٤٨) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٣٦؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ٢٣.

(١٤٩) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٩٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، جـ ٥، ص ٤٩١.

(١٥٠) محمد دياب، **تاريخ العرب في إسبانيا**، ص ٢٣٣.

(١٥١) Provencal, op. cit., p. 228.

(١٥٢) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٣٥٥.

(١٥٣) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص ٧٨.

★ يفهم هذا من عبارة أوردها صاحب أخبار مجموعة، حيث يذكر أن عبد الرحمن الداخل حينما قدم على أهل إشبيلية «خرج إليه خيارهم من اليمن شاميها وبلديها» (مجهول، **أخبار مجموعة**، ص ٧٨). ومن المعروف أن لفظ البلديين في التاريخ الأندلسي يطلق على المستقرين الأوائل.

(١٥٤) انظر على سبيل المثال: العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١٠٢؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ٥٣، ٥٥.

★★ وسوف نرى بعد قليل نشاط العرب اليمنيين في إشبيلية زمن الأمير عبد الله.

ويعد بيتا بني خلدون وبني حجاج من أَنْبه البيوتات العربية في كورة إشبيلية(١٥٥)، وقد كانت الزعامة والريادة لهما بين العرب في هذه الكورة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، فأما بنو خلدون فإنهم يعودون في نسبهم إلى عرب حضرموت، وكانوا قد استوطنوا أول دخولهم الأندلس مدينة قَرْمُونَة★، ثم انتقلوا إلى مدينة إشبيلية القريبة منها(١٥٦)، ولقد كان يمثلهم أيام الفتنة الكبرى أبو هاني، كُرَيْب بن عثمان بن خلدون★★ وأخوه أبو عثمان خالد بن عثمان(١٥٧).

أما بنو حجاج فإنهم ينسبون إلى قبيلة لَخْم القحطانية(١٥٨)، ويتصلون بملوك القوط من ناحية الأمومة★★★، وقد كانوا يعدون من العرب البلديين الذين تقدم استقرارهم في البلاد(١٥٩)، وكان عميدهم والمقدم فيهم عند

---

(١٥٥) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٣٤.

★ قَرْمُونَة Carmona وهي مدينة تقع شرقي مدينة إشْبِيلِية على قيد عشرين ميلا (الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ١٥٨، ١٥٩)، وتبعد عن العاصمة قرطبة خمسة وستين ميلاً إلى الغرب منها (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ٢٣) وهي الآن تعد مركزا إداريا في مديرية إشبيلية (البكري، **جغرافية الأندلس**، ص ١١٤، حاشية ٤؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص ١٨٣ حاشية ٤).

(١٥٦) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٧، ص ٥٠٣ـ٥٠٥.

★★ وسلسلة نسب كريب هي كالتالي: كريب بن عثمان بن بكر بن خالد بن بكر بن خالد المعروف بخلدون، وهو الداخل للأندلس، بن عثمان بن هانىء بن الخطاب بن كريب بن معد يكرب بن الحارث بن وائل بن حجر. وحجر هذا يتصل نسبه بالعرب الحضارمة القحطانيين (ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٤٦٠) وينتسب إلى هذه الأسرة المؤرخ المعروف بابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، انظر (**تاريخه**، جـ٧، ص ٥٠٣) حيث إن جده عثمان هو أخو كريب المذكور آنفا (ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٣، ص ٤٩٧).

(١٥٧) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٤٦٠؛ ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٧، ص ٥٠٤.

(١٥٨) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٤٢٤؛ ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٧، ص ٥٠٥.

★★★ حيث إن جد بني حجاج عمير بن سعيد ـ أو الأسعد ـ قد تزوج سارة بنت المُنْذر بن غيطشة (ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٣٢؛ المقري، **نفح الطيب**، جـ١، ص ٢٦٧).

(١٥٩) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١١.

ارتجاج الوضع في الأندلس ـ في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ـ عبد الله بن حجاج(١٦٠)★، وقد كان والده حجاج من الرجال المخلصين للدولة الأموية في عهد الأمير محمد حتى إنه لقي حتفه في سبيل الذب عن ذمارها(١٦١).

وعلى الرغم من هذا الوجود العربي في إشبيلية فإن الحياة ظلت على ما كانت عليه أيام القوط اللهم إلا من تغييرات حدثت في المجال الديني والاجتماعي(١٦٢)، ذلك أن أغلبية سكانها كانوا ينحدرون من أصول رومانية وقوطية(١٦٣)، كما كانت قبل الفتح الإسلامي مركزَ علمٍ وتمدن في إسبانيا، وكانت مقراً رئيسا للعائلات النبيلة(١٦٤).

ولقد أقبل هؤلاء السكان الأصليون على اعتناق الإسلام بشكل واسع في عهد عبد الرحمن الأوسط(١٦٥)، ولذا غدا المولدون في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري يشكلون الأكثرية الساحقة في إشبيلية(١٦٦)، وقد تشبث

(١٦٠) ابن خلدون، تاريخه، جـ٧، ص ٥٠٥.

★ ونسبه كالتالي: عبد الله بن حجاج بن عمير بن حبيب بن عمير بن سعيد ـ أو الأسعد ـ وهو الداخل للأندلس ـ بن لوذان بن مرة بن قرهب بن ديسم بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن وائل ابن حبيب بن الأسعد بن لوذان بن سعادة بن راشدة بن أذب بن جزيلة بن لخم (ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٢٢٤)، وقد أشار إلى طرف من هذا النسب العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١٠٣.

(١٦١) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٧٢.

(١٦٢) عبد العزيز سالم، **تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، ص ١١١.

(١٦٣) فيليب حتى، **تاريخ العرب**، ط٧ (بيروت: دار غندور، ١٩٨٦م)، ص ٥٩٦.

(١٦٤) محمد دياب، **تاريخ العرب في إسبانيا**، ص. ص ٢٣٢-٢٣٣؛ النصولي، **الدولة الأموية**، ص٨٧.

(١٦٥) حسن مراد، **تاريخ العرب في الأندلس**، ص ٧٢؛ حسن خليفة، **تاريخ العرب في إفريقية والأندلس**، ص ١٦٥.

(١٦٦) عبد العزيز سالم، **في تاريخ وحضارة الإسلام**، ص ١١٢؛ عبد المجيد نعنعي، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس**، ص ٣٠٢.

العديد منهم بصبغته الإسبانية، فحافظ على عاداته وتقاليده[١٦٧]، كما احتفظ البعض بأسمائهم القديمة كبني أنجلين وبني شَبَرقِة وبني الجريج[١٦٨].

وحيث إن معظم العرب لم يقيموا في الحاضرة إشبيلية فآثروا السكنى في الأرباض والحقول المجاورة ـ كما أشرنا ـ فقد احتل المولدون المنزلة الأسمى والمقام الأعز من بين السكان الآخرين في هذه الحاضرة[١٦٩]، فكانوا ـ كما يصفهم ابن حيان[١٧٠] ـ «أغلظ أهلها شوكة، وأوسعهم نعمة، وأعزهم جانبا، وأحضرهم عدة، يعتدون في اثني عشر رئيسا». ولعل هذا الوضع الذي كان ينعم به هؤلاء المولدون قد جعلهم لا يبادرون في الالتحاق بدعوة المولدين التي التهبت في أرجاء الأندلس منذ عهد الأمير محمد، فبقوا مخلصين للدولة الأموية حتى اضطربت مدينتهم بفعل العرب كما سنرى.

ظلت إشبيلية تتمتع بالهدوء والاستقرار حتى حَلَّ العام الثاني من ولاية الأمير عبد الله ـ أعني عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م ـ فَسَرَتْ إليها الفتنة التي عَجَّتْ في مناطق الأندلس المختلفة، حيث بدأت القبائل العربية فيها تجيش بعوامل الثورة والعصيان، وطمح الزعماء العرب إلى الرئاسة والاستقلال بها عن حكومة قرطبة، وقد كان الزعيم العربي كريب بن خلدون أول من تبنى هذا الاتجاه[١٧١].

---

(١٦٧) دياب، تاريخ العرب في إسبانيا، ص ٢٣٣؛ حسن خليفة، تاريخ العرب في إفريقية، ص١١٥.

(١٦٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٤.

(١٦٩) النصولي، الدولة الأموية، ص ٨٧.

(١٧٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٥.

(١٧١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص: ص ٦٧-٦٨.

أفصح كريب بن خلدون عما يضمره من كره لحكم الأمويين، ودعا قومه العرب اليمنية في إشبيلية إلى الائتلاف حوله، كما اتصل بالزعماء اليمنيين المتمردين في كورتي شَذُونَة ولَبْلَة★ وببعض زعماء البربر البَرانِس★★، وعقد تحالفا معهم. وأمام هذه التظاهرة التي رتبها هذا الزعيم العربي شَعَرَ المولدون والموالي في حاضرة إشبيلية بالقلق، فلجأوا إلى التحالف مع العرب المضرية والبربر البُتْر★★، فكونوا بذلك كتلة مضادة لكتلة كريب وحلفائه(١٧٢).

لم يحدث في تلك الحاضرة أي اضطرابات من جراء هذا التمايز، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن كتلة المولدين وحلفائهم قد ضارعت في قوتها الحلف الذي أنشأه كريب، كما أن الفكرة التي كان قد دعا إليها هذا الأخير - وهي العصبية اليمنية - لم تكن - فيما يبدو - قد تبلورت بعد، والأهم في ذلك كله أن نظام الحكم الأموي في إشبيلية لم يزل قويا في تلك الأثناء(١٧٣)، فقد قامت بجانب تلك الكتلتين المتضادتين فئة حيادية يمثلها عدة نفر من العناصر السكانية، وكانت هذه الفئة تناصر الإمارة، وتمقت الخروج عليها،

★ كورة لَبْلَة Niebla تتاخم أحوازها أحواز كورة إشبيلية من الغرب (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص٢٢، ٢٣)، وتتصل حدودها الجنوبية بالبحر (العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١١١)، وكانت قاعدتها تبعد عن مدينة إشبيلية الحاضرة مسافة اثنين وأربعين ميلا (ياقوت، **معجم البلدان** جـ ٥، ص ١٠)، وكانت هذه القاعدة تعرف بكتب الجغرافية العربية بالحمراء (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ٢٣) أما حاليا فإن هذه الكورة تمثل مديرية وَلْبَة Huelva المحدودة من الغرب بدولة البرتغال، ومن الشرق بمديرية إشبيلية وقادس (ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص ٧٣ حاشية ٤).

★★ البَرانِس والبُتْر هما الجذمان اللذان يجتمع بهما البربر، حيث إن البرانس جدهم بُرْنس، أما البُتْر فجدهم مادِغِيْس الملقب بالأبتر، ولذا سموا بالبُتر (ابن خلدون، **تاريخه**، جـ ٦، ص ١١٧؛ القلقشندي، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق إبراهيم الإبياري (بيروت: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ٣٥.

(١٧٢) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦٨.

(١٧٣) أحمد بدر، **دراسات في تاريخ الأندلس**، ص ٢٤٩.

ولذا «كانت أعين الجماعة من أهل الحاضرة وغيرهم شاخصة إلى هؤلاء النفر يأتسون [بهم] في الثبات على دعوة السلطان، ولا يجسر كريب ومن معه على مخالفتهم»(١٧٤).

ولما فشل كريب بن خلدون في تحقيق مآربه في الحاضرة غادرها هو وأنصاره إلى إقليم الشَّرَف★، واستوطن قرية البلاط منه، فأصبح حينئذ يعمل بحرية أكثر، وتمكن من استمالة معظم القبائل الحضرمية المستقرة في هذا الإقليم، كما بعث برسله إلى الكور المجاورة يدعوهم إلى رأيه، ثم خطا خطوة أخرى وهي إحلال الفوضى في كورة إشبيلية، وقطع حبل الأمن فيها، فأغرى بربركورة مَارِدَة★★ بالإغارة عليها، ورغّبهم بضخامة مغانمها، وقلة المدافعين عنها، وهو بذلك يهدف إلى «تشتيت أمر السلطان، وتبغيضه إلى رعيته»(١٧٥).

استجاب البربر سريعا لإغراء كريب، واندفعوا نحو كورة إشبيلية، فلم يستطع عاملها الأموي موسى بن العاصي الوقوف في وجوههم، خاصة بعد هزيمته على أيديهم في قرية طَلْيَاطَة★★★، وكان كريب قد لعب دورا كبيرا

---

(١٧٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٨.

★ إقليم الشَّرَف Aljarafe أحد الأقاليم التابعة لكورة إشبيلية (ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٤) وهو يمثل الأراضي المرتفعة الكائنة إلى الغرب من مدينة إشبيلية نفسها على بعد ثلاثة أميال منها (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠١) وبذلك يكون نهر الوادي الكبير بينه وبينها، وقد كان هذا الإقليم واسعا في مساحته، كريما في بقعته (ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٣، العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٩٥)، ولا يزال حتى الآن يعرف بالاسم نفسه (حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣٨٤، حاشية ٣، ص ٥٤٥).

★★ بربر مَارِدَة ينتمون غالبا إلى البَرَانِس، حيث كان الوزير هاشم بن عبد العزيز قد أنزلهم في ماردة وأقاليمها سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٣٦٣).

(١٧٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٩.

★★★ طَلْيَاطَة Tejada قرية في إقليم البصل من كورة إشبيلية (ابن حيان، المقتبس، ق٣، =

في إحداث الهزيمة على هذا العامل، حيث كان قد اتفق سرا مع أولئك البربر على الانهزام بأصحابه من جيش العامل الأموي متى ما التحمت الحرب، وفعلا نفذ هذا الاتفاق، فكانت الهزيمة(١٧٦). وهذا يؤكد أن موسى بن العاصي لم يكن على علم بالاتصالات الجارية بين كريب وهؤلاء البربر المُغِيرين.

وعقب هذا الانتصار الذي أحرزه البربر أصبح المجال أمامهم مفتوحا للعيث في كورة إشبيلية فكثفوا غاراتهم على نواحيها، واحتجنوا كثيرا من خيراتها، ثم ما لبثوا أن غادروها من حيث أتوا، فقَدِمَ إليها بعدهم مباشرة المتمرد عبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي، ونزل قرية مَوْرة التي تبعد عن الحاضرة حوالي تسعة أميال، وبقي هو الآخر عدة أيام يُغير على الحاضرة نفسها، وعلى ما يجاورها من أقاليم، فلم يَتصدَ له أحد، وظل كذلك حتى عاد إلى قاعدته بَطَلْيَوْس(١٧٧)★.

وعلى ضوء هذه الأحداث ضاع الرشد في هذه الكورة، وساد الذعر، وانقلب استقرارها فوضى، وأمنها خوفا، «فظهر عجز السلطان، وبان وهنه، ومقتته الرعية، وقويت أطماع أهل الشر في كل جهة»(١٧٨)؛ حيث كثر الغزو والسطو، وانتشر قطاع الطرق، فكان من أعتاهم رجل من البربر

= ص ٦٩) بينها وبين الحاضرة إشبيلية عشرون ميلا (العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١١٠؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ١٢٨) وهي تقع إلى الشمال الغربي منها، أما اليوم فلا تعدو أن تكون خرائب مهجورة (العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١٧٤، حاشية «٩٩-٥»؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص ١٨٣، حاشية ٣).

(١٧٦) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦٩.

(١٧٧) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦٩.

★ انظر أبعاد غارة ابن مروان الجليقي في الفصل الثاني من هذا البحث.

(١٧٨) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص. ص ٦٩-٧٠.

يـدعى الطماشكة، إذ اتخذ من الطـريق بين إشبيليـة والعاصمـة قرطبـة مجالا رحبا لعمليات السلب والنهب والعيث والفساد[١٧٩]، ولعل هذا الاضطراب الذي خَيَّم على كورة إشبيلية هو ما كان يسعى إليه كريب بن خلدون.

إزاء هذه الأوضـاع الأمنية المترديـة اتصل أحد زعماء مدينـة إِسْتِجَّة ــ وهو محمد بن غالب★ ــ بالأمير عبـد الله، واستأذنه في بنـاء حصنٍ بقريـة شَنْت طُرُّش★★، وتكفل لـه في المقـابـل أن يعيـد الأمن والاستقـرار، ويضرب على أيدي قطاع الطرق والمفسدين، فلم يمانع الأمير في ذلك بطبيعة الحال[١٨٠]؛ لأن حكـومتـه آنـذاك كـانت من الضعف والانحـلال بما يجعلهـا غيرَ قـادرة بنفسها على إعـادة الأمور إلى نصـابها، ولأن تفاقـم الفتنة في إشبيليـة سيكون مردوده سيئاً جدا على العاصمـة قرطبة، ومن ثم على الدولة ككل؛ حيث إن إشبيليـة كانت تتحكم في الشريـان الحيوي لقـرطبـة ـ أقصـد نهـر الـوادي الكبير ـ، إذ أنه يمـر بالمدينتين معا، ولكن إشبيلية تربض على طـرفه الجنوبي قبل مصبـه في البحر[١٨١]، ولـذا فإن أي اختـلال في أمنها سيـؤدي حتما إلى التضييق على العاصمة قرطبة، بل ربما امتدت فتنة إشبيلية إليها خصوصا إذا ما استمرت دون معالجة.

---

(١٧٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٠.

★ يـذكـره العـذري باسم عبـد الله بن غـالب الأخـرس، وهـو من الحُرْس (العـذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٠٤) ولفظ الحُرْس كان يطلـق على جنود الأمير الأموي من المماليـك (ابن سعيد، المغرب، جـ ١، ص ٣٩) فإذا كان عبد الله بن غالب هو محمد بن غالب ـ وهذا هو الراجح ـ فلا يستبعد أن يكون ابن غالب جنديا سابقا من جنود الدولة الأموية.

★★ شَنْت طَرُّش Siete Torres وهي إحدى القرى التـابعة لإشبيلية على الطريق الذي كـان يربطها بقرطبة (العذري، نصوص عن الأنـدلس، ص. ص ١٠٤، ١٠٨-١٠٩) وموقعها بالضبط على حدود إشبيليّة مع إِسْتِجّـه (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٧٠؛ Provencal, op. cit., pp. 230 - 231).

(١٨٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٠.

(١٨١) الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٩٦.

لم يُسَر العرب اليمنية في إشبيلية بالحالة التي بلغها ابن غالب، وكأنهم رأوا أن عمله ذلك سيبطل مخططاتهم التي اجتهدوا في سبيل إنفاذها، ذاك أن ابن غالب لم يكن ينتمي إليهم، كما أن الغالب على أتباعه أنهم من المناوئين للعرب؛ ولذا هَبَّ بنو خلدون بالتحالف مع بني حجاج - وهذا التحالف نلحظه جليا لأول مرة - في إحدى الليالي للقضاء على هذا المنافس الخطير، فوقعت اشتباكات بين الجانبين، قتل فيها رجل من بني حجاج، فأراد العرب أن يُسَخِّروا هذه الحادثة لدعم موقفهم لدى السلطات الأموية، فادعوا عند عامل الإمارة في إشبيلية أن ابن غالب قد اغتال صاحبهم غدرا، وأردفوا ذلك بشهادات مزورة، ولما لم يفلح العامل في حل القضية أحالها للأمير عبد الله، ولكن الأمر التبس على هذا الأمير، ورأى ألا يتعجل في البت فيها حتى تقوى الأدلة عن طريق تقصي الحالة في موطن وقوعها، فبعث ابنه محمدا لهذا الغرض، حيث جمع هذا الأخير في قصر ولاية إشبيلية المتخاصمين بحضور المُدعى عليه ابن غالب، إلا أن المشهد الذي حدث في العاصمة تكرر مرة أخرى تقريبا في قصر إشبيلية فأرجأ الولد محمد عندئذ الفصل في القضية إلى حين، ولم يمانع في عودة ابن غالب إلى حصنه(١٨٢).

والظاهر أن الحكم في مسألة قتل رجل من العرب على يد محمد بن غالب لم يكن يتطلب هذا التحقيق الواسع، ولكن الأمير عبد الله لجأ إلى مثل هذا الأسلوب في ذلك الحين ليبقى - فيما يبدو - على علاقة طيبة بكلا الطرفين المتنازعين، إذ الفصل لأحدهما يقتضي إثارة الطرف الآخر(١٨٣)، وعندئذ تستعر الفتنة في إشبيلية أكثر مما هي عليه، وبالتالي تخرج هذه الكورة نهائيا من سلطة الحكومة الأموية، أو لعل الأمير عبد الله رأى أن في إرجاء الحكم

---

(١٨٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص٧٠-٧١.

(١٨٣) Provencal, op. cit., p. 231.

بحجة عدم وضوح الأدلـة سيخفف حدة الخلاف بين المتخاصمين في الوقت الذي تكون الإمارة قد عززت سلطـانها في كورة إشبيلية، وآية ذلك أنه قد وَلَّى ثم عزل أكثـر من عامل على هـذه الكورة ـ في فترة التحقيق المزعومـة ـ إلى أن وقع الاختيار على عامل اسمه أمية بن عبد الغـافر الخالدي، الذي توسم فيه قدرةً على الإمساك بالسلطة الأمويـة في إشبيلية، إذ يُوصف بأنه «كان شهما، بعيد الصيت، منيع الجانب»(١٨٤).

على أن العـرب اشتد غضبهـم، والتظت حميتهم حينما أَجَّل الـولد محمـد القضية، وسمح لمحمد بن غالب بالعودة إلى حصنه(١٨٥)، وكأنهم فهموا من هـذا الموقف أن الإمـارة بـدأت تميل في صف ابن غـالب، وإن لم تفعل ذلك جهارا(١٨٦)، ولذا قـرروا الرحيل عن الحاضرة، فاتجه بنو حجـاج إلى باديتهم بالسَّنَد★ المنسوب إليهم، بينما خـرج بنو خلـدون إلى قريتهم بـالشَّرَف، وبدأ الجميع مع حلفائهـم من العرب اليمنية والبربـر البرانس بإشاعـة الفوضى في المنطقة عن طريق الإغارة والسطو على بعض المراكز الحيوية المهمة، ثم تطور الأمر بهم فاستولى عبد الله بن حجـاج مع حليفه البربري جنيد بن وهب على مدينة قَرْمُونَة بعد طرد عاملها الأموي★★، أما كُرَيْب بـن خلدون فقد ضبط حصن قَوْرَة★★★، واتخذه قاعدة لنشاطاته المرتقبة(١٨٦)، كما جرت اتصالات

---

(١٨٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧١.

(١٨٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧١.

(١٨٦) Dozy, op. cit., p. 195.

★ السنَد Sened وهو موضع على الطـريق بين إشبيلية ولَبْلَة (Dozy, op. cit., p. 195, F.N. I.) ويقع على بعد خمسة عشر ميلا من إشبيلية (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧١).

★★ وقد أشار العذري إلى استيلاء العرب على قرمونة (نصوص عن الأندلس، ص١٠٣) كما لمحَّ إلى ذلك ابن عذاري في (البيان، جـ٢، ص١٢٢).

★★★ حصن قَوْرَة Coria موقعه على نهر الوادي الكبير إلى الجنوب من إشبيلية على مسافة اثني عشر ميلا (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٩٩، ١٧٤، حاشيـة «٩٩ ـ ١»؛ حسين مـؤنس، غارات النورمانيين على الأندلس، ص ٣٧).

(١٨٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص٧١-٧٢.

سريعة بين ابن غالب صاحب حصن شَنْت طُرُّش وبين وجوه المولدين من أهل الحاضرة، واتفقوا معه على خلع الطاعة، ولكن الولد محمد بن الأمير عبد الله ـ الموجود في إشبيلية آنذاك ـ اطلع على هذه الاتصالات(١٨٧)، فكتب إلى والده في قرطبة يُنْبئُه بكل التطورات التي جرت على الساحة الإشبيلية، سواء ما كان قد ارتكبه العرب(١٨٨)، أو ما خطط له المولدون مع ابن غالب(١٨٩).

لما تسلم الأمير عبد الله كتاب ابنه بادر بالاجتماع بوزرائه من أجل مناقشة تلك التطورات الجسيمة، ولكنهم لم يجمعوا على حَلّ مُرْضٍ، وساعتئذ خلا بعضهم بالأمير، وأشاروا عليه بالتخلص من ابن غالب، لأن في ذلك أَوْبَةَ العربِ إلى الطاعة، فمال الأمير عبد الله إلى هذا الرأي، وتكتم عليه جدا، حيث أظهر في مجلس وزرائه أنه قرر توجيه حملةٍ لضرب أولئك العرب الخارجين على السلطة في قَرْمُونَة، وفي الخفاء كَلَّفَ قائدَه جعدَ بنَ عبدِ الغافر ـ أخا أمية بن عبد الغافر عامل إشبيلية ـ كلفه بالقضاء على محمد بن غالب، ثم استئلاف قلوب العرب بذلك(١٩٠)، وإمعانا في سرية التنفيذ أخفى الأمير عبد الله الخطة المرسومة حتى عن أصبغ بن عيسى الوزير المصاحب لهذه الحملة، كما كتب إلى ابن غالب يَحُثُّه على الخروج في أصحابه، والالتحاق بالجيش الأموي المتجه إلى قَرْمُونَة(١٩١).

---

(١٨٧) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٠٢، ١٠٥.

(١٨٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٢.

(١٨٩) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٠٥.

(١٩٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٢.

(١٩١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٠٥.

ولقد استراب محمد بن غالب من هذه الحركة، ولكنَّ القائد جعدا كتب إليه يُطَمْئِنه، ويؤكد له أن الحملة إنما خرجت لقتال العرب، فانطلت هذه الأقوال والمزاعم على ابن غالب؛ خاصة وأنه كان مُنْدفعا للانتقام من هؤلاء العرب، فسارع بالنفور مع جيش الإمارة، حيث سار الجميع إلى أن نزلوا عند مدينة قرمونة(١٩٢).

ويظهر أن تَسَربَ الشك لقلب ابن غالب، ثم تثاقله قليلا في الانضمام إلى الجيش الأموي كان مصدره الخوف من وصول أخبار اتفاقه السري مع المولدين في إشبيلية إلى الأمير عبد الله والتي كانت قد وصلت بالفعل إليه عن طريق ابنه الولد محمد من مصادره الخاصة دون أن يعلم ابن غالب بذلك ـ كما سبق أن عرفنا ـ، وربما أن مصدر خوفه من الإمارة أيضا هو أنه كان في ذلك الحين «قد نفَرَ وجنح إلى ابن حفصون»(١٩٣)، فخشي أن يعاقبه الأمير عبد الله على فعله هذا.

وبطبيعة الحال كانت الشكوك التي أبداها محمد بن غالب في محلها، إذ أنه بمجرد أن عَسْكَرَ الجيش حول قَرْمُونَة اتصل القائد جعد بعبد الله بن حجاج المستبد بحكمها، وخبره بأنه سينصفه من ابن غالب بالقتل إنْ هو تعهد بالعودة إلى الطاعة، فلما أجاب ابن حجاج بالموافقة(١٩٤) بدأ جعد يترصد لابن غالب إلى أن وجد منه غرة فقبض عليه، وقتله صبرا، ثم بعث برأسه إلى ابن حجاج في قرمونة(١٩٥)، وعندئذ وَفَّى هذا الأخير بعهده، وسلم مدينته

(١٩٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص٧٢-٧٣.

(١٩٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٢.

(١٩٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٣.

(١٩٥) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٠٥.

للأمويين، ثم إن جعدا لم يَكْتَفِ بقتل ابن غالب، بل انتقل إلى حصنه «شَنْت طُرُّش» فهدمه، وشتت مَنْ كان فيه(١٩٦).

أثار مقتل ابن غالب غضبة عارمة بين المولدين في حاضرة إشبيلية، فنهضوا إلى الولد محمد بن الأمير عبد الله، وأفضوا إليه ما بدأ يخامر نفوسهم من شكوك حول نوايا الإمارة، وطلبوا منه تسليم مفاتيح الحاضرة ليأمنوا على أرواحهم، وحيث إن الولد محمدا لا يملك آنذاك قوة يدفعهم بها فقد اضطر إلى الاستجابة لهم فورا دون قيد أو شرط(١٩٧).

وحينما صار زمام المدينة بأيديهم كشروا عن أنيابهم، وطلبوا القَوَدَ من عامل المدينة أمية بن عبد الغافر الذي قتل ابن غالب على يد أخيه جعد، فاستنصروا حليفهم ابن مولود★، فبعث إليهم على جناح السرعة قوة عسكرية تجرأوا بوصولها على إعلان الثورة، فقصدوا أمية في داره، ولكنه هرب منها إلى قصر المدينة حيث كان الولد محمد فلحقوا به وأحاطوا عندئذ بالقصر إحاطة السوار بالمعصم، الأمر الذي جعل الولد محمدا يدعو كبراء المولدين في إشبيلية للتباحث معهم، فاستجابوا له، وأوصوا أتباعهم بالهجوم في حالة تأخرهم بالقصر، على أن هؤلاء الأتباع استعجلوا الموعد المضروب لهم من قبل كبرائهم، وشنوا هجوما صارخا على قصر الحكم في إشبيلية، واستولوا على بعض مرافقه، فما كان من أمية بن عبد الغافر إلا أن حال بينهم وبين ما يشتهون، ودافعهم دفاعا بطوليا، وما زال يقاتلهم حتى قَدِمَ جيش الإمارة بقيادة أخيه جعد بن عبد الغافر، حيث إن المحاصَرين كانوا قد استصرخوه،

---

(١٩٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٣.

(١٩٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٣.

★ ابن مولود أحد المتمردين على الدولة في إحدى الكور الجنوبية ـ وهي كورة شَذُونَة ـ، وسوف نتحدث عنه فيما بعد..

فأتى يَغُـذُّ السَّيْرَ إليهم، ودخـل مـدينـة إشبيليـة، وشق طـريقـه إلى القصر بصعوبة بين الغوغاء الثائرين، فوصل إلى أخيـه أمية والولد محمد «وهما بآخر رَمَقٍ، لا يشكـان في حلـول حمامهما. ولا سيما أميــة، بما عَضَّـه، وأجهـده الإعياء، وعَمَّتْه الجراح»(١٩٨)★.

وبسيطرة الجيـش الأموي على المدينة أَمَـرَ الولـد محمد بتشتيت الثـائرين، ونهب دورهم، كما قتل كبراء المولــديـن الــذين كــان قــد أدخلهم عنــده للتفاوض، ثم كَتَبَ إلى والده الأمير عبد الله بكل ما جرى، فأجابه بأن يقفل إلى قرطبة، ويترك مقاليد الأمور بإشبيليــة بيد أمية بن عبد الغافر(١٩٩)، وهذه الأحداث جميعها وقعت في سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م(٢٠٠).

انفـرد أمية بـالحكم في إشبيلية، وعـاد الـولد محمـد بصحبة قـواد الجيش العائدين إلى العاصمة قرطبة(٢٠١)، وبعد وصول هؤلاء الأخيرين إلى العاصمة تسلم الأمير عبـد الله كتـابا من ابن حفصـون - الـذي كـان يتظاهـر آنـذاك بالطاعـة - يطلب فيه بحِدَّةٍ القصاص مـن القائد جعد بن عبد الغـافر كفاء فعلته بابن غالب حليفه(٢٠٢).

ومع أن القائد جعدا لم يفعل إلا ما أمره به الأمير عبد الله إلا أنه خشي ـ فيما يبدو ـ أن يضحي به هذا الأمير تزلفا لابن حفصون أعتى المتمردين، وأشدهم

---

(١٩٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٧٣ ـ ٧٥.

★ وقد جاءت هذه الأحداث عند العـذري بشكل مقتضب (ابن العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١٠٢).

(١٩٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٧٥-٧٦.

(٢٠٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٣.

(٢٠١) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١٠٢.

(٢٠٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٣.

خطرا على الإمارة في ذلك الحين، وبالأخص أنه بان للعيان يومذاك أن الأمير الأموي كان يميل إلى ملاطفته★.

وعلى هذا فقد فر جعد بن عبد الغافر من قرطبة، ومعه أخواه هاشم وعبد الغافر، وقصدوا أخاهم أمية في إشبيلية، وفي الطريق اغتيل الثلاثة على أيدي أخوة ابن غالب فلما صافحت هذه الأنباء أسماع أخيهم أمية حزن عليهم حزنا شديدا(٢٠٣)، وألقى تَبِعَةَ ما حدث لهم على أهل الحاضرة من المولدين، ومَنْ والاهم بصفتهم أنصار ابن غالب، ولذا قَرَّب إليه بني خلدون وبني حجاج(٢٠٤)، ودعاهم مع أشياعهم العرب «للثورة بالمولدين من أهل إشبيلية، فحملوا السيف عليهم بداخل المدينة وأحوازها، وعلى مَنْ ضَامَّهم من الأعاجم، فلم يدعوا منهم أحدا إلا قتلوه، وأخذوا ماله، فَفَنِيَتْ المولدة بإشبيلية إلا قليلاً»(٢٠٥).

خلصت بذلك كورة إشبيلية للعرب، فأصبحوا هم سادتها، والقوة الضاربة فيها، ولعل وضعهم الجديد هو الذي أخرس زعماء المولدين الأقوياء في المناطق الأخرى عن نصرة إخوانهم في هذه الكورة، فربما أنهم تحاشوا الدخول في نزاع غير مأمون النتائج مع هذه القوة العربية المتصاعدة في الوقت الذي لم يعد للمولدين حَوْل ولا طول في إشبيلية يُغْرِي بالتحرك من أجلهم.

وعلى الرغم من أن فعل أمية بن عبد الغافر بأهل الحاضرة قد طغى عليه الانتقام الشخصي الذي ربما لا يعبر عن وجهة نظر الأمويين لكنه لا يزال في

★ انظر الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢٠٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٤.

(٢٠٤) Dozy, op. cit., p. 203; Provencal, op. cit., p. 232.

(٢٠٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٤.

الحقيقة الممثل الرسمي للإمارة في كورة إشبيلية، ولذا لم يستمر التآلف بينه وبين عرب هذه الكورة الذين يُكِنُّون للإمارة العداء، فما لبث أن فارقه كُرَيْب ابن خلدون وعبد الله بن حجاج، حيث عاد الأول إلى معقله قَوْرَة، بينما دخل الآخر قَرْمُونَة مرة أخرى وملكها، وصرحا بشق عصا الطاعة، حيث «ضافر كل واحد منهما مَنْ جاوره من أهل الخلاف، فقويت شوكتهما»(٢٠٦).

ولا يعد هذا التصرف من زعيمي العرب اليمنية غريبا ـ فيما يظهر ـ إذ أن اجتماعهما المؤقت مع أمية بن عبد الغافر كان من أجل غاية واحدة، وهي القضاء على المولدين ومَنْ إليهم من أهل الحاضرة، فلما انتهت هذه الغاية عادت العلاقات بين الجانبين إلى سابق سوئها، فتَمَرُّدُ هذين الزعيمين في كورة إشبيلية لم يكن هدفُه التخلصَ من المولدين بقدر ما هو تَمَرّد على السلطة الأموية، ومحاولة الاستقلال بهذه الكورة كما فعل غيرهم من الزعماء المُنْتَزِين في طول البلاد وعرضها.

إزاء ذلك شَعَرَ أمية بن عبد الغافر بحرج موقفه فلجأ إلى خلخلة صفوف العرب وحلفائهم من البربر عن طريق إثارة الشقاق بين رؤسائهم، فتمكن من الإيقاع بين عبد الله بن حجاج وصاحبه البربري المشارك له في حكم قَرْمُونة جُنَيْد بن وهب، فوثب هذا على ابن حجاج وقتله، وفوق ذلك سبى أهله، وانتهب ماله، ثم بعث برأسه إلى أمية بن عبد الغافر(٢٠٧)، وقد كان ذلك عام ٢٧٨هـ/ ٨٩١م(٢٠٨).

---

(٢٠٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٧٦.

(٢٠٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٧٦.

(٢٠٨) Provencal, op. cit., p. 232. لا نعرف كيف توصل بروفنسال إلى تاريخ هذا الحدث، ولكن لعله توصل إليه عن طريق مقارنة الأحداث بعضها البعض.

ويبدو أن العامل أمية بن عبد الغافر قد أحدث صدعا في الحلف المعقود بين العرب في كورة إشبيلية وبين مجاوريهم البربر، فعلى الرغم من أنه ليس لدينا نصوص صريحة بهذا الشأن فإن الطريقة التي اغتال بها ابنُ وهب البربري حليفه العربي، وما تبع ذلك من سبي الأهل واستصفاء الأموال كله يشير إلى أن الاختلاف بدأ يَدِبُّ بين الطرفين، لا سيما وأننا سنجد النشاط العربي بعد هذه الحادثة سيرتكز في إِشْبِيلِية دون قَرْمُونة، كما أننا لا نعثر على تقارب بين بربر قرمونة والعرب في الأحداث التالية حيث سنرى أن القيادات العربية في إشبيلية لا تستمد قرمونة القريبة في وقت الضيق مع كونها تطلب المدد من مدن بعيدة عنها، ومن المحتمل جدا على ضوء ما سبق أن جنيد بن وهب قد دخل في طاعة الإمارة الأموية منذ أن بعث برأس ابن حجاج إلى أمية بن عبد الغافر عاملها.

ومن الملاحظ أن التحالف بين العرب اليمنية قد بلغ أَوْجَهُ في تلك الأيام إلى حد أن رئاسة إبراهيم بن حجاج اللخْمي على قومه وأتباعه العرب بعد مقتل أخيه عبد الله قد تمت «بإجماعٍ من كريب بن خلدون»(٢٠٩) الحضرمي، ولذا لم يقدر أمية بن عبد الغافر أنْ يُوضِع بين هؤلاء العرب، أو يثير الشقاق بينهم، ذاك أنه حينما قتل ابن حجاج بادر أمية بالتبرؤ من دمه، فلما نافقه العرب بالتصديق طفق يجتهد في الإيقاع بين كُرَيْب بن خلدون وزعيم بني حجاج الجديد إبراهيم، فاتصل بكريب ودعاه للانضمام إليه ضد بني حجاج، فما كان من كريب إلا أن تظاهر بالقبول، ولكنه كان هو ورصيفه ابن حجاج يضمران له شرا، ويخططان للإطاحة به(٢١٠).

---

(٢٠٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٧٦.

(٢١٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص٧٦-٧٧.

ويبدو أن أمية قد اكتشف فشل سياسة الوقعية بين زعيمي العرب(٢١١) فخاف على نفسه منهما، فشرع في بناء قصبة بجوار قصر الحكم في إشبيلية، وعندما اعترض العرب عليه تذرع بأن ما يفعله إنما هو تنفيذ لأوامر الأمير عبد الله، بيد أنهم لم يلتفتوا إلى قوله، وأرادوا منعه بالقوة، ولكنهم وجدوه مُسْتَعداً للرد عليهم، بل إنه لم يَكف عنهم إلا بعد أن قدموا له عددا من الرهائن، وحينما أَمِنَ غَوائلهم بقبض هؤلاء الرهائن استمر في تنفيذ مشروعه، فأخذ العرب يترصدون له بالتعاون مع أحد أصحابه الذي خَبَّرَهم في بعض الأيام أن الفرصة سانحة للقضاء عليه لانفراده بالقصر وحده، فقاموا بالهجوم عليه، بَيْدَ أنه احتمى بالرهائن، وهدد بالفتك بهم، الأمر الذي جعل أولئك العرب يصارحونه بأن «مذهبهم مُلْكُ بلدهم . . . على ما قد فعله سواهم من أهل الكور»(٢١٢)، وأقسموا له بالإيمان المغلظة بأنهم سوف يَدَعُونَه يُغادر إشبيلية آمنا، فلم يكن أمامه إلا الموافقة لقلة المدافعين عنه، فلما أطلق رهائنهم نكثوا أيمانهم، وناصبوه الحرب، وآنئذ أيقن أمية بالهلاك، فاستمات في قتالهم إلى أن قُتِل مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ(٢١٣)★.

وبمقتل أمية بن عبد الغافر بسط العرب سلطتهم المباشرة على إشبيلية، ولكنهم مع ذلك لم يتجرأوا على مكاشفة الأمير عبد الله بنزوعهم إلى الاستقلال

---

(٢١١) حمدي عبد المنعم حسين، التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية في العصر الأموي (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٧٧.

(٢١٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص٧٧-٧٨.

(٢١٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٧٨؛ ابن خلدون، تاريخه، جـ٧، ص ٥٠٦.

★ وقد ذكر ابن خلدون في موضع آخر أن مقتل أمية بن عبد الغافر كان في «أعوام الثمانين والثلثمئة» (جـ ٤، ص ١٧٤)، ومن البائن خطأ هذا التاريخ، فلعل كلمة الثلثمئة حُرِّفت عن المئتين، لأننا لو وضعناها بهذا النسق، فأصبحت هكذا «أعوام الثمانين والمئتين» أي: سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م فإن زمن الحادثة لن يخرج عن حدودها.

بالحكم فيها، فلقد أظهروا أنهم قتلوا أمية بسبب جنوحه إلى العصيان، أما هم فإنهم لا يزالون على الطاعة، ولا مانع من إرسال عامل آخر من قرطبة إليهم(٢١٤).

وليس من شك أن حالتهم لم تكن لتخفى على الأمير، ولكن لما كان عاجزا عن عمل شيء فعَّال ضدهم(٢١٥) فقد تظاهر بقبول عذرهم، والرضا عن فعلهم، فبعث بعدد من العمال إلى إشبيلية، وحيث إن السيطرة الحقيقية كانت فيها للعرب آنذاك فقد أضحى هؤلاء العمال ألعوبة في أيدي زعيمي العرب كُريب بن خلدون و إبراهيم بن حجاج، فإذا ما أبدى أحدهم تمردا على التعاليم الموضوعة له قام هذان الزعيمان بالضرب على يده، والحجر عليه(٢١٦)، وقد طبقت هذه السياسة أيضا على العم هشام بن الأمير عبد الرحمن الذي كان الأمير عبد الله قد أشخصه للمشاركة في حكم إشبيلية، بل إن كُرَيباً قد استحل دم ولد لهشام هذا اسمه المُطَرِّف، وقتله دون سبب مقنع(٢١٧).

ولقد تغافل الأمير عبد الله مدة من الزمن عن الوضع المَرِيْجِ في إشبيلية بالرغم من أن الكتب كانت تترى عليه من عماله فيها يحضونه على نصرتهم، و إزالة ما يعايشونه من شدة وضنك في ظل الاستبداد العربي(٢١٨).

ومن الواضح أن سبب تغافل الأمير عبد الله هو أنه لم يكن وقتها يملك من الوسائل ما يستطيع به ردع أولئك العرب في إشبيلية، لأننا نراه حينما تحسنت أمور دولته بعض الشيء لم يتأخر عن النظر في مشكلة هذه المدينة، ففي سنة

(٢١٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٨.
(٢١٥) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٥٠.
(٢١٦) ابن حيان، المقتبس، ص. ص ٧٨-٨٩.
(٢١٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٩؛ ابن خلدون، تاريخه، جـ٧، ص ٥٠٦.
(٢١٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٩.

٢٨٢هـ/ ٨٩٥م قام حسب الإمكانات التي تهيأت له بمحاولة لإضعاف السيطرة العربية عليها، إذ جهز حملةً في ذلك العام★، وأمر عليها ابنه المُطَرِّف، وجعل القيادة فيها لوزيره عبد الملك بن عبد الله بن أمية، ثم أصدر أوامره بالتوجه إلى الخارجين على السلطة، فكانت مدينة إشبيلية من الأهداف الرئيسة لهذه الحملة(٢١٩)، فلقد عسكر الجيش الأموي أول خروجه في مكان لا يبعد سوى ميلين منها(٢٢٠)، ومن هذا المكان ـ فيما يظهر ـ جرت المراسلات بين المطرِّف والعرب في إشبيلية بشأن القائد عبد الملك بن عبد الله ابن أمية، حيث اعْتَلَّ هؤلاء العرب بأن سبب استيحاشهم من الانقياد للطاعة هو «خوفهم من عبد الملك بن عبد الله بن أمية قائد الجيش، وتوقعهم لسطوته»(٢٢١)، فهو يُعد عندهم من أكبر مُحَرضي الأمير عبد الله على حربهم(٢٢٢)، ولذلك تعهدوا للمطرف بأنهم سيقدمون له فروض الولاء بمجرد أن يخلصهم منه(٢٢٣)، فوافق هذا المطلب هوى في نفس المطرف، إذ كان هو ـ أيضا ـ يحقد على هذا القائد، لأنه كان يراه المتسبب الأول في صرف والده الأمير عبد الله عن عقد البيعة له بولاية العهد(٢٢٤)، وعلى هذا قبض المطرف على القائد عبد الملك، وقتله بعد مرور اثني عشر يوما على فصول الجيش من قرطبة(٢٢٥)، ثم بعث برأسه إلى العرب في إشبيلية وعندئذ أجابوه

★ ويذكر ابن خلدون أن هذه الحملة كانت في سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م (تاريخه، جـ ٤، ص١٧٦).

(٢١٩) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١١٦؛ ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٧٩، ٨٠، ١١٠، ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٤.

(٢٢٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٠؛ ابن الأبار، الحلة، حـ٢، ص ٣٧٤.

(٢٢١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٠.

(٢٢٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١١٦.

(٢٢٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٠.

(٢٢٤) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٣، ص ٢٧٩.

(٢٢٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٤.

إلى مـا كانـوا قـد عاهـدوه عليـه، وخرجـوا إليـه في محلتـه التي كان يعسكـر فيها(٢٢٦)، وكأن المطـرف أراد بقتلـه للقـائد أن يتشفى أولاً من ذلك الـرجل الذي حـرمه ولايـة العهد، وليستألـف ـ ثـانيا ـ قلـوب المتمرديـن في إشبيلية وغيرها للطاعـة، ولذا فإنه أشاع بين الناس «أن قتلـه لعبد الملك إنما كان من أجل تهاونه بالرجال، واستخفافه بحقـوقهم، وقلة إنصافه إياهم في معاملته لهم» ثم كاتب الكور على إثر ذلك فجاءته وفود أهل لَبْلَة وشَذُونَة(٢٢٧).

أما مـوقف الولد المطرف من والـده الأمير عبد الله حينما كتب يستفسر عن سبب قتل القائد عبد الملك فقـد أمر رجال جيشه أن يـردوا عليه بالتظلم من هذا القائد، وأنهم هـم الذين حملوه «على التعجيل به، وإراحتهم منه»(٢٢٨).

وعلى أي حـال فقـد خـرج وفـد إشبيليـة إلى المطـرف، فشكـر لهم حسن استجـابتهم له، ثم دعـاهم للالتحـاق بالحملـة(٢٢٩)، فكـان إبـراهيم بن حجاج على رأس مَنْ بـادروا بتلبية دعـوته(٢٣٠)، ومن المرجح أن خـالـد بن خلدون ـ أيضـا ـ قد التحق في الوقت نفسه بالجيش الأمـوي بصفته ممثلا عن أخيه كُرَيْب بن خلدون★.

---

(٢٢٦) ابن القـوطيـة، تـاريخ افتتاح الأنـدلس، ص ١١٦؛ العـذري، نصوص عن الأنـدلس، ص١٠٣.

(٢٢٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١١.

(٢٢٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١١.

(٢٢٩) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص. ص ١١٦-١١٧.

(٢٣٠) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٠٣.

★ يفهم هذا من روايتين أوردهما ابن حيان، الأولى عن محمد بن عبد الله بن الأشعث حيث ينص فيها أن ابن حجاج وخالـد بن خلدون قد التحقا مع جمع من أصحابهما بـالجيش الأموي قبل تحركه من قرطبة، وجعل علـة ذلك التظاهر بالطاعة لـلإمارة (ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٧٩)، أمـا الروايـة الأخرى فهي عـن الرازي، وهو لا يـذكر فيهـا صراحة متى التحـق ابن حجاج وصـاحبه بالجيش، وإن كان قـد أشار أن وفدا من أهـل إشبيلـية قد خـرج إلى المطـرف بمجـرد أن قُتِل =

أسند المطرف القيادة إلى أحمد بن هاشم بن عبد العزيز★، واستأنف المسير نحو الجنوب الأندلسي، ومضى يتعقب المتمردين بالصلح تارة، وبالحرب تارة أخرى، واستمر على ذلك عدة أشهر، ثم قفل راجعا إلى قرطبة، وجعل طريق العودة يمر بإشبيلية، فلما حل بأحوازها امتنع أهلها عنه بقيادة كريب ابن خلدون، الأمر الذي اضطر معه المطرّف إلى تكبيل إبراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون وأصحابهما والذين كانوا مصاحبين له في حملته كما ذكرنا ـ وكان هذا في مستهل رجب من عام ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م، وبعد ثلاثة أيام من نزول العسكر الأموي على مدينة إشبيلية قام أهلها بالهجوم على مقدمته، فجرت بين الجانبين حرب صعبة هُزِمَ فيها الإشبيليون، وعندئذ أمر المطرف بالتشديد على ابن حجاج ومَنْ على شاكلته من كبار الزعماء الإشبيلين، ثم

= القائد عبد الملك (ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ١١١)، ولكنه فيما بعد يذكر بوضوح أن المطرف قد قبض على إبراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون وجماعتهما بعد أن امتنعت إشبيلية عليه حين رجع إليها بعد انقضاء مهمته في ضرب المخالفين ـ كما سنرى ـ (ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ١١٣)، وعلى ضوء دراستنا للأحوال في إشبيلية لا نميل إلى الأخذ برواية ابن الأشعث على عواهنها في هذه القضية، إذ أنه من المستبعد أن يخاطر الزعيم العربي إبراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون ويسلما نفسيهما من أجل التظاهر بطاعة الإمارة الأموية التي كانت تُضْمِر لهما العداء، ثم إن هذه الرواية يغلب عليها عدم الترتيب في سرد الأحداث، ومن المحتمل جدا أن أحداث هذه الحملة اختلطت على ابن الأشعث؛ خاصة وأننا نملك رواية عن العذري تصرح بأن ابن حجاج قد التحق بالجيش حين اغتال المطرف القائد عبد الملك (العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص١٠٣)، وحيث إن خالد بن خلدون كان قد خرج مع إبراهيم بن حجاج في رواية ابن الأشعث، وإن أهل إشبيلية خرجوا إلى المطرّف بمجرد قتله للقائد في روايات أخرى فمن المرجح أن انضمام خالد ابن خلدون للمعسكر الأموي كان في الوقت عينه الذي التحق به ابن حجاج.

★ أحمد بن هاشم بن عبد العزيز هو ابن الوزير هاشم بن عبد العزيز الذي كان الأمير المنذر قد نكبه. (انظر الفصل الأول من هذا البحث).

قفل إلى العاصمة فكان «الوقوف بباب إشبيلية منتهى المطرف في غزوته هذه، ثم رحل بعسكره إلى قرطبة»(٢٣١)★.

ولقد رفع المطرف الحظر عن كبار الإشبيليين بعد أن وردت جباية مدينتهم إشبيلية، ولكنه مع ذلك تحفظ عليهم(٢٣٢) حتى أودعهم سجن قرطبة مع جمع من أصحابهم، غير أن سجنهم لم يَطُل إذ سرعان ما أفرج عنهم الأمير عبد الله بعد تعهدهم بإخلاص الطاعة، وتقديمهم له رهائن تُصَدِّق هذا التعهد، وقد تَمَّ ذلك بناء على نصيحة أحد الوزراء الذي رأى أنه لا نَفْعَ للإمارة من بقائهم محبوسين لديها، فالأفضل في رأي هذا الوزير المَنُّ عليهم بإطلاق سراحهم ليحموا حصونهم المهددة من ابن حفصون، وليكون ذلك ـ أيضا ـ قَدم صدق للأمير عبد الله عندهم، فيخلصوا الولاء(٢٣٣).

ومع الاعتراف بأهمية ما جعل سببا في إطلاق سراح ابن حجاج وجماعته من أهل إشبيلية إلا أنه فيما يتعلق بابن حفصون لا ينطبق ـ فيما يبدو ـ على الواقع، فلقد كان ابن حفصون في الفترة التي نتحدث عنها بالذات ـ أي: أواخر سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م وما بعدها ـ قد تقلصت قوته، بحيث لم يعد يشكل خطرا مهددا لحصون إشبيلية ولا غيرها★★، ولكن ربما أن أبلغ

---

(٢٣١) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص. ص ١١١-١١٤.

★ ولقد اعتمدنا هنا على رواية الرازي أما رواية ابن الأشعث التي أشرنا إليها آنفا فإنها لا تفصِّل خط سير حملة المطرف، وتجعل اغتيال القائد عبد الملك بن أمية في أواخر الحملة، ثم يطغى عليها بعد ذلك الاضطراب في ذكر علاقة المطرف بإشبيلية (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٨٠-٨١) ولما كانت رواية الرازي أكثر تفصيلا ودقة حيث ذكرت الساحة التي قتل فيها القائد، والزمن الذي استغرقته الحملة، والمناطق التي مرت عليها، وكذلك وصولها إلى إشبيلية في طريق العودة ـ لما كانت كذلك اعتمدنا عليها في تحقيق هذه الفقرة من أحداث إشبيلية.

(٢٣٢) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ١١٤.

(٢٣٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٢.

★★ انظر: الفصل الثاني من هذا الكتاب.

الأسباب التي دفعت الإمارة إلى إخلاء سبيل هؤلاء المسجونين هو أن أهل إشبيلية قد أرسلوا الجباية للأمير عبد الله قبيل عودة المطرف بحملته إلى العاصمة ــ في رواية ـ(٢٣٤)، أو بعد وصوله بزمن ضئيل ــ في رواية أخرى ـ(٢٣٥)، وقد كان دفع الجباية في ذلك الوقت من عمر دولة الأمير عبد الله يعني خضوع المتمردين للإمارة على أن يحكموا بلادهم بأنفسهم★، فلعل الأمير عبد الله فَسَّرَ إرسال أهل إشبيلية تلك الجباية بأنها جنوح إلى الطاعة، فأطلق سراح أعيانهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد كان الأمير عبد الله آنذاك ينتهج سياسة تقوم على عزل المتمردين عن بعضهم بعضا(٢٣٦)، فلا يُستبعد أنه خشي فساد هذه السياسة بالإصرار على سجن ابن حجاج وأصحابه مع أن ذويهم دفعوا ما عليهم من أموال، فربما غضب أهل إشبيلية من جراء ذلك، وأقاموا تحالفات مع المتمردين الآخرين القريبين منهم أو الأبعدين.

على أن إبراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون وأصحابهما «لما صاروا إلى مواضعهم نكثوا أيمانهم، وعادوا إلى أشد ما كانوا عليه من خلعانهم، ومنعوا الجباية، . . . ولففوا فساق الناس على المعصية، واتبعوا الفتنة»(٢٣٧).

ومن جهة أخرى فإنه بعودة إبراهيم بن حجاج إلى مدينة إشبيلية اتضح بجلاء تقسيم السلطة فيها بينه وبين الزعيم العربي الآخر كريب بن خلدون، حيث وزعت هذه المدينة بينهما مناصفة «وبقيا كذلك أعواما»(٢٣٨). ولعل وضوح هذا التقسيم في السلطة بين زعيمي العرب في إشبيلية هو خلوها من

(٢٣٤) ابن حيان، المقتبس، ص ١١٤.
(٢٣٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٥.
★ انظر الفصل الثاني من هذا البحث.
(٢٣٦) الحريري، حركات المولدين، ص. ص٨٠-٨١.
(٢٣٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٢.
(٢٣٨) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٥.

قوى سياسية أخرى تضارع قوة العرب، إذ كان المولدون قد كتبت عليهم الاستكانة عقب المذابح التي جرت عليهم في وقت سابق، كما أن حُكْمَ الإمارة المباشر عليها كان قد انتهى تماما آنذاك.

ويصور المؤرخ المعروف عبد الرحمن بن خلدون(٢٣٩) ـ وهو كما أشرنا سابقاً ينتسب لأسرة بني خلدون حاملة لواء التمرد زمن بحثنا ـ يصور الحالة في مدينة إشبيلية إثر تفرد العرب اليمنية في حكمها، ويصف لنا النهج الذي استخدمه كلا الحاكمين ـ كريب بن خلدون وإبراهيم بن حجاج ـ في تعاملهما مع الناس في هذه المدينة فيقول: «وكان في كُرَيب تحامل على الرعية وتعصب، فكان يتجهم لهم، ويغلظ عليهم، وابن حجاج يسلك بهم سبيل الرفق والتلطف في الشفقة بهم عنده فانحرفوا عن كريب إلى إبراهيم».

ولقد كان من الطبيعي أن يحدث التنافس بين هذين الزعيمين بأي شكل من الأشكال بعد أن صفَتْ لهما السلطة في إشبيلية، فلقد كان كريب وإبراهيم قبل ذلك يوحد بينهما النضال ضد الأمويين، فلما انتهى هذا النضال بالنصر غدا الانشقاق بينهما واردا، فربما أن توزيع السلطة فيما بينهما كان أول بذور هذا الانشقاق، ثم إن اختلاف سياسة كل واحد منهما عن الآخر في تعامله مع الرعية يعد مظهراً من مظاهر الانشقاق غير الصريح إن صح لنا هذا التعبير.

لم يستمر حبل الاتصال منقطعا بين الإمارة الأموية من طرف وبين ابن خلدون وابن حجاج من طرف آخر، ذاك أن الأمير عبد الله بعد أن قَنِعَ بخروج إشبيلية من سلطانه، ورأى عُقْمَ الحل العسكري في إخضاعها لجأ إلى الحيلة، وبدأ يضرِّب بين زعيمي العرب فيها، ويغري أحدهما بالآخر، وقد اهتم بذلك إلى الحد الذي جعله يُجَنِّدُ كاتبه عبيدَ الله بن محمد بن أبي عبده لتنفيذ هذه المهمة(٢٤٠).

(٢٣٩) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٧، ص ٥٠٦.

(٢٤٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٢.

ويبدو أن هذا الاتصال الذي حدث بقصد الوقيعة بين زعيمي إشبيلية قد أفسح المجال لقيام علاقات حسنة بين إشبيلية وحكومة قرطبة، إذ أن بعض المصادر ذكرت ـ كما أشرنا آنفا ـ أن إشبيلية أصبحت بعودة إبراهيم ابن حجاج وجماعته من الأَسْرِ أشد اضطرابا مما كانت عليه من قبل، كما أن أهلها قد منعوا الجباية، الأمر الذي يعني رفض الحكم الأموي. ثم بعد مرور سنتين أو أكثر بقليل ذكرت مصادر أخرى أن مكاتبات ترددت بين الأمير عبد الله وحاكمي إشبيلية العربيين، وقد غلب على هذه المكاتبات الطابع الودي، فكان كل من كريب وإبراهيم يخاطبان الأمير في مصالحهما(٢٤١)، وهذا يلهم أن إشبيلية بدأت تتجه إلى الانتظام في سلك الطاعة، بل إن العذري(٢٤٢) أشار إلى دخول بني خلدون وبني حجاج في طاعة الأمويين فترة من الزمن بعد إطلاق إبراهيم بن حجاج وأصحابه من الأسر، فلعله كان يقصد الفترة التي نتحدث عنها.

وفي الوقت الذي تحسنت فيه ـ نوعا ما ـ علاقة زعيمي إشبيلية بالإمارة الأموية فقد ازداد التنافس حِدَّة بينهما، فتحول بفعل المكائد التي عقدتها هذه الإمارة بإتقان إلى عداوة خفية بين الاثنين، فلقد كتب خالد بن خلدون (أخو كريب) كتابا إلى الأمير عبد الله يغري فيه بصديقه السابق إبراهيم بن حجاج، فقام الأمير برد الجواب على نفس رقعة الكتاب، ولكن هذا الكتاب سقط من البريد، فأخذه فتيان القصر، وأرسلوه على جناح السرعة إلى ابن حجاج، وعندئذ «علم حقيقة ما يحتوي عليه ابنا خلدون من سوء الباطن» فدعاهما إلى بيته، وأبلغ في عتابهما، الأمر الذي جعل خالد بن خلدون يعتدي عليه ـ أعني: على ابن حجاج ـ ولكن هذا دعا أعوانه فأجهزوا على

(٢٤١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٥.

(٢٤٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٠٣.

خالد وأخيه كريب(٢٤٣)★، وذلك في عام ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م(٢٤٤).

وقد لا يَشْتَطُّ الخيالُ بنا كثيراً إذا قلنا إن بداية هذه الحادثة كانت بتخطيط من الأمير ورجال دولته، فالرد على الكتاب في الرقعة نفسها، ثم سقوطه بعينه من رجل البريد مع أنه كان يحمل كتبا غيره(٢٤٥)؛ فضلا عن كون أحد الفتيان قد بعثه بسرعة إلى ابن حجاج، كل هذا يوحي بأن هناك يدا تفعل فعلها في ترتيب مسيرة هذا المشهد، ولعل الإمارة أرادت أن تتابع سياستها في الوقيعة بين كريب وابن حجاج، وتلهب بينهما الشقاق، وربما أنها لم تتوقع أن ينتهي الأمر بقتل ابني خلدون، إذ أن انفراد ابن حجاج بالسلطة في إشبيلية، أو قيام نزاع مسلح فيها لا يعد في صالح حكومة قرطبة.

لم يقف إبراهيم بن حجاج عند قتل ابني خلدون، بل قام بتعقب أفراد أسرتهما، فقتل بعضا منهم، وشتت البعض الآخر(٢٤٦)، وحينما اطمأن إلى انفراده بالحكم في إشبيلية كتب إلى الأمير عبد الله يتبرأ من دم ابني خلدون «ويقول إنهما كانا الحامِلَين له على النكث، وإنه على خلاف رأيهما وبصيرتهما، وخطب إليه ولاية إشبيلية على أن يحمل من فضل جبايتها . . . سبعة آلاف دينار فأجابه الأمير إلى ذلك» على أن يحكمها بالمشاركة مع وال من قبله اسمه قاسم بن وليد الكلبي(٢٤٧).

---

(٢٤٣) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ٢٥.

★ وقد أشار ابن حزم إلى أن إبراهيم بن حجاج قد قتل ابني خلدون غِيْلَة. (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦٠).

(٢٤٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٤؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٠٣.

(٢٤٥) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٢٥.

(٢٤٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٤.

(٢٤٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص٨٢-٨٣.

ولا نسمع أن أهل إشبيلية من العرب عارضوا ابن حجاج معارضة معلنة على ما اقترفه في حق أسرة بني خلدون، وأغلب الظن أن أولئك العرب لم يفعلوا ذلك به؛ لأنهم كانوا يكنون له المحبة والتقدير نتيجة لتلك المعاملة الطيبة التي تعودوها منه على عكس زعيم بني خلدون كريب الذي كان كثير الإساءة إليهم كما سبق ذكره.

عزل الأمير عبد الله بعد عدة شهور قاسم بن وليد العامل المشارك في حكم ولاية إشبيلية فاستقر الحكم فيها لإبراهيم بن حجاج وحده، وحينئذ «بسط يده على الرعية، واكتسب الأموال، واصطنع الرجال»(٢٤٨)، فلما وجد أنه قد بلغ درجة من القوة التي تمكنه من الوقوف في وجه الإمارة الأموية طلب من الأمير عبد الله أن يرد عليه ابنه عبد الرحمن الذي كان مرتهنا عنده في قرطبة(٢٤٩)، ولا ندري بالضبط متى ارتهن ابن حجاج ابنه هذا، ولكن من المرجح أنه كان ضمن الرهائن الذين سلموا للأمير عبد الله عقب تعهد والده إبراهيم وخالد بن خلدون ومن معهم من أعيان إشبيلية بالطاعة بُعيد حملة المطرف سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م(٢٥٠)، وما زال ابن حجاج يُلِّح على الأمير أن يطلق ابنه عبد الرحمن، فلما لم يسعفه بطلبه نبذ الطاعة، ثم تحالف مع عميد المولدين عمر بن حفصون(٢٥١)، حيث جرت الاتصالات بينهما سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م(٢٥٢). هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد أدخل في سلطانه مدينة قَرْمُونَة التابعة لكورة إشبيلية، كما أنه حاول أن يمد نفوذه إلى ما جاوره من كور(٢٥٣).

(٢٤٨) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٨٣.

(٢٤٩) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٢٦.

(٢٥٠) دياب، تاريخ العرب في إسبانيا، ص ٢٣٥؛ حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية، ص ٨٩.

(٢٥١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٢٦.

(٢٥٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٩.

(٢٥٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٠٣.

ولقد تخطى التحالف بينه وبين ابن حفصون من مجرد شعارات جَوْفاء إلى عمل فعلي إثر زيارةٍ قام بها ابن حفصون إليه، حيث التقى به في مدينة قَرْمُونَة، وهناك تبادل الاثنان «كُنْهَ التكريم والاستنامة والمحالفة» ثم اتفقا على التعاون العسكري ضد الدولة الأموية(٢٥٤)، وقد كان ذلك في سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠١م★.

صَدَّق ابن حجاج هذا الاتفاق فأمد حليفه ابن حفصون بالأموال والرجال(٢٥٥)، كما أعانه بالعتاد والخيل، فكان لهذا أثره في ترسيخ قوة هذا الحليف في بعض الأمكنة التي يحتلها(٢٥٦).

ومن الغريب أننا لا نجد تحركات واضحة للإمارة من أجل الرد عسكريا على هذا الحلف الذي تَمَّ بين ابن حجاج وابن حفصون، ولكن قد تفسر هذه الظاهرة بجملة عوامل، لعل منها أن الأمير عبد الله تجنب ــ بقدر الاستطاعة ــ المواجهة العسكرية ضد هذا التحالف الذي ربما احتاج للقضاء على زجْ كل قوات دولته، ومن ثم يتخلى عن خطة تطويع الثائرين الآخرين التي كان ينفذها بنجاح في ذلك الحين(٢٥٧)، ومنها ــ فيما يبدو ــ أن اتصالات ابن حجاج بالدولة لم تنقطع على الرغم من نبذه للطاعة، فلقد كان يحظى بمناصرة بعض رجالها، إذ كان له «في بساط السلطان بقرطبة قوم يَقِفُون في

---

(٢٥٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٩ . وانظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

★ يستخلص هذا التاريخ بالجمع بين رواية لابن القوطية ورواية لابن حيان، فالأخير يذكر أن الاتصالات التي تمت بين الاثنين بقصد التحالف كانت في سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٩)، وأما ابن القوطية فقد نص على أن الزيارة التي قام بها ابن حفصون كانت بعد عامين من تحالفهما (ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ١٢٠)، وهذا يعني أنها في سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠١م كما أثبتناها في المتن.

(٢٥٥) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٢٦ .

(٢٥٦) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ١٢٠ .

(٢٥٧) Dozy, op. cit., p. 243.

حقه، ويُعْلِمُـونه بما عنـد السلطان مـن حالـه، وينصحونـه في أمره»(٢٥٨)، ولعل من عوامل إعراض الإمارة عن الرد العسكري على ذلك الحلف ـ أيضا ـ أن مساعـدات ابن حجاج لابن حفصـون لم تكن واضحة بصـورتها الحقيقية للأمير عبد الله؛ ولذا فإنـه حينما علم أن فُجَيْل بن أبي مسلم الشَذُوني ـ أكبر قواد ابن حجاج ـ قد اشترك برجاله مع ابن حفصـون في حَرْبِ جَيْش الإمارة المتوجه إلى ببشتر ـ حينما علم بذلك استشاط غضبا، وأمـر بقتل عبد الرحمن ابن إبراهيم بن حجـاج، وابن أخي عمر بن حفصون اللذين كـانا محتجزين عنده على الرغم من كون الجيش الأموي قد رد اعتباره بعد الهزيمة التي لحقت به في أول المعركة ★.

ولا ندري مـا الذي كان ينـويه الأمير عبد الله عقب قتل هـذين الرجلين؛ لأنه بمجرد أن نفـذ القتل في ابن أخي عمر بن حفصون أشـار بدر الوصيف على الأمير بالإبقاء على حياة عبـد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج، حيث ارتأى أن قتله سيوحـد بين الزعيمين المتحالفين حتى الموت، فـاستجاب الأمير عبد الله لهذا الرأي بعد أن وجد له تأييدا من قبل وزرائه، ولم يكتفِ بدر بهذا، بل نصح الأمير بأن يطلق سراح عبد الـرحمن، وتكفل له بطاعة والـده إبراهيم، فلما صَوَّب بعض رجال الدولة هذا الـرأي ـ أيضا ـ أخلى الأمير سبيل ولد ابن حجاج المرهون(٢٥٩)، وهـذا مـا جعل أحـد المؤرخين(٢٦٠) يـرجح أن بـدرا الوصيف ما هـو إلا أحد الذين كان إبراهيم بن حجـاج يرسل إليهم في بلاط

(٢٥٨) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٢٦.

★ انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٢٥٩) ابن القـوطيـة، **تـاريخ افتتاح الأنـدلس**، ص ١٢٢؛ ابـن حيـــان، **المقتبس**، ق٣، ص. ص١٣٠-١٣١.

(٢٦٠) وهو الحريري في كتابه: **حركات المولدين**، ص ٩١.

الأمير عبـد الله ليشيروا عليه «بإطـلاق ولـده، ويتضمن لـه عوده [كـذا] إلى الطاعة»(٢٦١).

ولقد اختلفت الروايات فيما تَمَّ بين الأمير عبد الله وإبراهيم بن حجاج بعد أن أطلق عبد الرحمن بن إبراهيـم من الأسر، فبعض الروايات ذكرت أن الأمير عبد الله بعد ذلك قد جدد التسجيل لابن حجاج على كورة إشبيلية، فكانت النتيجة أن ثاب إلى الطـاعة، وتخلى عن ابن حفصون، وأعـاد حَمْلَ الجباية إلى العاصمة(٢٦٢)، أمـا البعض الآخـر من تلك الـروايات فقـد أشـارت إلى أن الأمير عبد الله حينما أطلق عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج من أَسْرِهِ عقد له على مدينـة إشبيلية ـ أي: حـاضرة كورة إشبيلية ـ، ولأخيه محمد على مـدينة قَـرْمُونَـة، فلما أعلن والـدهما إبراهيم ـ على إثـر ذلك ـ عـودتـه إلى الطاعـة اشترطت عليه الإمارة أن يحمل إلى العاصمة ضريبة من المال في كل سنة، وأن يحل ما بينه وبين حليفه ابن حفصون من التعاون العسكري دون الالتفات إلى بقاء المراسلة والمتاحفة بينهما، فوافق إبراهيم على ذلك(٢٦٣).

ويمكن التوفيق بين هـذه الروايات بأن الأمير عبد الله قـد اعترف بإبراهيم ابن حجاج حاكماً عاماً على كورة إشبيلية بكاملها، أما ابناه عبد الرحمن ومحمد فربما أنـه قد عقـد لهما ليكونـا عاملين ضمـن إطار ولايـة والدهما العـامة★،

(٢٦١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٦.

(٢٦٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٦.

(٢٦٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٢٣؛ ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣١.

★ ولقد أكدت بعض المصـادر ما ذهبنا إليه هنا؛ فلقـد ذكر أبو عامر السـالمي في كتابه «درر القلائد وغرر الفوائد» أن محمد بن إبـراهيم بن حجاج كان «صاحب قـرمونة في حياة أبيـه» (ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٩).

واشترط مقابل هـذا أن يحمل بنو حجاج مال المفـارقة★، وأن يخلوا مـا بينهم وبين ابن حفصون من المناصرة الحربية.

وعلى هذا أصبح إبراهيم بن حجاج يحكم مناطق نفوذه حكماً ذاتياً، ولكنه في ذلك كان مقيداً ـ فيما يظهر ـ بالإمارة أكثر من غيره، إذ أن حكـومة قرطبة هي التي حددت عاملي حاضرة إشبيلية ومدينـة قرمونة اللتين كانتا أهم مدن كورة إشبيليـة، هذا من جـانب، ومن جانب آخـر فإن هذا الترتيب الإداري الذي أجـراه الأمير عبد الله على كـورة إشبيلية كان من شأنـه ـ فيما يبـدو ـ أن يُطَمْئِنَ ابن حجـاج في استمـراريـة حكمـه في هـذه الكـورة، حيث ستئـول السلطـة فيها إلى أبنـائه من بعده، ولـذا نراه أَخْلَصَ في الطـاعة، وصَـدقَ في الولاء، فبدأ يبعث كل سنة بانتظام مال المفارقة الذي اتفق عليه، وصار ـ أيضا ـ يَمـدُّ الإمارة بـالمساعـدات العسكرية لتقـوية جـانبها ضـد الثائرين(٢٦٤)، وعلاوة على هذا فقـد كان يُتْحِف الأمير عبد الله بمختلف الهدايـا ما بين آونة وأخرى، وظـل على هذه الحالة حتـى توفى سنـة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م(٢٦٥)★★، وبوفـاته غدا ابنه عبـد الرحمن حاكماً على مدينـة إشبيلية(٢٦٦)، والابن الآخر محمد حاكماً على مدينة قرمونة، وقد سار الابنان على نهج والدهما مع الأمويين في المدة القصيرة التي بقيت من عهد الأمير عبد الله(٢٦٧).

★ ومال المُفَارقة هو المبلغ الـذي يدفعه المتمرد لحكومة قرطبة نظير تـركه يحكم بلده بنفسه (ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ١١٧، حاشية ١).

(٢٦٤) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ٣٧٦.

(٢٦٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٣، ١٣١.

★★ وهنـاك رواية تجعل حـدوث وفاة ابـن حجاج في سنـة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م (ابن عـذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٢٩؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٣٥) ومن الـواضح أن هذه الـرواية شـاذة تتعارض مع تسلسل سنوات الأحداث التي جرت على ابن حجاج.

(٢٦٦) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١٠٤.

(٢٦٧) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٢٩؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٣٥.

ولقد كان لاستقـرار العلاقات بين الأمير عبد الله و إشبيليـة أثر ملحوظ في تحسن الأحوال العسكـرية والاقتصـادية للإمـارة الأموية، فبـالإضافـة إلى ما جَنَتّه هـذه الإمارة بذلك من انتظام ورود الجبـاية إليها من إشبيليـة فقد انفتح الطريق أمامها للاتصال بمناطق الأندلس الغربية(٢٦٨).

ولقد حرص ابن حجاج إبان حكمـه لكورة إشبيلية على أن ينظم شؤونها، ويرتب أمورهـا حتى أظهرها وكأنها دويلة مستقلة، إذ اتخذ لنفسـه جندا كان الفرسان فيهم خمسمئـة، وأنشأ مجلسًا للشورى، ودارا للطراز، وكـان له أيضا قاضٍ يقوم بـالحكم، وصاحب مدينة يقيم الحدود، وكـان يتنقل دائما ما بين الحاضرة إشبيلية وبين مدينـة قرمونة التي كـان قد جعلها مربطـا لخيله المعدة لركوبه(٢٦٩).

كما كان إبراهيم بن حجاج فوق هذا «جوادا ممَّدحا، يرتاح للثناء، ويعطي الشعـراء، ويضاهي في فعلـه كبار الأمـراء، ويتفقـد أهل البيوتـات والشرف بالعطاء»(٢٧٠)، ولذا سما ذكره، وشاع فضله، فقصده القاضدون من الأدباء والشعراء وغيرهم، ليس فقط من داخل الأندلس بل ومن خارجها(٢٧١)★.

---

(٢٦٨) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ١٢٣؛ ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٣١.

(٢٦٩) ابن الأبار، **الحلة**، جـ٢، ص. ص١١+١٢.

(٢٧٠) ابن عذاري، **البيان**، حـ٢، ص١٢٧.

(٢٧١) ستانلي بول، **العرب في إسبانيا**، ص ١٠١.

★ كان أبو عمر أحمد بن عبد ربه صاحب **العقد الفريد**، وكذلك الشاعر محمد بن يحيى القلفاط من الذين قصدوا بـلاط ابن حجاج (ابن الأبار، **الحلة** جـ٢، ص. ص٣٧٦-٣٧٧؛ ابـن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص. ص١٢٧-١٢٨) أما من خـارج الأندلس فقد وفد إليـه ـ على سبيل المثال ـ أبو محمد الأعرابي العامري (الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، د. ت.)، ص. ص٢٧١-٢٧٢.

ثالثا : حركة العرب في لَبْلَة

بدأ الاستقرار العربي في لَبْلَة منذ الأيام الأولى لدخول المسلمين الأندلس★، ثم نزل قسم من جند حمص فيها(٢٧٢)، وحيث إن جُلَّ هذا الجند كان من عرب اليمن - كما ذكرنا سابقا - فمن الراجح أن غالبية السكان العرب في هذه المدينة كانوا يرجعون إلى القبائل اليمنية★★.

ولا نشهد اضطرابات في لبلة قبل ولاية الأمير عبد الله، ولكن لما حل العام الثاني من ولاية هذا الأمير انبعثت فيها الفتنة، حيث نهض زعيم عربي يدعى عثمان بن عمرون★★★، فأظهر تعصبا ضد المولدين والمسالمة في هذه المدينة، ثم نادى بالتمرد على السلطة الأموية، وحينما التف حوله الأتباع سار بهم إلى القصر، فاقتحمه بالقوة، وأخرج عامل الإمارة ثم نفاه بعيدا عن المدينة(٢٧٣)، وبهذه الطريقة سيطر ابن عمرون على مقاليد الأمور في لبلة.

★ يذكر اليعقوبي أن العرب نزلوا لبلة مع دخول طارق بن زياد للأندلس (اليعقوبي، **البلدان**، ص٣٥٤)، ويخيل إلينا أن اليعقوبي قد بَعُدَ عن الدقة فيما ذكر، لأن العرب الذين دخلوا مع طارق كانوا قلة؛ فضلا عن كون هذه المدينة كانت بعيدة إلى حد ما عن خط سير حملة طارق فلم يفتحها، ولكنها فتحت في حملة مولاه موسى بن نصير. (المقري، **نفح الطيب**، جـ١، ص ٢٧١؛ الغساني، **رحلة الوزير**، ص ١٠٨) وعلى هذا فمن المتوقع أن بداية الاستقرار العربي في لبلة كانت بعد دخول موسى بن نصير للأندلس.

(٢٧٢) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١١٠.

★★ يعزز وجهة النظر هذه أن الرئاسة في لَبْلَة كانت للعرب اليمنية عند قدوم عبد الرحمن الداخل للأندلس (ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٥٢) ثم أصبحت فيما بعد أحد مراكز التجمع اليمني المضاد لعبد الرحمن الداخل حينما اختلف مع القبائل اليمنية (مجهول، **أخبار مجموعة**، ص ٩٦؛ النويري، **نهاية الأرب**، جـ٢٣، ص. ص ٣٤١-٣٤٢) ثم إن حركة العرب في لبلة إبان عهد الأمير عبد الله قد اتخذت الطابع اليمني.

★★★ عثمان بن عمرون ينتسب إلى قبيلة خُشَيْن (ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٦٨) وقبيلة خشين الساكنة في لبلة من قُضاعة (ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٤٥٥)، وقُضاعة على أشهر الأقوال من قبيلة حِمْيَر القحطانية (القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٣٥٨.

(٢٧٣) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص. ص٦٦-٦٧.

بعد هذا النجاح الذي أحرزه ابن عمرون جمع أتباعه ـ وفيهم عدد من رجالات العرب ـ وأغار بهم على قرى إشبيلية(٢٧٤)، وغير بعيد أن يكون كُرَيب بن خلدون ــ المتمرد في إشبيلية ــ هو الذي شجع ابن عمرون على القيام بهذه الغارة، فلقد كان هناك تحالف معقود بين الاثنين، كما أن كريبا في ذلك الأوان يسعى جاهدا لإحداث الفوضى في كورة إشبيلية، ★ ولما لم يكن لدى الأمير عبد الله ـ فيما يظهر ـ من القوة ما يدفع به مَعَرَّةَ هذه الفتنة التي أطلت برأسها آنذاك في لبلة فقد بعث أحد رجالات الدولة ـ وهو عثمان ابن عبد الغافر الخالدي ــ إليها، وأمره أن يستصلح المتمرد ابن عمرون، وأن يدعوه بالحسنى إلى الطاعة، فوفق ابن عبد الغافر في مهمته، واستطاع أن يُقْنع ابن عمرون بالعدول عن سلوك طريق العصيان، فسكنت هذه المدينة فترة من الزمن(٢٧٥).

غير أن ابن عمرون لم يمكث أن عاد إلى مسلكه، فهاجت الفتنة في لبلة من جديد، فكانت أشد من ذي قبل، إذ احتدم الصراع بين العرب والمولدين في كل مكان منها الأمر الذي جعل ابن عمرون ينحاز بقومه العرب إلى حصن قَرْقِبَة★★، ومن العجيب أن عثمان بن عبد الغافر ـ ممثل الإمارة الأموية ـ قد التحق بالعرب في حصنهم، ليس هذا فحسب، بل تولى مهمة الرد العسكري على أولئك المولدين الذين حاولوا الهجوم على الحصن، فهزمهم شر هزيمة، وقتل منهم عددا كبيرا(٢٧٦).

---

(٢٧٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٧.

★ انظر ما سبق في هذا الفصل.

(٢٧٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٧.

★★ حصن قَرْقِبَة، ـ ويرسم أيضا بالياء فيقال: «قرقية» ـ وهو أحد الحصون التابعة لمدينة لبلة (ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٣؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ ٤، ص ٣٢٩)، ولم أتوصل إلى تحديد مكانه بالنسبة لمدينة لبلة.

(٢٧٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٧.

ولعل تضامن عثمان بن عبد الغافر مع العرب، ودخوله معهم في حصن قَرْقِبَة ثم مقاتلته لخصومهم المولدين ـ لعل هذا الموقف من ابن عبد الغافر ـ وهو يمثل الإمارة الأموية ـ يوحي بأن ابن عمرون لم يجاهر بالعصيان في هذه المرة، وبقي مرتبطا بطاعة الأمويين؛ مصداق ذلك أن حملة المطرف بن الأمير عبد الله التي نفرت عام ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م من قرطبة لتأديب الخارجين على السلطة في إشبيلية ثم في المناطق الجنوبية(٢٧٧) قد لقيت من أهل لَبْلة وابن عمرون كل تأييد ومساندة، فعند أول فصول هذه الحملة من قرطبة، واقترابها من إشبيلية وَفَدَ أهلُ لبلة باخعين بالطاعة، فلما انتقلت إلى محلة أخرى وَفَدَ ابن عمرون بنفسه(٢٧٨)؛ بل إنه نهض بجيش من بلده لتعزيز هذه الحملة حينما أَوْغَلت جنوبا في كورة شَذُونَة(٢٧٩).

والظاهر أن عثمان بن عمرون قد شارك القوات الأموية في حروبها مع المتمردين هناك، فلما قفلت تلك القوات مرة أخرى قاصدة إشبيلية لم يتابعها في سيرها، بل ربما أنه عاد إلى بلده، ذاك أن المطرف قبل أن يعود بحملته إلى قرطبة بقليل استدعى ابن عمرون، وعندما قدم إليه أسند أعماله إلى محمد بن عبد الله العبدي الذي أمره بمغادرة مدينة إشبيلية «وَعَهِدَ إلى ابن عمرون بالطوع له، والمعونة على ما ابتغاه»(٢٨٠).

ويبدو أن ابن عمرون لم يعارض هذه البادرة من المطرف، لأننا نرى جباية لبلة قد وردت على الإمارة قبل أن يصل المطرف إلى العاصمة قرطبة(٢٨١)، مما يعني بقاء هذه المدينة على الطاعة.

(٢٧٧) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٤.
(٢٧٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١١.
(٢٧٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٢.
(٢٨٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٢.
(٢٨١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٤.

ولقد سكتت المصادر التي بين أيدينا سكوتا مطبقا عن ابن عمرون بعد ذلك، فلم تورد له ذكرا بقية عهد الأمير عبد الله حتى في الحملات التي وجهت نحو كورة لبلة، واشتبكت مع متمردين مجاورين لابن عمرون هذا(٢٨٢)، ويمكننا تأويل ذلك بأحد احتمالين: إما أن عثمان بن عمرون لم يعش طويلا بعد الاتفاق الذي تم بينه وبين المطرف بن الأمير عبد الله، وإما أنه قد أخلص الولاء للدولة الأموية في السنوات الباقية من عصر الأمير عبد الله، خاصة وأن هذا الأخير كان قد بعث سريعا مَنْ يقتل الرجل الذي كان الولد المطرف قد فرضه على ابن عمرون ــ أعني: محمد بن عبد الله العبدي(٢٨٣)ــ، فربما أن الأمير عبد الله قد ترك ابن عمرون عقب ذلك يحكم بلده بنفسه على أن يدفع مقداراً من المال كما فعل غيره، وقد يَقْوَى هذا الاحتمال الثاني إذا اعتبرنا عثمان بن نصر الذي استنزله عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م من حاضرة لبلة(٢٨٤) هو نفسه عثمان بن عمرون صاحبنا.

(٢٨٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص١١٩-١٢٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٨.

(٢٨٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٢، وقد ذكره ابن حيان في الموضع نفسه مرة باسم محمد بن عبد الله العبدي، ومرة أخرى باسم محمد بن عبد الملك العبدي.

(٢٨٤) مجهول، أخبار عبد الرحمن الناصر، ص. ص٥٣-٥٤.

رابعا: حركة العرب في كورة شَذُونَة

نزعت كورة شذونة إلى الفتنة في السنة التي تربع فيها الأمير عبد الله على عرش البلاد حيث «انتقضت . . . على السلطان، وصار أهلها إلى الخلعان»(٢٨٥)، وآنذاك نجم فيها عدد من المتمردين الذين اتخذوا من مدنها وحصونها قواعد لهم(٢٨٦).

ولقد كان العرب في كورة شذونة في معزل عن هذه الفتنة حين اشتعال فتيلها، ولكنهم سرعان ما انجرفوا في سيلها حينما أَهَل العام الثاني من ولاية الأمير عبد الله(٢٨٧)، فقام بدعوتهم سليمان بن محمد بن عبد الملك الشذوني، وذلك في مدينة شَرِيش(٢٨٨)★، ولقد ركز هذا المتمرد في دعوته على العرب اليمنية ولا غرابة في هذا، إذ كان هو من قبيلة لَخْم اليمنية(٢٨٩)، كما أن كورة شذونة كان قد نزلها جند فلسطين(٢٩٠)، الذي غلب على أفراده، الأصل اليمني(٢٩١).

---

(٢٨٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٢.

(٢٨٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص. ص١١٢-١١٥.

(٢٨٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٠.

(٢٨٨) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ٣٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٧.

★ شَرِيش Jerez قاعدة كورة شَذُونَة (ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ ٣، ص ٣٤٠) وهي على مقربة من البحر (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٢) بينها وبين قرطبة حوالى مئة وعشرة أميال (مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٦٥) وتعرف الآن هذه المدينة باسم Jerez de la Frontera وهي في مقاطعة قادس من إسبانيا (دائرة المعارف الإسلامية، مادة شَرِيس، جـ ١٣، ص ٢٤٠).

(٢٨٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٨.

(٢٩٠) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٤؛ المقري، نفح الطيب، جـ ١، ص ٢٣٧.

(٢٩١) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٧٨.

ولقد أخلص ابن عبد الملك في دعوته، وأثبت أنه خير معوانٍ للعرب اليمنية المنتزين في كورة إشبيلية، فلقد رحب بالتحالف مع زعيمهم كُرَيب ابن خلدون(٢٩٢)، وحينما خرج كريب عن مدينة إشبيلية مغَاضِبا أهلها إلى حصن قَوْرَة ــ كما أبنا سابقا ــ وأرسل إليه يطلب قوة عسكرية لتنفيذ بعض مخططاته قَدَّم له ابن عبد الملك على الفور فرقة من أصحابه، فتوجهت هذه الفرقة بقيادة مهدي عم كريب بن خلدون إلى جزيرة المنذر بن عبد الرحمن الأوسط★، واستولت على ما فيها من أموال وأنعام(٢٩٣)، وبعكس علاقة ابن عبد الملك الحميمة بالعرب كانت علاقته بالمتمردين غير العرب في كورة شَذُونَة تقوم على العداء في بعض الأحيان(٢٩٤).

على أنه حينما نادت الإمارة أهل الكور للاحتشاد من أجل حرب المخالفين عليها عام ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م كان سليمان بن محمد بن عبد الملك أحد الذين استجابوا لهذا النداء، حيث قدم بنفسه ومعه أخوه مسلمة وعدد من جنده والتحق بالجيش الأموي الذي كان يترأسه الولد المطرف بن الأمير عبد الله(٢٩٥) كما سبق أن ذكرنا.

ويشير هذا الفعل إلى أن ابن عبد الملك لم يكن يجاهر بنبذ طاعة الأمير عبد الله حتى ذلك الحين، ولكنه لما شَكَّ في نوايا الإمارة نحوه في تلك الحملة هرب من الجيش الأموي مُتَسَرْبلا بالظلام، وعاد مسرعا إلى شذونة، واعتصم

---

(٢٩٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٦٨.

★ جزيرة المنذر بن عبد الرحمن هي إحدى جزيرتين عند مصب نهر الوادي الكبير (Dozy, op. cit., p. 195).

(٢٩٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٢.

(٢٩٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٢.

(٢٩٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٩.

بحصنه نَبْرِيشَة★، الأمر الذي جعل الولد المطرِّف يعتقل أصحابه وأخاه مسلمة(٢٩٦)، فكان الأخير على رأس الأسرى المقرنين في الأصفاد الذين قدم بهم المطرف إلى قرطبة فيما بعد(٢٩٧).

ولقد تابع الجيش الأموي سيره جنوبا، وما زال يقاتل المخالفين للدولة هناك حتى وصل إلى مناطق نفوذ ابن عبد الملك في شذونة، فضرب الحصار على حصن نَبْرِيشَة، وشدد أحمد بن هاشم بن عبد العزيز قائد الجيش الحصار على هذا الحصن عدة أيام إلى أن تمكن من اقتحامه ففر أهله لا يلوون على شيء(٢٩٨).

ومع أن هذه الرواية لا تنص على فرار ابن عبد الملك من حصن نَبْرِيشَة مع الفارِّين إلا أننا نميل إلى كونه قد فَرَّ من ذلك الحصن سواء عند اقتحام الجيش له★★، أو قبل ذلك، لأن نبريشة هو الحصن الرئيس لابن عبد الملك الذي ركز عليه الجيش الأموي حينما دخل كورة شذونة.

ومهما كان من أمر فقد تَرَصَّد ابن عبد الملك للقوات الأموية حتى إذا ما تحركت من حصن نبريشة اعترض طريقها منطلقا من حصن منيع يسمى أُرْكُش★★★، فوقعت بين الجانبين حرب ضروس لم تنتهِ إلى نتيجة حاسمة

★ نَبْرِيشَة Lebrija حصن قريب من مصب نهر الوادي الكبير (Dozy, op. cit., p. 176) وكان سليمان بن محمد بن عبد الملك نفسه هو الذي كان قد بناه (ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٣٧).

(٢٩٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٠.

(٢٩٧) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٥.

(٢٩٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص١١٢-١١٣.

★★ هناك رواية لابن الأشعث تنص على أن المطرف افتتح حصن نبريشة، وأخرج ابن عبد الملك منه. (ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ٨٠).

★★★ حصن أُرْكُش Arcos أحد الحصون الواقعة على نهر وادي لَكُّة. (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤) ويشيد الجغرافيون المسلمون بعلو مكانه، وشدة منعته (أبو الفداء، تقويم البلدا، ن ص ١١٦؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٦٤)، وهو الآن بلدة تعرف باسم Arcos de la Frontera ضمن مديرية قادس على بعد خمسين كيلو متراً شمال شرقي قاعدة هذه المديرية. (ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ٢٤٢، حاشية ١).

الأمـر الـذي دفع الأمـويين إلى تـرك أراضي هـذا المتمـرد والقفـول إلى العاصمة(٢٩٩).

ولا ندري ـ حسب المصادر التي نملكها الآن ـ ما آل سليمان بن محمد ابن عبـد الملك الشذوني بعـد هـذه الحادثة، ولكـن ربما أن المتمردين العـرب في شريش قد جنحوا إلى الطاعة، إذ أن صائفة عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م قد حاربت أهل شريش، ولم تتركهم إلا بعد أن دفعـوا الجباية(٣٠٠)، ودَفْعُ أهل بلـد من الأندلس آنذاك الجباية للإمارة يعني ـ كما عرفنا ـ أنهم قد خضعوا لها، وعادوا إلى طاعتهـا، فلعل زعيم العرب في شَرِيـش سواء أكان سليمان بن محمـد بن عبد الملك أم غيره قد اقتفى أثر المتمردين الآخرين في تعامله مع الأمويين.

ومع أن المصـادر أشارت إلى أن الـدولـة الأمـوية وجهت حملتين إلى كـورة شذونـة في سنتي ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، و ٢٨٨هـ/ ٩٠١م(٣٠١) إلا أنها حينما أوردت أخبار هـاتين الحملتين ضربت الذكر صفحا عن مـدينة شَرِيش التي كانتْ مستقرَ تمرد العـرب، فربما أن في هذا إيحاءً بأن هؤلاء العـرب قد سلكوا الطريق، وابتعدوا عن العصيان في الزمن المتبقي من عهد الأمير عبد الله.

(٢٩٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٣.
(٣٠٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٩.
(٣٠١) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص١٢٨، ١٣٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٩.

خامسا : بقية حركات العرب في الأندلس

وهناك زعماء من العرب ظهروا على الساحة السياسية في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، وسيطروا على بعض الحصون أو المدن، ولكنهم غالبا لم يدخلوا في صراع مسلح ظاهر مع الإمارة الأموية بالرغم من كون بعضهم قد مَرَّ عليه فترة لم يكن على وفاق مع الأمير عبد الله؛ ذاك أن ظروف وصولهم إلى الحكم في مواضعهم اختلفت إلى حد ما مع المتمردين السابقين، فهم ابتداءً لم يدعوا إلى عصبية معينة، ولم ينادوا بنصرة عنصر على عنصر آخر من السكان، وإنما برزوا في حصونهم أو مدنهم بإحدى وسيلتين: إما أن البعض منهم قد لجأ إلى أحد الحصون، واحتمى به فَرَقاً من المتمردين المجاورين، وخوفا من تعدياتهم عندما شاعت الفتنة في أرجاء الأندلس، واختل حبل الأمن فيها، فتطور أمره فيها بعد حتى غدا صوته مسموعاً، وكلمته نافذةً في المنطقة التي ظهر فيها، ومن هؤلاء مثلا: ابن عَطَّاف العُقَيْلي في كورة جيان، وإما أن البعض الآخر كان حاكما على مدينة من المدن الأندلسية من قِبَل الإمارة، فلما تفكك جسم هذه الإمارة في أوائل عهد الأمير عبد الله اشرأبتْ نفسُه إلى الاستقلال الذاتي عنها، ومن ثم محاولة ضَمِّ أراض جديدة لتوسيع رقعة نفوذه، ولعل بني مهاجر التُجِيبيين الذين ظهروا في الثغر الأعلى خيرُ من يمثل هذا الصنف.

فابن عَطَّاف العُقَيْلي هو إسحاق بن إبراهيم بن صخر العقيلي★، ولقد كان من الخطباء النابهين الذين كانوا يخطبون أمام الأمير محمد في الأعياد والمناسبات السعيدة، كما أنه من الشخصيات التي كان يُعْقَد لها على أقْوَامِها زمن المغازي(٣٠٢).

★ العقيلي: نسبة إلى بني عُقَيل الذين ينتسبون إلى بني عامر بن صعصعة من القبائل القيسية (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩٢، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٣٣١).

(٣٠٢) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ٣٧٧.

ولقد ظل ابن عَطَّاف مخلصـا للدولة الأمويـة في عهد الأمير محمد، والأمير المنذر، وفي مطلع عهد الأمير عبد الله، ولكنـه لما ثارت الفتنة، وتميزت الفرق دخل حصن مَنْتِيشَة★ من كورة جيـان، واعتصم به من ابـن حفصون وغيره من أهل الخلاف، وأظهر الـولاء للأمير عبد الله(٣٠٣)، فلـذلك لا عجب أن نرى الجيش الأموي يتخذ من حصنه منتشية محلـة يستريح فيها إثر عودته من قتال المتمردين في الجنوب عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م(٣٠٤)، ولكن مع ذلك كانت طاعته اسمية، إذ كان قد فرض وجوده على الإمارة فرضا، فهو لم يرتبط بعمالها الموجودين في كـورة جيان، ولم يـرضَ أن يدور في فلكهم(٣٠٥)، واستمر على هذه الحالة إلى أن استنزله عبد الرحمن الناصر عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م(٣٠٦).

أما بنو مهـاجر التجِيبيون فلقد كان الأمير محمـد قد اصطفى زعيمهم عبد الـرحمن بن عبد العـزيـز التجِيبي★★، وأسكنـه هو وأسرتـه في مـدينة قَلْعَـة أَيُّوب★★★، كما ضم إليه مواضـع أخرى قريبة من هذه المدينـة أهمها حصن

★ حصن مَنْتِيشَة Mentesa وهو قرب مدينـة جَيَّان الحاضرة (البكري، **جغرافية الأندلس**، ص ٦٤، حاشية ٣) أما الآن فلم يعد له وجود على الخريطـة السياسية لإسبانيا، (ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص ٣٧٨، حاشية ١).

(٣٠٣) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٢٩؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص. ص٣٧٧-٣٧٨.

(٣٠٤) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٢٢.

(٣٠٥) ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص ٣٧٨.

(٣٠٦) ابن حيان، **المقتبس**، جـ ٥، ص ٦٥؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٣٦، ١٦١.

★★ واسمه كـاملا: عبد الرحمن بن عبـد العزيز بن عبـد الرحمن بن عبد الله بن المهاجـر (العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٤١)، والمهاجر هذا هو ابن عميرة بن المهاجر الداخل للأندلس (ابن حزم، **جمهـرة أنساب العـرب**، ص ٤٣٠؛ ابن الأبار، **الحلة**، ص ٧٨) ولقـد عرفت هـذه الأسرة بـالتجيبيين لأن نسبهم يتصل ببني تُجيب من العـرب اليمنيـة (ابن حـزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص٤٣٠؛ الحميدي، **جذوة المقتبس**، ق٢، ص ٥٧٣؛ القلقشنـدي، **نهاية الأرب في معـرفة أنساب العرب**، ص. ص١٧٤-١٧٥).

★★★ مدينة قَلْعَـة أَيُّوب Calatayudb يذكـر الأسقف رودريجو الطليطلي أنها كانـت حصنا رومـانيا قديما يسمى Bilbilis ولكن أيوب بن حبيب ثاني ولاة الأندلس جدد بناءها فسميت باسمه (حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص ٢٤٤) وهي تـابعة للثغـر الأعلى (ابن غـالـب، **فرحة الأنفس**، ص ١٩) وتقع غربي مدينة سرقسطة الحاضرة (البكري، **جغرافية الأندلس**، ص ٩١، حاشية ٢) على بعـد خمسين ميلا منهـا (الإدريسي، **صفة المغرب**، ص ١٩٠) وهي الآن بليـــدة صغيرة على نهر جالون (شكيب أرسلان، **الحلل**، جـ ٢، ص ٩٣).

دَرُوقَة★، وكـان يهدف مـن ذلك أن يَحُدَّ من نفـوذ أسرة بني قَسِيّ التـي كـان خطرها في تفاقم مستمر(٣٠٧).

ولقد أخلص التجيبيون لـلإمارة الأموية فكانـوا شَجى في حلوق المتمردين عليها في الثغر الأعلى(٣٠٨)، فلما أَفْضَتْ الإمارة إلى الأمير عبد الله تغلب محمد ابن عبد الـرحمن بن عبد العزيـز التُجِيبي المعروف بـالأنقر ـ أو الأعـور ـ على مدينـة سرقسطة، وذلك باتفاق مع الأمير عبـد الله في رواية(٣٠٩)، وبطاعية ذاتية من الأنقـر هذا وأبيـه عبد الـرحمن لإدخال هـذه المدينة في حـوزتهما ـ في رواية أخرى ـ(٣١٠)، وسواء كـان ذلك باتفاق مع الأمير عبد الله أو بـاجتهادٍ مَحْضٍ من محمـد الأنقـر ووالده فإنهما ــ أقصـد الأخيرين ــ قد وضعـا خطـة محكمة للقضاء على حـاكم سرقسطة الأموي أحمد بن البراء القـرشي، فافتعلا خلافـا بينهما، على إثره استجار محمـد الأنقر بهذا الحاكم، وما انفك أتبـاعه ينثالـون على سَرَقُسْطَة بحجة فـرارهم من الأب عبد الرحمن حتى كثـروا فيها، وعنـدئذ تـرصـد الأنقـر لابن البراء فـاغتـالـه، ثم استـولى على المدينـة سنـة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م(٣١١).

ومن المثير أن محمداً الأنقر قـد أوصد أبواب المدينة في وجـه أبيه حينما قَدِمَ إليه، الأمر الذي جعل هذا ينكفىء عائداً إلى مدينة قلعة أيوب(٣١٢)، فتوى

★ حصن دَرُوقَـة Daroca من أعمال قلعـة أيـوب بينهما ثمانيـة عشر ميـلا، (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٦)، وعلى هذا فإنـه يعد من أراضي الثغـر الأعلى (المقرى، نفح الطيب، جـ ٤، ص ٤٦٠)، وهو يقع جنوبي مدينة سرقسطـة قاعدة الثغر على قيد خمسين ميلا (الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٨٩).

(٣٠٧) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٤١، ٤٩.

(٣٠٨) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٤٩، ٥٣؛ السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٣١٩؛ Montgomery Watt, op. cit., p. 29.

(٣٠٩) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص. ص١٢٣-١٢٤.

(٣١٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٠؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٤١.

(٣١١) ابن حيـــان، المقتبس، ق٣، ص. ص٢٠-٢١ العـــذري، نصـوص عن الأنـدلس، ص. ص٤١-٤٢.

(٣١٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢١.

فيها بعد أيام قلائل[٣١٣]، فحكم بعض أبنائه مناطق نفوذه، وساروا على الطاعة[٣١٤].

ولقد أدرج بعض المؤرخين محمداً الأنقر في قائمة المتمردين على الدولة الأموية، وعدوه ثائرا عليها في مدينة سرقسطة[٣١٥]، بيد أن خروجه على الطاعة لم يطل، إذ ما لبث أن «خاطب الأمير عبد الله بن محمد يَبْخع بطاعته، ويذم عنده عامله أحمد بن البراء، ويقدح فيه، ويسأل التسجيل له على البلد، فأجابه الأمير إلى ذلك لشغله عنه وعمن سواه، فالتزم محمد الطاعة، واستقام على الطريقة إلى أن هلك الأمير عبد الله»[٣١٦].

أما عن علاقاته بالأسر الحاكمة في الثغر الأعلى فقد كان على عداء مكشوف مع القسويين ــ كما سبق أن عرفنا ــ حيث ضربوا على مدينته سرقسطة حصاراً طويل الأمد امتد منذ أواخر سنة ٢٧٦هـ/ ٨٩٠م حتى سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م★.

ويبدو أن نجاح سرقسطة في الصمود أمام هذا الحصار الطويل يعود إلى أنها كانت تتوافر فيها موارد ذاتية[٣١٧]، بحيث لا يؤثر عليها كثيرا انقطاعها عن المناطق الأخرى، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن بني قسي لم يكونوا طوال هذه الفترة جادين في حصارها ـ كما سبق أن رجحناه ـ .

وفي الوقت الذي كان الأنقر في خصام مع القسويين فإنه كان على علاقة طيبة مع بني الطويل، حيث كانوا قد قدموا له المؤن سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م★★.

---

(٣١٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٤٩ .
(٣١٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٤٩، ٥٣ .
(٣١٥) ابن عذاري، البيان، حـ٢، ص ١٢٢، ١٣٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٧ .
(٣١٦) ابن حيان، المقتبس، جـ٣، ص ٢١ .
★ انظر التفاصيل في الفصل الثاني من هذا الكتاب .
(٣١٧) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٢٢؛ المنجم، آكام المرجان، ص ٣١ .
★★ انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب .

ومنذ أن رفع القسويون الحصار عن سرقسطة سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م بسبب انحدار شأنهم أخذ نجم محمد الأنقر يتألق على حسابهم، فاستطاع أن ينتزع منهم عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م مدينة شَيَّة(٣١٨)★، التي كانت من المواقع الاستراتيجية في الثغر الأعلى(٣١٩)، ثم استمر في توسيع رقعة سلطانه، فاحتل عددا من مناطق بني قَسِي هؤلاء(٣٢٠)، وما زال نفوذه في تصاعد دائم حتى أصبح في السنوات الأولى من عهد عبد الرحمن الناصر قوة في الثغر الأعلى يُتَّقىٰ شرها، ويخشى بأسها(٣٢١).

وجملة القول أن حركات العرب في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري لم تشمل جميع أنحاء الأندلس، وإنما تركزت في مناطق معينة، وذلك تبعا ـ فيما يبدو ـ لكثافة العرب السكانية في تلك المناطق، ولتوافر ظروف الثورة فيها، وقد لاحظنا أن تمرد قسم من هؤلاء العرب قد بدأ للرد على الاعتداءات الموجهة ضدهم من قبل بعض العناصر السكانية ـ وخاصة المولدين ـ ثم تطور الأمر بزعمائهم للتطلع إلى الاستقلال الذاتي عن الدولة، كما أن قسما آخر من هؤلاء المتمردين العرب قد خرجوا عن السلطة الأموية منذ أن تدهور وضعها، وانتشر العصيان لها، فكانوا منذ البداية يَرُوْمُون الاستقلال بمناطقهم، وتحقيق أطماعهم الكامنة في صدورهم، وفي سبيل ذلك لم يَتَّورعوا عن ضَرْبِ العناصر الأخرى من مولدين وغيرهم، ولكن على العموم لم تأتِ السنوات الأخيرة من عهد الأمير عبد الله إلا وكان المتمردون العرب قد أظهروا الطاعة لحكومة قرطبة بعد أن تركتهم يحكمون مناطقهم بأنفسهم.

---

(٣١٨) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٤.

★ ويطلق بروفنسال على شَيَّة اسم قلعة الفرسان la de Egea de los Caballeros ويقول إنها تقع شمال غربي سرقسطة، على بعد حوالي ستين كيلومترا.

(٣١٩) Provencal, op. cit., p. 247.

(٣٢٠) السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٣٣٣.

(٣٢١) السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٣٥٩، ٣٧٥.

الفَصل الرابع

حركات البربر والموالي
وموقف الإمارة الأموية منها

أولا: حركات البربر

شكَّل البربر طلائع الفاتحين المسلمين للأندلس★، فكان أبرز الداخلين من البربر لهذه الجزيرة هم أولئك الذين دخلوا مع طارق بن زياد★★، ثم توالى انثيالهم عليها عقب الانتصارات التي حققها المسلمون على دولة القوط، فأصبح عددهم عند استقرار الفتح يفوق عدد العرب(١)★★★. ولقد توَطَّن هؤلاء المهاجرون الأوائل من البربر على امتداد الطريق الذي سلكه قادة الفتح شأنهم في ذلك شأن العرب(٢).

وبحكم قرب الأندلس من الموطن الأصلي للبربر فإن هجرتهم إليها تتابعت في عصر الولاة خاصة في نصفه الأول فانبثوا في أنحائها كافة(٣)،

★ يذكر ابن الكردبوس أن طريف بن مالك ـ الذي كان قد عبر قبل طارق ـ قد جاز بثلاثة آلاف من البربر (ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص ٤٥).

★★ ورد في بعض المصادر أن البربر الذين دخلوا مع طارق كانوا عشرة آلاف (المقري، **نفح الطيب**، جـ ١، ص ٢٣٣؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص ٩٨)، وورد في مصادر أخرى أن عددهم كان قريبا من اثني عشر ألفا (ابن عبد الحكم، **فتوح إفريقية والأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤م)، ص ٧١؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ ٣، ص٦؛ المقري، **نفح الطيب**، ص ٢٣٩، ٣٥٤) ثم إن هناك بعض البربر قد دخلوا مع موسى بن نصير (ابن عبد الحكم، **فتوح إفريقية والأندلس**، ص ٧٦؛ الحميدي، **جذوة المقتبس**، ق٢، ص٣٢).

(١) البيلي، **البربر في الأندلس**، ص ٥١؛ عبد الواحد ذنون طه، «**التنظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة**»، بحث مقدم لندوة النظم الإسلامية (أبو ظبي: مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، جـ ٢، ص ٣٣٤.

★★★ وأسطع برهان على تفوق البربر في عددهم على العرب أنهم هم الذين اختاروا ثاني ولاة الأندلس أيوب بن حبيب سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م (ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٣٧).

(٢) عبد الواحد ذنون طه، **الفتح والاستقرار العربي**، ص ٢٧٠.

(٣) البيلي، **البربر في الأندلس**، ص ٥١.

وصارت كثافتهم بين السكان كبيرة بشكل لافت[٤].

ولقد نزح السكان البربر جنوبا من المناطق الشمالية والغربية عند نشوب الفتنة بينهم وبين العرب عام ١٢٤هـ/ ٧٤١م[٥]، ولا بد أن ذلك عثَّر مسار الهجرة البربرية من المغرب إلى الأندلس حينا من الدهر.

وحينما قامت الإمارة الأموية عاد البربر يتدفقون على الأندلس من جديد نظرا لكون عبد الرحمن الداخل قد اعتضد بهم، وعمد إلى اصطناعهم[٦]، «ووجه عنهم إلى بر العدوة، فأحسن لمن وَفَدَ عليه إحسانا رَغّبَ مَنْ خلفه في المتابعة»[٧]، وقد تَأَثَّرَ الأمراءُ الأمويون - من بعد الداخل - هذه السياسة، فاستعانوا بالبربر، وأشركوهم في مختلف قطاعات الدولة[٨].

وعلى الرغم من هذه المنزلة التي بلغها البربر في حكومة قرطبة فإن هناك بعض الزعماء منهم قد خرجوا عليها، وخلعوا طاعتها في مختلف عهود الأمراء الأمويين★، ولذا فإنه من المحتمل جدا أن تلك الحركات التي قام بها هؤلاء الزعماء لا تعدو كونها نزعاتٍ فرديةً القصدُ منها التمرد على السلطة المركزية، والاستئثار بحكم بعض المناطق[٩].

---

(٤) حبيبة، مع المسلمين، ص ١٤٠؛ الركابي، في الأدب الأندلسي، ص ٣٤.

(٥) النصولي، الدولة الأموية في قرطبة، ص ١٠٧؛ سعد حسين عثمان، المجتمع الإسلامي في الأندلس، ص ٨٤.

(٦) ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص ٦٠.

(٧) المقري، نفح الطيب، جـ٣، ص ٣٦.

(٨) خالد الصوفي، تاريخ العرب في إسبانيا، ص ٨٥؛ البيلي، البربر في الأندلس، ص. ص٩٨-٩٩.

★ انظر التمهيد من هذا الكتاب.

(٩) البيلي، البربر في الأندلس، ص ١٠٢.

وحينما قامت الفتنة في الأندلس في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري شارك عدد من البربر فيها، وتمردوا على السلطة الأموية في بعض المناطق، وسوف نتحدث فيما يلي عن هذه التمردات:

١ ـ حركة البربر في كورة شَنْتَ بَرِيَّةَ

من وقت مبكر من تاريخ المسلمين في الأندلس استقرت عشائر مختلفة من البربر في كورة شَنْتَ بَرِيَّةَ، ولذلك فلا استغرابَ أن تكون هذه الكورة مركزا من المراكز المأهولة بالسكان البربر(١٠)، ويُعد بنو ذي النون من أشهر هؤلاء السكان البربر في القرن الثالث الهجري، حيث كان جدهم قد دخل الأندلس مع طارق بن زياد(١١)، واتخذ من مدينة شنت برية★ موطنا(١٢)، ولقد بقي نسلُ هذا الرجل بعيدين ـ فيما يبدو ـ عن أي نشاط سياسي إلى أن ظهر على مسرح الأحداث في عصرِ الأميرِ محمد ذو النون بن سليمان★★الذي

(١٠) عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

(١١) ابن خلدون، تاريخه، جـ٦، ص ١٨٥.

★ مدينة شَنْت بَرِيَّة Santaver هي قاعدة الكورة المسماة باسمها (عنان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص ١٦٤، حاشية ٢)، ولقد عرفت أيضا فيما بعد باسم شَنْتَمَرِيَّة الشرق أو السَّهْلَة (ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٣٠٧)، وكانت تبعد عن مدينة طليطلة بمقدار سبعين ميلا (مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٥٨)، وهي الآن تعرف بالبراثين Albarracin الكائنة في مديرية ترويل (حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ١٠٤).

(١٢) عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص ٣٠٠.

★★ ونسبُ ذي النون هو ذو النون بن سليمان بن طوريل بن الهيثم بن إسماعيل بن السمح (الداخل للأندلس) بن ورد حقن الهوَّاري (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٨؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٤) والهوَّاري نسبة إلى قبيلة هَوَّارة من فرع البربر البَرانس (مجهول، مفاخر البربر، ص ٦٤) وبعضهم يُرجع هَوَّارة إلى قبائل اليمن (القلقشندي، قلائد الجمان، ص ١٦٨) لكنَّ إرجاعهم إلى العرب خلاف المشهور؛ بل إنه من الآراء الشاذة ((ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩٥؛ ابن عبد البر، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، تحقيق: إبراهيم الأبياري. (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص ٣٨.

عرفت الأسرة باسمه فيما بعد[١٣] ذلك أن الأمير محمدا كان قافلا من الثغر الأعلى في بعض غزواته، فاعتَلَّ أحدُ مماليكه في الطريق، وحينئذ تركه لدى ذي النون بن سليمان ليُمَرِّضَه، فلما أَبَلَّ هذا المملوك من مرضه اصطحبه ذو النون إلى قرطبة، فكافأه الأمير على هذا الصنيع بأن سجل له على ناحيته[١٤]، على أن يدع ولده موسى رهينة عنده في العاصمة الأموية[١٥].

ولقد استمر ذو النون شاكرا فضل الأمير عليه، مخلصا ولاءه للأمويين إلى آخر يوم من حياته فآلت الرئاسة من بعده إلى ابنه أبي جوشن الذي توفى سريعا، فصارت الزعامة على بربر شَنْت بَريَّة عندئذ للابن الثاني موسى[١٦]★ الذي كُنَّا قد رأينا والده قد ارهنه لدى الأمير محمد.

ولقد كان لموسى بن ذي النون نشاطات سياسية في عهد الأمير محمد، حيث كان يزاول أعمالا تُنبىء عن تمرده على السلطة الأموية في عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م[١٧]، بل إنه صرح بالخلاف لها في السنة التالية، وهاجم أهل طليطلة الذين كانوا على الطاعة وقتذاك وهزمهم هزيمة كبيرة[١٨].

استغلظ أمر موسى بن ذي النون في عهد الأمير المنذر، وعظم خطره، وغدا يهدد ما يجاوره من كور[١٩]، ولعل الأمير المنذر حينما رد جباية أهل

(١٣) يوسف بن علي العريني، **مملكة بني ذنون في طليطلة**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٩٩.

(١٤) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٣٤١، ق٣، ص ١٨؛ ابن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، ط٢ (بيروت: دار الثقافة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ق١، م١، ص ١٤٢.

(١٥) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٨.

(١٦) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص٣٤٢.

★ وهناك ثلاثة أبناء آخرون لذي النون، ولكن ليس لهم دور سياسي واضح، وهم محمد وأبو الفتح. (ابن حيان، **المقتبس**، جـ٥، ص ١٨٧، ٣٣١) وكذلك عمر (ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص١١٧).

(١٧) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٣٣٠.

(١٨) ابن الأثير، **الكامل**، جـ٧، ص ٢٧١.

(١٩) العريني، **مملكة بني ذي النون**، ص ١٠٢.

طليطلة في الأيام الأولى من ولايته، وقال لهم: «استعينوا بها في حربكم»[٢٠] - لعله كان يقصد الاستعانة بها في رد عادية موسى بن ذي النون عليهم، يدعم ما نذهب إليه أن هذا الأخير قد هاجم أهل طليطلة بجيشٍ لَجِبٍ، وأوقع بهم هزيمة مُفْزعة، وذلك في العام الذي تولى فيه الأمير المنذر - في رواية -[٢١]، أو في العام الثاني ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م - في رواية أخرى -[٢٢].

ومن أسف أن أخبار موسى بن ذي النون شحيحة في المصادر زمن الأمير عبد الله، بحيث لا تجلي علاقته بالدولة الأموية، ولا بالمتمردين الآخرين، وكل ما نعرفه أن موسى حينما أوقع بأهل طليطلة - في الحادثة آنفة الذكر - «قوي شأنه، فامتد شأوه في المعصية إلى أن هلك شاردا عن الأمير عبد الله في المحرم سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م»[٢٣].

وإذا كانت الحالة هكذا فليس أمامنا لتصوير موقف هذا المتمرد ولو بالتقريب إلا أن نتتبع الأحداث القريبة من ثورته، ومن ثم نحاول أن نستنتج انعكاسات تلك الأحداث عليه، فيرى بعض المؤرخين أنه بعد هزيمة الطليطليين احتل موسى بن ذي النون مدينتهم، فبقيت تحت حكمه عدة سنوات[٢٤]، وأكبر الظن أن أهل طليطلة - وهم في غالبيتهم من المولدين والنصارى[٢٥]- قد تذمروا من حكم أسرة بني ذي النون البربر، أو من

(٢٠) ابن عبد ربه، **العقد**، جـ٥، ص ٢٢١.

(٢١) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١١٦.

(٢٢) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٨.

(٢٣) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٨.

(٢٤) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٤٠؛ العريني، **مملكة بني ذي النون**، ص ١٠٣، Provencal, op. cit., p. 245. ؛ ويحسن أن ننبه إلى أن المصادر العربية التي بين أيدينا لا تسعفنا بمعلومات أكيدة نجزم بموجبها أن مدينة طليطلة قد دخلت فعلا تحت حكم موسى بن ذي النون.

(٢٥) السامرائي، **الثغر الأعلى**، ص ٣٧٣.

تعدياتها عليهم - إذ لم يكونوا قد دخلوا في حكمها المباشر - ورأوا أنه من الأجدى لهم الدخول في سلطان إحدى الأسر المولدية البارزة، فاستدعوا أسرة بني قسي من الثغر الأعلى، وفتحوا لهم أبواب المدينة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م(٢٦).

وحيث إن مدينة طليطلة قد خرجت عن سلطان أسرة بني قسي - لأننا نرى أعيانها يستدعون هذه الأسرة لحكمها مرة أخرى سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م(٢٧)- فإنه من المحتمل أن يكون بنو ذي النون قد بسطوا نفوذهم إليها، أو ضيقوا عليها على أقل تقدير - ولو لبعض الوقت - فيما بين التاريخين اللذين استدعى فيهما أهل طليطلة بني قسي.

ويؤكد البعض أن حليف بني ذي النون لب بن الطَّرْبِيشة★ قد استولى على الحكم في طليطلة سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م، وظل مسيطرا على مقاليد الأمور فيها حتى عهد الناصر(٢٨).

أما فيما يتعلق بعلاقة موسى بن ذي النون بالإمارة الأموية فعلى الرغم من كونه استمر على عصيانه لها حتى وفاته سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م - كما سبقت

---

(٢٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص١١٨.

(٢٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤٠.

★ لقد عُدَّ لبُّ بنُ الطَّرْبِيشة حليفا لبني ذي النون منذ هزيمة أهل طليطلة عام ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م ذلك أنه كان يقود جيش طليطلة، ولكنه كان يحقد على أهلها فتواطأ سرا مع موسى بن ذي النون على إيقاع الهزيمة فيهم، فتم ذلك بفراره من ميدان المعركة حينما التحم بهم جيش موسى (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص.ص٦١٢-٦١٣، تعليق ٥٤١، ق٣، ص ١٨).

(٢٨) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ص ٣٤٠؛ الصوفي، **تاريخ العرب في إسبانيا**، ص ٤٥؛ العريني، **مملكة بني ذي النون**، ص١٠٣، Provencal, op. cit., p. 245.

وفي الواقع أننا لا نجد في المصادر العربية المتوافرة ما يؤكد أن لب بن الطربيشة قد سيطر على طليطلة في سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م بالذات، ولكن الذي نعرفه هو أن لبا كان حاكما لها في سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م أي في عصر الناصر (ابن حيان، **المقتبس**، جـ٥، ص ١٦٢؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٧٦).

الإشارة - وربما أنه ساعد المتمردين عليها بقوات عسكرية كما يفهم من ورود أسماء بعض عائلة بني ذي النون ضمن القتلى في معركة سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م بين العسكر الأموي وبين أهل أحد الحصون في تُدْمير منطقة تمرد ديسم بن إسحاق(٢٩)، على الرغم من كل هذا فإن الإمارة ـ كما هو الظاهر ـ لم تبعث إليه حشودا عسكرية لإخضاعه، فلعل السبب في ذلك أن الأمير عبد الله رأى أن بني ذي النون لا يشكلون أي خطر على دولته مادام النزاع مُسْتَعِرا بينهم وبين أهل طليطلة من طرف، وبينهم وبين بني قَسِيّ من طرف آخر، وربما رأى ـ أيضا ـ أن الدخول في صراع معهم لا يمثل لدولته ميزة استراتيجية يُحرص على تحقيقها، فالأراضي التي أَصَّل بنو ذي النون سلطتهم عليها أراضٍ جبليةٌ وعرة، ومقفرة جدا(٣٠) إلى درجة أن العرب كانوا يَسْخَرُون من أولئك الذي يسكنونها لإفراطهم في البداوة وجفاء الطبع(٣١)، فليس من الحكمة أن تتبعثر القوات الأموية في مثل هذه المنطقة من أجل إخضاع بني ذي النون، وتترك متمردين آخرين أخطر شأنا، وأقرب متناولا ليدها من هؤلاء.

وبوفاة موسى بن ذي النون توزعت السلطة في كورة شَنْتَ بَرِيَّة بين أبنائه الثلاثة: يحيى والفتح ومطرف، والاحتمال كبيرا جدا في أن موسى ذاته هو الذي كان قد قسم مناطق سيادته على هؤلاء الأبناء خوفا من تنازعهم من بعده(٣٢)، يعين على قبول هذا الاحتمال أن المطرف قد حكم حصن

---

(٢٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٧.

(٣٠) الغساني، رحلة الوزير، ص ٣٠، دولت أحمد صادق، جغرافية العالم (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٧٦م)، جـ١، ص ٣٩٧، ٤٠٤.

(٣١) حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ص ٣٨.

(٣٢) العريني، مملكة بني ذي النون، ص ١٠٣.

وَبْذَة★ الذي كان والده في حياتـه قد أقطعه إياه(٣٣)، كما أن الفتح قـد صار حاكما على حصن أُقْلِيش★★ الذي كان قد اختطه هـو بنفسه، وحَصَّنَه عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م(٣٤) مما يـوحي بأن والده أيضـا كان قـد وهبه إيـاه منذ ذلك الحين.

أما يحيى فالظـاهر أن والده موسى كان قد آثر إبقـاءه بجواره - بحكم أنه أَسَنُّ أبنائه -(٣٥) لتكون له السيـادة العليا من بعده على بربـر شَنْت بَرِيَّة مع الاعتراف بحق أخويـه في حكم حصنيهما، ولذلك نراه يتخـذ قاعدة لـه أحد الحصون القـريبة من حاضرة شنت بـرية - مركزِ تمردِ أسرتـه - وهذا الحصن هو حصن وَلْمَة★★★، الـذي عرف عنـه أيضـا - أنـه «أكبر حصونهم أُهْبَـة

★ وَبْذَة Huete حصن من أعمال شَنْتَ بَرِيَّة (ياقوت، معجم البلدان، جـ ٥، ص ٣٥٩) حيث يقع في نواحيها الغربية (الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٩٥)، وهو الآن مـدينة تمثل مركـزاً إداريا في مقاطعـة كُونْكَة على بعـد خمسين كيلو متراً إلى الغرب من مدينـة كُونْكَة نفسهـا (ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ١٦٩، حاشية ١).

(٣٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٩.

★★ أُقْلِيش Uclés من أعمال كورة شنت برية أيضا (ياقوت، معجم البلدان، جـ ١، ص ٢٣٧) إلى الجنوب من وبـذة على مسافة ثمانيـة عشر ميلا (الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٩٥) ولقـد تحول هذا الحصن إلى مـدينة كبيرة غـدت قاعـدة كورة شنت بـرية (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢٨) أما أُقْلِيش حـاليا فإنها تقع في مـديرية كُـونْكَة أيضـا (حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص٣٠٦).

(٣٤) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٥٨.

(٣٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٧.

★★★ وَلْمَةُ أو والْـــمُو Huélamo هـو من كـورة شنت بـرية (يـاقـوت، معجم البلدان، جـ ٥، ص٣٨٤)، ولم أهتد إلى مكانه بالضبط مـن هذه الكورة إلا أنه يقع على نهر شُقْر (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٤) ومنبع نهر التاجـه، جاء وصفه أنـه «بإزاء حصن وَلْمَة» (مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١١)، وحيث إن نهر التَـاجُه يخرج من المنطقـة الجبلية الـواقعة في شمالي كـورة شنت برية (الإدريسي، صفة المـغرب، ص ١٨٩)، كما أن نهر شُقـر ينبع من المنطقـة الجبليـة =

وعدة» وكان والده المتوفى يعده من أهم حصونه(٣٦).

أما عن النشاطات العسكرية والدبلوماسية لهؤلاء الأبناء الثلاثة ـ خلال السنوات الخمس المتبقية من عهد الأمير عبد الله فإنها لم تكن على نسق واحد، ذلك أن يحيى الأكبر شُهِرَ عنه أنه «أكثرهم شرا، وأشهمهم نفسا، وأجرأهم على السلطان. . . وأدومهم على قطع السبيل، وإشاعة الفساد في الأرض، وسفكِ الدماء»(٣٧)، وقد ظافر يحيى متمردا يعرف بابن أَزْدَ بُليس صاحب حصن مَلَقُون★، فأصبح من أخص حلفائه، وحيث إن ابنَ أَزْدَبُليس كان يكثر من شن الغارات على قَلْعَة رَبَاح(٣٨) فإنه لا بد أن يكون يحيى بن موسى من المعاونين له بالمال والرجال على شن هذه الغارات بعد تحالفه معه.

= التي في شمال شرقي كُونْكَة (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٠٨، حاشية ٣) فإن حصن ولمة ـ فيما يبدو ـ لا يبعد كثيرا عن منبع النهر الكائن عليه ـ أعني: نهر شُقْر ـ فيكون موقعه بهذا إلى الشمال الشرقي من كونكة أي أنه قريب من حاضرة شنت برية إلى الغرب منها.

(٣٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص١٧.

(٣٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص١٧.

★ ابن أَزْدَ بُليس هو محمد بن عبد الله البكري الرَبَاحي، وقد عرف بابن أَزْدَ بُليس، كان يسكن قلعة رَبَاح، فأخرجه الأهالي منها، وعندئذ لجأ إلى حصن مَلَقُون وبدأ يشن الغارات عليهم منه ـ كما في المتن ـ، وقد قتل غدرا على يد يحيى بن موسى ذاته في عهد عبد الرحمن الناصر (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص١٩)، ولقد أورد ابن حيان في موضع آخر من كتابه حليفا للفتح بن موسى أخي يحيى في عصر عبد الرحمن الناصر، وسماه محمد بن إدريس الرباحي المعروف بابن أَزْدَ بُلِش [كذا] (ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص٥٤) فهل هو نفسه محمد بن عبد الله البكري؟. أما حصن مَلَقُون فهو يقع إلى الشمال من قلعة رَبَاح (ابن حوقل، صور الأرض، ص١١١؛ ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص٤٤٤، والمسافة بينهما مرحلة (ابن حوقل، صور الأرض، ص١١١) أي حوالي خمسة وعشرين ميلا، لأن المرحلة غالبا تقدر بمثل هذه المسافة (الإدريسي، صفة المغرب، ص. ص١٨٨-١٨٩).

(٣٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص١٩.

ولعل تحالف يحيى بن موسى مع ابن أَزْدَ بُليس يدل على أنه لم يعد قانعا بالتقوقع داخل حصنه أو حتى داخل كورة شنت برية، بل تطلع إلى الكور المجاورة، فتحالفه الوثيق مع ابن أَزْدَ بُليس يعني أن نفوذه قد بلغ قرب وادي آنه جنوبا؛ لأن قلعة رَبَاح تقع على هذا النهر[٣٩].

ولقد خالف يحيى بن موسى سياسة والده في تعامله مع الإمارة الأموية، وإن كان ذلك في الشكل لا في المضمون، إذ أنه تظاهر بالطاعة، ولكنه لم يلتزم بها تحتمه عليه تلك الطاعة، وقد وصفه ابن حيان[٤٠] من بين أسرته بني ذي النون بأنه «أمرضهم طاعة، مع إظهاره الانحراف إلى الجماعة، وطاعته للأمير عبد الله».

ويبدو أن الذي دعاه إلى اتباع هذا المسلك هو أن دولة الأمير عبد الله كانت حينذاك قد استعادت هيبتها إلى حد ما، فأراد يحيى أن يتقي غضبتها بإبداء الولاء الشكلي لها، فظل على تلك الحالة إلى أن جاء عصر عبد الرحمن الناصر[٤١].

أما أخوه الفتح فهو أيضا لم يقف قابعا في حصنه أُقْلِيش، لكن انطلق يمنة ويسرة لمد نفوذه على حساب المتمردين الآخرين، فلقد تحرك بجنده إلى كورة جَيَّان التي تجاوره من الجنوب، وحاول أن ينتزع حصن ذيمية من المتمرد المولدي عبد الله بن أمية بن الشالية، إلا أن هذا الأخير رده على أعقابه[٤٢]، وحيث إن المصادر لم تعين تاريخ هذه الحادثة، وليس لدينا من القرائن ما

---

(٣٩) الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٨٦؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١١، ٥٩.

(٤٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٩.

(٤١) ابن حيان، المقتبس، ق ٣، ص ١٩؛ ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٨٩.

(٤٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠؛ ابن الأبار، الحلة، جـ ٢، ص ٢٣٠، وانظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

يُعين على الوصول إلى هذا التاريخ فإنه من خطل الرأي القطع بوقوعها خلال السنوات الخمس الأخيرة من عهد الأمير عبد الله التي حكم فيها أبناء موسى ابن ذي النون حصون كورة شَنْتَ بَرِيَّة بعد وفاة والدهم فقد تكون وقعت قبل ذلك أو بعده، على أن الفتح بن موسى كان قد ضيق على طليطلة الواقعة إلى الغرب من حصنه، وكرر الغارات عليها، وتربص بأهلها الدوائر إلى درجة أنه فَقَدَ حياته في هذا السبيل سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م[٤٣]، فإذا عرفنا أن مشاكسته لأهل طليطلة كانت في أواخر عهد الأمير عبد الله وأوائل عهد عبد الرحمن الناصر فإن ذلك يجعلنا نميل إلى أن التصادم بينه وبين ابن الشالية كان أيضا في تلك الفترة أو ما يقرب منها، خاصة وأنها الفترة ذاتها التي توزعت فيها السلطة في شنت برية بجلاء بينه وبين بقية أفراد أسرته، وأصبح كل واحد منهم يطمع في توسيع رقعة سلطانه.

وإذا عرجنا على علاقة الفتح بالإمارة الأموية فإننا نجدها غير واضحة المعالم، ولكن لا بد أنه قد أظهر طاعة الأمير عبد الله، وحجتنا هنا أن أخاه يحيى قد عُدَّ من أمكر بني ذي النون، وأعظمهم مخالفة كما أسلفنا، ومع ذلك فقد تظاهر بالطاعة الشكلية، فمن باب أولى أن يتظاهر أخوه الفتح بن موسى بالطاعة لها أيضا.

أما أخوهما الثالث المطرف بن موسى صاحب حصن وَبْذَة فقد سلك نهجا آخر غير الذي سلكه أخواه، فهو لم يستغل ما تميز به من شجاعة وإقدام[٤٤] في ممارسة العدوان والإغارة على أملاك الآخرين بل التزم الهدوء، وخلد إلى السكينة، وطاعة الإمارة الأموية «فكان أجمل أهل بيته مذهبا،

---

(٤٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ١٨-١٩.
(٤٤) ابن خلدون، تاريخه، جـ٤، ص ١٧٢.

وأقومهم طريقة»[٤٥]، واستمر على نهجه السابق حتى عصر عبد الرحمن الناصر[٤٦].

وأخيرا لا بد من الإشارة إلى طبيعة العلاقة بين أبناء موسى بن ذي النون الثلاثة المذكورين★، فلقد كنا رجحنا سابقا أن والدهم كان قد قسم السلطة عليهم قبل وفاته خشية التنازع فيما بينهم، ويبدو أنهم ظلوا على صفاء وود طوال أيامهم لأن ابن حيان[٤٧] يصفهم بقوله «كانوا مشتركين في سلطانهم، وانتزوا بكورة شنت برية، فاقتعدوها دار منعة، . . . فحموا السلطان دخولها، وشادوا بها الحصون والمعاقل، وأحدثوا بها القرى والمنازل، فعمرت بهم، وكثر أهلها، . . . وحموا الأضداد دخولها».

٢ ـ حركة البربر في كورة مَارِدَة

كان البربر يمثلون جمهرة كبيرة للغاية في المناطق الغربية من الأندلس عموما[٤٨]، وكانت كورة ماردة على وجه الخصوص من أكثر تلك المناطق ازدحاما بهم إبان النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، ذلك أنه بالإضافة إلى المستقرين الأوائل منهم فيها – سواء كانوا من قبائل البرانس أو البتر[٤٩]–

(٤٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٩.

(٤٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٩.

★ ولقد ذكر العذري اثنين من عائلة بني ذي النون كان لهم نشاط ملحوظ في كورة شنت برية، وهما عامر بن أبي جوشن بن موسى، وابن عم له اسمه أبو الفتح، وحديث العذري عن أبي الفتح يدل على سعة نفوذه. انظر (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٤). ولكن ـ يا للأسف ـ إننا لا نعلم مَنْ يكون والد أبي الفتح هذا، فهل هو ابن لأحد المتمردين الثلاثة أبناء موسى بن ذي النون الذين تحدثنا عنهم، أو أنه ابن لآخر بخلت المصادر علينا باسمه؟

(٤٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٧.

(٤٨) عبد الواحد ذنون، **الفتح والاستقرار العربي**، ص ٢٨٠.

(٤٩) عبد الواحد ذنون، **الفتح والاستقرار العربي**، ص ٢٨٠، ٢٨٢.

فقد نـزح بربـر المناطق الشمالية بعد مضـايقة النصـارى المصاقبين لهم[٥٠]، وكان جل هؤلاء النازحين من البرانس، فتلقاهم الوزير هاشم بن عبد العزيز حينما كان غازيا في غربي الأنـدلس سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م، «وأنزلهم في أقاليم مَارِدَة على المولدين، فغلبوهم على قراهم ونزلوا بيوتهم»[٥١].

(أ) محمد بن تاجيت (تاكيت) في ماردة الحاضرة

هـو محمـد بن تـاجيت بـن منـاع بـن مسعـود بن الفـرج بن راشـد المَصْمُودي[٥٢]★، كان أمير البربـر البرانس، والمقدم فيهم عنـد نزوحهم من المناطق الشمالية[٥٣] ـ والذي أشرنا إليه آنفا ـ، وعندما استقر هؤلاء البربر في أقاليم ماردة انعـزل ـ فيما يبدو ـ ابن تـاجيت عنهم بقبيلته مَصْمُودة حتى إذا تضعضعت الأوضـاع الأمنية في المنطقـة إثر هبوب ريـاح الفتنة في الأنـدلس أعلن عصيانـه للأمير محمد★★، ثم زحف بقبيلتـه تلك إلى حاضرة مـاردة،

---

(٥٠) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١.

(٥١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٣٦٣.

(٥٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١.

★ ويسميه ابن خلدون «محمد بن تاكيت» بدلا من تاجيت (ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص١٧١، ١٧٢)، ومَصْمُـودة تنحـدر من البربـر البرانس (ابن حـزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٥؛ القشقشندي، قلائد الجمان، ص ١٦٩).

(٥٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٣٦٣.

★★ لا نعـرف في أي سنة تمرد محمـد بن تاجيت على الـدولـة الأمويـة، ولكننا نعـرف أنه بمجـرد أن اعتصم بمدينة ماردة باعتباره ثائرا على الدولة بدأت عـلاقاته ساطعة جدا مع المتمرد المولدي عبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي (ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص ١٧١) ومن المتفق عليه أن ابن مروان كان قد التجأ إلى الفونسو الثالث سنـة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م. انظر (التمهيد من هذا الكتاب) ولم يعد إلى كورة مَارِدَة ـ كما رجحنـا من قبل ـ إلا في سنة ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م. انظر (التمهيـد ـ أيضـا ـ) وإذا كـان ابن تـاجيت لم يبـادر بعصيـان الإمـارة بعـد نـزولـه مبـاشرة في كـورة مـاردة لأول مـرة عـام ٢٦٢هـ/ ٨٧٦م (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٣٦٣) كما أن علاقاتـه بابن الجليقـي =

وتمكن من احتلالها بعد أن أخرج منها العرب وبربر كُتَامَة★، الأمر الذي حدا بالدولة الأموية أن ترسل قوة عسكرية نحوه فحاصرته في مدينته أشهرا، ولما عجزت عن إخضاعه عادت تلك القوة إلى العاصمة قرطبة(٥٤).

ولقد قامت بعد ذلك حروب متتابعة بين زعيم البربر ابن تاجيت وبين عبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي صاحب بَطَلْيَوْس فلم يوفق فيها ابن تاجيت، إذ كانت الهزيمة دائما عليه، وقد ظل العداء سافرا بين الاثنين عدة سنوات، فلما توفي ابن مروان - في أوائل عهد الأمير عبد الله - ترسم ابنه مروان خطاه في محادة البربر هؤلاء، ولكنه لم يعش سوى شهرين، ففقدت أسرة الجليقي بعده الحكم في بَطَلْيَوْس، فلما أعاد عبد الله بن محمد الجليقي - حفيد عبدالرحمن- السلطة لأسرته في هذه المدينة سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م حارب أيضا محمد بن تاجيت ثم اصطلح معه، بيد أن الخلاف ما لبث أن نشب بينهما مرة أخرى، واستمر الوضع على هذه الشاكلة إلى أن انتهت دولة الأمير عبدالله(٥٥).

ومن ناحية أخرى فلقد شارك بربر مَارِدَة في أحداث الكور المجاورة، من ذلك أن زعماء العرب حينما أرادوا أن يُشِيعوا الفوضى في إِشْبِيلِية عقب قيام حركتهم المناوئة للدولة سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م اتصلوا بالبربر في ماردة، وأغروهم بالهجوم على كورة إشبيلية، فخف هؤلاء البربر إليها مسرعين،

= ابتدأت منذ أول يوم تمرد فيه على الدولة دون انقطاع حتى أوائل عهد الأمير عبد الله (ابن خلدون، تاريخه، ص١٧١) فإنه من غير المعقول أن يكون تمرد ابن تاجيت قبل سنة ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م؛ ذلك أن ابن مروان قبل هذه السنة كان يعيش عند الفونسو، أي أنه غيرُ موجودٍ أصلا في كورة ماردة لتقوم بينه وبين ابن تاجيت أية احتكاكات، فالراجح على ضوء ذلك ألا يخرج تاريخ عصيان ابن تاجيت عن السنوات الست الأخيرة من عصر الأمير محمد.

★ كُتَامَة من البرانس (ابن خلدون، تاريخه، جـ٧، ص ١١٧).

(٥٤) ابن خلدون، تاريخه، جـ٤، ص ١٧١.

(٥٥) ابن خلدون، تاريخه، جـ٤، ص. ص١٧١-١٧٢.

واجتاحوها حتى بلغوا منها قرية طَلْيَاطَة - حسب ما أوضحنا سابقا -، وبعد أن أوقعوا الهزيمة بعامل إشبيلية الأموي الذي حاول التصدي لهم بقوا «بموضع محلتهم من قرية طَلْيَاطَة ثلاثة أيام، يشنون الغارات على جميع جهات الكورة، ولا أحدَ يعترضهم، حتى ملؤوا أيديهم بالغنائم فرجعوا صادرين عن إشبيلية، مملوءة حقائبهم، قد أفقدوا خلقا من أهلها»(٥٦).

أما عن علاقة ابن تاجيت بالأمويين في عصر الأمير عبد الله، فإنه على الرغم من أن الإمارة - فيما يظهر - لم توجه نحوه أي بعث طوال عصر هذا الأمير فإنه أعلن الطاعة بعد سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م، وذلك عقب الصلح الذي تم بينه وبين عبد الله بن محمد الجليقي(٥٧).

ولقد حكم مَارِدَة بعد وفاة محمد بن تاجيت ابنه تاجيت(٥٨)، ثم حفيده مسعود الذي استنزله عبد الرحمن الناصر منها عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م(٥٩).

(ب) زَعَال بن يَعيش بن فُرَانِك

وبجانب ابن تاكيت وأسرته في حاضرة ماردة قام زعَال بن يعيش بن فرانك النفزاوي من البربر البُتْر ★ بالاعتصام في حصن أم جعفر★★، وكان قد ورث

---

(٥٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٩.

(٥٧) ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص ١٧٢.

(٥٨) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص. ص٦٤٣-٦٤٤ تعليق ٥٩٦.

(٥٩) ابن حيان، المقتبس، جـ ٥، ص ٢٣٩.

★ حيث إن اسم زعال كاملا: زعال بن يعيش بن فرانك بن لُبّ بن خالد النَفْزَاوي (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٣) ولقد جاءت سلسلة النسب عينها عند ابن حزم غير أن الاسم الأول ورد هكذا «زَغْلَل» (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٠)، والنفزاوي نسبة إلى قبيلة نَفْزَة من قبائل البربر البُتر (مجهول، مفاخر البربر، ص٧٦).

★★ حصن أم جَعْفَر: في المتوافر لدينا من مصادر ومراجع لم أوفق في الحصول على معلومات تساعد في تحديد هذا الحصن بالضبط من جهات كورة ماردة، وكل ما توصلنا إليه أنه أحد الحصون التابعة لهذه الكورة (البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٠؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص ٢٥٠).

الرئاسة في هـذا الحصن عن أسلافه★، فهو لم يحتله ابتـداءً عند شبوب الفتنة الكبرى في أوائل عهد الأمير عبد الله(٦٠).

ولقـد رُصِفَ زعال بن يعيش في عـداد المتمـردين على الدولـة الأمويـة في الـربع الأخير من القرن الثـالث الهجري حيث استقل استقـلالا جزئيـا(٦١)، فكان يتصرف بما تمليه عليه مصالحه دون أي ارتباط بحكـومة قرطبة التي كان يُظهر تمسكه بطاعتها(٦٢)، فلقد التحق بدعوة أحمد بن معـاوية المعروف بابن القط★★، فكان من أوائل التابعين له لا سيما وأن ابن القط كـان قد نزل عند قبيلة نَفْـزَة التي كان زعـال ينتسب إليها(٦٣)، على أن الحقـد بـدأ يأكل قلب زعال بعد أن نجح ابن القط في دعوته، فندم على انضوائه تحت رايته «وخاف أن يغلبه على رئاسته قومه، فأسرَّ ذلك إلى من وثق به من أصحابه، وواطأهم على الحيلـة في إتلاف هـذا الداعي، والفتك بـه»(٦٤)، فلما قـابل ابن القط النصارى سنـة ٢٨٨هـ/ ٩٩٠م، وكـاد أن ينتصر عليهم قـام زعال بمـؤامرة دنيئة ضـده، حيث انهزم بقبيلته نفزة، فأرجف في النـاس بأن العدو قد هَزَم ابن القط، فأحـدث بذلك اضطرابـا في الجيش الإسلامي الأمـر الذي جعل

★ إذ أن جده فرانك قد استدعاه قومه من قـرطبة بعد اضطراب الوضع في غربي الأندلس، فاتخذ من حصن أم جعفر قاعدة له، واستمر فيهم تسعة أعوام، فلما توفى خلفه ابن عمه عيسى بن قوطي، وحكم حصن أم جعفر اثنتي عشرة سنـة فتولى بعده زعال المذكـور في المتن (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٣).

(٦٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٢، ٢٣.

(٦١) عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٥٧.

(٦٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٣.

★★ سوف نتحدث عن أحمد بن معاوية (ابن القط) في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

(٦٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٤، ١٣٧.

(٦٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٥.

النصارى يكـرون على المسلمين، ويقتلونهم قتـلا ذريعا، فكـان ابن القط في عداد القتلى(٦٥)★.

ولقد بقي زعال يحكم في حصن أم جعفر حتى مات، فورثه في الزعامة ابن عم لـه اسمه عبـد الله بن عيسى بن قـوطي(٦٦)، ومـا زال يسيطـر على ذلك الحصن إلى سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م حيث أجبره عبـد الرحمن الناصر على النزول فيه(٦٧).

٣ ـ حركات البربر في جنوبي الوادي الكبير

وهناك عـدد من زعماء البربر كـان لهم دور سياسي زمـن الأمير عبد الله في المناطق الـواقعة إلى الجنـوب من نهر الوادي الكبير، حيث يـوجد العـديد من المراكز المأهولة بالسكان المنتسبين إلى البربر(٦٨).

فحينما اضطربت الأحوال في كورة إلبيرة عقب الصراع الضاري الذي جرى بين العـرب والمولـدين تمرد خليـل وسعيـد ابنـا مهلب★★ على الإمـارة

---

(٦٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

★ وسنفصل ذلك فيما بعد.

(٦٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٣.

(٦٧) ابن حيان، المقتبس، جـ ٥، ص ٢٣٩، ويسميـه ابن حيان هنا «ابـن عيسى من بني ورجول» ولا تعارض في ذلك لأن ورجول أو (وركـول) هو الجد الأعلى للأسرة، فورجـول هو ابن يطوفت بن نفزاو (أي: نَفْـزَة) (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٧؛ ابن خلـدون، تاريخه، جـ ٦، ص١٩).

(٦٨) عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي، ص.ص٢٧٢-٢٧٣، ٢٧٧-٢٧٨.

★★ وبنو مهلـب يعودون في نسبهم إلى قبيلة كُتَـامَة من البَرانس (ابـن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١).

الأموية(٦٩)، فدخل الأول حصن قَرْذَيَرة، ودخل الثاني حصن أشْبَرَغِيُّرة★، «فأظهرا - مع اعتزازهما - الاستمساك بالطاعة، فأسجل لهما الأمير عبد الله على ما في أيديهما»(٧٠)، ونتيجة لذلك أخلصا الولاء للأمويين، ونابذا زعيم المولدين في الجنوب عمر بن حفصون ورصيفه في الخلاف سعيد بن مَسْتَنَة. وحينما توفى خليل ضم سعيد - أخوه - حصنه إليه، وظل يسيطر على الحصنين معا حتى عصر عبد الرحمن الناصر(٧١).

وفي كورة شَذُونَة ثار من البربر عبد الكريم بن إلياس★★، ولقد كان من الموالين للدولة الأموية قبل عهد الأمير عبد الله، إذ كان أحد جنود الأمير المنذر عند حصاره لابن حفصون، ولما توفى هذا الأمير تحت أسوار بُبَشْتَر غادر ابن إلياس المعسكر الأموي، وانصرف بقومه إلى شذونة، ودخل قلعة وَرْد★★★، وكان موقف الأمير عبد الله أن تركه يحكم هذه القلعة بعد أن اعترف بالطاعة(٧٢).

---

(٦٩) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٧.

★ قَرْذَيَرة Cardela وأشْبَرَغِيرَّة Esparraguera حصنان يقعان على بعد حوالي خمسين كيلومترا إلى الشمال الشرقي من غرناطة (Provencal, op. cit., p. 219)

(٧٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣١.

(٧١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص٣١-٣٢.

★★ وعبد الكريم بن إلياس ينتسب إلى قبيلة مَغِيلَة من البربر البُتْر (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩).

★★★ قلعة ورد: لم أستطع الاهتداء إلى مكانها بالضبط من كورة شَذُونَة، ولكنها على كل حال في إقليم مغِيلَة من هذه الكورة (ياقوت، معجم البلدان، جـ ٥، ص ١٦٣؛ ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص٣١٣).

(٧٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٣.

وعندما مات عبد الكريم بن إلياس ورثه ابنه محمد في حكم قلعة وَرْد، وسار على نهج والده في علاقته مع الإمارة الأموية حتى استنزله عبد الرحمن الناصر(٧٣).

وفي ختام كلامنا عن حركات البربر هناك أمر جدير بالاهتمام، وهو أن حكومة الأمير عبد الله نجحت في القضاء على بعض المتمردين البربر بالقوة العسكرية فاستردت سلطتها المباشرة على أراضيهم؛ من ذلك أنها استطاعت في العام العاشر من ولاية الأمير عبد الله أن تُنهي حركة ثائرين في حصن كَرَكَي وجبال البَرَانِس★، إذ غزا القائد الأموي عباس بن عبد العزيز سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م هذين الموضعين «وقتل ابن يامين وابن موجول، وأخذ حصونهما»(٧٤).

وفي الحقيقة أن الخبر السابق ليس فيه تصريح بأن ابن يامين وابن موجول ينتسبان إلى البربر؛ بيد أن ثمة دلائلَ تومىء إلى انتساب هذين الرجلين إلى البربر، منها أن رجلا تمرد على الإمارة الأموية سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م يقال له «ابن يامين البربري . . . وامتنع بجبل البَرَانِس»، وحيث إن الأمير محمدا قد

---

(٧٣) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٢٤؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١١٣ .

★ جبال البَرَانِس: هي السلسلة الجبلية الواقعة في شمالي قرطبة إلى الجنوب من وادي آنة (عبد الواحد ذنون، **الفتح والاستقرار العربي**، ص ٢٧٩) وهي تمتد من الشرق إلى الغرب (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ٣٨؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص ١٠) ولقد عرفت هذه السلسلة أيضا باسم جبل المعدن، وتسمى اليوم بسيراممورينا Sierra Morena (حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية**، ص٣٨٥، حاشية ٣) أما حصن كَرَكَى Caracuei أو كركوي فيقع على الشرق من مَارِدَة بينها وبين قلعة رَبَاح (الإدريسي، **صفة العرب**، ص ١٨٦) وموقعه الآن على مسافة تبلغ نحو عشرين كيلومترا إلى الجنوب الغربي من المدينة الملكية Ciuded Real (ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص٦١٥، حاشية ٥٤٥) والظاهر ـ حسب التحديد السابق ـ أن موقع كَرَكَى في جبل البَرَانِس نفسه .

(٧٤) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٣٨ .

قبض على هذا المتمرد وصلبه[٧٥] فمن المرجح أن ابن يامين المتمرد على الأمير عبد الله - هو ابن لذلك المصلوب، أو أنه أحد أقربائه على أقل تقدير، خصوصا وأننا نجد توافقا في مكان تمردهما، علاوة على توافق الاسمين[٧٦]، اللذين ضنت المصادر علينا بذكر الاسم الأول لكليهما.

هذا شأن ابن يامين، أما ابن موجول فالمتوقع أنه ثار في حصن كَرَكَى؛ فإن هذا الحصن وجبل البَرَانس يعدان من المواطن المكتظة بالبربر في ذلك العصر إلى درجة أن لفظ البربر يلحق بهما فيقال: «برابر كَرَكَى وجبل البرانس»[٧٧]، فإذا كان سكان هذين الموضعين بربرا فمن المنطقي ألا يتمرد على الحكومة المركزية فيهما إلا زعيم من السكان المحليين ليحصل على العصبية اللازمة لإنجاح تمرده لا سيما في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري الذي هب فيه كل زعيم طموح يستنهض قومه للثورة على الدولة الأموية.

وعلى كل حال فإن القضاء على متمردي كركى وجبل البرانس كان من الضروري للأمويين بمكان كبير، فلقد كان ابن يامين وابن موجول يحتلان منطقة من أشد المناطق خطرا على العاصمة الأموية، ذلك أن جبال البرانس تعد من أحواز قرطبة[٧٨]، كما أنها تشكل الدرع الواقي لقلب الأندلس المتمثل بحوض الوادي الكبير، فمن «ملك نواصي هذه الجبال ملك الأندلس»[٧٩] فإذا كان هذان المتمردان يسيطران على هذه المنطقة الاستراتيجية - وهما يعتبران «من أعلام المخالفين»[٨٠] الذين لم يظهروا الطاعة

(٧٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٣٣١.

(٧٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٦١٥، تعليق ٥٤٥.

(٧٧) ابن حيان، المقتبس، جـ ٥، ص ٥٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٥٩.

(٧٨) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٥.

(٧٩) حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ص ٤٢.

(٨٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٧.

وضح لنا مدى قيمة هذا الإنجاز الذي أحرزته دولة الأمير عبد الله في وقت مبكر - نوعا ما - بالموازنة مع بداية تحسن أحوالها.

وبالإضافة إلى قضاء الإمارة على ابن يامين وابن موجول فقد تمكنت أيضا من المتمرد البربري عمر بن مضم الهترولي الذي كان قد قتل العامل الأموي في حاضرة جَيَّان، وأعلن استقلاله فيها، إذ بعث الأمير عبد الله إليه قائده أحمد بن محمد بن أبي عبده سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، فأجبره على تسليم الحاضرة، وقدم به إلى العاصمة قرطبة(٨١).

والحاصل أن البربر كانوا من الساعين في الفتنة على الدولة الأموية في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، فكان بعضهم قد تمرد عليها منذ عهد الأمير محمد، بينما البعض الآخر لم يتمرد إلا في أوائل عصر الأمير عبد الله حينما اشتعلت الأندلس كلها بنار الفرقة والشقاق. ومن الواضح أن حركات هؤلاء البربر كانت قليلة بالنظر إلى أعدادهم الهائلة في البلاد من ناحية، وبالمقارنة مع تمردات العرب ـ وهم أقل عددا ـ وتمردات المولدين من ناحية أخرى، ولقد كان كل من الزعماء البربر المتمردين يعمل على شاكلته دون أن نلمس بينهم أية اتصالات للعمل معاً ضد الدولة الأموية أو ضد المتمردين الآخرين، ويمكننا أن نصنف المتمردين البربر إلى ثلاثة أصناف: صنف تظاهر بالطاعة منذ أول يوم تسلط فيه على أحد الحصون واعتصم به، فتركته الإمارة يحكم ما احتله، وصنف بقي مكابرا فلما قوي شأن الإمارة تظاهر بطاعتها من غير أن يمنعه ذلك من تحقيق مآربه فتركته أيضا يدير شؤون أراضيه، وصنف ثالث لم يرَ الخضوع للأمير عبد الله بأي شكل من الأشكال، ولذا اجتهدت الإمارة في القضاء عليه، فنجحت في ذلك إلى حد كبير.

(٨١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٥، ١٣٩، وانظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

ثانياً: حركات الموالي

عُرِفَ الموالي في الأندلس منذ فجر التاريخ الإسلامي فيها، فكانوا موالي للرسول - ﷺ - أو لعثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، أو للخلفاء الأمويين أو لبعض موالي البيت الأموي، أو لبعض القبائل العربية(٨٢).

ولقد كان جل موالي الأندلس من الموالي الأمويين، فكانت نسبة الموالي من غيرهم ضئيلة جدا(٨٣) حتى إن البعض لم يذكر سواهم حينما تحدث عن الموالي في هذه البلاد(٨٤).

ولم يكن الموالي الأمويون كلهم اكتسبوا صفة الولاء لأنهم كانوا موالي عتق أو نعمة، أي كانوا رقيقا ثم أُنعم عليهم بالعتق لوجه الله تعالى أو لقاء مال معين(٨٥)، وإنما اكتسب العديد منهم هذه الصفة بشتى طرق الولاء المعروفة لدى العرب والمسلمين كالنصرة والاصطناع ونحو ذلك(٨٦)، ولذا فليس غريبا أن ترى بعض العرب الأقحاح ينسبون إلى الموالي الأمويين في الأندلس(٨٧).

---

(٨٢) حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص ٤١٢.

(٨٣) حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص ٤٠٤.

(٨٤) عبد العزيز عتيق، **الأدب العربي في الأندلس**، ص ١٣٤؛ حبيبة، **مع المسلمين في الأندلس**، ص ١٤٥.

(٨٥) حسين مؤنس، «قائد عربي أندلسي مجيد (أبو العباس أحمد بن أبي عبدة» **مجلة العربي**، العدد ١٧١ (فبراير ١٩٧٣)، ص ١١٤.

(٨٦) حبيبة، **مع المسلمين**، ص ١٤٥.

(٨٧) حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص ١١٤؛ صالح بن محمد السنيدي، **دولة بني جهور في قرطبة** ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية العلوم الاجتماعية بالرياض (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٦٣.

ولقد خلقت ظروف العرب المضطربة في الأندلس خلال عصر الولاة مركزا اجتماعيا ممتازا للموالي(٨٨)، الأمر الـذي جعل هؤلاء يحتفظـون برابطـة الولاء ويعتزون بها كثيرا، ويرونها نوعا من الأمـان في حاضر الحياة ومستقبلها، ومن هذا المنظور هرع العديد من الجماعات والأفراد للارتباط بمثل هذا الولاء(٨٩)، ولعل هذه المكانة السامقـة التي وصل إليها الموالي هي التي حدت بالعرب أن يميلوا إلى اعتبار أنفسهـم من جملة الموالي(٩٠).

وحسب التـوضيح المتقدم يمكننا أن نصنِّـف الموالي في الأندلس إلى ثـلاثة أصناف: الصنف الأول: هم المشارقة الذين كـانوا قد ارتبطوا بالبيت الأموي بروابط قديمة، فَقدِموا إلى الأندلس مع جُملة مَنْ قدم(٩١). والصنف الثاني: هم الأفارقة والبربـر الذين أقبلوا على الأندلس مـن شمالي إفريقيا(٩٢) بعد أن دخلـوا في ولاء بني أميــة أو قـوادهم أو بعض قبـائل العـرب(٩٣)، وهذان الصنفـان ينقسمان بـدورهما إلى قسمين؛ فـالمستقـرون الأوائل منهم يسمـون بـالبلديين، والـذين دخلوا مع الشـاميين عرفـوا بالموالي الشـاميين(٩٤)★ أما الصنف الثالث فهم الداخلون من أهل البلاد الأصليين (الإسبان) بعد الفتح

---

(٨٨) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤١٢؛ عبد الواحـد ذنون، التنظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة، ص ٣٣٧.

(٨٩) حبيبة، مع المسلمين، ص ١٤٥.

(٩٠) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٩٨؛ السنيدي: دولة بني جهور، ص ٦٢.

(٩١) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٠٦.

(٩٢) عبد الواحد ذنون، التنظيم الاجتماعي، ص ٣٣٥.

(٩٣) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٠٦.

(٩٤) عبد الواحد ذنون، التنظيم الاجتماعي، ص. ص٣٣٥-٣٣٦.

★ وقد جاءت تسمية الموالي بالبلديين والشاميين في المصادر. انظر على سبيل المثال (ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٢١).

الإسلامي في ولاء بن أمية أو قوادهم(٩٥)، أو في ولاء موالي بني أمية أيضا(٩٦)، فظل بعضهم محتفظا بهذا الولاء، بينما انحل البعض الآخر منه★، واندرج في عداد المولدين(٩٧).

ولقد كانت أعداد أولئك الموالي الذين يرجعون في أصولهم إلى الشمال الإفريقي تفوق بكثير - فيما يظهر - أعداد الموالي ذوي الأصول المشرقية(٩٨)، وعلى كل حال فإن موالي الأندلس جميعا كانوا قلة بالنسبة لعدد السكان، ولكن عددهم كان محترما بالنسبة لعدد العرب في هذه البلاد(٩٩)، وكانوا في زيادة مطردة بحيث صاروا بدخول عبد الرحمن بن معاوية قوة مؤثرة مثلت دورا مخلصا في تأسيس دولته، ونتيجة لذلك ارتفع مقام الموالي في هذه الدولة، فاعتمد عليهم أمراؤها في كثير من شؤونهم، وقلدوهم المناصب الكبرى، فكان منهم الوزراء والكتاب والقواد(١٠٠).

وعلى هذا فمن الطبيعي ألا نشهد أي حركات تمردية للموالي في الفترة السابقة على الأمير عبد الله، ولكن لما أطبقت الفتنة أرجاء الأندلس في أوائل عهد هذا الأمير، فكثر المتمردون، وافتقد الأمن في كثير من كور البلاد ولج الموالي الميدان.

---

(٩٥) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٠٦؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص ١٢٦؛ عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص ١٣٤.

(٩٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣٢.

★ ولقد كان بنو قسي أحد الذين انحلوا من ولاء الأمويين. انظر (الفصل الثاني من هذا الكتاب).

(٩٧) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٠٤.

(٩٨) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٩٧؛ الأوسي، فصول في الأدب الأندلسي، ص ٣٨.

(٩٩) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤١٢.

(١٠٠) عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص ١٢٦.

١ ـ حركة ابن السَّليم في كورة شَذُونة

هو منذر بن إبراهيم بن محمد بن السَّليم بن أبي عكرمة جعفر بن يزيد بن عبد الله(١٠١)، ولقد كانت أسرته بنو السَّلِيم من موالي الأندلس، إذ أن جدهم الأعلى عبد الله كان موالى للخليفة سليمان بن عبد الملك، فدخل حفيده أبو عكرمة إلى هذه البلاد، واستقر بها(١٠٢)، وحيث إنه لا يستنكر وجود بعض البطون العربية في الأندلس ضمن طبقة الموالي فإن هناك احتمالا في كون بني السَّليم من أصل عربي، فجدهم عبد الله ـ آنف الذكر ـ مختلف في أصله ما بين أنه رومي أو عربي من قبيلة لَخْم اليمنية(١٠٣)★.

وحينما اعتلى الأمير عبد الله عرش الإمارة الأموية كان منذر بن إبراهيم أحد المتمردين الكثر الذين نجموا في أنحاء الأندلس؛ إذ تمرد في مدينة بني السليم★★ من كورة شذونة، وجعلها قاعدة له(١٠٤)، ولكنه مع ذلك تجنب التصريح بنبذ الطاعة، وقنع بأن يترك حاكما لمدينته كغيره من الثائرين(١٠٥).

---

(١٠١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٣.

(١٠٢) عياض، **ترتيب المدارك**، جـ ٤، ص ٥٤١، ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المَذْهَب**، جـ ٢، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور (القاهرة: مكتبة دار التراث، د.ت)، ص ٢١٤.

(١٠٣) عياض، **ترتيب المدارك**، جـ ٤، ص ٥٤١، الأحمدي ابن فرحون، **الديباج المذهب**، جـ ٢

★ جزم بعض المؤرخين دون مسوغ واضح أن ابن السليم من العرب، فضمن حركته ضمن حركاتهم (عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين**، ص ٢٥٩؛ Provencal, op. cit., p. 219).

★★ مدينة بني السَّلِيم هي من المدن التي أحدثت إبان عهد المسلمين في الأندلس (مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص ٦٤) وقد سميت بهذا الاسم نسبة لابن السليم جد منذر بن إبراهيم المشار إليه في المتن (ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٣٥) ولقد أطلق على هذه المدينة اسم مدينة شَذُونَة أيضا (الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٦٢) فلعل هذا يعني أنها جعلت حاضرة لكورة شذونة، ومدينة شذونة حاليا مركز إداري في مديرية قادس على بعد أربعين كيلومترا في شرقها (ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص ٢٦٧، حاشية ٢).

(١٠٤) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٢٧؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص ١٥٥.

(١٠٥) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٢٤؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٣٥.

ولقد كان من المنتظر ألا يقوم أحد من بني السليم بالتمرد على الإمارة الأموية، أو على أقل تقدير ألا يكون مركز تمرده في مدينة بني السَّليم المقر الرئيس لهذه الأسرة في هذا القطر(١٠٦)، ذلك أن بني السليم هؤلاء عرفوا بولائهم للإمارة الأموية، وارتباطهم بها منذ نشأتهم حتى مدار بحثنا، فلقد كان جدهم أبو عكرمة من أظهر زعماء الموالي الذين ساعدوا عبد الرحمن الداخل في تأسيس دولته(١٠٧)، كما أن بعض أفراد هذه الأسرة تقلدوا مناصب رفيعة في عهد عبد الرحمن الأوسط(١٠٨)، بل من المثير أنه في الوقت الذي رفع فيه منذر بن إبراهيم لواء التمرد على الإمارة كان عمه سعيد بن محمد بن السَّليم يترقى في وظائفها إلى أن أصبح حاجبا للأمير عبد الله(١٠٩).

ويمكن تأويل هذه الظاهرة بأن قسما من بني السَّلِيم كانوا من الغاضبين على الدولة الأموية المتبرمين بسياستها نظرا ـ فيما يبدو ـ لما اجترمه الأمير محمد في حق بعض أبنائهم؛ ففي أول ولاية هذا الأمير قام أحداث من بني السليم مع أحداث مثلهم بالهجوم على دار الحُكْم في شَذُونَة، واستولوا على بعض الأموال، ومع أن أولي النهى في ذلك البلد أعادوا الأمور إلى نصابها، وردوا الأموال إلى مكانها إلا أن الأمير محمداً سجن أولئك الأحداث، فبقوا في سجنه نحو عشرين سنة، ولما تمكنوا من الخروج من السجن بعث في طلبهم، وقتلهم جميعا دون استثناء(١١٠)، فربما أن هذه القسوة التي اتبعها الأمير محمد

---

(١٠٦) عياض، ترتيب المدارك، جـ ٤، ص ٥٤١؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، جـ ٢، ص٢١٤.

(١٠٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٩.

(١٠٨) الخشني، قضاة قرطبة، ص ١٣٢؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ١، ٢، ٣، ٢٨.

(١٠٩) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٤، ٥؛ ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٥١.

(١١٠) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٩.

في معالجته لتلك القضية جعلت قلوب قسم من عائلة بني السَّلِيم تنفر من الأمويين، وغير بعيد أن يكون المتمرد منذر بن إبراهيم ومَنْ مَالأَه من أسرته في عداد هذا القسم.

أما احتفاظ الأمير عبد الله بسعيد بن محمد بن السليم واعتماده عليه باعتباره أحد رجال دولته مع أن ابن أخيه منذرا كان من المتمردين فإن هذا ـ على ما يظهر ـ لا يعد غريبا في حياة الدول؛ بل قد يكون ذلك من الأساليب التي استخدمها الأمير عبد الله في إطفاء ثورة بني السليم في كورة شذونة، ولعل عدم اتساع نطاق حركة منذر بن إبراهيم، وبقاءه في زمرة الثائرين الصغار الذين لا يشكلون خطرا كبيرا على الدولة، ثم مقتله على يد أحد مماليكه(١١١)، فضلا عن أن أهالي مدينة بني السليم قد أكدوا ولاءهم التام للإمارة في إحدى حملاتها إلى الجنوب ـ لعل ذلك كله يدل على اختلاف أسرة بني السليم فيما بينهم حول تلك الحركة، واستمرارية معظمهم في ولائهم للدولة الأموية بأثر من سعيد بن محمد بن السليم صاحب الأمير عبد الله.

وعلى أي حال فقد ورث الزعامة في مدينة بني السَّليم بعد منذر بن إبراهيم قريب له(١١٢)، يدعى وليد بن وليد، وبقي يحكم تلك المدينة حتى جاء عهد عبد الرحمن الناصر(١١٣).

٢ ـ حركة طالب بن مولود

يلحق طالب بن مولود بطائفة موالي الأندلس(١١٤)، ويحلو لبعض

(١١١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٤؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٣٥.

(١١٢) عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين**، ص ٢٥٩. Provencal, op. cit., p. 219

(١١٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٢٤؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٣٥.

(١١٤) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١١٤.

المؤرخين تلقيبه بالمَوْروري[١١٥] نسبة ـ فيما يبدو ـ إلى كورة مَوْرُور ★ التي ارتبط بها كثيرا عند ثورته على الدولة الأموية كما سنرى.

وتؤكد بعض المصادر أن طالب بن مولود كان من المضرية[١١٦]، وبما أن طالبا لا شبهة في كونه من الموالي فيفترض أنه اكتسب هذا النسب بإحدى طريقتين: إما أن أسرته كانت من جنس غير عربي، ثم دخلت في ولاء العرب المضرية عامة أو في ولاء الأمويين خاصة، وإما أن طالبا كان ـ فعلا ـ يعود في أصله إلى قبائل العرب المضرية، ولكنه أو أحد آبائه انتظم في سلك الولاء كصفة بعض عرب الأندلس، ولعل تبنيه دعوة العرب المضرية بعد ثورته على الإمارة وانضواء عدد من فرسان العرب ذوي الأصل المضري تحت لوائه[١١٧] ـ يجعلان الافتراض الثاني أقرب إلى التصديق.

ولقد كان طالب بن مولود يقطن في كورة شَذُونَة، وكان من صنائع الأمير عبد الله قبل ولايته، فلما صار هذا الأمير حاكما للبلاد قَرَّبَه إليه، واستجلبه من موطنه، وأسكنه عنده في قرطبة[١١٨]، ولعل الارتباط بينهما قد انعقد حينما كان الأمير عبد الله عاملا على كورة شَذُونَة[١١٩].

على أن طالبا سرعان ما خرج من قرطبة بطريقة أو بأخرى، فتوجه إلى كورة

---

(١١٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٩.

★ كورة مَوْرُور Moron : كورة أراضيها تتصل من الشمال بأراضي كورة إشْبِيلِيَة (مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٦٣) بينما تجاور من الجنوب كورة شَذُونَة (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٨).

(١١٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٨.

(١١٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٤.

(١١٨) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.

(١١٩) الخشني، قضاة قرطبة، ص ١٨٦؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١١٥.

شـذونة، وأعلن تمرده في حصن أقُـوط(١٢٠)★، ثم نشط سريعـا - على مـا يظهر - في مـد نفوذه إلى الأراضي المجـاورة فأحكم قبضتـه على كورة مَـوْرُور المتداخلـة في حدودها مع كـورة شذونة، فغدا بـذلك يعرف بـ «الثـائر بكورة مَوْرُور»(١٢١) أو «المنتزي بَمْورُور»(١٢٢).

ومن المرجح أن تحركاته تلك كانت في مطلع عهد الأمير عبد الله إذ أن أهل إشْبِيلِيـة من المولدين طلبـوا عونـه سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م بصفته متمـردا على الإمارة الأموية، ولقد قصده هؤلاء المولـدون بالذات لأن دعوته كانت مضرية تخالف دعـوة مـواطنيهم العـرب اليمنيـة الـذين نشروا الفـوضى في أرجـاء إشبيلية، ولم يكتموا كراهيتهم لأي مولـد فيها، فهم استنصروه بذمة الحلف، و«إن لم يكن على دعوة المولـدين» وعندئذ زودهم بفرسان من العـرب المضرية ومن حلفائه البربر البُتْر (١٢٣)، فكان لهذا أثره في إقدامهم على الثورة بعاملهم الأموي الذي رأوه قد مال إلى العرب اليمنية كما سبق أن عرفنا★★.

وبهذه التصرفات بـات طالب بن مولود أحـد العاصين الذين يؤرقـون بال الإمارة الأموية، ولذا فإن الأمير عبـد الله حينما آنس من حكومته قوة، وأرسل حملات عسكـرية كبيرة إلى جنـوبي الأنـدلس جعل من أهم أهـدافها محاولـة

---

(١٢٠) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.

★ حصن أقُوط Agut كان من أعمال كـورة شَذُونَـة ــ كما في أعـلاه ــ (ابن حيـان، المقتبس، جـ٥، ص٨٨؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٥) وهذا الحصن يقع حـاليا على مقـربة من مرقب لاس أتا لا ياس الذي يشرف على وادي نهر Velez، وجانب من الشاطىء (Joaquin Vallve, op. cit., p. 156).

(١٢١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٤.

(١٢٢) ابن حيان، المقتبس، ص ١٢٨.

(١٢٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص٧٣-٧٤.

★★ انظر ما سبق في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

إخضاع ابن مولود هذا؛ فالحملة التي نَهَدَ فيها الولد المطرف سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م - التي سبقت الإشارة إليها ـ دخلت أملاك طالب بن مولود بعد خروجها من كورة إشبيلية، فكان أول ما قابلها حصن مُنْتَ فيق★، فقام الجنود الأمويون بمحاصرته وإفساد ما حوله من زروع وأشجار، الأمر الذي أحمىٰ أهله، فاشتبكوا مع محاصريهم فكان القتال سجالا بين الفريقين، ومع أنه حدث في الجيش الأموي اضطراب بعد انحياز قلة من رجاله إلى صف طالب إلا أن ذلك لم يثن هذا الجيش عن مواصلة كفاحه في المنطقة، فعرج رأسا على حصن أَقُوط، ورام منازلة طالب بن مولود نفسه الذي كان يعسكر فيه، وعلى إثر ذلك برز طالب برجاله وتقاتل مع الجنود الأمويين، ولكن الهزيمة حاقت به، فانجحر في حصنه، ولما رأى أنه لا طاقة له على الاستمرار في الحرب «أذعن. . . ودعا إلى الطاعة، فأجيب إلى ذلك، وتُوثِّق منه، وأُخذت رهينته، وأُشهد على أمانته»(١٢٤). وربما أن تسجيل الأمير عبد الله لابن مولود على أراضيه ليكون حاكما لها باسم الإمارة الأموية(١٢٥) كان بعد هذه الحادثة.

ولقد جابه طالب انصداعاً خطيراً في صفوفه، إذ غدر به أحد أصحابه المسمى عبد الله بن حميد، فتحيل عليه، وتمكن من احتلال حصن أَقُوط(١٢٦)، ولما لم يستطع طالب - على ما يبدو - استرداد هذا الحصن الذي

★ حصن مُنْت فيق يقع على ضفة وادي نهر إيرة (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١١) الذي يصب على مقربة من جبل طارق (، عنان، دولة الإسلام، ع١، ق٢، ص٥٢١) وكان طالب بن مولود هو الذي بناه عند تمرده على الدولة الأموية (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١١).

(١٢٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص.ص١١١-١١٢.

(١٢٥) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.

(١٢٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٥.

يعد بمثابة قاعدته الرئيسة فقد استعاض عنه بحصن آخر هو حصن جبل الحِجارة★ فتحول إليه، وجعله مركزا لنشاطاته(١٢٧).

ولم يتقيد ابن مولود بالاتفاق المبرم بينه وبين الدولة الأموية حيث عاد إلى العصيان كرة أخرى، ولذا فإن القوات الأموية التي خرجت بالصائفة عام ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م إلى الجنوب الأندلسي وَضعَتْ مناجزتَه في مقدمة مهمتها(١٢٨)، فقصدته في منطقة تمرده، ونجحت هذه المرة في قتله(١٢٩)★★.

وبالرغم من أهمية هذا الإنجاز الذي أحرزته الإمارة بقتلها لطالب بن مولود فإن مشكلته لم تنته، فأخوه مُسْلِم حمل لواء حركته من بعده؛ وورثه في حكم حصن جبل الحجارة(١٣٠).

على أن مسلما لن يكن في مستوى أخيه طالب، إذ سرعان ما وقع في شَرَكٍ نصبه له عمر بن حفصون حيث قَدِمَ إليه واستلطفه بالوعود البراقة، فلما نزل

★ حصن جبل الحجارة Monte de Piedras يقع في نطاق كورة شَذُونَة (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٥) وكان قد بناه طالب بن مولود في بداية ثورته على الأمير عبد الله (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٤) ولقد تعذر تحديد مكانه من هذه الكورة حسب المصادر الموجودة لدينا، ولكن تسميته بحصن جبل الحجارة تُلْهِم كثيرا أنه بني في جبل الحجارة، وهذا الجبل يقف حاجزا بين أُرْشُذُونَة ـ عاصمة كورة رَيُّة المجاورة لكورة شذونة ـ وبين ميناء فريسندا (Joaquin Vallve, op. cit., p. 156).

(١٢٧) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.

(١٢٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٨.

(١٢٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٨؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.

★★ وقد أشار ابن عذاري إلى مقتل طالب بن مولود سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م (ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٣٩).

(١٣٠) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٥.

مسلم من حصنه غدر به، وحمله إلى قلعته بُبَشْتْر، لكنَّ مسلما تمكن من الإفلات من ابن حفصون، واستجار بسعيد بن مَسْتَنة ــ كما سبق أن قلناه ـ ثم عاد ليحكم حصن جبل الحجارة من جديد بعد مكاتبة أهله له، وتمسك بقية حياته بطاعة الدولة الأموية(١٣١) التي غدا سلطانها على أراضي جنوبي الأندلس آكد من ذي قبل.

ولما توفي مسلم خلفه ابن أخيه علي بن طالب بن مولود الذي سار على درب عمه في علاقته مع حكومة قرطبة حتى عصر عبد الرحمن الناصر(١٣٢).

٣ ـ حركة بني الخَلِيع في كورة تاكُرُنَّا★

يعود بنو الخَلِيع في نسبهم إلى قبيلة مَدْيُونة من البربر البُتْر(١٣٣)، وحيث إنهم كانوا موالي للخليفة يزيد بن عبد الملك(١٣٤) فقد أصبحوا في عداد موالي بني أمية في الأندلس(١٣٥)، وقد كانوا من أوائل من أَيَّدَ عبد الرحمن بن

(١٣١) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١١٥.

(١٣٢) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١١٥.

★ تاكرنا Takurunna كورة جبلية جنوبي الوادي الكبير قاعدتها رُنْدَة (حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية**، ص ٣٧٥)، وقد أدخلها الحميري ضمن كورة إِسْتِجَّة (الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٦٢) وهي الآن تشمل الإقليم الجبلي المحيط بمدينة رُنْدَة (ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص٤٦٠، تعليق رقم ١١٠).

(١٣٣) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٥٠٠.

(١٣٤) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٤٨.

(١٣٥) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٥٣.

معاوية حينما دخل الأندلس، إذ قَدِمُوا إليه★ في أربعمئة فارس(١٣٦)، واستمروا يمحضونه الصدق والولاء في حروبه مع معارضيه(١٣٧).

ولا نسمع بأخبار عن بني الخَلِيع على مدى تاريخ الأمراء الأمويين بعد عبد الرحمن الداخل، حتى إذا ما اضطرمت نار الفتنة في الأندلس في عهد الأمير عبد الله تمرد زعيم منهم يدعى عَوْسَجة بن الخَلِيع، وتحالف مع زعيم المولدين في الجنوب عمر بن حفصون، ولكن لما شاع بين الناس أن حليفه هذا تَنَصَّرَ تخلى عنه، وانقلب ضده، ودخل حصن قِنيط★★ من كورة تاكرنا، وأصبح في دائرة الطائعين للأمويين(١٣٨).

بيد أن الأمير عبد الله بالرغم من ذلك بعث سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م إلى كورة تاكُرنَّا قائده أحمد بن محمد بن أبي عبده، فتمكن من اقتحام «حصن قنيط . . . فملكه، وأدخل فيه الحشم، وولاه عاملا من قبل السلطان، واستنزل مَنْ كان فيه من بني الخَلِيع»(١٣٩).

وليس لدينا ما يُنير السبيل عن الدواعي التي حركت الإمارة الأموية

★ والظاهر أن زعيم بني الخليع في ذلك الحين هو عبد الأعلى بن عَوْسَجة (مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١١٣).

(١٣٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٨.

(١٣٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٣.

★★ حصن قنيط Canete وهو كما واضح في المتن أعلاه يقع في كورة تاكُرنَّا (Provencal, op. cit., p. 238) ولكننا لا نعلم في أي جهة من جهات هذه الكورة، إذ لم أعثر على معلومات تساعد على ذلك، ولقد ذكر العذري موضعا بالاسم نفسه، إلا أنه في الطريق ما بين قرطبة وجيان (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣، ٨٩)، ومن الواضح أن هذا الموضع لا يمت بصلة إلى قنيط تاكرنا، فالمسافة بعيدة بين الموضعين المذكورين.

(١٣٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٨؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٩.

(١٣٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤٢.

للاستيلاء على حصن عَوْسَجة بن الخليع مع أنه دخل في طاعتها أخيرا، وأبدى عواطفه الطيبة نحوها بمعاداة ابن حفصون، ولكن يمكن تبرير ذلك بأن عوسجة عاد إلى العصيان، فخرج الجيش الأموي لتأديبه فتمكن منه، وإما أن عوسجة قد توفى فاختلفت أسرته في الرئاسة من بعده، فرأت الدولة الأموية أن الفرصة سانحة للاستيلاء على أملاكهم، وقد يسند هذا الاحتمال قول ابن حيان في النص المتقدم عن حصن قِنيط حينما دخله القائد الأموي «واستنزل مَنْ كان فيه مِنْ بني الخليع».

ومهما يكن من شيء فإن ترسيخ الإمارة الأموية لسيادتها في كورة تاكرنا مهم جدا إبان السنوات الأخيرة من عهد الأمير عبد الله، إذ أن هذه الكورة كانت تجاور من الغرب كورة رَيُّة المركز الرئيس لنشاط ابن حفصون(١٤٠) الذي كانت الإمارة حينذاك بصدد تنفيذ خطة للتضييق عليه، وعزله عن المتمردين الآخرين.

وبجانب هذه الحركات السابقة فقد اتحد الموالي في كورة إِلْبِيرة فيما بينهم عند اشتداد الفتنة بين العرب والمولدين هناك، واجتمعوا في حصن بَكُور★، وكان لا بد أن يولوا عليهم رئيسا يدبر شؤونهم، فانتخبوا رجلا منهم اسمه

---

(١٤٠) Joaquin Vallve, op. cit., p. 143.

★ حصن بَكُور يقع داخل حدود كورة إِلْبِيرة (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣٢) ويؤكد ابن الخطيب أن بَكُور ما هو إلا إقليم برجيلة أبي جرير (ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٢٩)، ومع هذا لم يتيسر تبين مكان هذا الحصن أو ذلك الإقليم إلا أنه يستخلص من مسيرة أول غزوة لعبد الرحمن الناصر أن مكان بَكُور في شمالي كورة إلبيرة، خاصة وأنه ذكر في بعض الروايات ضمن أراضي كورة جيان المصاقبة لكورة إلبيرة من الشمال، انظر (ابن حيان، المقتبس، جـ ٥، ص٦٠، ٦١، ٦٣؛ مجهول، أخبار عبد الرحمن الناصر، ص ٣٦).

عبد الوهاب بن جرج★، «فامتنع هو ومن معه من انبساط أهل الباطل عليهم مع تمسكهم بطاعة أمير الجماعة»(١٤١)، وبفعلهم هذا ضربوا المثل في إخلاص الموالي الدائم للأمويين.

ولما فسدت سيرة رئيسهم ابن جرج معهم بعد فترة من الزمن، ووجدوا منه تعنتاً في معاملته لهم طردوه من الحصن(١٤٢)، وربما أن أفلح بن عروس الذي استنزله عبد الرحمن الناصر من حصن بكور في غرة عهده(١٤٣) هو الذي كان قد خلف ابن جرج في رئاسة موالي إِلْبِيرَة.

وهكذا انغمر عدد من الموالي في لجج الفتنة الكبرى التي تعرضت لها الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري بالرغم من أن الطائفة التي ينتسبون إليها - أي: طائفة الموالي - كانت أقرب طوائف المجتمع الأندلسي المختلفة لأن تَبْقَىٰ على الولاء والإخلاص للأمويين، نظرا لما كانت تَرْفُلُ فيه من نعمة ومقام كريم في ظلهم.

★ ذكر ابن حيان أن جرج هو مولى أبي عثمان عبيد الله بن عثمان (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٣٢) فإذا كان جرج هذا هو جد عبد الوهاب، وكان - أيضا - أبو عثمان هو زعيم الموالي الأموية في الأندلس عند دخول عبد الرحمن بن معاوية (ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٤٤ وما بعدها؛ مجهول، **أخبار مجموعة**، ص ٦٥ وما بعدها) إذا كان ذلك كذلك فإن عبد الوهاب يكون من نسل مولى لموالي الأمويين، ولعل اسم جرج يوحي بأنه من أصل إسباني.

(١٤١) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٣٢.

(١٤٢) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٣٢؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٣٧.

(١٤٣) ابن حيان، **المقتبس**، جـ٥، ص ٦٣، ٦٦؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٦١.

الفَصل الخامس

العلاقات السياسية بين الأندلس والقوى الخارجية

العلاقات السياسية
بين الأندلس والقوى الخارجية

لم تكن حكومة قرطبة في عصر الأمير عبد الله هي فقط التي كانت تمثل الأندلس سياسيا في علاقاتها مع العالم الخارجي، فالقوى المحلية التي نشأت في البلاد إبان ذلك العصر سواء أكانت عاصية في بداية أمرها لتلك الحكومة ثم دخلت بعد ذلك في طاعة اسمية معها، أم استمرت في عصيانها لها ـ هذه القوى تعاملت أيضا مع العالم الخارجي فكانت لها علاقاتها السياسية الخاصة. ويمكن تقسيم العلاقات السياسية للأندلس مع القوى الخارجية إلى قسمين: الأول مع العالم النصراني، والثاني: مع العالم الإسلامي.

أولا ـ علاقات الأندلس السياسية بالعالم النصراني

لم تقتصر علاقات الأندلس السياسية بالنصارى في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري على القوى النصرانية الموجودة في الجزيرة الأيبيرية، وإنما تعدتها إلى قوى نصرانية أخرى خارج هذه الجزيرة، وقد كان حكام الثغور والمرابطون والمتطوعون من أهل الأندلس هم في الغالب الذين تعاملوا مع تلك القوى.

ومما يحسن ذكره هنا أنه بالرغم من أننا لا نرى الإمارة الأموية تجرد جيوشها الرسمية في عهد الأمير عبد الله لمجاهدة أية قوة نصرانية إلا أن المجاهدين كانوا ينثالون على الثغور الأندلسية من كل أرجاء الأندلس، وحتى من العاصمة قرطبة[1]، بل إن بعض حكام المناطق المتسَّمين بالطاعة للإمارة

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٦ .

كانوا يهتمون بتعزيز أمور تلك الثغور مع أن مناطقهم لم تكن تواجه مباشرة القوى النصرانية، يقول العذرى[٢] عن ديسم بن إسحاق حاكم تدمير إنه كان «يوجه بالأموال إلى حصون الثغر لتشييدها، ويحبس الخيل والسلاح على أهلها».

١ ـ العلاقات مع نصارى أشتوريس

تطرقنا سلفا إلى علاقة مسلمي الأندلس بمملكة أشتوريس، وعرفنا أنه في الوقت الذي أخذت الفتنة تُمزِّق أوصال الإمارة الأموية في النصف الثاني من عهد الأمير محمد كان قد أصبح الفونسو الثالث ملكا لتلك المملكة النصرانية فاستفاد هذا الملك أيما فائدة من تردي الأحوال الداخلية للدولة الإسلامية في دعم سلطانه، ودفع حدود مملكته جنوبا، فعاون المتمردين المجاورين له في غربي الأندلس، وقام بغارات في العمق الإسلامي، فوصل إلى مناطق لم يكن أحد أسلافه يجسر على الوصول إليها★، ولم يقف الأمير محمد مكتوف اليدين نحو تلك الهجمات العدائية، بل رد عليها رغم المشكلات التي بدأت في طريقها إلى التكاثر عليه يوما بعد يوم، فجرد عددا من الحملات الخاطفة ضد مملكة أشتوريس، ثم انعقدت هدنة بين الجانبين سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م حسبما تقدم بيانه★★، ولقد انحصرت علاقات المسلمين بنصارى أشتوريس عقب هذه الهدنة إلى نهاية حكم الفونسو الثالث عام ٩٠٩م/ ٢٩٧هـ[٣]

---

(٢) نصوص عن الأندلس، ص ١٢.

★ استحق الفونسو الثالث عند قومه لقب العظيم El Magno نظرا لصموده في الحروب مع المسلمين، (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٦٢٤، تعليق ٥٧١). وقد أشار ابن الخطيب إلى هذه التسمية دون سببها فقال إنه «تسمى ماغنُه أي: الملك الكبير» (ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٣٢٤).

★★ انظر: التمهيد من هذا الكتاب.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٦٢٦؛ Antonio Oliveira, op. cit., p. 346

- أي بقية عهد الأمير محمد وعهد الأمير المنذر ومعظم عصر الأمير عبد الله - انحصرت تلك العلاقات في اشتباكات في التخوم المنبسطة بين الجانبين، فضلا عن الاتصالات الدبلوماسية الخافتة بين البلاط النصراني وبين بعض المتمردين على الدولة الأموية.

لقد كانت منطقة غربي الثغر الأعلى المتاخمة لأراضي مملكة أشتوريس من الشرق تحت حكم أسرة بني قسي، وكان زعيمهم محمد بن لب في أواخر عهد الأمير محمد تحالف مع الفونسو الثالث بعد خلاف مع حكومة قرطبة(٤)، ولكن حالما تصالح معها سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م نَبَذَ - على ما يظهر - الحلف الذي كان يربطه بهذا الملك، فصار يصارح نصارى أشتوريس بالعداء(٥)، كما اجتهد في تعزيز حدوده معهم ومع مجاوريهم نصارى بَنْبُلُونَة، فقام ببناء وتجديد بعض الحصون المشرفة على أراضي هؤلاء جميعا(٦)، وربما أن هدفه من بناء حصن نَاجِرَة(٧)★ هو أن يكون نقطة ارتكاز للدفاع أو الهجوم في حالة الحرب مع مملكة أشتوريس★★.

---

(٤) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٠٣؛ الحجي، أندلسيات: **المجموعة الثانية**، ص١١٦.

(٥) السامرائي، **الثغر الأعلى**، ص ٣٥١.

(٦) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٦.

(٧) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ١٥٦.

★ حصن نَاجِرَة Najera كان يعد من أعمال تطِيلَة (ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص ١٨؛ ياقوت، **معجم البلدان**، جـ ٥، ص ٢٥٠) وهو يقع إلى الغرب منها ينحرف قليلا إلى الشمال، (السامرائي، **الثغر الأعلى**، خريطة رقم ٥) والمسافة بينهما خمسون ميلا (حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية**، ص ٧٠) وهذا الحصن يبعد عن لوكرونتو الحالية بمقدار خمسة وعشرين كيلو مترا (أرسلان، **الحلل**، جـ٢، ص ١٧٦).

★★ رجحنا ذلك لأن هذا الحصن كان في تلك الفترة وما بعدها بقليل يتعرض لهجمات من قبل ملوك أشتوريس، فهو كان قريبا منهم (عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق٢، ص ٣٩٨)، ولا تعارض مع كون هذا الحصن سيئول إلى مملكة ناڤار بعد حين من الزمان (ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٣٢٦، ٣٢٩) لأن الأحوال في هذه المنطقة تغيرت فيها بعد.

كما أن محمد بن لب بالرغم من كونه غير مخلص الطاعة بالتمام للإمارة الأموية فأن ذلك لم يقصر به عن مجاهدة أعدائه النصارى، فكان يستنفر كل المسلمين في الأندلس من أجل هذا الغرض، فيتوافد عليه الكثير من المتطوعين من كل ناحية، «فتجمل آثاره في جهاد الطاغية»(٨).

ففي السنة التي تولى فيها الأمير المنذر سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م توجه محمد بن لب بجموع المسلمين إلى أراضي أشتوريس، وغزا أَلَبَة والقِلاع «ففتح الله للمسلمين، وقتلوا المشركين قتلا ذريعا»(٩).

ولقد ذكر الرازي(١٠) أنه في أوائل عهد الأمير عبد الله، وبالتحديد في سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م «هزم محمد بن لب القسوي. . . العدو في وقعة كانت عليهم في الثغر الأعلى، أنتج [كذا] له فيها النصر المبين، فاتصلت هزيمته لهم يومين متواليين، وقتل منهم مقتلة عظيمة».

وتوحي لنا رواية الرازي هذه أن عدوا قد هاجم الثغر الأعلى فرد عليه محمد ابن لب وهزمه، ومع أن هذه الرواية لا تكشف لنا صراحة عن هوية هذا العدو، كما أنه ليس لدينا من الأخبار ما يجلي ذلك إلا أن الذين يوصفون بلفظ العدو هم عادة النصارى؛ ولذا فمن المتوقع أن تكون إحدى القوى النصرانية المجاورة لأراضي محمد بن لب قد هاجمته، ولكنه وفق في هزيمتها وحيث إن مملكة أشتوريس كانت في ذلك الحين أشد تلك القوى، وأقدرها على مهاجمة أملاك المسلمين(١١) فلا يستبعد أن يكون ملكها الفونسو الثالث هو الذي اشتبك مع محمد بن لب؛ لا سيما وأن هذا الملك النصراني قد بدت

(٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٦.

(٩) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١١٥.

(١٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص.ص ١٠٥-١٠٦.

(١١) Fernandez, op. cit, p. 59.

اهتماماته واضحة في تلك السنوات بحدوده الشرقية المتاخمة لأملاك القسويين فشيد فيها الحصون، فكان من أبرزها حصن بُرْغُش[(١٢)]★ الذي عمّر سنة ٨٨٤م/ ٢٧١هـ[(١٣)].

ولقد كان الفونسو الثالث يترقب عن كثب أوضاع الثغر الأعلى، فبمجرد أن نمي إلى علمه أن محمد بن لب قد اغتيل تحت أسوار سرقسطة عام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م - بينما كان ابنه لب في مهمة داخل الأندلس★★ - حشد قوات عظيمة من بلاده، ودعا جيرانه نصارى بنبلونة إلى الاحتشاد معه، فزحف بهذا الجمع الكثيف إلى كورة تطيلة، وبدأ يخطط لاقتحام مدينة طَرَسُونَة منها، على أن لب بن محمد - الذي فاء إلى سَرَقُسْطَة وواصل حصارها بعد والده المقتول - قد بلغته أنباء تحرك الحشود النصرانية نحو أملاكه، فهب مسرعا إليها ودخل طرسونة ليلا دون أن يعلم به الفونسو، وعندما حاول هذا مداهمتها في الغداة أخرج إليه لب بن محمد الفرسان ليناشبوه الحرب، وانتظر هو داخل المدينة حتى إذا ما اشتدت الحرب بين الفريقين برز بجمهوز رجاله، فقاتل المهاجمين النصارى أعنف قتال إلى أن ولوا الأدبار، فقتل منهم ما يقرب من ستة آلاف رجل★★، كما استباح سرادق

(١٢) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢١٧.

★ وبُرْغُش Burgos يقع على نهر «أولانتون» أحد فروع نهر دويرة (عنان، **الآثار الأندلسية الباقية**، ص ٣١٠) كان بينه وبين الحصن الإسلامي ناجرة الواقع إلى الشرق منه ثلاثون ميلا تقريبا (الإدريسي، **أنس المهج وروض الفرج**، مخطوط حكيم أوغلي رقم (٦٨٨) مكتبة السليمانية في إستانبول، نشره بالتصوير الفوتوغرافي معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت، ورقة ٢٢٢) وقد تحول هذا الحصن إلى مدينة أصبحت في القرن الرابع الهجري عاصمة المملكة قشتالة (الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص ٢٧٥).

(١٣) عادل سعيد بشتاوي، **الأندلسيون المواركة**، ط٢ (دمشق، ١٩٨٥م)، ص ٢٩.

★★ انظر: الفصل الثاني من هذا الكتاب.

الفونسو الثالث ذاته، واستطاع أن يستنقذ كل ما وقع في أيدي هؤلاء المعتدين من سبي وأموال(١٤).

ولا ريب أن هذه الوقعة كانت فتحا مبينا للمسلمين في الأندلس كلها، إذ أن ذلك النصر الكبير قد تحقق على النصارى الذين كان يقودهم ألمع ملوكهم في المنطقة حينذاك الفونسو الثالث في زمن كانت دولة هؤلاء المسلمين أقرب إلى التفكك منها إلى التوحد والائتلاف، فكان لهذا أثره ــ على ما يبدو ـ في صرف نظر الملك النصراني عن محاولة التهام الأجزاء الغربية من الثغر الأعلى بحيث إننا لم نشهد له في السنوات اللاحقة تحركات عسكرية سافرة ضد هذا الثغر، وذلك بعكس لب بن محمد الذي نهض سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م بجيشه، وغزا منطقة أَلَبَة، وقصد حصن بايش★ فافتتحه وما يليه من حصون(١٥).

ومن المثير جدا أن الفونسو الثالث فوق أنه لم يوجه حملات حربية في تلك السنوات لمقاتلة لب بن محمد فإنه أيضا انتابه الذعر حينما علم بدخول لب منطقة ألبة غازيا فتجنب الالتحام معه في حرب مكشوفة. يقول ابن عذاري(١٦) عن الفونسو أثناء غزوة لب بن محمد آنفة الذكر «وكان يومئذ على حصن غَرْنُون★★ محاصرا لأهله، فلما بلغه دخول لب بن محمد حصن بايش ولى هاربا».

---

(١٤) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٧. وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الواقعة بإيجاز شديد، وذكر أن القتلى من النصارى ثلاثة آلاف فقط (ابن خلدون، **تاريخه**، جـ ٤، ص ١٧٢).

★ بايش أو بانش Banas حصن من حصون أَلَبَة ــ كما في المتن ــ ويقع بالتحديد في إقليم لاريوخا Lariaja (Provencal, op. cit., p. 247) الموجود بالقرب من وادي ميرندة (أرسلان، **الحلل**، جـ ٢، ص ١٧٧)، وميرندة تابعة لبُرْغُش (أرسلان، **الحلل**، جـ ١، ص ٣١٠).

(١٥) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٤١.

(١٦) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٤١.

★★ غَرْنُون Granon حصن من حصون ألبة أيضا، وهو لا يبعد كثيرا عن إقليم لاريوخا الذي فيه حصن بانش (Provencal, op. cit., p. 247)

ومهما كان الأمر فإن هروب الفونسو الثالث من وجه لب بن محمد، ونكوله عن مقابلته بالقتال لا يتناسب مع ما قيل عن هذا الملك بأنه كان «من أعظم ملوك النصرانية وأكثرهم حزما ودهاء وشجاعة»(١٧)، فضلا عن كون دولته في ذلك الحين قد أمست قوة لا يستهان بها(١٨)؛ ولذا فإنه من غير المقبول تماما أن يصدق هذا الموقف على الفونسو إلا في حالة كونه يواجه عصيانا من قبل رعاياه في الأطراف الشرقية من مملكته؛ فحصاره لحصن غَرْنُون يحملنا كثيرا على القول بهذا، إذ أن ذلك الحصن كان يقع ضمن منطقة ألبة التي كانت تخضع لسلطانه في الغالب، فربما أنه كان يتحاشى الاشتباك مع لب بن محمد في هذه المنطقة بالذات لأنه لم يكن يأمن بوائق أهلها.

هذا عن العلاقات بين المسلمين في الثغر الأعلى وبين دولة أَشْتوريس زمن الفونسو الثالث. أما إذا انتقلنا إلى الجبهة الأخرى وهي خط التماس الجنوبي لهذه الدولة النصرانية مع أراضي الأندلس الإسلامية★ فلقد كان الملك النصراني الفونسو الثالث قد شرع في توطيد الحدود الجنوبية لدولته منذ أواخر عهد الأمير محمد مستغلا ارتجاج الأحوال الداخلية في الإمارة الأموية، فبجانب غاراته على المناطق الغربية من الأندلس وإعانته للمتمردين فيها على حكومة قرطبة فقد طفق - كما سبق بيانه - يعمر المدن الواقعة على نهر دويرة في قطاعه الغربي؛ فضلا عن تلك المدن الكائنة إلى الشمال منه★★.

---

(١٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٦٢٤، تعليق ٥٧١.

(١٨) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٦١. Fernandez, op. cit., p. 59.

★ لم أحدد هذه الحدود بالثغر الأدنى أو الأوسط لأن تحديدها يختلف من عصر إلى عصر، ولأن الخطر في ذلك العصر كان متوقعا من جانب دولة أشتوريس لا من المسلمين، فآثرت أن أجعل تحديد هذه الجبهة بحدود دولة أشتوريس ليكون أقرب إلى الدقة فضلا عن أن الثغور الإسلامية ليست بيد قوة واحدة من المسلمين في ذلك الحين.

★★ انظر التمهيد من هذا الكتاب.

ولقد سار هذا الملك النصراني قدما في إنفاذ مخططاته تلك زمن الأمير المنذر(١٩)، ثم في عهد الأمير عبد الله من بعده، وقد سعى في عهد هذا الأخير إلى احتواء أكبر مساحة ممكنة من حوض نهر دويرة، فلم يَكْتَفِ بما أثله من مدن في أجزائه الغربية بل تمادى في إعمار الأراضي التالية لها شرقا ليقرب بذلك من منابع النهر، فيوسع حدود دولته الجنوبية الشرقية★، فكان من أشهر المدن التي ابتنيت في هذه المنطقة مدينة سَمُورة★★، حيث دخلها الفونسو الثالث عام ٨٩٣م/ ٢٨٠هـ فأحكم بناءها★★★، وشيد حصونها(٢٠)، كما أَعْمَر في سنة ٨٩٩م/ ٢٨٦هـ مدينة شَنْتَ

(١٩) Fernandez, op. cit., p. 53.

★ تقدر مساحة الأراضي التي عمرها النصارى آنذاك بحوالي سبعين ألف كيلو متر مربع (إبراهيم القادري بوتشيش، **الانحسار العربي في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، هل كان وراءه تفوق مسيحي؟**. **مجلة المؤرخ العربي**، السنة ١٣، العدد ٣٤، ص ١٨١).

★★ سَمُورَة Zamora مدينة على الضفة الشمالية لنهر دويرة (البكري، **جغرافية الأندلس**، ص ٧٦، حاشية ٦) وهي تربض في جزيرة بين فرعين من هذا النهر إلى الجنوب من مدينة ليون (ابن سعيد، **الجغرافيا**، ص ١٩٢؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، جـ ٥، ص ٤١٥). والمسافة بينها وبين مدينة ليون المذكورة تقدر بخمسة وثمانين ميلا (الإدريسي، **أنس المهج وروض الفرج**، مخطوط، ورقة ٢٢١) وتعد حاليا إحدى المدن الإسبانية القريبة من الحدود الشمالية الشرقية للبرتغال (البكري، **جغرافية الأندلس**، ص ٧٦، حاشية ٦؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص٣٦٩، حاشية ١).

★★★ وقد أشار الحميري إلى أن سمورة اتخذت دارا عام ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م (الحميري، **الروض المعطار**، ص٣٢٥) وقد ذكرت بعض المصادر النصرانية أن استيطان الفونسو لمدينة سمورة كان بعد مضي ثلاثة وثلاثين عاماً من حكمه، أي سنة ٨٩٩م/ ٢٨٦هـ، (AlfonsoX,op.cit., p. 379)

(٢٠) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٠٩؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٢٤؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص ١٥٥.

مَنْكَش(٢١)★ التي تقع إلى الشرق من المدينـة السـابقـة(٢٢)، وبالإضـافة إلى إعمار المدن فقـد أنشأ الملك النصراني أيضـا عـددا من الكنـائس العظمى (الكاتدرائيات) والأديرة في المناطق المتاخمة للأراضي الإسلامية(٢٣).

وبداهة كـان الفونسو الثالث يحث أبناء دينـه على التوطن في المدن المعمرة حديثا فانساب الكثير من مواطنـي دولته للسكنى فيها، كما قصدها للغرض نفسه العديد من المستعربين(٢٤)، بل إن أصـداء هذا التعمير انتشرت في دول أوروبـا المجـاورة، فـوفـدت جماعــات منهـا لـلاستقـرار في تلـك المنـاطق المعمرة(٢٥)★★.

ولقد غدت مدينة سَمُورَة ـ بعد اهتمام الفونسو الثالث بها ـ من أشد المراكز النصرانية في الشمال خطـرا على المسلمين، فقامت اشتبـاكات متواليـة ـ وإن كانت محدودةـ بين بعض السرايا المنطلقة من هذه المدينة وبين السكان البربر المجاورين(٢٦)، بل لقد ذكـرت بعض المصادر النصرانية أن الفونسـو الثالث

---

(٢١) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٦١.

★ شَنْتَ مَنْكَش أو سيمانقا Simancas إلى الشرق من سمورة ــ كما في المتن ـ حيث تقـع على ضفة نهر بيسويرجا عند التقائه بنهر دويرة (أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٦١)، ولا تبعد عن مدينـة بلد الـوليد سـوى عشرة كيلو مترات إلى الجنـوب الغربي منهـا، وهي الآن بلدة صغيرة ضمن دولة إسبانيا (عنان، الآثار الأندلسية، ص. ص ٣١٩-٣٢٠).

(٢٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص ٧٨ «حاشية».

(٢٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٦٢٥، تعليق ٥٧١.

(٢٤) Fernandez, op. cit., p. 48, 59.

(٢٥) عادل بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص ٢٧.

★★ ويرى إبراهيم بوتشيش أن حركة التعمير هذه مثلت الإرهاصات الأولى للاستعمار والتوسع؛ بل يميل إلى الاعتقاد بأن الحركـة الصليبية والحركة الاستعمارية الأوروبيـة التي تلتها في العصر الحديث قــد بـدأت جـذورهــا في تلك الحقبـة بالـذات (إبـراهيم بوتشيــش، الانحســار العـربي في الأنـدلـس، ص. ص١٨٠-١٨١).

(٢٦) محمد عبـد العزيز عثمان، «ثورة ابن القط في الأنـدلس وادعاؤه بأنه المهـدي المنتظر» مجلة تاريخ العرب والعالم، عدد ٣٢، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ٩٦.

نفسه قاد جيشا عَـرَمْرَمًا في السنة الثانية والثـلاثين من حكمه التي تقابل سنة ٨٩٨م/ ٢٨٤هـ، وتوجه به إلى مـدينة طُلَيْطُلَة، فعاث بها حولها من أراضٍ، واستـولى على بعض الحصون، كما قتل وأسر من المسلمين الكثير مما جعلهم يهابونه هيبة عظيمة، فطلبوا منه الصلح، ودفعوا له ضريبة(٢٧)★.

وحيث إن مصـادرنـا العـربيـة لم تشر البتـة إلى هـذه الحملـة التي قـام بها الفونسو على أحواز طُلَيطُلة فإنها تبقى بتفـاصيلها السابقة موضع شك كبير، ذاك أن الأصول النصرانية المدونـة عن تاريخ العلاقات بين مملكـة أشتوريس والأندلس قد كتبت في الغالب بأيدي الرهبان ورجال الدين(٢٨)، فظهر فيها التحامل الجلي على المسلمين، كما شاب روايات بعضها الأسطورة والمبالغة في تقدير الخسائر الإسلامية؛ فضلا عن تـوهمها بأن العناية الإلهية دوما في صف ملوك أشتوريس(٢٩). ولعلنا لا نحيـد عن الواقع إذا قلنا أن هجوم الفـونسو المذكور آنفا لا يخرج عن كونه غـارة خاطفة لم تخلف أية آثار على المسلمين(٣٠) الأمر الذي جعل المصـادر العربية لا تعنى به بعكس المصـادر النصرانية التي على عـادتها حلقت في الخيال، وأغـرقت في التهويل، فعظمت تلك الغـارة وأَضْفَتْ على أحـداثها كل مـا يـرفع شأن الملك الفونسـو الثـالث وحكومتـه فجاءت على الوصف الذي أوردناه.

---

(٢٧) Alfonso x, op. cit., p. 378.

★ولقد أشار الأسقف سامبيروا (ت ١٠٤٢م/ ٤٣٤هـ) الذي كـان كاتب البلاط في مملكة ليون (عبد المحسن رمضان، **تاريخ حركة المقاومة الإسبانية**، جـ١، ص ٧١) أشار إلى أن أهـل طليطلة دعوا الفـونسو الثـالث من أجل أن يسـددوا له ضريبـة!!، وأثناء عـودتـه إلى بلاده استـولى على بعض الحصون (Provencal, op. cit., p. 245) وربما أن ما يقصـده هذا الأسقف هنـا هو روايـة أخرى لما أثبتناه في المتن.

(٢٨) عبد المحسن رمضان، **تاريخ حركة المقاومة الإسبانية**، جـ١، ص ٦٠.

(٢٩) عبد المحسن رمضان، **تاريخ حركة المقاومة الإسبانية**، جـ١، ص ٦٢.

(٣٠) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٤٦. Provencal, op. cit., p. 245.

وعلى كل حـال فإن المسلمين في الثغور الغـربية الشمالية قد ضاقـوا بتلك الاعتـداءات النصرانية عليهم، كما أحسـوا أيضا بـالخطـر الداهـم من جـراء الـزحف النصراني غير المتلون بصبغـة عسكريـة فـاضحة - إن جـاز لنا هـذا التعبير - الذي تمثـل في توطين الكثير من النصـارى في التخوم الواقعـة بينهم وبين أراضي الدولة الإسلامية - كما تقدم بيانه - إلى درجة أن عددا من سكان تلك الثغور المسلمين تخلوا عن مساكنهم هناك، وفضلوا الهجرة جنوبا(٣١).

لكن هـذا الـوضع من نـاحيـة أخـرى أثـار العلماء والـزهـاد والعبـاد في الأندلس، فأخـذوا يترددون على الثغور للمـرابطة(٣٢)، كما حـرص بعضهم على دعوة النـاس للجهاد، وترغيبهم في الاستشهـاد، وقد كان من هـؤلاء أبو علي السراج الـذي وصفه الـرازي(٣٣) بالـزاهد، وقال عنـه بأنه «كـان متكررا بجهات الثغر، محيلا بـالجهاد» كما وصفه في مكان آخر بأنـه «المرائي بالزهد، الساعي بالفتنة المرتسم بالرباط لتكرره في الثغور، وترغيبه في الجهاد»(٣٤).

ومع أننا نشتم في ثنايا هذا الوصف عدم ارتياح الرازي من أبي علي السراج كما أننا نراه يتهجم عليه تهجما مكشوفا في مواطن أخرى(٣٥) إلا أنه ينبغي ألا نلتفت طويلا إلى ذلك، فحياة هذا المؤرخ في بلاط أحد أحفاد الأمير عبد الله ربما دفعته أن يسلك هـذا المسلك مع أبي علي السراج(٣٦)، فهذا الأخير كان

---

(٣١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١.

(٣٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ ٢، ص ٨٦٩؛ الحميـدي؛ جذوة المقتبس، ق٢، ص٥٧١؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، جـ١، (القاهرة، ١٩٥٦م)، ص٨.

(٣٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٧.

(٣٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٣.

(٣٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٧.

(٣٦) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٦٢؛ العبـادي، في تاريخ المغـرب والأندلس، ص٣٤١.

يعد من المسعرين للفتنة في نظر الرازي(٣٧)، وعليه فحري بنا أن نطرح ما علق بشخصية أبي علي السراج من أوصاف ذات مدلول سياسي؛ لا سيما وأننا لم نعثر على معلومات أخرى بشأنه في المصادر التي بين أيدينا★.

لقد كان أبو علي السراج وراء قيام حركة عسكرية جهادية في الثغور ضد النصارى خلال الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، فلقد اتصل بأحد أفراد البيت الأموي الحاكم وهو أحمد بن معاوية المعروف بابن القِطّ ★★الذي شهر عنه أنه «من أهل العناية بالعلم والصناعة والنجامة، ومعرفة الهيئة»،(٣٨) واستطاع أن يقنعه بأن يتبنى رئاسة الدعوة إلى الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين بربر تلك النواحي، ثم طفق - أعني أبا علي السراج - يزرع بنفسه بذور الدعوة هناك، ويهيء عقول الناس لقبولها، فلما لاحت بوادر نجاحه في ذلك أذن لابن القِطّ بالقدوم، فخرج هذا الأخير من قرطبة، ويمم وجهه شمالا شطر أولئك البربر، وابتدأ بفحص البلوط★★★

(٣٧) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٢٧.

★ كل ما نعرفه عن أبي علي السراج هو ما رواه ابن حيان عن عيسى بن أحمد الرازي، وتتلخص أخباره في أنه أحد أولئك الذين يختلفون على الثغور للرباط وحث الناس على الجهاد، وكان قد سعى لإنجاح الحلف بين ابن حفصون ولب بن محمد (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٧)، ولما فشل كان له شأنه في حركة ابن القط - كما سنرى بعد قليل -.

★★ ونسب ابن القِطّ كاملا هو: أبو القاسم أحمد بن معاوية بن محمد - وهو الملقب بالقط - بن هشام بن معاوية بن الأمير هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل (ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٩٧، ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص. ص ١١٣، ١٣٨-١٣٩)، وبهذا يتضح أن ابن القط كان غير قريب الصلة نسبا بأمير البلاد آنذاك عبد الله بن محمد، ولكنه كان من ذرية الأمير هشام الرضا مباشرة.

(٣٨) ابن الأبار، **الحلة**، جـ٢، ص ٣٦٨.

★★★ فحص البَلُّوط Valle de las pedroches يطلق على السهل الممتد في شمال غربي قرطبة (ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٥٨٤ تعليق ٧٢؛ ذنون طه، **الفتح والاستقرار العربي**، ص ٢٧٥)، ويتصل بجبال منها جبل البرانس (ياقوت، **معجم البلدان**، جـ١، ص ٤٩٢)، =

وجبل البرانس (جبل المعدن)، فبقي مدة يتقلب فيهما «داعيا . . . إلى إقامة الحق، وإزهاق الباطل»[٣٩] فأثر في نفوس الأهالي، وانجذبوا لدعوته، فعمل على توحيد كلمتهم، واستئلاف قبائلهم، ثم انطلق ومعه العديد من أتباعه نحو الشمال أيضا[٤٠]، وعبر نهر آنة حتى حل بمدينة تُرْجِيلة[٤١]★، وكانت قبيلة نَفْـزَة البربرية تقطن هذه المدينة وما حولها، فقوبل من جانب هؤلاء النَّفْـزَاويين بمنتهى الترحيب والتأييد، فاطمأن عندهم، وذاع شأنه بينهم[٤٢]، ثم بدأ يكاتب قبائل البربر الأخرى يدعوهم لنصرته «ويزعم لهم أنه المهدي فائز الدين وعاصم المسلمين» ـ على حد تعبير الرازي - [٤٣]، ثم إنه ما لبث أن بث رسله في أرجاء المنطقة الشمالية الغربية من الأندلس يحث كل المسلمين على جهاد نصارى أشتوريس، وكف عاديتهم، ويعد بالنصر عليهم، فهرع أهل تلك الجهات لتلبية ندائه، وتوافدوا عليه في مدينة ترجيلة بشكل لافت، فتجمع عنده من الأتباع والمتطوعين في زمن وجيز نحو ستين ألفا - وقيل أكثر من ذلك ـ ما بين فارس وراجل[٤٤]، وكانت أكثريتهم من البربر[٤٥].

= ويقع اليوم في الجزء الجنوبي من مديريتي ثيوداد ريال والبسيط (حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٣٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٣ .

(٤٠) ابن حيان، المقتبس، ص. ص ١٣٣-١٣٤ .

(٤١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٠ .

★ تُرْجِيلُة أو تُرْجَالُة Trujello كانت تتبع كورة ماردة (ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٥٦) وموقعها أقرب إلى نهر التاجة من نهر آنة، (عنان، الآثار الأندلسية، ص ٣٨٦) وهي إلى الجنوب الغربي من مدينة طَلَبِيرَة الواقعة على نهر التَاجُة (عنان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص ٣١٨).

(٤٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٤، ١٣٧ .

(٤٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٤ .

(٤٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٤ .

(٤٥) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ٢٦٩ .

سار ابـن القط من مقره تَرْجِيلَة لجهـاد النصارى بهذه الحشـود الكثيفة، وجعل وجهته مدينة سَمُورَة أشد المراكز النصرانية أذى للمسلمين فاجتاز نهر التاجـة، وبينما كان في الطـريق إلى مقصده - أي في القطـاع الممتد بين نهري التاجة ودويرة -، إذ لحق به العـديد من المجاهدين من أهل طُلَيْطُلَة وطَلَبِيرَة ووادي الحِجارة وشَنْتَ بَرِيَّة وغيرها(٤٦)، فاشتد فيهم قوة، وزاد بهم جمعا.

ولقد أشار الرازي(٤٧) إلى أن ابن القِطّ أخـذ في ذلـك الأوان يقـوم ببعض التصرفات المغلفلة بالحيل، فتظهر أمام مـريديه وكأنها من خوارق العادات، فيوهمهم بأنها من قبيل الكـرامات التي أعطاه الله إياهـا، كما أنه صار يتكهن لهم بفتح سَمُورَة، وما خلفها من مدن «يقول لهم إنه لن يأتي مدينة ويدنو من سـورها إلا خَـرَّ قُـدَّامه، وانفتح لـه، حتى فتن بـه كثير من الناس - جهلـة أتبـاعـه - وأقـامـوه مقـام النبي الصـادق قـولـه، لضعف عقـولهم وسفـاه أحلامهم».

ومهما كانت درجة الصـدق فيما قيل عنه في هذا الباب فقـد تابع ابن القط زحفه شمالا يقود - بحماس متقد - تلك الجحافل المتعاقبة من المجاهدين إلى أن حل في عـرصات الضفـة الجنوبيـة لنهر دويـرة في موضع يسـامت مدينـة سمورة التي تقع في الضفـة الأخرى للنهـر ذاته(٤٨)، والظاهر أنـه اختار هذا المكان لمعسكـره ليس فقط لأنه يقابل مدينـة سمورة هدفه الـرئيس، بل لأنه يستطيع منه الدخول بسهولـة؛ إلى أراضي أشتوريس؛ فهناك يقع المعبر الذي يجتاز منـه الطريق الـروماني الواصل بين المنـاطق الواقعـة إلى الشمال من النهر والمناطق الكائنة إلى الجنوب منه(٤٩).

ولقد جعـل المؤرخون خروج ابـن القط من قرطبـة، ثم تحركاتـه النشطة في

(٤٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٥.
(٤٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٥.
(٤٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ١٣٥-١٣٦.
(٤٩) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٦١.

أصقاع المناطق الثغرية إلى أن غدا قوة تهدد مملكة أشتوريس - قد جعلوا أحداث ذلك كله في زمن لا يتعدى أشهرا من سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م(٥٠).

ومع أننا قد نرتاب في دقة هذا التحديد لأول وهلة بحجة أنه من غير الممكن أن تنشأ مثل هذه الحركة، وتصل إلى ما وصلت إليه في غضون أشهر محددة إلا أن ذلك التحديد قد يحمل على التصديق إذا فطنا إلى أن صاحب تلك الحركة أحمد بن معاوية (ابن القط) قد توافرت له مزايا، وتهيأت له عوامل ربما لم تتوافر مجتمعة لغيره من أصحاب الدعوات.

فمن تلك المزايا أن ابن القط قد نهض بدعوة كان من مبادئها الأساسية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوقوف بجانب الحق، وطرح كل ما هو باطل، فجاءت علاجا مناسبا لما كان يعانيه المجتمع الأندلسي من ميل عن الالتزام بالشرع في بعض سلوكياته خلال تلك الفتنة اللاهبة(٥١).

ولعل من العوامل التي عجلت بنجاح ابن القط أن صوت دعوته صدح - على وجه الخصوص - في بيئة غالبية سكانها من البربر الذين عرفوا بأنهم من أكثر العناصر الإسلامية استعداداً لتلقي الوعظ والإرشاد(٥٢)، كما شهروا بتبجيلهم الشديد لعلماء الدين؛ وبخاصة المتصوفة والأولياء منهم(٥٣).

وربما أن من الأمور التي أعانته سريعا على كسب المؤيدين لحركته هو أنه بالرغم من كونه ينتسب إلى الأسرة الأموية الحاكمة في الأندلس فإنه قد أعلن بجرأة أمام الملأ أنه غير راضٍ عن الطريقة التي تنتهجها أسرته في حكم البلاد، فنراه حينما خرج من قرطبة وحل بالأماكن التي قصدها، ودعا أهلها

(٥٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٣، ١٣٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٠.

(٥١) ابن وضاح، البدع والنهي عنها، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط٢ (دمشق: دار البصائر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ٨٤.

(٥٢) Francisco Codera, op. cit., p. 54.

(٥٣) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٨٩.

إلى ما كان ينتظر منه باعتباره أحد دعاة الإصلاح - نراه قد «ذم إليهم إمامهم عبد الله أمير الجماعة»(٥٤).

ولعل من أسباب سرعة تقبل العديد من المجتمع الأندلسي لدعوة ابن القط هو ما ذكره الرازي ـ إن كان صحيحا ـ من حيث إنه لقب نفسه بألقاب ذات دلالات مؤثرة بين الدهماء مثل «المهدي فائز الدين وعاصم المسلمين»(٥٥)، وما استخدمه من أساليب يغلب على بعضها التكهن، ويغشى بعضها الآخر طابع الحيل(٥٦).

وحيث إن المسلمين في الأندلس لا سيما أهل الثغور كانوا قبل ظهور ابن القط «يتهافتون على الجهاد، ويتطلعون إلى دخول أرض العدو، فلا يجدون إلى ذلك سبيلا ولا عليه معينا»(٥٧) حيث إنهم كانوا كذلك فإن أكبر شيء ساعد على سرعة انضواء الناس تحت لواء هذا الداعية هو مناداته ـ فيما يظهر ـ بالجهاد ضد النصارى، فهو قد حرص على لَمِّ الشعثِ، وجمعِ الشمل، وتوحيدِ الكلمة لمواجهة أعداء المسلمين، وقد جرد هذه الغاية من أي عالق إلى درجة أننا لا نسمع عن تورط له في نزاع مع زعماء البلاد بغية إجبار أحد منهم على الانضمام إلى حركته بالقوة★.

وعلى أي حال فقبل أن يدخل في حرب مع النصارى لجأ إلى أسلوب قد يندر أن نلمح مثله في الكتابات المدونة عن العلاقات العسكرية بين

---

(٥٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ١٣٣-١٣٤.

(٥٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٤.

(٥٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٥.

(٥٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٤.

★ هناك رواية نصرانية تقول بأن ابن القط «هجم على مدن الحدود بدون تفرقة بين مدن النصارى ومدن المسلمين ونهبها». (محمد دياب، **تاريخ العرب في إسبانيا**، ص ٢٢٢) ولكن هذه الرواية التي تصرح بهجوم ابن القط على مدن المسلمين لا عاضد لها في المصادر الإسلامية المتوافرة بين أيدينا.

المسلمين وأعدائهم منذ الفتوحات الإسلامية الأولى، فمن معسكره على ضفاف نهر دويرة كتب ابن القط إلى ملك أشتوريس الفونسو الثالث وعامة النصارى في بلاده كتابا مغلظا يدعوهم فيه إلى الإسلام، وينذرهم عاقبة رفضهم ذلك، وأمر رسوله المكلف حمل الكتاب أن يستعجل منهم الجواب(٥٨)، فأتى هذا الرسول الملك النصراني في سَمُورَة - حيث كان ينزل آنذاك -، وسلمه كتاب ابن القط، فلما قرىء عليه وعلى أركان دولته «وتُرجم لهم نخروا وغضبوا ونهضوا من فورهم ذلك إليه يريدون مكان محلته»(٥٩).

ويبدو أن الفونسو الثالث لم يكن بغافل عن تلك التحركات المقبلة عليه من الجنوب، وكان ينتظر منها الهجوم على أملاكه في عشية أو ضحاها، وربما أن نزوله في مدينة سمورة - حال قدوم رسول الداعي ابن القط إليه - يوحي بذلك، ولكنه على ما يظهر لم يكن يتوقع أن يتجرأ هذا الداعي، ويكتب له تلك الرسالة شديدة اللهجة، ليس هذا وكفى، بل يدعوه من خلالها إلى الإسلام في زمن بلغت دولته قدرا من القوة قد لا تضارعها قوة دولة المسلمين آنذاك في الأندلس، كما أنه غدا هو بنفسه في ذلك الحين من أشد الملوك النصارى المعاصرين تعصبا لعقيدته النصرانية، سطع هذا في تبادله الرسائل مع البابا في روما، وكذلك في عقده بعض المجامع الدينية في عاصمته أو بيدو(٦٠)، فضلا عن اهتمامه ببناء الكنائس في بلاده(٦١)، فلعل كل ما سبق يفسر سَوْرَة الغضب التي انتابته ورجال حكومته بعد معرفته أهداف ابن القط.

---

(٥٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٦؛ ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ٣٦٩.

(٥٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٦.

(٦٠) عبد المحسن رمضان، **تاريخ حركة المقاومة الإسبانية**، جـ١، ص ٧٢؛
Alfonso X, op. cit., p 380 - 381.

(٦١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٦٢٥، تعليق ٥٧١.

تحرك الملك النصراني على جناح السرعة من سمورة بجيشه، وعسكر على الحافة الشمالية لنهر دويرة بإزاء الجيش الإسلامي المرابط على الجانب الآخر(٦٢)، وحينذاك بدأت الاستعدادات من كلا الجانبين للحرب، فقام ابن القط باستعراض عسكره، فعمد بنفسه إلى تنظيم رجاله، فقوى عزائمهم، ورص صفوفهم(٦٣)، وما هو إلا يسير وقت حتى برزت فرقة الخيالة من جيش الفونسو بقصد التحرش بالمسلمين، فقام هؤلاء بالرد عليها فانتشب بذلك القتال بين الفريقين وسط النهر، وتأجج أواره، فلم يلبث النصارى أن بدا عليهم الاضطراب، فانكشفوا من أمام المسلمين، وولوا مدبرين، فما زال الجيش الإسلامي يتعقبهم بالقتل والأسر إلى أن أقحمهم في واد قرب مدينة سمورة يسمى «أردوني»، وحيث إن هذا الوادي صعب المسالك فقد عظمت المصيبة على النصارى، واستحر القتل فيهم، فأصابهم الذهول الأمر الذي جعل معظمهم يتحاشى اللجوء إلى سمورة القريبة، بل تابع فراره فابتعد عن المعترك بحوالي عشرة أميال داخل بلادهم(٦٤)، وبهذا أثبت ابن القط في حركته تلك أن جذوة الجهاد والتضحية في سبيل الله ما زالت تعمر قلوب مسلمي الأندلس رغم ما كان يسطع في سماء بلادهم من تفرق واختلاف خلال الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، فهم لم يكونوا يفتقرون إلى النخوة الإسلامية للرد على انتهاكات أعدائهم النصارى بقدر ما كانوا يحتاجون إلى شخصية مخلصة تقودهم إلى ذلك.

على أنه في الوقت الذي بدأت نشوة النصر تسري في أعطاف المسلمين، وهموا بإحكام الحصار حول مدينة سمورة(٦٥)، إذ أفسد الحاقدون على

(٦٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص١٣٦.
(٦٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص١٣٨.
(٦٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص١٣٦.
(٦٥) Provencal, op. cit., p. 243.

الداعي ابن القط إتمام النصر، فلقد كان كبراء قبيلة نَفْزَة قد اتفقوا سرا من قبل على إسقاط ابن القط في أول نهزة تقابلهم، وذلك بعد أن وجدوا في ارتفاع شأنه اضمحلالا لسلطانهم، وكان أبرز الساعين لتنفيذ هذا الاتفاق الخياني زعال بن يعيش بن فرانك الذي تطرقنا إليه سابقا(٦٦).

وعلى هذا فقد رأى هؤلاء الكبراء أن الفرصة مواتية لإهلاك ابن القط قبل أن يحسم اللقاء لصالحه في نظرهم القاصر؛ خاصة وأن داء الغَيْرَة منه قد اضطرم في قلوبهم مجددا بصورة عنيفة بعد أن رأوا نجاحه المبكر في هذه المعركة، فقاموا بالانسحاب من الميدان، وادعوا لمن قابلوه في أثناء انسحابهم بأن الهزيمة قد حلت بالمسلمين(٦٧)، وحيث إن قبيلة نفزة هي التي اطمأن إليها ابن القط منذ بداية أمره، ونشر دعوته في مضاربها فإن صدور دعوى الهزيمة من قبل رجالها قد جعل أفراد الجيش لا يشكون في صحة ذلك، فاقتدوا - على ما يبدو - بهم، ونكصوا على أعقابهم راجعين، فشعر النصارى بالذي جرى في عسكر ابن القط، فكروا عليه، وطاردوا فلوله المنهزمة حتى كثر القتل في المسلمين، وبالأخص عند عبورهم لنهر دويرة فارين من حوضه الشمالي، ولم يخفف وطأة هذه المحنة عليهم إلا حلول الظلام، ومع أن العديد منهم اهتبل سواد الليل للهرب من المعسكر إلا أن فئة كبيرة ثبتت مع ابن القط، ولم تبرح المكان فقاتلت معه في اليوم الثاني، ولكنّ كفة النصارى رجحت في هذا اليوم إلى حد أنهم باتوا يحيطون بجيش المسلمين طوال الليل كله، فضيقوا عليه واقتنصوا بالقتل أو الأسر كل من هم بالتسلل منه، وعندما أشرق اليوم الثالث استؤنف القتال حاميا، فقاتل ابن القط ومن معه بصبر واحتساب حتى استشهدوا جميعا، وذلك في العشرين من شهر رجب

---

(٦٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٥؛ وانظر: الفصل السابق من هذا الكتاب.

(٦٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٦.

سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م(٦٨)★، وقيل في شهر ربيع الأول من هذه السنة(٦٩)، وتعرف هذه الوقعة عند أهل الثغر بيوم سَمُورَة(٧٠)★★.

وهكذا سقط ابن القط ضحية مؤامرة ماكرة، وتدبير خبيث قام به ثلة من الزعماء الذي أعمى أبصارهم الحقد، وأضلهم الحرص على البقاء في المناصب، فعملوا على تقديم مصالحهم الشخصية البحتة على عز أمتهم وسؤددها، فتحول النصر المؤزر للمسلمين في بداية المعركة إلى هزيمة مفجعة عليهم في نهايتها، وبذلك ضرب هؤلاء المتآمرون بفعلهم الخياني هذا نموذجا مخزيا لانعدام حدوث ما يشاكله مسطرا بكل أسف على صفحات التاريخ الأندلسي المشجي.

وحيث إن ابن القط - كما شاهدنا - قد ابتعد عن التؤدة في تبليغ دعوته، واتخذ من الحماس والارتجال طريقا للوصول إلى غاياته فإن مدة وجوده بين أتباعه لم تمهلهم - فيما يبدو - أن يتشربوا ما كان يدعو إليه، ولا التأثر به تأثرا يغير نمط حياتهم الذي اعتادوا عليه من قبله، وبالإضافة إلى هذا فإنه لم يرد في المصادر ما ينبئ أن أحدا من المقربين إليه قد حمل من بعده زمام الدعوة؛ ولذا فإن حركته - التي جعل رأس أهدافها مجاهدة النصارى - قد خمدت بمجرد أن استشهد، فانتقل زمام السيطرة من جديد إلى أيدي النصارى في ثغور الأندلس الشمالية الغربية، وعاد تسلطهم يثقل كواهل المسلمين هناك بشكل أعنف مما كان عليه في الفترة السابقة، إذ أصبح هؤلاء النصارى لا يهاجمون بلدة إسلامية إلا أعملوا في رقاب أهلها السيف(٧١)، وقد وصف

(٦٨) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص. ص ١٣٦-١٣٧.

★ وقد أشار ابن الأبار إلى أن استشهاد ابن القط قد حدث في اليوم الرابع (ابن الأبار، الحلة، جـ ٢، ص ٣٦٩).

(٦٩) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٤٠.

(٧٠) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٣٧؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص ٣٧٠.

★★ والظاهر أن الزاهد أبا علي السراج لم يشارك في معركة سمورة، فهناك خبر يفيد بأنه عاد إلى نواحي قرطبة بعيد انبعاث دعوة صاحبه ابن القط (ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٣٨).

(٧١) النصولي، **الدولة الأموية في قرطبة**، ص ١٠٩؛ نادية حسني صقر، **دور عبد الرحمن الناصر في إرجاء حركة الاسترداد** (مكة المكرمة: دار الفيصلية، د.ت.)، ص ١٦.

الرازي(٧٢) وضع المسلمين في هذه الثغور بعد ابن القط بقوله «وزاد العدو استكلافا عليهم وجرأة».

ولا ريب أن هذا الوضع الجديد قد سهل كثيرا على الفونسو الثالث إكمال تنفيذ مخططه الرامي لتوسيع رقعة مملكته، وإرساء حدودها الجنوبية مع الدولة الإسلامية عن طريق تعمير المناطق المقفرة بين الجانبين، ولذا بلغت مساحة مملكة أشتوريس في أوائل القرن العاشر الميلادي/ أواخر القرن الثالث الهجري حوالي ربع المساحة الكلية للجزيرة الأيبيرية، فغطت بذلك جميع منطقة الشمال الغربي من هذه الجزيرة(٧٣)، والملاحظ أن أطول امتداد للدولة النصرانية من ناحية الجنوب كان في أراضي المسلمين المحاذية للبحر (المحيط الأطلسي) ولعل مدينة قُلُمْرِية★ من أذكر المدن الإسلامية التي كانت قد دخلت في إطار ذلك الامتداد(٧٤).

وبينما كانت علاقات نصارى أشتوريس بالمسلمين على هذا النمط إذ تعرض حاكمهم الفونسو الثالث لمؤامرة تولى كبرها خواص أسرته، فتخلى مكرها عن العرش لابنه غرسيه★★ عام ٩٠٩م/ ٢٩٧هـ(٧٥).

(٧٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٧.

(٧٣) Fernandez, op. cit., p. 61.

★ قُلُمْرِيَّة أو قلنبرية Coimbra مدينة على نهر منديق الذي يصب في البحر المحيط «الأطلسي» (الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٨٣)، وتبعد عن هذا البحر بمقدار اثني عشر ميلا (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٤) وهي حاليا تتبع دولة البرتغال، وتقع إلى الشمال من مدينة لشبونة منحرفة قليلا إلى الشرق، والمسافة بينهما تقدر بنحو مائتين وعشرين كيلومترا (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٥٢٨، تعليق ٣٢٠).

(٧٤) ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ١٢٣. Fernandez, op. cit., p. 59.

★★ وكانت المؤامرة قد ابتدأت بثورة لغرسيه على والده الفونسو، وذلك بسبب ميول هذا الأخير إلى تقديم ابنه الآخر أردون في ولاية العهد على ابنه البكر غرسيه المذكور في قول (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٦٢٥، تعليق ٥٧١)، أو بسبب استجابة الابن غرسيه هذا لأصوات العامة الساخطين على والده من جراء إثقالهم بالضرائب الباهظة في قول آخر (ابن حيان، المقتبس، ق٣، جـ٥، ص ١٢٣؛ الحجي، أندلسيات، المجموعة الثانية، ص ٤٧)، ومع أن الفونسو تمكن من ابنه الثائر عليه، وأودعه السجن إلا أن زوجة هذا الملك نفسه خيمينا ـ بمساعدة بعض أمراء الأقاليم ـ حملت مجددا لواء الثورة، وسيطرت على كثير من المعاقل، وعندئذ اضطر الفونسو إلى إطلاق سراح ابنه غرسيه وتنازل له عن العرش (عنان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص ٣٦٠).

(٧٥) Antonio R. Oliveira, op. cit., p. 346.

وقبل أن نتعرف على طبيعة العلاقات بين مسلمي الأندلس ودولة أشتوريس في عهد الملك النصراني الجديد لعلنا نتوقف عند المعاهدة المبرمة بين حكومة قرطبة في أواخر عهد الأمير محمد وبين حكومة الفونسو الثالث★، ونتساءل عن مدى سريان مفعولها بين الحكومتين في زمن الأمير عبدالله.

إن المتعقب لأحداث الربع الأخير من القرن الثالث الهجري في الأندلس يتبين له أن الأمير عبد الله بن محمد لم يَسْعَ قط لتوجيه حملات عسكرية ـ على أي صفة كانت ـ من عاصمته قرطبة للجهاد في أراضي أشتوريس بالرغم من تحسن أحوال إمارته إلى حد كبير في سنواته الأخيرة من ناحية، وحدوث اشتباكات عاتية بين مسلمي الأندلس ونصارى تلك الدولة من ناحية أخرى، أما الفونسو الثالث فإنه - كما بينا سابقا - قد خاض بنفسه عدة وقائع مع المسلمين، وكانت تلك الوقائع - بصورة عامة - على الحدود بين الجانبين، وقد تركزت في ثلاثة محاور: صراعه مع ابن القط، وحروبه مع بني قَسِيّ، وغارته الخاطفة على أطراف طُلَيْطُلَة، ونظرا لخلو المصادر المتوافرة بين أيدينا من ذكر لأدنى احتكاك بين الجيوش الرسمية لحكومة قرطبة وبين جيوش مملكة أشتوريس في الفترة التي عاصر فيها الفونسو الثالث الأمير عبد الله فإن تحديد استمرارية المعاهدة بين الجانبين مرهون ـ فيما يبدو ـ بالحكم على نوعية الارتباط بين الإمارة الأموية وبين أولئك الزعماء المسلمين الذين حملوا علم الجهاد ضد تلك المملكة النصرانية، وكذلك بالنظر إلى مدى تبعية تلك الأماكن التي هاجمها الملك النصراني لهذه الإمارة، فابن القط الذي ظهر في المناطق الشمالية الغربية من الأندلس كانت الإمارة تنظر إليه على أنه من الخارجين عن طاعتها(٧٦)، ناهيك عن كونه هو الذي هاجم الفونسو

★ انظر التمهيد من هذا الكتاب.

(٧٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٣.

الثالث، أما بنو قسي في غرب الثغر الأعلى فإنهم كانوا أيضا متمردين على الأمير عبد الله، فلما أظهروا الطاعة لم يغيروا من مسلكهم شيئا معه، إذ بقوا مستقلين استقلالا ذاتيا يتصرفون بمنأى عن سلطان هذا الأمير عليهم★؛ ولذا فالظاهر أن تلك الحروب التي تبودلت بينهم وبين الفونسو الثالث ليس لحكومة قرطبة دخل فيها، وإذا تفحصنا الموقف في طليطلة حينما أغار على أحوازها هذا الملك النصراني عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٨م فإننا نجدها منطقة نزاع بين قوتين متمردتين على الإمارة في ذلك الوقت، وهاتان القوتان هما بنو قسي وبنو ذي النون★★، بقي أن نشير هنا إلى أن من عادة سكان حدود الدولة الإسلامية مع البلاد النصرانية عدم التقيد بمعاهدات السلام الموقعة بين الأمراء الأمويين وملوك النصارى، فكثيرا ما كانوا يتواعدون الملاقاة دون الالتفات إلى ما أبرم رسميا من معاهدات(٧٧)، ومما تقدم يمكن القول بأن معاهدة الأمير محمد في أواخر عهده مع ألفونسو الثالث قد استمرت قائمة من بعده في عهد ابنه الأمير المنذر، ثم عهد ابنه الأمير عبد الله، ولعل من مظاهر استمرارها في فترة الأمير عبد الله أن الفونسو الثالث لم يعمل على الاتصال بالمتمردين على هذا الأمير، ولم يُسْدِ لأحد منهم مساعدات ظاهرة لدعم مواقفهم ضده، بل إن عمر بن حفصون الذي كان في حرب شبه دائمة مع الإمارة حينما اتصل بهذا الملك، وطلب التحالف معه(٧٨) لم يظفر منه بإمدادات مادية ولا عسكرية(٧٩).

ونعود الآن إلى تبيان العلاقات بين مسلمي الأندلس ونصارى أشتوريس في المدة المتبقية من عهد الأمير عبد الله والتي تقابل تقريبا فترة حكم غرسيه

★ انظر تفصيل حركة بني قسي في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

★★ انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب، والفصل الرابع منه.

(٧٧) سيديو، خلاصة تاريخ العرب، نقله إلى العربية علي باشا مبارك، وآخرون، ص ١٥٩.

(٧٨) ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص ١٧٣.

(٧٩) الحريري، حركات المولدين، ص ٨٥.

الأول (٩٠٩م/ ٢٩٧هـ ـ ٩١٤م/ ٣٠٢هـ) فأول ما يسترعي الانتباه في هذا المجال أن الملك النصراني الجديد نقل عاصمته من مدينة أوبيدو إلى مدينة ليون[٨٠]، فأصبحت مملكة أشتوريس تسمى في ذلك الحين مملكة ليون[٨١]، ولا جرم أن لنقل العاصمة إلى ليون معاني متعددة في حقل العلاقات بين الدولة النصرانية والمسلمين، منها أن هذا العمل إشارة إلى أن نطاق هذه الدولة قد اتسع جنوباً على حساب المسلمين بحيث غدت مدينة أوبيدو ـ في أقصى الشمال ـ غير لائقة بأن تكون عاصمة لها[٨٢]، كما أن في ذلك علامة على أن ملوك هذه الدولة قد أحسوا بالقوة إزاء أعدائهم المسلمين، فلم يعودوا يشعرون بالخطر؛ ولذا نقلوا العاصمة من المناطق الجبلية إلى المناطق السهلية[٨٣]، ولعل في هذا الإجراء أيضا إيذانا من القائمين على الدولة النصرانية بالاستعداد للدخول في مرحلة جديدة من الصراع مع المسلمين، فمدينة ليون لا تبعد كثيرا عن الحدود بين الجانبين.

وإذا نظرنا في المصادر العربية المتوافرة إلى السنوات الأخيرة من عهد الأمير عبد الله فإننا لا نعثر على أدنى خبر يشير إلى العلاقات بين الكيان النصراني في ليون والمسلمين؛ بينما تذكر الرواية النصرانية أن الفونسو الثالث بعدما تنازل عن العرش لابنه غرسيه طلب منه أن يمده بقوات عسكرية للهجوم على المسلمين، فأمده هذا الابن بما طلب، فقام الفونسو بالإغارة على

---

(٨٠) Antonio R. Oliveira, op. cit., p. 346.

(٨١) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٦١؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص ٢٧١؛ عبد الواحد ذنون، **قيام الممالك الإسبانية**، ص ٩٢.

(٨٢) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٦٥٢، تعليق ٦١٠؛ عنان، **الآثار الأندلسية**، ص٣٤٩.

(٨٣) أحمد بدر، **تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري**، ، دمشق ١٩٧٤م، ص٥٦؛ عبد الواحد ذنون، **قيام الممالك الإسبانية**، ص ٩٢.

الأراضي الإسلامية، ثم عاد مثقلا بـالغنائم إلى مدينة سَمُورَة، ولكن الأجل لم يفسح له إلا قليـلا فتوفى بها(٨٤)★، وتذكر الرواية النصرانيـة أيضا أن غرسيه أغـار بنفسه على الأراضي الإسـلاميـة فنجح في تخريب عدد من القـلاع، كما احتل بعض المناطق وأسر أحد القواد المسلمين(٨٥).

وانفراد الرواية النصرانية بـذكر أحداث من هذا القبيل لا يمكن أخذه على عـلاته، وذلك لأسبـاب تطرقنـا إليهـا سابقـا، بل إن الـرواية هنـا طابعهـا العموم، فهي لا تحدد الأماكن التي دار عليها النزاع النصراني الإسلامي، كما أنها لا تفصح عن أسماء الـزعماء المسلمين الذين واجهـوا الفونسو الثـالث أو ابنه غرسيه، ولذا فإنه لا يعول عليها كثيرا.

٢ ـ العلاقات مع نصارى نَافار (نَبَرَّة)

كانت إمـارة نافار أو نبرة ـ كما عرفنـا سابقا ـ قـد نشأت في بلاد البشكنس الواقعـة في جنوب غـربي جبال البرتات، وكـانت عاصمتها مـدينة بَنْبُلُـونَة، وكان ظهـورها قـوة سياسية ذات كيـان مستقل قد وضح في العقـد الرابع من القـرن التـاسع الميلادي/ أوائل القـرن الثـالث الهجـري، وذاك عندمـا تقلـد الزعامة فيها غَرْسِيه بن وَنَقُة بن شَانْجُة★★.

ولقد كانت علاقة هذه الإمارة بالدولة الأموية قبل عهد الأمير عبد الله تقوم على العـداء بصفـة عـامـة، ولذا كـان الأمـراء الأمـويـون يجردون الحمـلات العسكرية لحربها خاصة وأنها كانت ترتبط بالمصاهرة أو الحلف أو بهما معا مع

---

(٨٤) Alfonso X, op. cit., p. 382.

★ وقـد أشار ابن عـذاري إلى أن وفـاة الفونسـو الثالث كـانت سنـة ٢٩٩هـ/ ٩١١م (ابن عـذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٤٩).

(٨٥) Alfonso X, op. cit., pp. 382 - 383.

★★ انظر التمهيد من هذا الكتاب.

الزعماء المسلمين في الثغر الأعلى الـذين كانوا في غالب أحـوالهم متمردين على السلطة الأموية★، كما أنها من جانـب آخـر قـد سعت في بعـض الأحيـان للتعاون مع جـارتها مملكة أشتوريـس لضرب الدولة الإسـلامية(٨٦)، وحينما تصالحت حكومة قرطبة في أواخر عهد الأمير محمد مع أبرز حكام الثغر الأعلى آنذاك محمـد بن لُبّ بن مـوسى القسَوي قـام هو بمـراقبة نشـاط إمارة نـاڤار المعادي للمسلمين، فجرت بينه وبينها بعض الوقائع(٨٧).

أما عن العلاقـات بين المسلمين في الأندلس ونصارى ناڤـار خلال الربع الأخير من القـرن الثـالث الهجري فـإننا نلحظ أن الأمير الأمـوي عبـد الله بن محمد كان مرتبطا برباط المصاهـرة مع الحاكم الناڤاري فُرْتُون بن غَرْسِيه★★، إذ كان هذا الأمير قد تزوج من وَنَقا ابنة فُرْتُون(٨٨) التي تنعتها المصادر العربية باسم «دُرّ»(٨٩)، ولا يذكـر المؤرخون السنـة التي تم فيها هـذا الزواج، ولكن يمكن التـوصل إلى تلك السنـة أو مـا يقرب منهـا بتحـري أعمار بعض أولاد الأمير عبـد الله من هـذه الـزوجـة، ثم غـربلـة أرقـام تلك الأعمار بسنـوات الحوادث الـواقعـة في الأندلس، فلقـد أنجبت «دُرّ» من الأمير عبـد الله ابنـه محمدا الذي كان بكـر أبنائه الذكور(٩٠)، وبما أن هـذا الابن حينما قتل عـام

★ انظر التمهيد من هذا الكتاب.

(٨٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٣١٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٩٧؛ المقري، نفح الطيب، جـ١، ص ٣٥١.

(٨٧) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣٦.

★★ يـرجح السامـرائي أن فُرْتُـون بن غـرسيه قـد اعتلى سـدة الحكم في ناڤـار عام ٨٧٩م/ ٢٦٦هـ (السامرائي، الثغر الأعلى، ص ١٦٢).

(٨٨) الحجي، أندلسيات، المجموعـة الأولى، ط١ (بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م)، ص ٨٣.

(٨٩) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٥١.

(٩٠) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٥٣.

٢٧٧هـ/ ٨٩٠م كان له من العمر سبع وعشرون سنة[٩١] فإن ولادته ستكون في عام ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، وهذا التاريخ داخل في إطار الفترة التي كان فيها فُرْتُون بن غَرْسِيه والد «دُرّ» محتجزا في قرطبة، إذ كان الأمير محمد قد قبض عليه سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م إثر غزوةٍ لأراضي ناڤار، فأبقاه أسيرا عنده نحو عشرين سنة[٩٢]، وحيث إن للأمير عبد الله بنتا من زوجته در أيضا تعد أسن أولاده قاطبة ـ الذكور والإناث[٩٣]، بمعنى أنها أكبر من الولد محمد فإنه من الجائز جدا القول بأن الزواج قد حدث في العامين الأولين من احتجاز فرتون في قرطبة، إذ كان الأمير عبد الله قد قارب في ذلك الحين من عمره العشرين★.

ومع ما للمصاهرات بين الحكام من أثر غير منكور في سير علاقات دولهم ببعضها بعضا إلا أننا لا نستطيع الإدلاء برأي هنا عن أثرها في العلاقات بين الأمير عبد الله وفرتون بن غرسيه الذي استمر في الحكم حتى سنة ٩٠٥م/ ٢٩٣هـ[٩٤] لأن المصادر لا تورد أخبارا بهذا الخصوص، كما أن عدم إرسال حكومة قرطبة حملات ضد إمارة ناڤار لا يعني في عهد الأمير عبد الله شيئا لأن هذا الأمير لم يخرج جيشا رسميا إلى القوى الخارجية سواء إلى إمارة ناڤار أو إلى غيرها.

لكن هذا من ناحية أخرى لا يدل على الإطلاق على أن الجبهة الإسلامية المواجهة لأراضي إمارة ناڤار كانت مستقرة في عهد الأمير عبد الله، فلقد كان

---

(٩١) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ٣٦٨.

(٩٢) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ٩٤؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٩٧.

(٩٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٥١.

★ انظر: الفصل الأول من هذا الكتاب.

(٩٤) الحجي، أندلسيات، المجموعة الثانية، ص ٥٣؛ Provencal, op. cit., p. 248

محمد بن لب القسوي حاكم النواحي الغربية من الثغر الأعلى ليس على وفاق مع إمارة نافار التي كانت أملاكها تصاقب أملاكه من الشمال★، فيذكر العذري(٩٥) أن هذا الزعيم أواخر عهد الأمير محمد «غزا بَنْبُلُونَة حتى ملك أكثرها»، وغير خافٍ أن التعبير ببنبلونة في هذا النص يقصد منه الأراضي الخاضعة لحكومة بنبلونة - أي: إمارة نافار -.

ويبدو أن العداء ظل هو السمة الطاغية على العلاقات بين بني قَسِيّ، والنافاريين في عهد الأمير عبد الله، ولذا فقد رحب هؤلاء النافاريون بدعوة ملك أشتوريس الفونسو الثالث لتقويض سلطان بني قسي، وهبوا معه مهطعين للهجوم على مدينة طَرَسُونَة سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م، ولكنّ لُبَّ بن محمد القَسَوي - الذي ورث السلطة على أملاك والده المقتول في تلك السنة - دحر هذا التحالف النصراني، وذلك بهزيمته للمهاجمين هزيمة موجعة كلفتهم حوالي ستة آلاف قتيل★★.

غير أن الأمور تغيرت في مقاطعة نافار في الثلث الأخير من عهد الأمير عبد الله؛ فلقد عزل حاكمها فرتون بن غرسيه عام ٩٠٥م/ ٢٩٣هـ وتولى شؤون الحكم فيها شانجة غرسيه الأول الذي قيل عنه في رواية إنه ولدٌ لفرتون الحاكم

★ من الواضح أنه لم يكن للمصاهرات التي كانت بين البيت الحاكم في نافار وموسى بن موسى بن قسي جد محمد بن لب ـ لم يكن لها أثر في مجال علاقات محمد بن لب هذا بمعاصريه من أمراء نافار، ويمكن تأويل ذلك بأن المصاهرات بين هؤلاء كانت تتم في الأكثر لتحقيق مصالح خاصة ضد حكومة قرطبة (السامرائي، **الثغر الأعلى**، ص ٣٤٣) أضف إلى هذا أننا لا نسمع عن وقوع مصاهرات جديدة بين الطرفين في الوقت الذي نتحدث عنه.

(٩٥) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٦.

★★ انظر ما سبق ضمن هذا الفصل.

المعزول،(٩٦) وقيل في رواية أخرى إنه لا يمت بصلة إلى فرتون ولا حتى إلى البيت المالك عموما؛ بل هو من أسرة بَشْكُنْسية أخرى(٩٧).

وعلى أي حال فإن عزل فرتون★ بحد ذاته دون النظر إلى من يكون الحاكم الجديد إنما هو تعبير عن محاولة لتجديد أوضاع دولة النافاريين، وقد يكون شانجة قد تبنى بالفعل هذا الاتجاه لا سيما وأنه تلقب بلقب ملك، فكان بذلك أول الحكام النافاريين الذين عرفوا بهذا اللقب(٩٨)؛ الأمر الذي جعل البعض يعده المؤسس الحقيقي لمملكة نافار(٩٩).

والظاهر أن شانجة حرص على إنهاض قومه، ونشط في بث الحمية في نفوسهم فهاجم منذ الأيام الأولى من حكمه أراضي بني قَسِي، واشتبك مع زعيمهم لب بن محمد غير مرة(١٠٠)؛ ولذا فإن هذا الأخير شعر بالخطر فاهتم ببناء الحصون على الحدود بينه وبين مملكة نافار(١٠١)، ثم إنه قام بغزو هذه المملكة في عام ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م(١٠٢) أي في العام الثاني من اعتلاء شَانجة عرش نافار، ولكن هذا الملك النافاري قد استعد له أكمل استعداد(١٠٣) فاستدرجه ومن معه من المسلمين، فوجه إليهم خيلا يسيرة لتتحرش بهم،

(٩٦) السامرائي، **الثغر الأعلى**، ص ١٦٢؛ بسام العسلي، **عبد الرحمن الناصر**، ص ٤١.

(٩٧) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٦٣.

★ أما مآل فرتون بعد العزل فإنه قضى بقية أيامه في أحد الأديرة. (Provencal, op. cit., p. 248)

(٩٨) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٦٣؛ العسلي، **عبد الرحمن الناصر**، ص ٤١.

(٩٩) الحجي، **أندلسيات**: المجموعة الثانية، ص ٥٣؛ عبد الواحد ذنون، **قيام الممالك الإسبانية**، ص ٩٢.

(١٠٠) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٦٣.

(١٠١) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٧.

(١٠٢) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٤٣.

(١٠٣) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٧.

فخف لب للرد عليها، وعندئذ خرجت عليه الكمائن التي كان شانجة قد نصبها، وبالرغم من أن لب ردها على أعقابها فإنه ما لبث أن وجد نفسه وجيشه الإسلامي وسط حشود هائلة من النصارى بقيادة شانجة ذاته، فتقاتل الجمعان، ولم يمر إلا وقت قليل حتى قتل لب «وقتل من كان معه ممن آثر الشهادة»(١٠٤)، أما القسم الآخر الذي بقي من المسلمين فقد احتموا بجبل قريب، فحاصرهم شانْجُة أياما، ثم أعطاهم الأمان، فلما نزلوا من الجبل «غدر بهم، وقتل جملة منهم، وأسر باقيهم»(١٠٥).

وبعد هذه الحادثة المؤسفة التي تجرع ألمها المسلمون في الثغر الأعلى على يد شانجة لجأ زعيم بني قسي عبد الله بن محمد الذي خلف أخاه لباً المقتول للتعاون المشترك مع جاره محمد بن عبد الملك الطويل، وذلك للاقتصاص من نصارى نافّار. فاتفق الاثنان عام ٢٩٨هـ/ ٩١٠م على خطة لمهاجمتهم، بحيث يدخل محمد بن عبد الملك الطويل أراضي نافار - فيما يبدو - من جهاتها الشرقية، بينما يقصدها عبد الله بن محمد القسوي من نواحيها الجنوبية، ثم يلتقيان عند العاصمة بَنْبُلُونة، فشرع الطويل بتنفيذ ما تم الاتفاق عليه، وتحرك نحو القصد حتى انتهى إلى حصن البَرْبَر ★، فأحرق ما حوله، وهدم الكنائس الموجودة هناك وفجأة غَيَّر مساره، وصرف نظره عن لقاء حليفة القسوي؛ بل إنه ـ أعني الطويل ـ قد عاد ودخل حصن شار قشتيلة★★ أحد الحصون التابعة له، فلما أُخبر بأن الحاكم النافاري يهم

(١٠٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٣.

(١٠٥) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣٧.

★ حصن البَرْبَر: لم أهتد إلى معرفة موقعه من أراضي نافار، وربما أن رسمه بهذا الشكل محرف عن حصن منسوب إلى جبل البردي الذي لا يبعد عن بنبلونة سوى ثمانية أميال (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣٨).

★★ حصن شارقشتيلة Cer Castiello وهو ما يعرف اليوم برويستا على نهر أرجون (Provencal, op. cit., p. 250)

بالهجوم عليه تسلل مع عدد من أصحابه، فكان ذلك سببا في انهزام أهل ذلك الحصن، ولما بلغت هذه الأنباء عبد الله بن محمد القسوي صمم على النيل من الناقاريين، فنزل بمن معه من المسلمين على حصن لوازة★، فقتل جماعة من أهله، ثم كر راجعا إلى بلاده، وفي الطريق التقى ببعض جيش شَانْجُة فحقق انتصارا عليهم[١٠٦]، ولعل اشتباكات المسلمين بالنصارى في تلك السنة هي التي استشهد فيها أحد علماء الأندلس المعروفين بكثرة الغزو والمرابطة، وهو نِعْم الخلف ابن أبي الخصيب[١٠٧]★★.

والمتأمل في أحوال القوى السياسية في الثغر الأعلى آنذاك بالمقارنة مع ما بدر من محمد بن عبد الملك الطويل لا يسعه إلا أن يشكك في صدق نيته تجاه حليفه عبد الله بن محمد القَسَوي، فلقد كان الطويل في ذلك الأوان قوة في المنطقة يخشى بأسها★★★، كما أنه - حسب الاتفاق مع حليفه - قد تقدم في أراضي تاقار، وأحرز مكاسب كبيرة، فالمظنون والحالة هكذا ألا يجبن عن مقاتلة الملك النصراني شانجة؛ وبخاصة أن عبد الله بن محمد القسوي - وهو أضعف منه جندا، وأقل عددا - لم تأخذه أيامها هيبة في مقابلة ذلك الملك، فهل يُلهم هذا أن الطويل كان يفكر في تدمير سلطان بني قسي والاستئثار بالثغر الأعلى دونهم، ولم يُراعِ في ذلك المصلحة العامة للمسلمين؟

★ حصن لوازة: لم أوفق في تحديد مكانه من مملكة ناڤار، وكل ما نعرفه عنه أنه حصن من حصون شانجة غَرْسِيه الحاكم الناقاري (ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٤٨).

(١٠٦) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٤٨.

(١٠٧) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ ٢، ص ٨٦٩؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ق ٢، ص ٥٧١.

★★ ونِعْم الخلف هذا من أهل تطيلة، وكان يرتبط ببني أمية بالولاء (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ ٢، ص ٨٦٩).

★★★ انظر: الفصل الثاني من هذا الكتاب.

مهما يكن من أمر فإن التعاون بين القسوي والطويل لمواجهة نصارى ناڤار يُعد ـ وإن لم يتم على الصفة المرجوة، ـ عملا محمودا، ولكنه من ناحية أخرى يفهم منه أن مملكة ناڤار أصبحت في نهاية القرن الثالث الهجري خطرا حقيقيا يهدد بني قسي في ولايتهم؛ بحيث لم يعودوا قادرين على التصدي لها وحدهم.

٣ـ علاقات الأندلس بالقوى النصرانية الأخرى

لم تنحصر علاقات المسلمين في الأندلس بالنصارى خلال عصر الأمير عبد الله على أشتوريس (لِيون) وناڤار، بل تعدته إلى كيانات نصرانية أخرى، وذلك في إقليم ما يُعرف بالثغر القوطي أولا، وجزر البَلْيَار ثانيا، ومنطقة بروفانس ثالثا، وكانت هذه المناطق كلها تابعة لدولة الفرنجة المسماة بالإمبراطورية الكارولنجية، ولكنها انفصلت عنها مطلقا في أواخر القرن التاسع الميلادي، وبالضبط في مطلع الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ـ مدار بحثنا ـ كما سنرى.

(أ) العلاقات مع الثغر القوطي (قَطَالُونيَا)

كان الفرنجة في عهد شارلمان (٧٧١م/ ١٥٥هـ ـ ٨١٤م/ ١٩٩هـ)، قد توسعوا جنوبا على حساب المسلمين، فسيطروا على عدد من المدن الواقعة في أقصى الشمال الشرقي من الجزيرة الأيبيرية، وعندما احتلوا مدينة بَرْشَلُونَة سنة ٨٠١م/ ١٨٥هـ★ كوَّنوا منها ومن المدن الأخرى المجاورة لها ما عُرف عندهم بالثغر القوطي[١٠٨]، أو الثغر الإسباني★★

★ انظر التمهيد من هذا الكتاب.

(١٠٨) عنان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص ٢٣٥.

★★ وقد عرف أيضا باسم المقاطعة الإسبانية أو البند الإسباني (طرخان، المسلمون في أوروبا، ص١٩٠).

Marca Hispanica (١٠٩) ثم أطلق عليه فيما بعد اسم قَطَالُونيا Catolenia (١١٠)، وقد جعله شارلمان في أواخر عهده يتبع إداريا إمارة أكويتانيا(١١١) التي كانت تشكل المنطقة الجنوبية الغربية من فرنسا(١١٢)، وأصبحت السيادة العليا فيه لحاكم مدينة تُولُوز(١١٣)★، فلما هزم هـذا الحاكم على أيدي البشكنس سنة ٨١٤م/ ٢٠٩هـ أصر أمراء هذا الثغر على الانفصال عنه، فأجيبوا إلى ذلك، وعندئذ أضحت أراضي الثغر القوطي تكـون مع مقاطعة سَبْتَمانِيَا★★ الواقعة إلى الشرق من أكويتانيا ولاية واحدة(١١٤).

ولقـد خشي شارل الأصلع (٨٤٣م/ ٢٢٩هــ - ٨٧٧م/ ٢٦٤هـ) الـذي أعطي فرنسا ومناطق التخـوم الإسبانية بعد توزيع أملاك إمبراطـورية الفرنجة (الكارولنجيـة) بينه وبين أخويـه لوثر ولـويس الجرماني(١١٥)- لقــد خشي

(١٠٩) أحمد بدر، تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري، ص ٥٧.
José R. Aguilar, op. cit., p. 123.

(١١٠) طرخان، المسلمون في أوروبا، ص ١٩٠؛ عادل بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص ٣٥.

(١١١) طرخان، المسلمون في أوروبا، ص ١٩٠.

(١١٢) محمد دياب، تاريخ العرب في إسبانيا، ص ٣٨، ٥٥.

(١١٣) طرخان، المسلمون في أوروبا، ص ١٩٠.

★ تُولُوز أو طُولُوشَة Toulouse مدينة تقع على ضفاف نهر الجارون في جنوبي فرنسا، وتبعد عن باريس مسافة واحد وثمانين وستمائة كيلـو مترا (وفاء عبد الله المزروع، جهاد المسلمين خلف جبال البُرْتَات من القــرن الأول إلى القـرن الخامس الهجــري، رسـالة دكتـوراه لم تنشر بعـد، جـامعة أم القـرى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٤١٩.

★★ سَبْتَمانِيَا Septimania ويطلق عليها أيضا لا نجدوك (عنان، دولة الإسلام، ع١، ق١، ص٥٣، ٧٣) أو غوثيا (طـرخان، المسلمون في أوروبا، ص ١٥٩، ٢٠٠) وهي اليـوم تمتـد من شمالي جبال البرتـات بحذاء السـاحل حتى تتصل بما يعرف بالـرفيرا الإيطاليـة (حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٤٩).

(١١٤) الشيخ، دولة الفرنجة، ص ١٧٤.

(١١٥) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط٧ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨)، جـ١، ص ٢٠٢؛ الباز العـريني، تاريـخ أوروبا العصور الـوسطى، (بيروت: دار النهضة العربية ١٩٦٨م)، ص ٣٤٢.

استقلال هذه الولاية عن مملكته حين حدث تمرد في إقليمها الشمالي (سَبْتَمانيا) فقام بفصل هذا الإقليم عن الثغر القوطي عام ٨٦٥م/ ٢٥١هـ، ومن يومها غدا للثغر القوطي إدارة خاصة لا ترتبط بالأقاليم المجاورة(١١٦)، ولعل ذلك هو الذي شجع حكامه على الاستقلال عن فرنسا حينما أحسوا ضعفا من الملوك الكارولنجيين(١١٧)، ففي عام ٨٧٢م/ ٢٥٩هـ استقل ويفريدو الفولسو Wifredo elvelloso ★ بما تحت يده من مدن، مثل جُرُنْدة وسيردانية★★ وَبلْيَارِش★★★ وغيرها(١١٨)، ثم ما عَتَّم أن أصبح أميرا على بَرْشَلُونَة قاعدة الثغر القوطي عام ٨٧٤م/ ٢٦١هـ(١١٩)، لكن الاستقلال التام لجميع

---

(١١٦) Fernandez, op. cit., p. 63.

(١١٧) أحمد بدر، تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري، ص ٥٧ .

★ ويسمى ويفريد الفولسو باللغة القطالونية Guifre el Pilos (Provencal, op. cit., p. 248) ويحيط الغموض أصول أسرة ويفريدو، إذ لا يزال الجدل جاريا بين المؤرخين حول ذلك (Provencal, op. cit., pp. 247 - 248) فيرى البعض أن ويفريدو هو أحد الأبناء الستة لزعيم يسمى سنفريدو الذي كان يحكم منطقة أورخل ومنطقة بَرْشَلُونَة ما بين سنة ٨٤٤م/ ٢٣٠هـ-٨٤٨م/ ٢٣٤هـ، ومع أنه لم يتمكن أحد من هؤلاء الأبناء الستة من الحكم بعد والدهم لصغر أعمارهم إلا أن شارل الأصلع ملك فرنسا الكارولنجي كان وفيا معهم، إذ ولى أحدهم الذي يسمى ويفريدو دوقية أورخل سنة ٨٦٨م/ ٢٥٤هـ، وبسبب ما بذله ويفريدو من جهود في إخماد الثورات المناوئة للكارولنجيين فقد كوفىء بإمارة بَرْشَلُونَة عام ٨٧٨م/ ٢٦٥هـ فسعى عندئذ للاستقلال حين ضعف الملوك الكارولنجيون حتى تم له ذلك بعد أن وسع رقعة نفوذه في المنطقة .
(Fernandez, op. cit., p. 63 - 64)

★★ سيردانية «شرطانية» Cerdana تقع في السفوح الجنوبية لجبال البُرتّات قرب أحد معابره الشرقية إلى فرنسا (أرسلان، الحلل، جـ٢، ص ١١٠).

★★★ بَلْيَارِش Pallars تقع أيضا إلى الجنوب من الجبال البرتات على الحدود الغربية لقَطالُونيَا مع ولاية أَرْغُون (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٥٨).

(١١٨) أرسلان، الحلل، جـ٢، ص ٢١٧ .

(١١٩) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٥٧ ؛ F. Arranz Vilarde, op. cit., p. 89

مقاطعة الثغر الإسباني (قَطَالُونِيَا) بأسرها عن فرنسا إنما حدث عام ٨٨٨م/ ٢٧٥هـ(١٢٠)، حيث أصبحت جميع هذه البلاد تخضع في عهد الأمير عبد الله لويفريدو المذكور حاشا منطقة أمبوريش★ التي كان يحكمها الكونت سنير الثاني .Sunyer II (١٢١).

ولقد اتسمت العلاقات بين الدولة الأموية في الأندلس والفرنجة بالعداء بصفة شبه مستديمة، فكل ما جرى بينهما من اشتباكات على بطاح الثغر القوطي (قَطَالُونيا) إنما هو انعكاس لطبيعة تلك العلاقات★★، وعندما بدأ حكام هذا الثغر يسعون إلى الاستقلال عن دولة الفرنجة أصبحوا يواجهون أسرة بني قسي التي أبدت هي الأخرى طموحها في الاستقلال بأراضيها حين تمردت على الدولة الأموية.

اهتم ويفريدو حاكم برشلونة بتعمير الأراضي ذات الكثافة السكانية الضئيلة فاتسعت عندئذ حدود مقاطعته على حساب المسلمين(١٢٢)، ويبدو أن بني قَسِيّ قد شعروا بخطر ذلك عليهم، فلذا شرع إسماعيل بن موسى القَسَوي عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م بتحصين مدينة لأَرِدَة المواجهة لمنطقة قطالونيا، ولكن حاكم برشلونة أفصح عن نواياه، وحشد حشوده «وسار يريد منعه من ذلك»(١٢٣) فتصدى له إسماعيل، وجرت بين الجانبين حرب

---

(١٢٠) السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٢٦٦، دائرة المعارف الإسلامية، مادة برشلونة، م٣، ص٥٤٣.

★ أمبوريش Ampurias تقع على ساحل البحر المتوسط إلى الشمال من برشلونة (العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، حاشية ٣ (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د.ت)، ص٢٥٢.

(١٢١) Fernandez, op. cit., p. 65.

★★ انظر التمهيد من هذا الكتاب.

(١٢٢) Femandez, op. cit., p. 64

(١٢٣) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ٤١١.

دارت الدائرة فيها على الحاكم النصراني، إذ قتل أكثر أصحابه(١٢٤).

ولقد ساد السلام منطقة الحدود بين القسويين وقطالونيا فترة ليست بالقصيرة(١٢٥)، ولعل ذلك يعود إلى أن حاكم بَرْشَلُونَة قد قنع بما في حوزته من أملاك بعد تلك الهزيمة التي حاقت به، فآثر الاهتمام بشؤون مقاطعته الداخلية، كما أن بني قسي كانوا قد دخلوا في ظروف قلقة، حيث تأزم الموقف بين إسماعيل بن موسى وابن أخيه محمد بن لب بن موسى، بل إنه لما توفي إسماعيل سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م أحدثت أملاكه المصاقبة لقطالونيا نزاعا بين ابن أخيه المذكور وبين جاره محمد بن عبد الملك الطويل، ومع أن الأمر قد حسم لصالح محمد بن لب بمشورة الأمير عبد الله إلا أن التنافس ظل هو المسيطر على العلاقات بين الاثنين ★.

وبينما كان المسلمون والنصارى ينعمون بالسلام على هذه الجبهة إذ قام حاكم منطقة أمبوريش الكونت سنير الثاني الذي اعتاد على الخروج في أعمال القرصنة على امتداد سواحل الأندلس(١٢٦) - قام على رأس أسطول مكون من خمسة عشر مركبا بالإغارة على ميناء المَرِيَّة★★ - فُرْضَة مدينة بَجَّانَة - في

---

(١٢٤) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ٤١١؛ ابن خلدون، تاريخه، جـ٤، ص ١٦٩.

(١٢٥) Fernandez, op. cit., p. 227

★ انظر: التفاصيل في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(١٢٦) Provencal, op. cit., p. 227.

★★ المَرِيَّة Almeria تبعد عن بجانة عشرة كيلو مترات (ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٥١٧، تعليق ٢٩٠)، وقد كانت مجرد فُرْضَة ومرأى ومحرس لبَجَّانَة (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٣) لا تقوم بها تجمعات سكانية (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٨٦) ولكنها ازدهرت حينما أمر ببنائها عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م الخليفة عبد الرحمن الناصر (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٣).

وقت كـان البحريـون (أهل بَجَّـانَـة) منشغلين بصد هجـوم صـادر من قبل مجاوريهم عـرب كـورة إِلْبِيرة[١٢٧]★. وكأن سنير بعملـه هــذا يتتبع أخبـار البحريين، ويترقب أحوالهم قبل الهجـوم عليهم، فأتى على السفن الإسلامية الراسية في سـاحل المَرِيَّة، وأحرق العـديد منها[١٢٨]، والظاهـر أنه قـرر بعد ذلك التقدم إلى مدينـة بَجَّانَة من أجل انتهابها، إذ كانت أحـوالها الاقتصادية آنذاك مزدهرة جدا [١٢٩]، ولكنه اصطدم - فيما يبـدو - بجماعة من القائمين بالمرابطة على ثغرها[١٣٠]، فقتل أحد أعلامهم، وعندئذ تسلل البحريون أثناء الليل من ميدان المعركة المنتشبة بينهم وبين العرب وقصدوا سنير وأصحابه، فلما أبصرهم هـذا الأخير هـابهم، ودعـاهم إلى الصلح، فقبل البحـريـون. وبانعقاد الصلح بين الطرفين انسحب سنير بمـراكبه، وعاد إلى بلاده[١٣١]، فتخلصت بجانـة وفُرْضَتُهَـا المرية من هـذا الخطر النصراني، فـلا نسمع بقية عصر الأمير عبد الله بقيام حكام قطالونيا بمثل هذا الهجوم البحري عليها.

---

(١٢٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٩.

★ ولم يأت تحديد صريح للعام الذي وقعت فيه هذه الغارة البحـرية، ولكنها بالتأكيد كانت في زمن ولاية سعيد بن جودي على عرب غَرْنَاطة (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٩) التي تمتد من عام ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م حتى عـام ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، ولكن يبـدو أنها قد حـدثت في السنوات الأولى من ولايته؛ لأن أهل بجانة البحريين كانوا قـد ضيقوا على العرب الغسانيين عقب وفاة سوار بن حمدون سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م فاستنجد هؤلاء بسعيد بن جودي، ولكنه تباطأ في نجدتهم وقتا اضطرهم إلى القدوم عليه، ومع أننا لا نعلم مدة هذا الإبطـاء إلا أن ابن جودي كان مؤهلا لنصرة الغسانيين في صدر ولايته أكثر من أي وقت آخر. انظر (الفصل الثالث من هذا الكتاب).

(١٢٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٩.

(١٢٩) Provencal, op. cit., p. 228.

(١٣٠) عبد العـزيز سـالم، تاريخ البحـرية الإسـلامية في المغـرب والأندلس (بيروت: دار النهضـة العربية، ١٩٦٩م)، ص ١٧٠.

(١٣١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٩.

وبعد سنوات من السلم المتتابع على خطوط التماس المشتركة بين المسلمين في الثغر الأعلى وبين نصارى قطالونيا قام لب بن محمد القسوي سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م بإيعاز من والده - على ما يظهر - بترميم حصن مُنْتِشُون(١٣٢) الواقع إلى الجنوب من مدينة بَرْبَشْتر على حدود قطالونيا(١٣٣). وهذا يلهم أن القسويين قد بدأوا يحسون خطر جيرانهم النصارى من الشرق، ويتوقعون هجومهم بين آونة وأخرى، ولذا فقد جهز محمد بن لب في السنة التالية ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م حملة عسكرية إلى إمارة برشلونة قادها ابنه لُبّ فتحرك بها هذا نحو المقصد، فوصل إلى حصن أوره★ فغلب عليه وأحرقه، ثم التقى حاكم برشلونة نفسه ويفريدو واستطاع أن يفض جمعه، ويهزمه هزيمة ساحقة، إلى درجة أن ويفريدو أُصيب بطعنة نَجْلاء كانت سبب موته بعد أيام(١٣٤).

والظاهر أن مقتل ويفريدو بعد الانتصار الرائع الذي حققه لب بن محمد عليه قد جعل القسويين يخشون الانتقام من نصارى بَرْشَلُونَة، ولذا سعوا إلى الاحتراز منهم بقدر الاستطاعة، فقام لب بن محمد في السنة ذاتها ببناء حصن بَلَغَى★★ على الحدود بين الجانبين(١٣٥)، بيد أن انقسام السلطة في إمارة

---

(١٣٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٨.

(١٣٣) أرسلان، الحلل، جـ٢، ص ١٩٦.

★ حصن أوره Awara يقع في نطاق إمارة برشلونة (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٦) ولا يستبعد أن يكون منسوبا إلى نهر آره المنحدر من جبال البرتات على روابي إقليم قطالونيا (أرسلان، الحلل، جـ٢، ص ١١٢، ١١٩).

(١٣٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٦، وحاشية ٥ من الصفحة نفسها؛ Provencal, op. cit., p. 248

★★ حصن بَلَغَى (بلقى) أو بلغير Balaguer أحد الحصون التابعة لمدينة لارِدَة (ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٧؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص ٤٨٨) إلى الشمال منها على مسافة ثلاثين كيلو مترا بحيث يكون من مدينة تَمِّريط إلى جنوبها الشرقي (أرسلان)، الحلل، جـ٢، ص١٩٦، ٢٦٠).

(١٣٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٦.

برشلونة بعد ويفريدو بين أبنائه الثلاثة وهم سنفريدو Sunifredo وويفريدو بريل Wifredo Borrell وسُنير Sunyer قد أذهب ريحها[١٣٦]، فلم تعد تمثل خطرا على المسلمين، ولعل انصراف بني قسي في غزواتهم عن مقاطعة بَرْشَلُونَة إلى نواحٍ أخرى من قطالونيا يُصَدِّقُ ذلك.

وفي المرحلة التالية دخل المسلمون في شرقي الثغر الأعلى في صراع مع أهل بَلْيارِش الواقعة في الأطراف الغربية من قطالونيا بجوار جبال البُرتات؛ فلقد كانت هذه المنطقة - كما سبق أن أبنا - تابعة لحكومة ويفريدو حاكم برشلونة[١٣٧]، ولا ندري لمن آلت السلطة فيها بعد مقتل هذا الحاكم، وتقسيم أملاكه بين أبنائه الثلاثة، فيجوز أنها غدت ضمن أملاك أحد هؤلاء الأبناء، كما يجوز أيضا أن تكون قد انفصلت عنهم، وكونت إمارة مستقلة، وقد يكون الافتراض الثاني أقرب إلى الصواب، حيث سنرى المسلمين في هذه الفترة يَجِدُّون في محاربة أهلها، فضلا عن أن بليارش هذه قد صارت زمن عبد الرحمن الناصر إحدى الإمارات النصرانية الصغيرة جنوبي جبال البرتات التي أرّقت المسلمين[١٣٨]، حتى إنهم أسسوا عددا من الحصون المطلة عليها[١٣٩].

ومهما كان الوضع فقد قام زعيما المولدين في الثغر الأعلى لُبّ بن محمد القسوي - الذي تولى بعد والده - ومحمد بن عبد الملك الطويل كلاهما بمجاهدة نصارى بليارش، فهما وإن لم يشتركا معا في حملات موحدة ضد

(١٣٦) Fernandez, op. cit., p. 65.

(١٣٧) أرسلان، الحلل، جـ٣، ص ٢١٧.

(١٣٨) حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص. ص ٣١٥-٣١٦.

(١٣٩) ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ٣٥٨، ٣٦٣.

هؤلاء النصارى، إلا أن تلك المجاهدة قد وقعت عقب حلول الود بينهما بعد سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م★، أي في النصف الثاني من عهد الأمير عبد الله.

فبينما أفزع لب بن محمد الفونسو الثالث ملك أشتوريس (ليون) بحملته الموفقة على الأراضي النصرانية المجاورة للثغر الأعلى من الغرب في رمضان من سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م فقد قاد في شهر ذي الحجة من هذه السنة هجوما كاسحا ضد نصارى بليارش في الشرق، فنجح في افتتاح عدة حصون، منها حصن مُولة★★، وقد «قُتل بهذه الحصون نحوا من سبعمائة علج، وسبى نحوا من ألف سبية»(١٤٠).

وعندما ارتفع شأن أسرة بني الطويل في الثغر الأعلى، وفرضت نفوذها السياسي على حساب أسرة بني قسي بعد استشهاد لب بن محمد القسوي عام ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م(١٤١) تحمس محمد بن عبد الملك الطويل للجهاد في الأراضي النصرانية المجاورة له من الشرق، فوضع ذلك في مقدمة مشروعاته، ففي سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م نفسها خرج نحو بَلْيَارش، فوطىء أرضها، وقتل كثيرا من النصارى هناك، ولذا خاف أهل حصن رُوطة★★★، فأرسلوا إليه

★ انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

★★ حصن مُولة Mola لا ندري أين ينتصب هذا الحصن من بليارش، ولقد ذكر الرازي حصنا يدعى مولة في غزوة لعبد الرحمن الناصر إلى سرقسطة سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م، ولكنه حدد موقعه قرب مدينة سرقسطة ذاتها (ابن حيان، المقتبس، جـ ٥، ص ٣٥٩، ٣٦٢)؛ ولذا فإنه من المستبعد أن يكون حصن مولة الذي عناه الرازي هناك هو حصن مولة المذكور في غزوة لب بن محمد هنا.

(١٤٠) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٤١.

(١٤١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٧.

★★★ حصن رُوطة Roda يقع من بليارش على ضفة نهر إيسابينا (Provencal, op. cit., p. 250) Isabena إلى الشمال الشرقي من وَشْقَة، وهو غير مدينة رُوطة الواقعة على نهر شلون (السامرائي، **الثغر الأعلى**، ص ٣٥٦، حاشية ١).

وفدا يطلبون منه الصلح، ولكنه رفض بشدة، الأمر الذي أدى بهم إلى الهروب من حصنهم، فتقدم إليه محمد بن عبد الملك وهدمه، ثم ما لبث أن تغلب أيضا على حصن مُنْت بِطْرَوْش(١٤٢)★.

ولقد ذكر ابن عذاري(١٤٣) حملة قام بها محمد بن عبد الملك الطويل إلى بَلْيَارِش سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م، وقد جاءت بعض تفاصيلها مطابقة جدا لما رواه العذري(١٤٤) عن حملة للطويل إلى هذه البلاد سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، وكذلك مطابقة لوصف حملة قام بها أيضا الطويل عام ٢٩٨هـ/ ٩١٠م حسب ما يرويه ابن حيان(١٤٥)؛ إذ تتطابق الروايات الثلاث في نتائج تلك الحملات، فتشير كلها إلى أن محمد بن عبد الملك الطويل قد أصاب ثلثمئة سبية، وأن الفيء قد بلغ ثلاثة عشر ألفا، وبينما تنص فقط روايتا ابن حيان والعذري على أن هذا الفيء ذاته قد صرف في بناء سور مدينة وَشْقَة فإن رواية العذري تتشابه مع رواية ابن عذاري في أن الطويل قد دخل بليارش، وافتتح حصن أَوْلاية (أُورْيُوالة)★★، لكن ابن عذاري ينفرد بأن الطويل في حملته عام

(١٤٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص. ص١٤٤-١٤٥.

★ حصن مُنْت بِطْرَوْش Monte Pedroso فإنه كان مبنيا على نهر شيقر Segre الذي ينحدر من جبال البُرْتات حتى يلتقي بنهر أبرو (Provencal, op. cit., p. 250) (أرسلان، الحلل، جـ٢، ص ١٩٩، ٢٢٥)، وعلى هذا ينبغي الإشارة إلى أن هذا النهر هو غير نهر شُقْر Ju-car لأن هذا الأخير ينبع من جبال وسط الأندلس، ثم يصب في البحر المتوسط جنوب بُلَنْسِيَة (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١٠٨، حاشية ٣).

(١٤٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٦.

(١٤٤) العذري، نصوص من الأندلس، ص ٥٦.

(١٤٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص١٤٦-١٤٧.

★★ حصن أَوْلاية (أُورْيُوالة) Oliala يقع من بَلْيَارِش على وادي شيقر (Provencal, op. cit., p. 250)

٢٩٧هـ/ ٩٠٩م قد «تقدم إلى حصني غَلْتَيْر والغيرَان★ فهدمهما»(١٤٦).

ومن الصعوبة القطع بـرأي حول هذه الحملات الثـلاث، فكما أن التشابه في تفاصيلهـا يجعلنا نشكك في وقـوعها على النسـق الزمني نفسـه المذكور في تلك الروايات، فإنه لا يُسِوِّغُ لنا أبدا إنكار حدوث أي منها في السنوات التي نص عليها المؤرخـون الثلاثة ذاتها، لا سيما وأن محمد بن عبـد الملك الطويل كانت أحـواله في النصف الثـاني من عهد الأمير عبـد الله تؤهلـه للقيام بمثل تلك الحملات.

وعلى أي حال فإن الـوصف التفصيلي للجهاد الذي قام به محمـد بن عبد الملك الطويل إلى بَلْيَارِش في هذه الحملات وغيرهـا يوحي أنه قد وفق بشكل كبير في ردع هذه القوة النصرانية.

وحيث إن الطويل منذ أن ضعف شأن بني قسي كـان قد سيطر على جميع نـواحي الثغـر الأعلى الشرقيـة المحـاذيـة لقَطَـالُـونيـا★★ فقـد غـزا سنـة ٢٩٩هـ/ ٩١١م أراضي بَرْشَلُونَة، إذ أغار على وادي طَرَّاجة★★★، فنهد إليه شُنير بن ويفريـدو حاكم برشلونـة بجيشه، وحاول أن يُطْبِق عليـه ومَنْ معه من المسلمين في هـذا الـوادي، ولكن المسلمين هـزمـوا أعـداءهـم النصـارى «وقتلوا فيهم مقتلة عظيمة»(١٤٧).

ويبدو أن استئناف حكـام الثغر الأعلى المسلمين للغزو في أراضي برشلـونة هـو شعـورهم بعودة روح القـوة إلى حكـومتهـا، حيث إن السلطة فيهـا قـد

★ غَلْتَيْر Gualter والغيَران Alguaira حصنان يقعان أيضا على وادي شيقر (Provencal, op. cit., p. 250)

(١٤٦) ابن حيـان، المقتبس، ق٣، ص. ص ١٤٦-١٤٧؛ العــذري، نصوص عن الأنـدلس، ص٥٦؛ ابن عذاري البيان، ص ١٤٦.

★★ انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

★★★ وادي طـراجـة يقـع في منتصف الطـريق بين لارِدَة وبـرشلـونــة إلى الشرق من حصن بَلَغَى (السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٣٥٧، حاشية ١).

(١٤٧) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٩.

أصبحت سنة ٩١١م/ ٢٩٩هـ للكونت سنير بن ويفريدو وحده بعد أن كانت من قبل مقسمة بينه وبين أخويه[١٤٨]، ولعل اهتمام محمد بن عبد الملك الطويل بحدوده مع برشلونة في تلك الفترة، ثم مقتله سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م وهو يتفقدها[١٤٩] يُقَوِّي هذا التوقع.

ومما تجدر الإشارة إليه أن علاقات محمد بن عبد الملك الطويل لم تكن عدائية مع مجاوريه النصارى، فلقد ارتبط بالمصاهرة مع أحد سادات أَرْغُون[١٥٠]★، إذ تزوج من دونا سانشا ابنة إسنار الثاني، وحفيدة غرسيه إنيجيز (غَرسيه بن وَنَقُة) ملك ناقار، فولدت له أربعة من الأبناء الذكور وهم: عبد الملك وعمروس وفُرتُون وموسى، كما ولدت له أيضا ابنة تسمى دونيا بلا سكينا[١٥١]، وبسبب هذه المصاهرة فإن الرواية النصرانية تعرف الطويل، وتلهج بذكره كثيرا[١٥٢].

وفي الختام لا بد من التنويه عن أن هناك وقائع عسكرية جرت بين المسلمين والنصارى على الحدود مع قطالونيا غير التي ذكرناها مرتبطة بحكام الثغر الأعلى، نستلهم ذلك من كتب التراجم، فعلى سبيل التمثيل نجد

---

(١٤٨) Fernandez, op. cit., p. 65.

(١٤٩) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٦٦.

(١٥٠) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٤٣.

★ منطقة أَرْغُون Aragon موقعها في وسط جبال البرتات (Jose R. Agwlar, op. cit., p. 124)، بجوار قطالونيا من الغرب، وقد كان عدد من النصارى في العهد الأول من تاريخ الدولة الأموية قد اعتصموا في هذه المنطقة، فاستطاع زعيمهم غرسيه شيمينيس أن يكوّن إمارة له في أرغون وما حولها، سميت إمارة سوبرارية Sobrarbe وما زالت تتوسع حتى عرفت فيما بعد باسم مملكة أرْغُون (أرسلان، **الحلل**، جـ٢، ص.ص ١١٠، ١١٢-١١٣)، ومن التوضيح السابق يتبين أن أرغون زمن بحثنا منطقة صغيرة على سفوح جبال البرتات، أي أنها لا تشمل منطقة أرغون الحالية التي تغطي منطقة الثغر الأعلى الإسلامي بأسره (عبد المحسن رمضان، **تاريخ حركة المقاومة الإسبانية**، جـ١، ص٧٠).

(١٥١) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٤٣؛ Provencal, op. cit., p. 250

(١٥٢) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق١، ص ٣٤٣.

طاهر بن حزم الذي كان من أهل طُرْطُوشَة «مات . . . سنة خمس وثمانين [ومائتين] شهيدا في المعترك»(١٥٣)، كما أن الفقيه عبد الرحمن بن معاوية الذي كان أيضا من أهل طُرْطُوشَة استشهد في قتال النصارى سنة ثمان وثمانين ومئتين(١٥٤)، وطرطوشة آنذاك ــ كما يقول الحميدي ـ (١٥٥) «ثغر من ثغور الأندلس»، حيث إنها على التخوم الجنوبية لمقاطعة بَرْشَلُونة النصرانية.

واستشهاد هؤلاء وأمثالهم في هذه الوقائع يوضح أن هناك فئاتٍ من المسلمين ـ سواء من العلماء أو من الزهاد والعباد ـ أو من العامة التي لا تُعْنَى المصادرة عادة بذكرهم ــ هذه الفئات لم تتكل على القوى السياسية الإسلامية، بل وهبت نفسها للجهاد في سبيل الله، والذب تطوعا عن حياض الإسلام المهددة على الدوام في بلاد الأندلس من جانب القوى النصرانية المتنامية في الشمال، حتى إن بعض علماء الأندلس قد جاهد بماله، فأنفقه في تجهيز المسلمين للجهاد في سبيل الله تارة، وبَذَلَه في فك أسراهم تارة أخرى(١٥٦).

(ب) فتح الجزائر الشرقية (البَلْيَار)* واستقرار الحكم الإسلامي فيها زمن الأمير عبد الله:

كانت الجزائر الشرقية (البَلْيَار) قبل الوجود الإسلامي في البحر المتوسط تخضع للبيزنطيين، فلما امتدت الفتوحات الإسلامية المباركة في أراضي

---

(١٥٣) الحميدي، **جذوة المقتبس**، ق١، ص ٢٨٤؛ السمعاني، **الأنساب**، جـ ٤، ص ٦٢.

(١٥٤) ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ ١، ص ٤٤٣؛ الحميدي، **جذوة المقتبس**، ق٢، ص ٤٤٠.

(١٥٥) الحميدي، **جذوة المقتبس**، ق٢، ص ٤٤٠.

(١٥٦) ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ ٢، ص ٩٣٦.

★ البَلْيَار Paleares عرفت عند المسلمين باسم الجزائر الشرقية (ابن حيان، **المقتبس**، جـ ٥، =

الإمبراطورية البيزنطية انشغل الأباطرة بذلك، فلم يعودوا يلتفتون كثيرا إلى الأطراف القَصِيَّة من بلادهم، ولذا فقد حصلت هذه الجزر على نوع من الاستقلال، وعندما أنهى المسلمون الحكم البيزنطي في الشمال الإفريقي أصبحت جزر البليار هذه تعتمد على نفسها في مواجهة الزحف الإسلامي، حيث استقل حاكم كل جزيرة منها بما تحت يده(١٥٧).

ولقد تعرضت جزر البليار لغارات من قبل المسلمين قبل دخولهم الأندلس(١٥٨) حتى تم لهم فتح مَيُورْقَة★ ومنُورْقَة★★ منها سنة ٨٩هـ/ ٧٠٨م(١٥٩) فارتبط جميع أهل تلك الجزر بعهد مع المسلمين، وحينما انهار الحكم الأموي في المشرق، والتهى مسلمو الأندلس بعبد الرحمن الداخل نقض أهل جزر البليار العهد سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م، وأغاروا على السفن والثغور الإسلامية بالتحالف مع الفرنجة الذين تعاظمت قوتهم آنذاك بظهور

= ص٣٢٤ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٧٠)، والجزر الشرقية (ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٢٠٨) أو جزائر شرق الأندلس (**دائرة المعارف الإسلامية**، مادة باليار، م٣، ص ٣٠٧) وهي مجموعة من الجزر تؤلف مع بعضها بعضا أرخبيلاً متسعاً تصل مساحته إلى ٤٩٠٠كم٢ وفيها خمس جزر رئيسة هي: مَيُورقَة ومَنُورقَة ويَابِسَة وفرمنتيرة وقبريرة؛ فضلا عن حوالي مئة جزيرة صغيرة وكتل صخرية تتناثر حول هذه الجزر الخمس (عصام سالم سيسالم، **جزر الأندلس المنسية**، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م)، ص١٥، وجزر البليار الآن هي إحدى المديريات التابعة لإسبانيا (محمد فريد وجدي، **دائرة معارف القرن العشرين**، مادة إسبانيا، م١، ص٢٤٢).

(١٥٧) عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص. ص ٤٦-٤٧.

(١٥٨) عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص. ص ٥٠-٥٢.

★ مَيُورقَة Mallorca هي كبرى جزر البَلْيَار، فتعادل مساحتها ثلاثة أرباع المساحة الكلية لهذه الجزر وهي تقع في الوسط (عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص ١٩).

★★ مَنورقَة Menorca تأتي في المرتبة الثانية بعد مَيُورقَة من ناحية المساحة (عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص ٢٥) وتقع إلى الشمال الشرقي منها (عنان، **الآثار الأندلسية**، ص ١٢٤) بمسافة تقدر بحوالي أربعين كيلومترا (عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص ٢٥).

(١٥٩) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٣٠٢.

شارلمان (٧٧١م/ ١٥٥هـ ـ ٨١٤م/ ١٩٩هـ) وعلى هذا شدد غزاة البحر المسلمون هجماتهم على هذه الجزر الأمر الذي جعل أهلها ينضوون تحت حماية دولة الفرنجة (الإمبراطورية الكارولنجية)؛ بيد أن ذلك لم يمنع الأندلسيين من توجيه غارات إليها، فقد قام أسطول أندلسي كبير سنة ١٨٥هـ/ ٨٠١م بضرب جزر البليار، ومن يومها أخذت جماعات من المسلمين تستقر هناك، ولقد تبودلت الغارات بين أساطيل الأندلس وأساطيل جزر البليار، واستمر الوضع هكذا إلى أن ضعفت الإمبراطورية الكارولنجية فقام المسلمون بفتح تلك الجزر للمرة الثانية سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م، فجدد أهلها العهد مع دولة المسلمين في الأندلس (الدولة الأموية)، ولكنهم خرقوه سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م بتحريض من الفرنجة والبابوية[(١٦٠)]، فوجه الأمير عبد الرحمن الأوسط إليهم في السنة نفسها أسطولا تعداده ثلثمئة سفينة، فافتتح هذا الأسطول أكثر جزائر البليار، ولذا أعلن أهلها الطاعة، وقبولهم الصلح، وفي العام التالي جدد العهد بينهم وبين المسلمين[(١٦١)].

ظلت هذه الجزر تخضع سياسيا للإمارة الأموية، وإن كانت تعيش في ظل نظام شبه مستقل يتبع من الناحية الكنسية لأبُرْشية جُرُنْدَة في إقليم قَطَالونيا حيث إننا نجد مرسوما بابويا صدر عام ٨٨٨م/ ٢٧٥هـ ينص على هذه التبعية[(١٦٢)].

ولقد كانت علاقات أهل جزر البليار بالمسلمين في الأندلس زمن الأمير عبد الله تقوم على حسن التعامل بموجب العهد الموقع بين

---

(١٦٠) عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص. ص ٥٧-٦٢.

(١٦١) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص. ص ٢-٤؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ٨٩.

(١٦٢) عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص. ص٨١-٨٢.

الجانبين[١٦٣]، فبالإضافة إلى أن هناك عدداً من الجماعات الإسلامية كانت قد استقرت في هذه الجزر منذ وقت بعيد[١٦٤] فإن البحارة الأندلسيين كانوا يجدون فيها المأوى الكريم أثناء تنقلاتهم البحرية، حيث يمكثون فيها الأيام الطوال[١٦٥].

ويبدو أن أهل جزر البليار في ذلك الحين نقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين، أو أنه ظهرت بوادرُ توحي بعزمهم على ذلك، لا سيما وأن حكام قَطَالُونيا - التي ترتبط بها هذه الجزر من الناحية الكنسية - كانوا في عداء صارخ مع المسلمين في الأندلس على المستويين البري والبحري[١٦٦]، ولذا فَإن أحد البحريين الأندلسيين وهو عصام الخولاني قَدِمَ إلى الأمير عبد الله فخبره بما رأى في مَيُورْقة ـ كبرى جزر البَلْيَار ـ بعد إقامته بها فترة مْن الزمن، حينما عصفت بمركبه الريح إليها وهو خارج إلى الحج، فاجتهد في إقناع الأمير الأموي بجدوى القيام بفتحها، وما يتبعها من جزر، وعندئذ «بعث معه القطائع في البحر، ونَفَّرَ الناس معه إلى الجهاد»[١٦٧]، ومن هذا يترجح أن رجال الأسطول الذين نفروا مع عصام الخولاني كانوا من المتطوعين بعامة ومن المرابطين على السواحل الأندلسية الشرقية بخاصة، وكان عددهم - فيما يبدو - كبيرا[١٦٨].

---

(١٦٣) عصام سالم، جزر الأندلس المنسية، ص ٨٧.

(١٦٤) حسين مؤنس، «المسلمون في حوض البحر الأبيض إلى الحروب الصليبية»، المجلة التاريخية المصرية، العدد ١، م ٤ (مايو ١٩٥١م) ص ١٢١.

(١٦٥) عصام سالم، جزر الأندلس المنسية، ص ٨٧.

(١٦٦) عصام سالم، جزر الأندلس المنسية، ص ٨٨.

(١٦٧) ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص ٢١٠.

(١٦٨) حسين مؤنس، «المسلمون في حوض البحر الأبيض»، ص ١٢٢؛ رحلة الأندلس، ص ٢٧٩؛ عصام سالم، جزر الأندلس المنسية، ص ٨٩.

اتجه عصام الخولاني عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م(١٦٩) على رأس هذا الأسطول إلى جزر البليار «فحاصرها أياما، وفتحوها [كذا] حصناً حصناً إلى أن كمل فتحها»(١٧٠)★.

ويورد الزهري(١٧١) معلومة عن مَيُورْقَة فيقول: «وفيها المعقل العظيم المشيد... وهو الحصن الشهير المعروف بحصن الأرون★★، وذكر أهل ميورقة أنه لما افتتحت هذه الجزيرة في مدة محمد بن [كذا] الأمير الخامس من بني أمية في الأندلس أن الروم بقوا في هذا الحصن بعد أخذها ثمانية أعوام وخمسة أشهر لا يقدر عليهم أحد حتى نفذ ما كان عندهم من الطعام، فعند ذلك هبطوا».

وإذا تفحصنا هذا النص نرى الزهري يقول: «لما افتتحت هذه الجزيرة في مدة محمد بن الأمير الخامس من بني أمية في الأندلس»، ونحن نعرف أن الأمير الخامس من بني أمية هو محمد بن عبد الرحمن الأوسط(١٧٢)، ثم تولى

---

(١٦٩) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ ٤، ص ٢١٠، الحميري، **الروض المعطار**، ص ٦٧.

(١٧٠) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ ٤، ص ٢١٠.

★ لم يذكر ابن خلدون هنا إلا جزيرة مَيُورْقَة كبرى جزر البَلْيَار ولم يُشر إلى بقية الجزر، ولكن من المرجح أنه يعني جميع الجزر، يتضح هذا من عنونته للخبر بالجزائر الشرقية (البليار) ثم ذكره لولاتها واحداً بعد الآخر، وقد اتبع غير ابن خلدون أسلوبه نفسه (**تاريخ ابن خلدون**، جـ ٤، ص. ص ٢١٠-٢١١، عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص. ص ٨٩-٩٠).

(١٧١) **كتاب الجغرافية** تحقيق محمد حاج صادق (د.م، د.ن)، ص ١٢٩، ١٧٨؛ عبد الرحمن حميدة، **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، ط٢ (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ٣٨٦.

★★ حصن الأرون Alaro يقع إلى الشمال من قاعدة مَيُورْقَة على بعد اثني عشر ميلا منها (الإدريسي، **أنس المهج وروض الفرج**، ورقة ١٦٢).

(١٧٢) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ١٠١؛ النويري، **نهاية الأرب**، جـ ٢٣، ص ٣٨٧.

من بعده ابنـه المنذر ثـم ابنه الثـاني عبد الله[١٧٣]، وحيث إن الفتح النهـائي لجزيرة ميـورقة وغيرهـا من جزر البليار قـد حدث في عهـد الأمير عبد الله بن محمد، ولم تـروَ في المصادر المتوافـرة أخبارُ فتح لها في عهد الأمير محمـد أو ابنه المنـذر فمن المرجح أن المقصود في هـذا النص هو عبـد الله بن الأمير الخامس (محمـد بن عبد الـرحمن الأوسط)، ولكن هذا الاسم - أعني عبـد الله - ربما تعرض للتحـريف من بعـد الزهـري فجاء بهذه الصـورة؛ خاصـة وأن كتاب الزهري بأكمله يغلب عليه كثرة التصحيفات[١٧٤]، وهناك احتمال آخر وهو أن يكون الزهري قد أدرج تلك العبارة مثلما استقاها من بعض أهالي ميورقة، ولا غرابة أن يفـوت على راوي تلك المعلومة إلى الزهـري اسم الأمير عبد الله، وذلك نظرا لبعد الـزمان على أحداث فتح جزر البليار، حيث إن الـزهري قد كَتَبَ كتابه في القرن السادس الهجري[١٧٥]، أي بعد مرور أكثر من مئتي عام على فتح تلك الجزر، زد على ذلك أن الأمير عبد الله من الأمـراء الأمويين غير المشهورين؛ ولذا لجأ راوي الخبر ـ فيما يظهر ـ إلى تعـريفه بإلحاق نسبه بوالده المعـروف لـديه بـالأمير الخامس فقـال: «ابن الأمير الخامس»، أمـا تـدوين الزهري لتلك المعلـومة دون أن يتحقق من صحة الاسم الـوارد فيها، فإن هذا المؤلف ـ سواء أكـان الزهري أم غيره ـ رجل ذو مستـوى ثقافي متواضع[١٧٦]، فكتـابه لا يعـدو كونـه «مجموعـة من المعلـومات احتطبهـا صاحبهـا من أي

---

(١٧٣) ابن عبـد ربـه، **العقد**، جـ ٥، ص. ص ٢٢١-٢٢٢؛ ابـن الفرضـي، **تاريخ علماء الأنـدلس**، جـ١، ص. ص ٤٠-٤١.

(١٧٤) حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية**، ص ٣٧٠، ومما يذكر في هذا المعنى أن الزهري قال عن ميناء المَرِيَّة أنه «من بنيـان معاوية بن محمد الأمير». والصحيح أن الذي بناه الخَليفـة عبد الرحمن الناصر (حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية**، ص ٣٨٢).

(١٧٥) الزهري، **الجغرافية** ص ٣٠٨؛ عبد الرحمن حميدة، **أعلام الجغرافيين العرب**، ص ٣٨٢.

(١٧٦) حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية**، ص ٣٧٢.

مصـدر تيسر لـه من أفواه الـرحـالـة، وأخبـار التجار، وأقـاصيص السفـار وحكايات السمار، مع صفحات من كتب قيِّمة وأخرى غير قيمة»(١٧٧).

ومما يجعلنا نميل إلى اعتبار نص الزهـري المتقدم يتعلق أيضا بأحداث فتح جزر البليـار في عهد الأمير عبـد الله أن هذا الفتح هو الـذي تم بعده للـدولة الإسـلاميـة في الأنـــدلس بَسْطُ سيـادتها على هـذه الجزر، فـاستقـر الحكم الإسلامي فيهـا عدة قرون(١٧٨)، بخـلاف الفتوحـات السابقـة التي لم تكن نتائجها ـ كما أسلفنا ـ سوى التزام أهل تلك الجزر بـالرضوخ للمسلمين عن طريق المعـاهدات، وبقائهم يحكمون بـلادهم بأنفسهم فإذا كان ذلك الفتح الـذي تم في عهد الأمير عبـد الله كذلك فمـن المنتظر أن تكـون أحداثـه هي العـالقـة في أذهان النـاس أكثـر من غيرهـا فيتناقلهـا الخلف بعـد السلف، والزهري ـ كما يبدو من قوله: «وذكـر أهل ميورقة» ـ لم يأخذ تلك المعلومة من راوٍ معروف، وإنما التقطها مما يدور على ألسنة أهل ميورقة من أحاديث.

ثم أن النص يشير إلى امتنـــاع أهـــالي حصن الأرون عن المسلمين، حيث «بقوا في هذا الحصن بعـد أخذها - أي ميورقة - ثمانية أعـوام وخمسة أشهر لا يقدر عليهم أحـد حتى نفذ ما كـان عندهم من الطعام، فعنـد ذلك هبطوا» فمع أننـا قد لا نطمئـن إلى تحديد اعتصـام أهـالي حصن الأرون بثمانية أعـوام وخمسـة أشهر بـالضبط بسبب ملابسـات وصول الخبر إلينـا إلا أنه لا حـرج علينـا أن نحتج به بأن المسلمين قـد فتحوا ميـورقة فظل ذلك الحصن ممتنعـا عليهم فترة زمنية قـد تكون ثمانية أعـوام وخمسة أشهـر أو أقل أو أكثر، ولكن أهله بعد مـرور هذه الفترة نزلوا مستسلمين، وهـذا لن يحدث - فيما يظهر - إلا بعـد عزيمـة صادقـة من المسلمـين على إنهـاء الحكـم السابق في جـزر

(١٧٧) حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا، ص ٣٩٢

(١٧٨) عصام سالم، جزر الأندلس المنسية، ص ٧، ٨.

البليـار، وإقرارهم فيهـا الحكم الإسـلامي المباشر، وكل ذلك ينطبق على مـا فعلـه المسلمون في زمـن الأمير عبد الله ★؛ إذ أن عصـام الخـولاني الذي تيسر لـه فتحهـا أنشأ فيهـا نظـامـا إسـلاميـا، وبنى «فيهـا المسـاجـد والفنـادق والحمـامـات» وحكمهـا عشر سنـوات تقريبـا باسم الأمـير عبد الله، فلما توفي حكمها من بعده ابنه عبد الله(١٧٩).

وقد يتساءل البعض كيف استطاع الأندلسيون فتح جزر البليار هذا الفتح المكين في زمن كانت دولتهم المتمثلة بالدولـة الأموية تعاني من الضعف؟ ثم كيف يلجأ عصام الخولاني إلى الأمير عبد الله، ويستشيره، ويطلب منه العون على فتح تلك الجزر؟

★ أورد عصام سـالم رواية الـزهري التي سطرنـاها في المتن، ومـال إلى أنها تختص بفتح لجزر البليار في عهد الأمير محمـد بن عبد الرحمن، حيث رأى إضـافة اسم عبد الـرحمن إلى قول الزهـري «محمد بن الأمير الخامس»، فجعلها هكذا «محمد بن عبد الرحمن الأمير الخامس» (عصام سالم، **تاريخ جزر الأندلس المنسية**، ص ٧٧)، ورجح أن هذا الفتح - إن صحت روايـة الزهري كما يقول - كان بعد عام ٢٦٣هـ/ ٨٧٥م الذي نشبت فيه الفتن الداخلية في بلاد الأندلس، وظلت مستعرة حتى وفاة الأمير محمد عام ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م (عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص ٨٠) وأحسبه يفترض أن أهل البليار نقضوا العهد بعد ذلك العام، فقام الأمير محمد بفتح بلادهم، ثم إنه يرى أيضا أن لا علاقة بين رواية الزهري هذه وما أورده ابن خلدون عن فتح جزر البليار في عهد الأمير عبد الله، وحجتـه في هذا أن ابن خلـدون ذكر حصـار عصام الخولاني لميـورقة فقـال: «فحاصروهـا أيامـا، وفتحوها حصنا حصنـا إلى أن كمل فتحها»، وأكد أن فتح ميورقة - بناء على قـول ابن خلـدون - لم يستغرق سـوى أيام معدودات، وهـذا يخالف - كما يرى - قول الـزهري عن مقاومـة الأرون أحد حصون ميورقة ما يزيـد على ثمانية أعوام (عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص ٧٨). ولكـن الذي يبـدو أن بقاء حصن الأرون ممتنعـا على المسلمين مثل هـذه المدة لا يقتضي عدم فتح جـزيرة ميورقـة إلا بفتح ذلك الحصن، هـذا من جانب، ومن جـانب آخر فلـو فرضنـا أن رواية الـزهري تتعلق بفتح آخـر غير مـا حـدث في عهـد الأمير عبد الله، وأن أحـد الحصـون قـد استعصى على المسلمين ما يـربو على ثمانية أعـوام فإن معنى ذلك أن المسلمين فتحوا جزيـرة ميورقة، وبقـوا فيها أكثر من تلك المدة المذكورة، فهل تسكت المصادر كلها عن ذكر أحداث مثل هذا الفتح؟

(١٧٩) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ ٤، ص ٢١٠.

مَنْ يُجيل النظر في أحوال الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري يتبين له أن الهدوء قد عمَّ معظم أرجاء البلاد في النصف الثاني من عهد الأمير عبد الله، فلقد استطاعت حكومة قرطبة أن تُنْهِي بعض المتمردين من الوجود، أما المتمردون الآخرون فقد أظهروا الطاعة لها إبان تلك الفترة، فسجل لهم الأمير عبد الله رسميا على أقاليمهم، فكونوا بذلك كيانات شبه مستقلة تنعم بالاستقرار، يستثنى من ذلك ثلاثة متمردين ـ هم عمر بن حفصون وسعيد ابن مَسْتَنَة، وسعيد بن هُذيل ـ ظلوا يشاكسون الإمارة الأموية حتى وفاة الأمير عبد الله، ولكن هؤلاء مع مشاكساتهم للإمارة فإنهم كانوا يظهرون الطاعة لها أيضا بين الحين والآخر بل إن نشاطهم لم يتعدَ جنوبي نهر الوادي الكبير خلال العشر السنوات الأخيرة من عهد الأمير عبد الله★، وبهذا يتضح أن الأندلسيين حينما فتحوا جزر البليار سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م(١٨٠) لم تكن القوى السياسية في بلادهم جميعها متناحرة بل الغالب عليها الوفاق لارتباطها بالإمارة من خلال بذل كل منها الطاعة الاسمية للأمير عبد الله بصفته «أمير الجماعة»(١٨١).

ثم إن الذين تصدوا لهذا الفتح لا بد أنهم كانوا ممن تدربوا على ركوب البحر، ومرنوا على مَخْرِ عُبَابِه، ومن المثير حقا أن هذا الصنف من الناس قد توفَّر في عهد الأمير عبد الله بشكل لافت، وقد لا نغالي حين نقول بشكل لم يسبق له مثيل في عهود أمراء بني أمية السابقين؛ فبالرغم من كوننا لا نخال الأمير عبد الله يهتم بشؤون البحر اهتماما مباشرا فإن البحرية الأندلسية كانت في عصره على درجة كبيرة من النشاط، وذلك بمجهودات ذاتية لا علاقة

★ انظر الفصول: الثاني والثالث والرابع من هذا الكتاب.

(١٨٠) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ ٤، ص ٢١٠؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص ٥٦٧.

(١٨١) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص. ص٢٢، ١٣٣-١٣٤.

للإمارة الأموية بها، قام عليها ورعاها البحريون الأندلسيون(١٨٢)، حيث ظهروا في عهد الأمير عبد الله ضمن القوى المحلية شبه المستقلة في الأندلس(١٨٣)، فازدهرت قواعدهم البحرية المنتشرة على طول سواحل الأندلس الشرقية(١٨٤)، ليس هذا فحسب، بل إنهم أنشأوا مراسي لهم على شواطىء الشمال الإفريقي(١٨٥)، كما نشطوا في غاراتهم البحرية على سواحل فرنسا الجنوبية(١٨٦)، ولا ريب أن هذه القوة البحرية رفيعة المستوى كانت هي العامل المؤثر في فتح جزر البليار★.

أما عن اتصال عصام الخولاني بالأمير عبد الله بشأن جزر البليار، وحصوله منه على الموافقة بفتحها، فإنه رأى - فيما يبدو - أن لذلك فائدة في تكوين قوة عسكرية ضاربة لن تتهيأ إلا بهذا الاتصال؛ ذاك أنه بالإضافة إلى أن أقاليم الأندلس - إلا قليلا - كانت في ذلك الحين ترتبط بالأمير عبد الله سواء عن طريق الطاعة الحقيقية له أو الاسمية فإن أهم قاعدتين للبحريين الأندلسيين على ساحل البحر المتوسط - وهما طُرْطُوشَة وبَجَّانَة - كانتا على الدوام تدينان له بالولاء حتى في أحلك أيامه عندما كانت معظم البلاد خارجة عليه في مطلع حكمه(١٨٧)، وإذا كانت الحالة هكذا في وقت اتصال

---

(١٨٢) الحميري، الروض المعطار، ص ٨٠.

(١٨٣) أحمد بدر، تاريخ الأندلس في القرن الرابع، ص ١٢٩.

(١٨٤) حسين مؤنس، المسلمون في حوض البحر الأبيض، ص ١٢٢؛ أحمد بدر، تاريخ الأندلس في القرن الرابع، ص ١٢٧.

(١٨٥) البكري، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب(بغداد: مكتبة المثنى)، ص٦١، ٧٠.

(١٨٦) رينو، الفتوحات الإسلامية في فرنسا، ص. ص ١٥١ - ١٥٧؛ طرخان، المسلمون في أوروبا، ص. ص٢٠٣-٢٠٤.

★ يتوقع أرشيبالد لويس أن عدم ضم الأمويين جزر البليار إلى أملاكهم قبل فتحها النهائي عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م ربما يعود إلى ضعف البحرية الأموية (القوى البحرية والتجارية، ص ٢٣١).

(١٨٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٢، ٥٣.

عصام الخولاني بهذا الأمير فإنـه من المتوقع أن يستجيـب للجهاد في سبيل الله كل مَنْ يرغب في ذلك مِنْ أهل الأقاليم الطائعة لـلإمارة الأموية، وبالأخص أهل السـواحل الشرقية حينما أسنـد الأمير عبـد الله القيادة لعصـام الخولاني، «ونَفَّر الناس معه للجهاد»(١٨٨) لا سيما وأن إقـرار الأمير عبـد الله بهذا الفتح دليلٌ على اقتناعه ــ بصفته أمير الجماعة ـ بأن المعاهـدة المعقودة بين أهل جزر البليار والدولـة الإسلامية في الأندلس قد تعرضت للنقض، وهـذا سيزيل ما قد يَعِّن في نفوس البعض من حرج في استحلال غزوها.

وربما أن مِن الأمور التي دفعت عصـام الخولاني للاتصال بـالأمير عبد الله من أجل فتح جـزر البليار هو طمـوحه في الـولاية عليهـا، إذ أنه لما أقـام هو وأصحابه فترة زمنية عنـد أهل هذه الجزر «اختبروا من أحوالهم ما أطمعهم في فتحهـا» – على حد قـول ابن خلـدون – (١٨٩)، ويُخَيَّل إلينـا أيضا أن هنـاك اتفاقا بين الأمير عبد الله وعصام الخولاني بموجبه يحكم هذا الأخير تلك الجزر بعـد فتحها، ولـذلك فإنه حينما تـم الفتح كَتَبَ الأميرُ عبد الله «لـه بولايتهـا فوليها عشر سنين»(١٩٠) بل إنه لما توفي عصام قَدَّمَ أهـل جزر البليار ابنه عبد الله، فلم يكن من الأمير عبد الله إلا أن «كتب له . . . بالولاية»(١٩١).

(جـ) نزول مسلمي الأندلس في بروفانس★ (جنوبي فرنسا) زمن الأمير عبد الله

لقد كـان المجاهـدون المسلمون غير المرتبطين غـالبا بسلطـات رسمية قـد تعـودوا منذ أواخـر القرن الثـاني الهجري على القيـام بغارات عبر البحـر على

(١٨٨) ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص ٢١٠.

(١٨٩) ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤، ص ٢١٠.

(١٩٠) ابن خلدون، تاريخه جـ ٤، ص ٢١٠.

(١٩١) ابن خلدون، تاريخه جـ ٤، ص ٢١٠.

★ بروفانس Brovence مقاطعة تقع في جنوبي فرنسا بين نهر الرون وسلسلـة جبـال الألب البحريـة =

أراضي الإمبراطورية الكارولنجية(١٩٢)، بيد أنهم تطلعوا في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ليس للإغارة فقط ومن ثم العودة إلى الأندلس، وإنما للاستقرار الدائم في جهات فرنسا الجنوبية(١٩٣).

ففي سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م رست سفينة على متنها عدد قليل من مسلمي الأندلس في خليج سان تروبيه(١٩٤)★ على شاطىء بروفانس(١٩٥)، فالتجأوا إلى غابة كثيفة حول هذا الخليج، فانطلقوا يغيرون على القرى القريبة، ثم ما لبثوا أن أرسلوا إلى الأندلس وما جاورها بل إلى الشمال الإفريقي يستحثون رفقاءهم على القدوم إليهم، وإمدادهم بالمساعدة(١٩٦)، فتوافد عليهم الكثيرون(١٩٧).

ولا بد أن هناك عوامل دفعت هؤلاء المسلمين للنزول في هذه المنطقة، لعل منها أن البحرية الأندلسية قد ارتقت إلى مستوى متقدم إبان تلك الفترة وذلك بجهود البحريين الأندلسيين، حيث نشطوا في جنوبي البحر المتوسط

= (وفاء المزروع، جهاد المسلمين خلف جبال البرتات، ص ٤١٤) فهي بهذا تطل من الجنوب على البحر المتوسط (أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ١٦٠؛ وتشمل الآن بلاد الألب السفلى ومصاب نهر الرون وبلاد القار وفوكلوز (أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٨، حاشية ٥، ص٢٩، حاشية٤).

(١٩٢) عنان، دولة الإسلام، ع١، ق٢، ص. ص ٤٦٥-٤٦٧.

(١٩٣) الشيخ، دولة الفرنجة، ص ١٨٩.

(١٩٤) رينو، الفتوحات الإسلامية في فرنسا، ص ١٥٢.

★ وهناك روايات تذكر أن نزول هؤلاء المسلمين في خليج سان تروبيه كان في سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م (Francesco Gabrieli, op. cit., p. 201) أو في سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م، (أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ٢٤٤ نقلا عن المؤرخ الألماني فرديناند كلر، غارة العرب على سويسرا)، وخليج سان تروبيه يقع إلى الجنوب قليلا من إمارة موناكو. انظر (خريطة رقم ٣ في آخر هذا الكتاب).

(١٩٥) العدوى، المسلمون والجرمان، ص. ص ١٥٢-١٥٣.

(١٩٦) رينو، الفتوحات الإسلامية، ص. ص ١٥٢-١٥٣.

(١٩٧) الشيخ، دولة الفرنجة، ص ١٩٠.

واتخذوا مراسي لهم في سواحله الأندلسية[١٩٨] وغيرها - كما عرفنا سابقا - ، ولذلك لا عَجَبَ أن يندفع هؤلاء البحريون في تلك الآونة نحو المناطق الجنوبية من فرنسا .

ونكاد نجزم بأن نزعة الجهاد في سبيل الله كانت من الأمور الدافعة لجمهرة كبيرة من المسلمين النازلين في جنوبي فرنسا في تلك الحقبة ، فهم قد حلوا في أراضٍ ليست إسلامية فحققوا نجاحا باهرا بعد تصارعهم مع السكان النصارى ، وما زالوا يستمدون إخوانهم في الأندلس والشمال الإفريقي فينثالون عليهم بكثرة حتى غلظت قوتهم ، وتوسعوا في الأراضي الفرنسية التي تليهم[١٩٩] - كما سنرى - ، وإذا كانت هذه حالتهم فمن الحق القول بأن الرغبة في إعلاء كلمة الله والشهادة في سبيله كانت من أسمى غايات العديد منهم ، وقد وصفهم بعض الجغرافيين الإسلاميين بعد نزولهم هذه البقاع بفترة من الزمن - وصفهم بـ «المجاهدين»[٢٠٠] وأنهم كانوا « في وجوه الإفرنجة»[٢٠١] . أما ما جاء في الروايات النصرانية من وصف هؤلاء المجاهدين بالوحشية ، ودَمْغِهم بالحرص الشديد على المغانم[٢٠٢] ، فبالرغم من أننا لا ننفي ما قد يحدث من تجاوزات من بعضهم فإنه ينبغي الفطنة إلى «أن أكثر هذه الروايات هي من وضع أولئك المؤرخين المتعصبين الذين كان جلهم أو كلهم رهبانا وقسيسين»[٢٠٣]★.

(١٩٨) الشيخ ، دول الفرنجة ، ص ١٩١ .

(١٩٩) الخربوطلي ، الإسلام في حوض البحر المتوسط (بيروت: دار الملايين، ١٩٧٠م)، ص . ص٨٦-٨٧ ؛ Francesco Gabrieli, op. cit., 201

(٢٠٠) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٥ .

(٢٠١) الإصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥١ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٥ .

(٢٠٢) وفاء المزروع ، جهاد المسلمين خلف جبال البرتات ، ص ٣٠٧ .

(٢٠٣) أرسلان ، تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٤٧ ، حاشية ٢ .

★ وهنا يلزم التنبيه إلى أن المصادر العربية الموجودة لا تتحدث مطلقا عن أخبار غزوات المسلمين في فرنسا زمن بحثنا ، والمعول عليه في هذا المجال ما ورد في التواريخ الفرنسية والألمانية والإيطالية =

وأيا كان الأمر فقد اهتم هؤلاء المسلمون بالبناء، فلم تمض سوى بضع سنوات على نزولهم حتى أصبحت المنطقة المشرفة على خليج سان تروبيه كلها مغطاة بالحصون والقلاع، فكان من أهمها حصن فراكسنتم(٢٠٤)★، كما أنهم أقاموا على حافة الخليج نقاطَ حراسة وأبراجَ إنذار بحيث غدا قادرا على إيواء أسطول كامل(٢٠٥).

وليس من شك أن ثمة أموراً ساعدت المسلمين على الاستقرار بأطراف فرنسا الجنوبية بالصورة المشار إليها آنفا، فمن الأشياء التي سهلت عليهم هو الموقع الذي اختاروه على ساحل ذلك الخليج، فالغابة التي التجأوا إليها كانت شائكة الأشجار، متشابكة الأغصان(٢٠٦)، وإلى الشمال منها تمتد سلسلة جبل المور(٢٠٧)★★، وهذه السلسلة بعضها أعلى من بعض بحيث

= (أرسلان، **تاريخ غزوات العرب**، ص ١٦٢، حاشية؛ طرخان، **المسلمون في أوروبا**، ص٣١٤)؛ انظر: تفسير هذه الظاهرة في (نور الدين بن محمود، «**فتح العرب فرنسا وما وراء جبال البرانس**»، **مجلة العربي**، عدد ١٢٢ (١٩٦٩م)، ص ٧٦) وبسبب ذلك فإننا لا نعرف أحدا من قادة المسلمين الذين حملوا لواء الفتح في تلك الأراضي (الشيخ، **دولة الفرنجة**، ص ١٨٥).

(٢٠٤) رينو، **الفتوحات الإسلامية في فرنسا**، ص ١٥٢.

★ فراكسنتم Fraxinetum أو فركسينت Fraxinet يقع حاليا في قرية جارد فريني Garde Frainet بين هيير وفريجوس (طرخان، **المسلمون في أوروبا**، ص ٢٠٣) وقد صحف المؤرخون المسلمون هذا الاسم إلى كلمة فَرَخْشِنِيط (عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص ٨٤).

(٢٠٥) أحمد بدر، **تاريخ الأندلس في القرن الرابع**، ص ١٣٠.

(٢٠٦) أحمد بدر، **تاريخ الأندلس في القرن الرابع**، ص١٣٠؛ أرسلان، **تاريخ غزوات العرب**، ص ٢٤٥ نقلا عن كلر).

(٢٠٧) أحمد بدر، **تاريخ الأندلس**، ص ١٢٩.

★★ جبل المور Maurus أي: جبل المسلمين أو سلسلة جبال المسلمين، حيث أخذت هذه التسمية بعد نزول المسلمين هناك (طرخان، **المسلمون في أوروبا**، ص ٢٠٣)، وقد ذكر بعض الجغرافيين المسلمين جبلا في هذه المنطقة أسموه جبل القلال (الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص ٥١؛ ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص ١٨٥) ومن المرجح أنهم يقصدون به جبل المور (عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص ٨٤).

يشرف الـواصل إلى قمتها على قسـم من بروفـانس السفلى، ويطل في الـوقت نفسه على جبال الألب(٢٠٨)، بل إن حصنهم الـرئيس فراكسنتم قـد شيدوه على جبل المور(٢٠٩) في موضع يمر عليـه الطريق الوحيد المبـاشر للوصول إلى الخليج(٢١٠)، وبهذا كان البحر مفتوحا أمـامهم لاستقبال الإمدادات، وكان البر منفـذا لهم لـلإغـارة والتـوسع، بينها كـانت الغـابـة مـوئلا لهم عنـد الاضطرار(٢١١).

وربما أن من الأمـور التي مكنت المسلمين من الاستقـرار في بـروفـانس الأوضاع السيـاسية المضطربـة التي كانت تمر بها حينذاك فـرنسا بوجـه عام، وإقليم بروفـانس بوجه خـاص، فحينما توزعت السلطة في فـرنسا بين بعض أبنـاء الأسرة الكارولنجيـة الحاكمـة سنة ٨٧٧م/ ٢٦٤هــ اقتطع حـاكم محلي يدعى بوزون مقاطعتـي برجنديا★ وبروفـانس من المملكة الفـرنسية، فأصبح حاكما عليهما بمبـاركة رجـال الديـن والنبلاء المحليين(٢١٢)، ولكنـه لم ينعم طويـلا بحكم هاتين المقاطعتين إذ أن ظهـوره وقيام بعض الثـوار الآخرين في مناطق أخـرى وَحَّدَ الكلمة بين أفـراد البيت الكارولنجي فسـويت الخلافات التي كـانت تضرب بجـرانها بينهم، فقـامـوا بعمل مشترك ضـد منـاوئيهم،

(٢٠٨) رينو، **الفتوحات الإسلامية**، ص ١٥٢.

(٢٠٩) عصام سالم، **جزر الأندلس المنسية**، ص ٨٤؛ عبـد الفتاح مقلـد الغنيمي، **الإسلام والثقافة العربية في أوروبا** (القاهرة: عالم الكتب، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص ١٥٤.

(٢١٠) رينو، **الفتوحات الإسلامية**، ص ١٥٣.

(٢١١) رينو، **الفتوحات الإسلامية**، ص ١٥٣.

★ برجنديا (بـورجوينا) Bourgone مقاطعـة في شرق فرنسـا (رينو، **الفتوحات الإسلامية**، ص ١٦، حاشيـة ٤) وهي تصاقب مقاطعة بـروفانس من الشمال (الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص ٢٠٤) وقد عرفت فيها بعد باسم فرانشي كونتي (طرخان، **المسلمون في أوروبا**، ص ١٤٦).

(٢١٢) نـور الـدين حـاطـوم، **تـاريخ العصر الـوسيط في أوروبـا** (لبنـان: دار الفكـر الحديثـة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م،) ص ٢٢٧؛ طرخان، **المسلمون في أوروبا**، ص ٢٠١.

فاستطاعـوا هزيمة بوزون، وانتزعوا معظم أراضي ولايتـه، فلم يبقَ له منها إلا جزءٌ من مقـاطعة بـروفانس، فظل يحكمه حتى وفـاته عـام ٨٨٧م/ ٢٧٤هـ فخلفه ابنه لـويس، ولكن نظرا لحداثة سنه فقـد عورضت سلطته في الأراضي التي ورثها عن والده؛ ولـذلك فإنه قدم على الفور الطاعة لـلإمبراطور شارل السمين الذي كـانت أملاك الإمبراطوريـة الكارولنجيـة برمتها متحـدة آنذاك تحت لوائه[٢١٣]، بيد أن خلع هذا الإمبراطور في العام نفسه ٨٨٧م/ ٢٧٤هـ قد أدى إلى انحلال الإمبراطورية الكارولنجيـة، وانتقال العرش في فرنسا – في الـوقت ذاته – من البيت الكـارولنجي إلى أسرة كابيـه[٢١٤]، وعلى هذا عـاد لـويس ابن بـوزون يُهدد مجدداً من قبل معارضيـه الأمـر الـذي جعل والدتـه إرمنغارد (أرملـة بوزون) تنصب نفسها – فيما يبدو – وصيـة عليه، فحكمت باسمه إلى أن مـاتت سنة ٨٩٦م/ ٢٨٣هـ، أو في السنـة التالية[٢١٥]، وبعد وقت قصير من وفاتها زج ابنها لـويس بن بوزون بنفسه وبقواتـه العسكرية في حـروب مستعـرة بجـانب حلفـائه في إيطـاليـا[٢١٦]، وذلك سنـة ٩٠٠م/ ٢٨٨هـ[٢١٧] فهـزم هناك وأسر وبـذلك تـرك مملكتـه في بروفـانس، فساد الاضطـراب في جنباتها[٢١٨]، وذَرَّ قَـرْنُ الشقاق بين زعمائهـا[٢١٩]، في غمرة هـذه التقلبات السياسيـة الطويلة التي شهـدتها هذه المنطقة كـان نزول المسلمين، فكانـوا في البداية يحترزون من الابتعاد عن حصـونهم، ولكنهم ما عَتَّموا أن تـوغلوا في الداخل مستفيـدين من استعانـة الزعماء المحليين بهم في

(٢١٣) حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ص. ص ٢٢٧-٢٢٨.
(٢١٤) عاشور، أوروبا العصور الوسطى، جـ١، ص ٢٠٤.
(٢١٥) حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ص ٢٣٤.
(٢١٦) عنان، دولة الإسلام، ع١، ق٢، ص ٤٦٨.
(٢١٧) وفاء المزروع، جهاد المسلمين خلف جبال البرتات، ص ٣١٥.
(٢١٨) عنان، دولة الإسلام، ع١، ق٢، ص ٤٦٨.
(٢١٩) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ٢٤٥.

عراكهم ضد بعضهم بعضا ، وما هي إلا سنوات قلائل حتى صارت بروفانس كلها خاضعة لهؤلاء المسلمين(٢٢٠).

ولقد تخطى المسلمون بروفانس في أواخر القرن الثالث الهجري، وأخذوا في التقدم نحو الشمال، ففي سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م اخترقوا منطقة دوفنيه★، ثم عبروا ممر «مون سني» أهم ممرات الألب الفرنسية(٢٢١)، فاستولوا على دير «نوڤاليس»★★ الواقع في منطقة ڤالي السويسرية على حدودها مع مقاطعة بيمونت التابعة لإيطاليا(٢٢٢)، ثم أغاروا على القرى والضياع المجاورة، فقتلوا كثيرا من أهلها(٢٢٣)★★★، كما أن المسلمين في السنة نفسها وصلوا في فتوحاتهم إلى منطقة مونتفرات في غربي إيطاليا، فغزوا منها مدينة أكي(٢٢٤)، بل إنهم امتدوا حتى حدود منطقة ليجوريا على شاطئ جنوة(٢٢٥)، ويذكر أن

---

(٢٢٠) رينو، **الفتوحات الإسلامية في فرنسا**، ص ١٥٤.

★ منطقة دوفنيه Dauphine تقع إلى الشمال مباشرة من بروفانس (أرسلان، **تاريخ غزوات العرب**، ص ١٠٥، حاشية ٤) وتمتد من جبال الألب شرقا حتى وادي الرون غربا (وفاء المزروع؛ **جهاد المسلمين خلف جبال البرتات**، ص ٤٢١) فهي بهذا تعد من أراضي مقاطعة برجنديا (وفاء المزروع، **جهاد المسلمين خلف جبال البرتات**، ص ٣٢٣).

(٢٢١) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق٢، ص ٤٦٨.

★★ ويقع دير نوڤاليس بالضبط في سفح جبل سنيس على وادي سوزا (أرسلان، **تاريخ غزوات العرب**، ص ٢٤٦، ٢٤٧).

(٢٢٢) رينو، **الفتوحات الإسلامية**، ص ١٥٥.

(٢٢٣) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق٢، ص ٤٦٨؛ الشيخ، **دولة الفرنجة**، ص ١٩٢.

★★★ ويذكر عبد الفتاح الغنيمي أن المسلمين دخلوا في هذه السنة دير فاليرة «وحولوا الكنيسة التي في الدير إلى مسجد. . . واتخذوا منه مقرا لتحفيظ القرآن الكريم، ودراسة علومه المختلفة» (**الإسلام والثقافة العربية في أوروبا**، ص ١٥٦) ولا ندري إن كان يقصد بدير فاليرة دير نوقاليس المذكور في المتن أو لا؟.

(٢٢٤) رينو، **الفتوحات الإسلامية**، ص ١٦٣؛ Francesco Gabrieli, op. cit., p. 201

(٢٢٥) عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق٢، ص ٤٦٩.

النصارى ترصدوا في بعض الأماكن للفاتحين المسلمين، فأوقعوا بهم، وأسروا عددا منهم، واقتادوهم إلى أحد الأديرة في مدينة تورينو الإيطالية، بيد أن هؤلاء الأسرى المسلمين تمكنوا من الإفلات، فعادوا إلى إخوانهم في زمن وجيز(٢٢٦).

ولقد قام المسلمون أيضا في عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م بمهاجمة ساحل لانجدوك (سبتمانيا) في الجهات الغربية من بروفانس، فاجتاحوا ضواحي منطقة إيغمورت Aiguemortes ، ونهبوا دير بسالمودي(٢٢٧)★.

وبنهاية القرن الثالث الهجري أصبح نفوذ المسلمين النازلين في بروفانس يمتد إلى لانجدوك غربا، وإلى مشارف الأراضي السويسرية شمالاً، ثم إلى الأطراف الغربية من إيطاليا شرقا، وبذلك تحكموا في معظم ممرات جبال الألب وسيطروا على طرق الاتصال بين فرنسا وإيطاليا إلى درجة أن رئيس أساقفة مدينة أُرْبُونَة بسبب ذلك لم يستطع السفر إلى روما عام ٩١١م/ ٢٩٩هـ(٢٢٨).

وهكذا تبين على مدى الصفحات السالفات أن المسلمين في الأندلس قد واجهوا إبان الربع الأخير من القرن الثالث الهجري النصاري في عدة جبهات، كان بعضها بريا، والبعض الآخر بحريا، وقد كانت علاقتهم بهؤلاء النصارى تقوم في غالبها على الحلول العسكرية حيث تصدى أهل الثغور الأندلسية وحكامهم للقوى النصرانية المتاخمة لهم من الشمال، فأحرزوا عليها انتصارات باهرة في الوقت الذي لم ترسل حكومةُ قرطبة أي

---

(٢٢٦) الشيخ، دولة الفرنجة، ص ١٩٢ .

(٢٢٧) رينو، الفتوحات الإسلامية، ص ١٥٧ .

★ لمعرفة مواقع الأماكن الواردة في المتن انظر: خريطة رقم «٣» في آخر هذا الكتاب.

(٢٢٨) رينو، الفتوحات الإسلامية في فرنسا، ص ١٥٦ .

بعوث عسكرية نحو تلك القوى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد تحقق خلال الفترة نفسها إنجازان مهمان وقد لا نتجاوز الصواب إن قلنا إنهما مهمان في التاريخ الأندلسي بأكمله، وهذان الإنجازان هما: الأول: فتح جزر البليار، وثبات الحكم الإسلامي فيها بعد ذلك بعِدّة قرون، والثاني: استقرار جماعات من مسلمي الأندلس في إقليم بروفانس جنوبي فرنسا، حيث نزلوا هناك في أوائل عهد الأمير عبد الله، ولم ينتهِ عهد هذا الأمير حتى بلغوا حدا من القوة أهلتهم للتحكم في مسالك العبور بين إيطاليا وفرنسا، ثم استمرارهم يجولون ويصولون في تلك الأصقاع إلى أن أخرجوا منها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري[٢٢٩].

ثانيا: علاقات الأندلس السياسية بالعالم الإسلامي

لا جرم أن الأندلسيين كانوا على صلة بالعالم الإسلامي، فلم يكن العداء السياسي الذي قد يحصل بين حكومتهم الأندلسية والحكومات الإسلامية الأخرى ليمنعهم من الارتباط بروابط ثقافية واقتصادية واجتماعية مع ذلك العالم الفسيح الأرجاء[٢٣٠]، إذ أن تعدد الحكومات على طول الوطن الإسلامي في تلك العصور لم يضيق معنى الإسلام، ولم يقف حائلا دون قيام وحدة إسلامية لا تتقيد بالحدود السياسية[٢٣١]، فلقد كان المسلم يتنقل داخل البلاد الإسلامية كلها «في ظل دينه وتحت رايته، وفيها يجد الناس

(٢٢٩) حسين مؤنس، **المسلمون في حوض البحر الأبيض**، ص.ص ١٣٠-١٣١، نور الدين بن محمود، **فتح العرب فرنسا**، ص. ص ٧٩-٨٠.

(٢٣٠) الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص ٢٨٩؛ عبد الجليل الراشد، **العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس**، ص ١٠.

(٢٣١) آدم مِتز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٤ (بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ص ٢١.

يعبدون الإله الواحد الذي يعبده، ويصلون كما يصلي، وكذلك يجد شريعة واحدة، وعرفا واحدا، وعادات واحدة»(٢٣٢)، ونحن هنا لن نتطرق إلى هذه الروابط التي لم تنقطع يوما من الأيام بين الأندلسيين وباقي الشعوب الإسلامية، ولكن سنكتفي بالحديث عن العلاقات السياسية بين الأندلس والقوى الإسلامية الخارجية.

١ ـ علاقات الأندلس بالعباسيين والأغالبة

ما فتئت الخلافة العباسية تعادي النظام السياسي القائم في الأندلس المتمثل في الإمارة الأموية، فلقد حاول العباسيون انتزاع بلاد الأندلس من مؤسس هذه الإمارة عبد الرحمن الداخل أكثر من مرة، ومع أنهم فشلوا في ذلك أذرع الفشل(٢٣٣) إلا أنهم لم يفكروا أبدا أن يعيشوا على وئام مع الدولة الأموية في الأندلس، وينظروا إليها على أساس نظرتهم للدول الأخرى(٢٣٤)، فلقد ظل بنو العباس يصرون على اعتبار بني أمية ـ حتى على عهود أبناء عبد الرحمن الداخل وأحفاده ـ مغتصبين للحكم في هذه البلاد، وأنه ينبغي التخلص منهم(٢٣٥) بل إننا نجد الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م-٢٨٩هـ/ ٩٠١م) في مدار بحثنا، أو بالضبط في سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م يصدر كتابا يَشْتُم فيه بني أمية بأفحش الكلمات، وَأَقْذَعِ العبارات(٢٣٦)★.

(٢٣٢) آدم متز، الحضارة الإسلامية، ص ٢٢.

(٢٣٣) ابن الأثير، الكامل، جـ ٥، ص ٥٧٥، جـ ٦، ص ٥٤؛ وانظر: التمهيد من هذا الكتاب.

(٢٣٤) عبد الجليل الراشد، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس، ص ١١٧.

(٢٣٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)، ص ٣٣٧.

(٢٣٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جـ ١٠، ص. ص ٥٥-٦٦.

★ هذا الكتاب خالٍ من أي ذكر للأمويين في الأندلس، وقد كان إصداره ـ فيما يبدو ـ بسبب اتجاه الناس في أسواقهم وجوامعهم في بغداد إلى الترضي عن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ، =

وبالمقابل كان الأمراء الأمويون في الأندلس على حذر شديد من العباسيين، ومن أبلغ مظاهر هذا الحذر أنهم كانوا «يمنعون أهل دولتهم من السفر لفريضة الحج لما يتوهمونه من وقوعهم بأيدي بني العباس، فلم يحج سائر أيامهم أحد من أهل دولتهم» - حسبما يقول ابن خلدون - (٢٣٧)★، كما أنهم كانوا يعدون أنفسهم أندادا للعباسيين، فكانوا يتجنبون أية مَنْقَصة قد توسم بهم عند خلفاء بني العباس(٢٣٨)، كما أنهم أيضا يحرصون على الإحاطة بأحوال الخلافة العباسية فالأمير محمد والد الأمير عبد الله كان يتقصى أخبار الخلفاء العباسيين وعمالهم عن طريق أصدقائه في المغرب والتجار القادمين من المشرق(٢٣٩) «فلا يكاد يغيب عليه شيء من جلائلها»(٢٤٠).

وفي إطار هذه العداوة المستحكمة بين الأمويين والعباسيين اتجهت أنظار بعض الثوار في الأندلس على الأمير عبد الله إلى بني العباس، فعمر بن

= والترحم عليه (ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ١١، ص ٧٦، ط. مكتبة المعارف) ولكن هذا لا يُضير أن نستشهد بهذا الكتاب على دوام العداء بين الأمويين عامة والعباسيين.

(٢٣٧) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٥١.

★ ومن الواضح أن ابن خلدون قد قصد بأهل الدولة في النص الوارد في المتن رجال الدولة (موظفيها)، ولم يكن قصده الشعب الأندلسي، فالناظر في كتب التراجم يرى أن العديد من العلماء قد رَحلوا للحج في فترة الدولة الأموية، فإذا كان هذا قد وقع في حق العلماء فمن باب أولى أن يتقاطر عامة الناس إلى الحج في الفترة نفسها، ويبدو أيضا أن مَنْعَ الحكام الأمويين رجالَ دولتهم من الحج لا ينطبق على أولئك الذين يتم عزلهم من الخدمة، أو ربما أن من أراد الحج منهم لا بد أن يتخلى عن منصبه، فالوزير عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة حج سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م، أي في عهد الأمير عبد الله (ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٤٥)، فلما عاد من الحج لزم بيته حتى وفاته سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م (ابن الأبار، الحلة، جـ ١، ص ١٤٧، ٢٤٧).

(٢٣٨) الخشني، قضاة قرطبة، ص ١٧٥؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٦.

(٢٣٩) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص. ص ٢٦٥-٢٦٧.

(٢٤٠) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٢٢٦.

حفصون أظهر ميله للخلافة العباسية(٢٤١)، وحيث إن دولة الأغالبة في إفريقية★ كانت أقرب دولة لبلاد الأندلس تمثل العباسيين فقد راسل ابن حفصون أميرها إبراهيم بن أحمد الأغلبي (إبراهيم الثاني)(٢٤٢) فكاتبه «في إعلانه بدعوتهم، ولاطفه بالهدايا»(٢٤٣) وقد كان ذلك قبل معركة بُلاي الحادثة بين الأمير عبد الله وابن حفصون سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م(٢٤٤)، لكن ابن الأغلب لم يحفل كثيرا بتحقيق رغبة ابن حفصون، ولم يعنه بأي تجهيزات عسكرية، وإنما اقتصر رده عليه بأن كافأه على هديته(٢٤٥) «واكتفى بأن وجه له تشجيعاتٍ رَخِصَة»(٢٤٦).

ويرى ابن خلدون(٢٤٧) أن سبب تثاقل ابن الأغلب عن إجابة ابن حفصون هو اضطراب بلاد إفريقية عليه في تلك السنوات. وفي الحقيقة إذا

---

(٢٤١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٣.

★ دولة الأغالبة: تأسست دولة الأغالبة على يد إبراهيم بن الأغلب التميمي حينما عينه الخليفة هارون الرشيد على ولاية إفريقية سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م (الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، جـ٨، ص ٢٧٢) واعترف به أميرا مستقلا تحت ظل الخلافة العباسية، وقد استمر أبناؤه يتوارثون الحكم فيها من بعده معترفين بالسلطان الاسمي للخليفة العباسي حتى سقطت دولتهم (أحمد الشريف، **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، ط٥ (القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت)، ص. ص٤١٣-٤١٤، وكان سقوطها على أيدي الفاطميين سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م (ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ق٣ـ **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط** ـ تحقيق أحمد مختار العبادي، ومحمد الكتاني (الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٦٤م)، ، ص ٤٢، ٤٥).

(٢٤٢) النويري، **نهاية الأرب**، جـ٢٣، ص ٣٩٥؛ Provencal, op. cit., p. 236

(٢٤٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٣.

(٢٤٤) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٢٣.

(٢٤٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٣.

(٢٤٦) محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية ـ التاريخ السياسي** ـ نقله إلى العربية المنجي الصيادي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م)، ص ٤١٤.

(٢٤٧) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٤، ص ١٧٣.

نظرنا إلى الأحوال الداخلية لدولة الأغالبة منذ ولاية الأمير عبد الله بن محمد الأموي في الأندلس عام ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م(٢٤٨) وما بعدها اتضح لنا مبلغ ما عليه تعليل ابن خلدون من الصدق، فلقد كان إبراهيم الثاني الأغلبي يواجه في بلاده مشكلات مزمنة إبان الفترة المتوقع فيها حدوث الاتصالات بينه وبين ابن حفصون(٢٤٩).

لكن طابع المجاملة الذي اكْتَستْ به الاتصالات بين الرجلين يحملنا على أن نفترض - بجانب اضطراب إفريقية - أمرا آخر قد يكون له دور في صرف إبراهيم بن الأغلب عن بذل المساعدات العسكرية لابن حفصون، ذاك أن ابن الأغلب كان قد وقع بينه وبين الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن ـ والد الأمير عبد الله - «مكاتبة ومداخلة أوجبت الأنس والملاطفة» - على حد قول الرازي(٢٥٠)ـ، وذلك في النصف الثاني من عهد الأمير محمد★، وعلى هذا فلا يستبعد أن يكون ابن الأغلب قد حافظ على صداقته للإمارة الأموية في عهدي الأمير المنذر ثم الأمير عبد الله ابني الأمير محمد، فلم يرَ - فيما يظهر - نصرة ابن حفصون الثائر عليها★★.

(٢٤٨) ابن عبد ربه، **العقد**، جـ٥، ص ٢٢٢.

(٢٤٩) الطالبي، **الدولة الأغلبية**، ص.ص ٣٠٢-٣٠٥، ٣١٠-٣٢٢؛ محمود عبد الرازق، **الأغالبة ـ سياستهم الخارجية** (القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٢م)، ص.ص ٢٣٩-٢٤٢.

(٢٥٠) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٢٦٦.

★ قلنا إنها في النصف الثاني من عهد الأمير محمد، لأن هذا الأمير قد حكم الإمارة ما بين سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م ــ ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م، (ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، جـ ٥، ص ص ٢١٨ ـ ٢١٩)، وإبراهيم بن الأغلب قد حكم دولة الأغالبة ما بين سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م- ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م. (الوزير السراج، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م)، م ٢، ص ١٠.

★★ أورد الزبيدي أن أحد الرجال المقربين من إبراهيم بن الأغلب وهو إسماعيل بن يوسف المعروف بالطلاء المنجم قد هرب إلى الأندلس خوفا من صاحب دار الضرب، فتوفي بها (**طبقات النحويين**=

وقبل أن ندع العلاقات بين الأندلس من جهة والعباسيين والأغالبة من جهة أخرى في فترة الأمير عبد الله نود أن نتوقف قليلا عند خبر اشترك في روايةِ شَطْرٍ منه النويري، وصاحب ذكر بلاد الأندلس، ثم انفرد النويري برواية شطره الآخر، يقول صاحب ذكر بلاد الأندلس[٢٥١] بعد أن عَدَّدَ المتمردين على الأمير عبد الله: «وعزم القوم أن يدعوا على منابرهم لأمير المؤمنين المعتضد العباسي صاحب بغداد»، أما النويري[٢٥٢] فيقول أيضا بعد تصويره وضع البلاد أيام الأمير عبد الله: «وعزموا على الدعاء على منابر الأندلس للمعتضد بالله العباسي فكتبوا إلى إبراهيم بن أحمد الأغلب يسألونه أن يبعث إليهم رجلا مِنْ قِبله، فتثاقل عنهم إبراهيم، وشغله - أيضا - اضطراب أهل إفريقية عليه فأمسكوا عن ذلك».

وإذا أرجع المرء بصره في هذا الخبر، وقارنه بأحوال الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري يلاحظ ما يلي:

(أ) أن المتمردين في الأندلس على الأمير عبد الله قد عقدوا العزم على الدعاء للخليفة العباسي المعتضد بالله، ويبدو أن هذا لا يتناسب مع الوقت الذي جعله المؤرخان السابقان وقتا للدعاء باسم الخليفة المعتضد بالله، فهما قد أتيا بمسألة الدعاء للخليفة المعتضد بالله عقب تأكيدهما مباشرة خروج

= واللغويين، ص ٢٤٢) وهذا قد يثير شكاً حول ما رجحناه في المتن آنفا، ولكن الشك يتبدد إذا عرفنا أن الطلاء المنجم قد شارك إبراهيم بن الأغلب في غزواته على صقلية عام ٢٨٩هـ/ ٩٠١م التي توفى فيها إبراهيم (طبقات النحويين، ص. ص ٢٤١-٢٤٢؛ الطالبي، الدولة الأغلبية، ص. ص٥٧٢-٥٧٤، ٥٧٨) وهذا يعني أن فرار الطلاء المنجم إلى الأندلس قد كان بعد وفاة إبراهيم ابن الأغلب الذي رجحنا أنه ربما ظل محافظا على صداقته للأمويين في الأندلس.

(٢٥١) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٥٥.

(٢٥٢) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٣٩٥.

الأندلس كلها عن طاعة الأمير الأموي عبد الله بن محمد، فالنويري[(٢٥٣)] يقول عن هذا الأمير: «كثر الثوار عليه حتى لم يبق في يده إلا مدينة قرطبة وحدها . . . ولم تبقَ مدينة إلا خالفت عليه، وعزموا على الدعاء على منابر الأندلس للمعتضد بالله العباسي»، أما صاحب ذكر بلاد الأندلس[(٢٥٤)] فيقول عنه: «فخرجت عليه جميع بلاد الأندلس ما عدا قرطبة . . . ولم تبق بالأندلس مدينة إلا خالفت عليه، وعزم القوم أن يدعوا على منابرهم لأمير المؤمنين المعتضد العباسي»، ونحن هنا لا نناقش مصداقية تلك الأقوال عن الأمير عبد الله بقدر ما نريد أن نستشف منها أن المؤرخين السابقين أكدا أن المتمردين في الأندلس عزموا على الدعاء للخليفة العباسي المعتضد بالله حينما كانت الأندلس تضطرم كلها بالشورة على الأمير الأموي الذي تولى مقاليد الأمور سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م[(٢٥٥)] وحيث إن الخليفة العباسي المعتضد بالله لم يبدأ حكمه إلا في سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م[(٢٥٦)] فإننا نشك في كونه المعني بالدعاء، ولكن قد يكون المعني بذلك سابقه المعتمد الذي حكم من سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م حتى ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م[(٢٥٧)]، ومما يدعم رأينا أن ابن حيان قد أشار إلى أن ابن حفصون – وهو أكبر المتمردين في الأندلس حينذاك – قد أظهر بالفعل الدعوة العباسية قبل معركة بُلاي سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م – كما تقدم توضيحه – أي في عهد المعتمد وليس في عهد المعتضد، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الأمير عبد الله قد استعاد هيبته نوعا ما في الأندلس بعد معركة بُلاي، فكان الأقرب إلى المعقول أن يفكر المتمردون في الدعاء للخليفة المعتمد، أي في مطلع عهد الأمير عبد الله الذي وصلت فيه

(٢٥٣) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٣٩٥.
(٢٥٤) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٥٤، ١٥٥.
(٢٥٥) ابن عبد ربه، العقد، جـ٥، ص ٢٢٢.
(٢٥٦) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٣٤، ٣٣٥.
(٢٥٧) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٣٦.

الإمارة الأموية إلى أقصى درجات الضعف، وليس بعد معركة بُلاي أي حين أخذت تلك الإمارة تتجه تدريجيا إلى القوة، فدخل العديد من أولئك المتمردين في طاعتها.

(ب) ثم إن الخبر السابق قد جاء بلفظ الجمع مما يفيد أن المتمردين في الأندلس أو عددا منهم قد عزموا على الدعاء للخليفة العباسي، وحيث إننا - على ضوء دراستنا لأحوال الأندلس في تلك الفترة لا نرى أحدا قد حاول استدرار عطف العباسيين سوى عمر بن حفصون فنرجح أن يكون الخبر يختص به، إلا أننا مع ذلك لا نملك يقينا قطعيا يخولنا أن ننفي بموجبه كون أحدٍ من المتمردين غير ابن حفصون قد همَّ برفع علم الخلافة العباسية.

٢ - علاقة الأندلس بالأدارسة في المغرب الأقصى

منذ أن قامت دولة الأدارسة★ في المغرب الأقصى والعلاقات بينها وبين حكام الأندلس الأمويين يشوبها الحذر والتربص، فلقد انزعج هؤلاء الأمويون أيما انزعاج من قيام إمامة علوية مجاورة[٢٥٨] لا يفصلها عن أملاكهم سوى مضيق جبل طارق[٢٥٩]، وبالفعل فقد أصبحت دولة

★ دولة الأدارسة أسسها إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في المغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م (ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** (الرباط: دار المنصور، ١٩٧٢م)، ص ٢٠). وقد استمرت هذه الدولة في عقب إدريس حتى سنة ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م وإن كانت في أكثر أيامها خلال القرن الرابع الهجري قد وقعت تحت نظر الدولة الفاطمية تارة أو الدولة الأموية تارة أخرى (ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٩٥؛ أحمد الشريف، **العالم الإسلامي**، ص. ص ٤١٢-٤١٣)، ومما يفيد ذكره أن الأدارسة هؤلاء بالرغم من كونهم من العلويين فإنهم على المذهب السني (ألفرد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**، ترجمة عبد الرحمن بدوي (بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨١م)، ص٨٨، ٩٠.

(٢٥٨) سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي** (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٧٩م)، جـ٢ ص ٤٩٢.

(٢٥٩) حسن علي حسن، **دراسات في تاريخ المغرب العربي** (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٧٩م)، ص٨٤.

الأدارسة مأوى لعدد من المتآمرين على حكومة قرطبة، كما غدت ملاذا آمنا للفارين من عقابها(٢٦٠)، بل لقد هَمَّ الأمير الإدريسي إدريس الثاني (١٨٨هـ/ ٨٠٤م - ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) أيضا باقتحام الأندلس، ولكن وفاته حالت دون تنفيذ المشروع(٢٦١).

أما الأمراء الأمويون فقد سعوا من جانبهم إلى التوقي من هذا الخطر الذي هب عليهم من الجنوب، فحرصوا على تقوية روابطهم بالدولة الرستمية★ المتاخمة من الشرق لدولة الأدارسة(٢٦٢)، كما اهتموا بضبط السواحل، ووضعوا رقابة على السفن الغادية في البحر والرائحة(٢٦٣).

وبالرغم من أن الأمراء الأدارسة تمزقوا شيعا بعد إدريس الثاني، وصار كل واحد منهم يحكم منطقة معينة من دولتهم(٢٦٤) فإن روح العداء للإمارة الأموية ظلت مصطبغة في نفوسهم، فلم يكفوا عن الكيد لها متى حانت لهم السوانح.

فلقد رحب إبراهيم بن القاسم الإدريسي صاحب البصرة(٢٦٥)★★ بعمر

(٢٦٠) حسن علي حسن، دراسات في تاريخ المغرب، ص. ص ٨٦-٨٨.

(٢٦١) التنسي، تاريخ دولة الأدارسة (مقتبس من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان) تحقيق عبد الحميد حاجيات (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م)، ص ٤١.

★ سوف نعّرف بهذه الدولة في فقرة تالية.

(٢٦٢) عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس، ودول المغرب، ط٢ (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٣م)، ص ٩٦.

(٢٦٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٨٠.

(٢٦٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص. ص٥١-٥٢؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٣ (الخاص بالمغرب) ص. ص ٢٠٢-٢٠٥.

(٢٦٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠؛ نقط العروس، ص ٧٥.

★★ وإبراهيم الإدريسي هو إبراهيم بن القاسم بن إدريس (الثاني) بن إدريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩، ٥٠) أما البصرة =

ابن حفصون المتمرد على الأمـويين عندما طلب التحالف معـه، فكانت بين الاثنين «مراسلات ومكاتبات في شأن النفـاق على الخليفة الأموي بقرطبة» كما يقول ابن عذاري(٢٦٦)★، فكان ابن حفصون - بأثـر من هذه الاتصالات - يخطب باسم إبـراهيم بن القاسم على منـابره(٢٦٧)، وقد استمرت العـلاقات بينهما على هذا النحو من الصفاء حتى توفي إبراهيم(٢٦٨).

ولا نـدري متى جــرت تلك المراســلات بين ابن حفصـون وإبــراهيم بن القـاسم التي استمرت حتـى وفاة هـذا الأخير، بيد أننـا نعلم أن إبـراهيم بن القـاسم قد حكـم البصرة حوالي أربعين سنـة(٢٦٩)، وبهذا فإن معـرفـة وقت المراسلات بين الرجلين ستنجلي بمعرفة السنة التي وَلِيَ فيها إبراهيم البصرة أو السنـة التي توفي فيهـا مقارنـة بالفترة التي تمرد فيهـا ابن حفصون على الإمـارة الأموية في الأندلس، ولكن ـ يا لـلأسف ـ تعذر الوقوف على تحديد للسنتين كلتيهما، ولذا فليس أمـامنا إلا اللجوء إلى الحدس والتـوقع فنقول: لقـد كان إبراهيم بن القاسم يتولى شؤون مـدن أخرى بجانب عاصمته البصرة، وحينما تـوفي انقسمت أملاكـه بين أبنائه، فكـان من نصيب ابنه حسين بن إبـراهيم

= فبدهي أنها غير البصرة المعروفة بالعراق (ياقوت، **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، ط٢ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٥٧). حيث إنها تقع على بعد مئـة كيلو متر جنـوبي طنجة (ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص ١٣١، حاشيـة) بينها وبين فـاس (الحميري، **الروض المعطار**، ص١٠٨)، ولا تزال حتى الآن ماثلة شمالي طريق وزان على مسافة عشرين كيلو مترا جنوب القصر (ليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**، ترجمة عبـد الرحمن حميـدة، (الرياض: جـامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت)، ص ٣١٠، حاشية ٣١٨.

(٢٦٦) ابن عذاري، **البيان**، جـ١، ص ٢٣٣.

★ ومن الواضـح أن ابن عذاري قد أطلـق لفظ «الخليفة» على الأمير الأموي تجاوزا، وإلا فـإن إطلاق هذا اللفظ على الأمراء الأمويين قبل إعلان عبد الرحمن الناصر الخلافة ليس في محله.

(٢٦٧) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٥٠؛ **نقط العروس**، ص ٧٥.

(٢٦٨) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ٢٣٣.

(٢٦٩) ابن عذاري، **البيان**، ص ٢٣٥.

مدينة أصيلا★، فحكمها خمسا وعشرين سنة[٢٧٠]، ثم وليها من بعده ابنه القاسم بن حسين بن إبراهيم، ثم آل أمرها أخيرا إلى الحسن الحجام بن محمد[٢٧١] الذي استولى على معظم مدن المغرب الأقصى عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م[٢٧٢]، وكانت أصيلا بطبيعة الحال من ضمن تلك المدن.

فلو طرحنا من سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م سنوات حكم حسين بن إبراهيم بن القاسم لمدينة أصيلا دون الاتفاف إلى فترة حكم ابنه القاسم ــ فإن بداية حكمه لها ستكون في سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م، ولكن لا بد أن ابنه القاسم بن حسين قد حكم مدينة أصيلا فترة من الزمن ــ كما تقدم ذكره ـ ولذا فإن بداية ولاية حسين بن إبراهيم لمدينة أصيلا، وبالتالي وفاة إبراهيم بن القاسم ـ صاحبنا ـ ستكون قبل سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م بسنوات، وحيث إن إبراهيم بن القاسم حتى وفاته كان على اتصال بعمر بن حفصون، وكان ابن حفصون قد راسل الأغالبة قبل معركة بُلاي سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م[٢٧٣] فإنه من المرجح أن مواصلة عمر بن حفصون لإبراهيم بن القاسم الإدريسي كانت في الفترة ما بين بداية تمرده على الإمارة الأموية سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م[٢٧٤]، ومراسلته للأغالبة، ويُخَيَّلُ إلينا أيضا أن اتصاله بالأغالبة لم يتم إلا بعد وفاة حليفه الإدريسي، لأن ابن حفصون لن يجرؤ على الاتصال بالأغالبة وهو يخطب على

★ أصيلا Arzila مدينة صغيرة على ساحل المحيط الأطلسي، وهي على مسافة ستة وتسعين كيلو مترا جنوبي مدينة طنجة بينها وبين مدينة العرائش (الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ط٣، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٥٧.

(٢٧٠) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٣٣.

(٢٧١) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ١١٣.

(٢٧٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطوب، ص ٨٢.

(٢٧٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٣.

(٢٧٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٠٤.

منـابره لـلأدارسـة؛ فعداوة هـؤلاء الأخيرين لـلأغالبـة كـانت سمة بـارزة في علاقتهما مـع بعضهما بعضاً (٢٧٥)، ويظهـر أن ابن حفصون لن يخفى عليـه إدراك ذلك.

٣ ـ علاقة الأندلس بالدولة الرستمية في المغرب الأوسط

ارتبط حكام الأندلس الأمويون بعـلاقات الود والتعاون المشترك مع حكام الـدولـة الـرستميـة في المغـرب الأوسط★ بـالـرغم من الاختـلاف المذهبي بينهم(٢٧٦)، إذ الأمـويـون من أهل السنـة، بينما الـرستميـون كـانـوا من الخوارج(٢٧٧)★★، ولعل من أهـم الأسبـاب التي وثقت هـذا الارتبـاط بين

---

(٢٧٥) محمود عبد الرزاق، **الأغالبة**، ص ١٣٥؛ حسن علي حسن، **دراسات في تاريخ المغرب العربي**، ص ٦٣، ٧١.

★ الدولـة الرستمية: تنسب هذه الدولـة التي قامت في المغرب الأوسط إلى مؤسسها عبـد الرحمن بن رستم (سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، جـ٢، ص ٢٨٩) وكان عبـد الرحمن قد بايعـه أصحابه بـالإمامة سنـة ١٦٠هـ/ ٧٧٦م أو سنـة ١٦٢هـ/ ٧٧٨م (أبو زكـريا، **سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق إسماعيل العـربي، ط٢ (بيروت: دار الغرب الإسلامـي ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ٨١). وقد شملت أملاك الدولة الرستمية كل أرجاء دولة الجزائر الحالية ما عدا بعض جهات قليلة في الجنـوب والشرق (أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، جـ٤، ص ٢٠٥). ولقـد استمـر الحكم في ذرية عبـد الـرحمن بن رستم حتى سقـوط الـدولة على أيـدي الفـاطميين سنـة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م (ابن عذاري، **البيان**، جـ١، ص ١٩٧). لمعرفة أخبار هـذه الدولة انظر (محمد تاويت، «دولـة الرستميين أصحاب تـاهرت»، **صحيفة معهد الـدراسات الإسلامية في مـدريد**، م٥، العدد ١ ـ ٢ (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)، ص. ص ١٠٥-١٢٨؛ وسهيل زكار «**الدولة الرستمية في تيهرت**»، **مجلة دراسات تاريخية**، العدد ١٢ (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص. ص ٧٤-٩٠).

(٢٧٦) محمود إسماعيل عبد الرازق، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، ط٢ (القاهرة: مكتبة الحرية الحديثة، ١٩٨٦م)، ص ٢٠٣.

(٢٧٧) عبد العزيز فيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، ص٩٧.

★★ والمذهب الخارجي الذي ينتسب إليه الرستميون هو مـذهب الإباضية، (أبو زكريا، **سير الأئمة وأخبارهم**، ص ٣٩، ٤٠).

الطرفين هو أن الدولة الرستمية كانت على غير وفاق مع جيرانها الأغالبة من الشرق والأدارسة من الغرب الذين كانوا هم أيضا في الوقت نفسه خصوما للأمويين في الأندلس(٢٧٨).

ومنذ أوائل القرن الثالث الهجري تألقت بشكل ساطع علاقة أمراء الأندلس الأمويين بالدولة الرستمية، فتبادلوا مع حكامها السفارات، واستعانوا برجال من أسرة بني رستم في أعمالهم الإدارية والعسكرية(٢٧٩).

ونتيجة لهذه العلاقات الودية بين الجانبين فإن الحكومة الرستمية لم تكن تسمح رسميا أن يقيم على أراضيها أحد يناوىء أصدقاءها الأمويين(٢٨٠)، وقد بدا ذلك جليا في أن ابن حفصون كان قبل ثورته الكبرى قد عاقَبَتْه السلطات الأموية على جُرْم اقترفه، فأقام سرا عند أحد أصحابه في مدينة تَاهَرْت★ عاصمة الرستميين، فلما خشي أن ينكشف أمر وجوده بها غادرها فورا، وذلك خوفا أن يقبض عليه بنو رستم، إذ كان «ولاؤهم لبني أمية» على حد قول ابن القوطية(٢٨١).

(٢٧٨) محمود علي مكي، «الخوارج في الأندلس»، **مجلة تطوان**، العدد الأول (١٩٥٦م)، ص ١٧٢؛ محمد عيسى الحريري، **مقدمات البناء السياسي للمغرب العربي**، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص. ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢٧٩) فيلالي، **العلاقات السياسية بين الدول الأموية في الأندلس ودول المغرب**، ص. ص٩٨-١٠٠.

(٢٨٠) الحريري، **مقدمات البناء السياسي للمغرب**، ص ٢٢٢.

★ تَاهَرْت: هناك بلدتان بهذا الاسم، الأولى تاهرت القديمة، والأخرى تاهرت الحديثة (ياقوت، **معجم البلدان**، جـ٢، ص ٧، ٨؛ **المشترك وصفا والمفترق صقعا**، ص ٨٠) والمقصود هنا تاهرت الحديثة التي بنيت في فترة تأسيس الدولة الرستمية (أبو زكريا، **سير الأئمة وأخبارهم**، ص. ص٨١-٨٢)، وهي الآن تابعة لدولة الجزائر (سهيل زكار، **الدولة الرستمية في تيهرت**، ص ٧٤) على الحد الشرقي لمركز وَهْرَان على مسيرة ستة أميال جنوب غربي تيارات (**دائرة المعارف الإسلامية**، مادة تاهرت، م٤، ص ٥٢٥).

(٢٨١) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص. ص ١٠٣-١٠٤.

ويرى أحد الباحثين أنه بالرغم من كوننا لا نجد ما يدل على أن الأمير عبد الله كان على اتصال بأمراء تاهرت فإنه من المحتمل أن العلاقات الطيبة بين الأمويين والرستميين قد استمرت في عهده، ويبني هذا الباحث احتماله على أن أخبار الأوضاع الداخلية في الأندلس قد استحوذت على جل اهتمام المؤرخين «فبدت تلك العلاقات وكأنها أصيبت بالتقلص»[٢٨٢]، ويمكن أن نضيف إلى هذا أيضا أن ثمة إشارات في المصادر يفهم منها بقاء تلك العلاقات ودية بين الجانبين؛ من ذلك أن البحريين الأندلسيين نزلوا في مدينة وَهْرَان★ سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، واستوطنوها بطريقة سلمية، وكان يترأس هؤلاء محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون[٢٨٣] اللذان كانا «من رجال الدولة الأموية»[٢٨٤]، وقد بقي هؤلاء البحريون الأندلسيون في وَهْرَان مدة سبع سنين «مقيمين فيها للدعوة [كذا] الأموية»[٢٨٥]، وحيث إن مدينة

(٢٨٢) هذا الباحث هو جودت عبد الكريم يوسف، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية** (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م)، ص١٤٨.

★ وَهْرَان: تقع في المغرب الأوسط على مقربة من ضفة البحر المتوسط: (الإدريسي، **صفة المغرب**، ص ٤٨) وهي الآن من أهم مرافئ دولة الجزائر على هذا البحر (شارل بدران، **أطلس العالم** (مطابع فالاردي، ١٩٧٨م)، ص ٨٥) والمسافة بينها وبين مدينة تلمسان مئة وأربعة وسبعون كيلو مترا (ليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**، ص ٣٩٩، حاشية ٧٤).

(٢٨٣) البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، ص ٧٠؛ ياقوت، **معجم البلدان**، جـ٥، ص ٣٨٥؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص ٦١٢، وقد أورد خبر نزول البحريين الأندلسيين في وهران صاحب كتاب «الاستبصار» ولكن دون أن يحدد أسماءهم أو تاريخ نزولهم هناك (مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد (الإسكندرية: مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م)، ص ١٣٣.

(٢٨٤) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٦، ص ١٩١.

(٢٨٥) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٦، ص ١٩١.

وهران كانت تابعة لأملاك الدولة الرستمية(٢٨٦)، وقد نزلها هؤلاء الأندلسيون في عهد الأمير عبد الله بلا حرب، وظلوا يعيشون فيها باسم أمويي الأندلس، ولم يتعرضوا لهجوم القبائل المجاورة إلا بعد سقوط الدولة الرستمية(٢٨٧)، فإن استيطان أولئك الأندلسيين الموالين للأمويين مدينة وهران قد حدث حتما بموافقة الحكام الرستميين، وهذا يعني استمرار العلاقات الودية بين الأمويين والرستميين في عهد الأمير عبد الله.

وخلاصة القول أن علاقات الأندلس السياسية بالقوى الخارجية الإسلامية قد اقتصرت في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري على الجانب الدبلوماسي القائم على المراسلات وتبادل الهدايا ونحو ذلك، وقد مثل الأندلس في تلك العلاقات حكومة قرطبة من طرف★، وعمر بن حفصون من طرف آخر★★.

---

(٢٨٦) محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير** (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، جـ٣، ص ٢٧٢، ٥١٤، ٥١٧، ٥١٩.

(٢٨٧) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ٦، ص ١٩١.

★ كانت لإمارة بني صالح في نكور بمنطقة الريف المغربي، وإمارة بني مدرار في سجلماسة في جنوبي المغرب، وإمارة برغواطة في تامسنا في المغرب الأقصى ـ كانت لهذه الإمارات الصغيرة علاقات حسنة مع الأمويين قبل فترة الأمير عبد الله (عبد العزيز فيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، ص. ص ١١٠-١١٣) ولكننا في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري لا نعثر على معلومات في المصادر المتوافرة تُخَوِّل لنا الكتابة عن تلك العلاقات اللهم إلا أنه جاء خبر قد يفهم منه أن إمارة نكور كانت في ذلك الحين ترتبط بالأندلس بشكل عام، وهو وجود أحد الشعراء الأندلسيين في بلاط حكام هذه الإمارة والذي قام بالرد ـ شعراً ـ على الفاطميين (البكري، **المُغرب في ذكر بلاد إفريقية**، ص ٩٥؛ ابن الأبار، **الحلة**، جـ١، ص ١٩٤).

★★ ولقد حدثت علاقات موثقة بين عمر بن حفصون والفاطميين حينما استوثق لهم الأمر في المغرب (ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٣٢؛ ابن خلدون: **تاريخه**، جـ ٤، ص ١٧٣) ولكننا لم نتطرق إليها لأنها لم تحدث إلا من بداية سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م (مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص١٥٦) وهذا كما هو واضح خارج عن نطاق بحثنا.

الفَصل السادس

تقويم عام لأوضاع الأندلس

تقويم عام لأوضاع الأندلس

نظرا لتشعب حوادث الفتنة في الأندلس إبان الربع الأخير من القرن الثالث للهجري فإن دراستها لن تبلغ درجة من الاكتمال - فيما يبدو - ما لم نتبعها بتحليل نجمع فيه الملامح العامة لتلك الحوادث، ولعل ذلك يتأتى لنا من خلال تسليط الأضواء بشكل مركز على الحكومة الأموية من ناحية، ثم رصد الآثار التي خلفتها تلك الفتنة على البلاد من ناحية أخرى.

أولا: نظرة موضوعية في أحوال الإمارة الأموية زمن الأمير عبد الله

مهما بلغت قوة المتمردين بالأندلس في فترة الدراسة، ومهما - أيضا - تدنت في المقابل سلطة حكومة الأمويين فإنه لا ينكر أن المصادر قد جعلت الحاكم الأموي الأمير عبد الله محورا لدراسة أحداث هذه الفترة[1]، ناهيك عن أن ثمة مصادر حينما تطرقت لهذه الحقبة في سلسلة حديثها عن الحكام الذين تعاقبوا على حكم دولة الإسلام في الأندلس قد اقتصرت على هذا الحاكم دون المتمردين عليه بصفته حاكما لهذه الدولة[2]، وعلى هذا فإن الوقوف مَلِيا عند الأمير عبد الله، والتعرف بصورة إجمالية على سياسته حين تعامل مع أحداث الفتنة، ثم تفحص أسلوبه لتسيير دفة الحكم في قرطبة، إن ذلك يقدم لنا - فيما يظهر - تقويما مناسبا لوضع الحكومة التي يُنظر إليها بأنها الحكومة الشرعية في الأندلس وسط لفيف كبير من المعاندين لها.

---

(١) انظر مثلا: ابن حيان، **المقتبس**، ق٣؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص. ص ١٢٠-١٥٢؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص. ص ٢٦-٢٨.

(٢) انظر على سبيل المثال: المسعودي، **التنبيه**، ص ٣٠٣؛ الشاطبي، **الجمان في مختصر أخبار الزمان**، ورقة ١٦٩/أ؛ المقري، **نفح الطيب**، جـ ١، ص. ص ٣٩٨-٣٠٠.

ففي أوائل عهد الأمير عبد الله قَلَّ أن ترمق كورة من كور الأنـدلس خالية من تمرد على الحكومة الأموية، حيث كـان هناك عدد من الزعماء المحليين قد تمردوا قبل مجيء هذا الأمير[٣]، كما تمرد آخرون بعد ولايته بزمن قصير[٤]، فلم تبق لهذه الحكومة سيادة كاملة إلا على قرطبة وأحوازها[٥]، وكذلك على قليل من المناطق غيرها مثـل طُرْطُوشة وبَجَّانـة اللتين استمرتا مرتبطتين بـالعاصمة قرطبة، فكان عمالهما يعينون من قبل الأمير عبد الله أو بمباركته[٦].

أمام هذا التقلص المريع في سيـادة الحكومة القرطبيـة على نواحي الأندلس قلة الخراج الوارد إليها من تلك النواحي[٧]، ولما كان الخراج موردا أساسيا من موارد الميزانية في هذه الحكومة[٨] فقد أصيبـت على إثر ذلك بعجـز مالي كبير إلى حد أن الحاكم الأمـوي عبد الله ضم إلى بيت المال تلك الأموال الموقـوفة في المسجد الجامع[٩]، وقد أشار ابن خلدون[١٠] إلى هذا الاضطراب المالي ـ حين تحدث عن الأمير عبـد الله فقـال: «ولما كثـر الثـوار قل الخراج لامتنـاع أهل النواحـي من الأداء». على أن الأمير عبد الله بما أتيح لـه من إمكانات عـالج هذه الفتنة، فاجتهد في إخضـاع أولئك المتمردين «وتقويمهم على الطريقة،

(٣) ابن خلدون، تاريخه، جـ٤، ص. ص ١٦٧-١٦٩.
(٤) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص. ص ١٥٤-١٥٥.
(٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٤.
(٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٢، ٥٣، ١٠٦، ١٠٩.
(٧) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٣٣؛ النويـري، نهاية الأرب، جـ ٢٣، ص. ص ٣٩٥-٣٩٦؛ المقري، نفح الطيب، جـ١، ص ٣٥٢.
(٨) محمـد محمد التهـامي المليجي، الحياة الاقتصـادية في الأندلـس في عصر الدولة الأمـوية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ١٨٢.
(٩) الخشني، قضاة قرطبة، ص ١٨٩، ١٩١؛ ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص ١٥٣.
(١٠) ابن خلدون، تاريخه، جـ٤، ص ١٧٠.

وذيادهم عن الغواية، وتناولهم باللين والشدة من [لعلها: مع] معاناة ذلك طوال مدته» على حد تعبير ابن حيان(١١)، وقد سلك في هذا السبيل سياسة يمكن تلخيص معالمها في عدة نقاط، هي كالتالي:

● حيث إن القسم الأعظم من المتمردين لم يعمدوا إلى احتلال حواضر الكور التي كانت عادة مركزَ العمال(١٢)، وإنما اعتصموا بمدن وحصون غير الحواضر فإن حكومته ظلت تعين عمالا على تلك الكور غير عابئة بمدى نفاذ سلطة هذا العامل أو ذاك على جميع عمله★.

● دعوته - منذ أول يوم تولى فيه - المتمردين على اختلاف اتجاهاتهم للدخول في تبعية حكومته، وذلك عن طريق الاعتراف بهم حكاما على مناطقهم بمجرد دفعهم الجباية(١٣) أو إظهارهم الطاعة.

---

(١١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣٣.

(١٢) بيضون، الدولة العربية، ص ٢٢٥؛ المليجي، الحياة الاقتصادية في الأندلس، ص ٢٦، ٢٠٤.

★ كما حدث - مثلا - في كورة جيان، حيث كان قد انتشر فيها عدد من الثوار، فبقيت حاضرتها أكثر أيام الأمير عبد الله بيد حكومته، فعاملها في بداية عهده كان عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥١) ثم وليها عباس بن لقيط، فلما طرده أهل الحاضرة سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م، واستدعوا المتمرد خير بن شاكر لحكمها لم تهدأ الإمارة حتى قُتل هذا المتمرد في السنة التالية، فبقيت حاضرة جيان بلا عامل بعض الوقت، (ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص. ص ١٢٢-١٢٣) ويبدو أن الإمارة تابعت تعيين العمال فيها، لأننا نرى أحدَ المتمردين يقتل العامل الأموي عليها في حدود سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، وحينئذ قامت الإمارة بضربه، وأعادت سيادتها عليها (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٢٥، ١٣٩)، وقد حدث في كورة رَيُّة التي يقع فيها بُبَشْتَر معقل أعتى المتمردين عمر بن حفصون - حدث فيها قريب مما حدث في كورة جَيَّان، فكان العمال الأمويون يتعاقبون على ولاية حاضرتها أرشذونة بمشاركة ابن حفصون حينا، ولوحدهم حينا آخر (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٥٠، ٥٣-٥٤، ١٠٦) كما وقع الشيء نفسه في كورتي إشبيلية وإلبيرة خاصة في أوائل عهد الأمير عبد الله (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٦، ٦٩ وما بعدها).

(١٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٣٤.

● القيام بالتضريب بين الثوار وإشاعة الفرقة بينهم(١٤)، فكأن الأمير عبد الله لجأ إلى تطبيق المبدأ المعروف «فرق تسد» ليمنع نشوء أي اتحاد قد يحدث بين بعضهم بعضا(١٥).

● استخدام القوة العسكرية أيضا ضدهم، فتابع إخراج الجيوش إليهم طوال فترة حكمه، وكان في سنوات عهده الأولى يشارك بنفسه في هذا المضمار ★، ثم اتكل على أعمامه وأبنائه وقواده.

بهذه الأساليب جذب الأمير عبد الله في الأيام الأولى من عهده عددا من المتمردين إلى الطاعة - وإن كانت اسمية - ★★، كما أضعف قدرات قسم منهم، وقضى نهائيا على قسم ثان★★★، وأجبر قسما ثالثا على الطاعة بالصورة التي اعتاد تقبلها من المتمردين، بل إنه لما تعزز موقف إمارته نتيجة للإجراءات السابقة، أخذ جمع من الثوار الذين لم تحاول القوات الأموية مطلقا غزوهم، أخذوا يبعثون بطاعتهم لحكومة قرطبة إحساسا منهم - فيما يبدو - بأن حكمهم لمناطقهم غير مقبول لدى الأندلسيين ما لم يرتبط بتلك

---

(١٤) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٥٨؛ Fernandez, op. cit., p. 57

(١٥) Provencal, op. cit., p. 240.

★ انحصرت مشاركات الأمير عبد الله في ثلاث غزوات، اثنتان إلى ابن حفصون في سنتي ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م و ٢٧٨هـ/ ٨٩١م (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٥٣-٥٤، ٩٣-١٠٥؛ ابن عذاري، البيان، ص ١٢٢، ١٢٣) والثالثة وهي آخر غزواته بنفسه كانت إلى سعيد ابن مستنة سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، وتسمى غزوة كركبولية (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ١٠٦-١٠٧).

★★ من هؤلاء: عبد الرحمن بن الجِلِّيقي في بَطَلْيَوْس (البكري، جغرافية الأندلس، ص. ص١٢٢-١٢٣)؛ محمد بن عبد الملك الطويل في وَشْقَة (العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٦٥)؛ محمد بن عبد الرحمن التجيبي في سَرَقُسْطَة (العذري، نصوص عن الأندلس، ص٤٢).

★★★ انظر أمثلة لمن قضت عليهم الإمارة في: (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٣٨، ١٤١ وما بعدها).

الحكومـة، ولذا فإنه لم تَـأْتِ الأعوام الأخيرة من عهد الأمير عبـد الله إلا وكان المتمردون في الأندلس سوى قلة منهم لا تبلغ في عـددها أصابع اليد يظهرون الطاعة، ويحكمون أراضيهم حكما ذاتيـا، وبهذا اقترن أولئك الزعماء المنتشرون في غالب منـاكب الأندلس مع حكومة قـرطبة★ بربـاط الولاء الاسمي★★، وتشكل عندئذ اتحاد أشبـه ما يكون بالاتحاد الاندمـاجي (الفيدرالي)★★★، وقـــد أطلق البعـض - تبعـــا لــــذلــك - على الأمير عبـــد الله لقب «أمير الجماعة»(١٦)، أو «إمام الجماعة»(١٧)، أو «سلطان الجماعة»(١٨).

ولعل هذا الالتفاف مـن قبل المتمردين حول الأمير عبد الله، بـالإضافة إلى كونه قد جـاء بالدرجة الأولى نتيجة لذلك المسار السيـاسي الذي انتهجه هذا الأمير حيالهم - لعله أيضا قد نبع في بعضه من تعود الأندلسيين على الخضوع

★ ومن الأمثلة على هؤلاء لب بن محمد القسوي في الثغر الأعلى (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٧؛ العذري؛ **نصوص عن الأندلس**، ص ٣٧)، وبكر بـن يحيى في أُكْشُونُبَة (ابـن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٦) وأبناء موسى بن ذي النون في شَنْتَ بَرِيَّة (الفصل الرابع من هذا الكتاب).

★★ ويحلـو لبعض الباحثين أن يطلق على فترة الفتنـة التي يتوسطهـا عهد الأمير عبـد الله اسم عصر الاضمحلال الأول (سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٤٣) أو عصر دويلات الطوائف الأولى مقارنة بعصر دول الطـوائف الثانيـة الـذي نشأ بعـد سقوط الخلافـة الأمـوية (سـالم، تـاريخ المسلمين، ص٢٤٣؛ العبادي، في تاريخ المغرب، ص ١٦٧؛ بيضون، **الدولة العربية**، ص ٢٩٢).

★★★ الاتحاد الفيدرالي يتكـون حينما تتفق مجمـوعة من القـوى السياسيـة «على أن تتحد اتحادا دائما تسوده هيئة مركزية هي حكومة الاتحاد، وتخضع لرئيس واحد، وهو رئيس الدولة المتحدة» (توفيق عبد الغني الرصاصي، **أسس العلوم السياسية في ضوء الشريعة الإسلامية** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م)، ص ٦٤.

(١٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٢، ٣٢.

(١٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٩، ١٢٧.

(١٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٧.

للأمويين والانقياد لسلطانهم. يقول ابن خلدون[١٩] في هذا الصدد: «فإذا استقرت الرئاسة في أهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة، وتوارثوه واحدا بعد آخر في أعقاب كثيرين. . . استحكمت لأهل النصاب صبغة الرئاسة، ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم».

وهكذا يمكن القول بأن الحاكم الأموي الأمير عبد الله عامل المتمردين بطرق مختلفة ضمنت في مجموعها للإمارة في الأندلس بقاءها، وحفظت لها هيبتها، فمهد الطريق أمام خليفته عبد الرحمن الناصر لإعادة الوحدة الحقيقية للبلاد[٢٠]★، وقد يكون وصف المستشرق الفرنسي بروفنسال[٢١] للأمير عبد الله على جانب من الحقيقة كبير حين وصفه بأنه «السيد لعملية إعادة البناء للدولة الأموية».

وإذا تركنا المتمردين وموقف الإمارة منهم جانبا وعدنا إلى العاصمة قرطبة، وجدنا أن كلمة البيت الأموي الحاكم لم تكن ملتئمة طوال فترة الدراسة، إذ اختلف الأمير عبد الله مع بعض أفراد أسرته، فلقد كان الأمير عبد الله منذ وقت مبكر من حكمه يعتمد على ابنه الأكبر محمد، حيث كان «خليفته إذا غاب عن حضرته، والمرشح مكانه»[٢٢]؛ بل إنه بالفعل قد رشحه «الولاية

---

(١٩) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٩٤.

(٢٠) Altamira, op. cit., p. 246.

★ ومع أن المستشرق الهولندي دوزي يعترف بأثر سياسة عبد الرحمن الناصر في إعادة الوحدة الحقيقية للأندلس إلا أنه يلفت النظر إلى أن الظروف كانت مهيأة له حينما اعتلى العرش في البلاد، إذ أن الزعماء العرب الكبار المعارضين للأمويين كانوا قد ماتوا (Dozy, op. cit., p. 252) كما أن من بقي من المتمردين ـ على اختلاف أهوائهم ـ قد فتَرَ حماسهم؛ فضلا عن أن الجيل الذي ثار لتغيير الأوضاع في الأندلس قد انتهى، وبدأ جيل جديد لم يعانِ مما عانى منه الجيل السابق، ولم ير فائدة في استمرار الفتنة. (Dozy, op. cit., p. 254)

(٢١) Provencal, op. cit., p. 216.

(٢٢) ابن الأبار، الحلة، جـ ٢، ص ٣٦٧.

عهده»[٢٣]، فأثار هـذا الإجراء حفيظـة ابنه الآخـر المطرِّف، وبـدأ يحقد على أخيه محمد★، فبادلـه هذا الأخير الشعـور نفسه حتى آلت بـه الحال إلى قتل أحد رجال المطرف، وحينئذ خشي من بطش والده الأمير عبد الله لا سيما وأن أخاه المطـرف كان قد أكثـر السعاية بـه عنده[٢٤]، ولـذلك كلـه لم يأمن على نفســه إلا بالفـرار من قرطبـة إلى عمر بن حفصـون[٢٥]، فآواه ابـن حفصون وأجاره[٢٦]، إلا أنه ما لبث أن رجع إلى قرطبـة بعد أن أعطاه والده الأمير عبد الله الأمان، فعاد أخـوه المطرف يحذر منه بل يتهمه بمـوادة ابن حفصون الأمر الذي حدا بالأمير عبد الله إلى سجن الولد محمد[٢٧]، فبقي في السجن إلى أن قُتِل في شهر شوال من سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م[٢٨].

وقـد اتفقت جماعـة من المؤرخين غير قليلـة على أن مقتله كـان بيـد أخيـه المطرف[٢٩]، ويروى ابـن عذاري[٣٠] أن الأمير عبـد الله قـد عفـا عن ابنـه محمـد، وأمـر بإخـلاء سراحه، ولكن أخـاه المطـرف دخل عليـه فقتلـه قبل خروجه من سجنه مبـاشرة، أما ابن خلدون[٣١] فيروي أن المطرف قـد انتهز

(٢٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٥٠.

★ مما يجدر ذكره هنا أن هذين الأخوين ليسا من أم واحدة (ابن عذاري، ص ١٥١).

(٢٤) ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٥٠، وقد حـدث التباس في عبـارة ابن عذاري حـول قتل الـولد محمـد لأحد رجـال أخيه المطـرف، حيث جعل القاتل هـو المطرف (ابن عـذاري، البيان، جـ٢، ص ١٥٠) لكن السياق يفيـد ما أثبتنـاه في المتن، إضافة إلى كـون ما ذكرنـاه يوافق مـا أثبته دوزي في مقدمته لكتاب ابن عذاري (محمد دياب، تاريخ العرب في إسبانيا، ص ٢٣٨).

(٢٥) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ٣٦٧؛ ابن خلدون، تاريخه، جـ٤، ص ١٧٥.

(٢٦) ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ١١٢.

(٢٧) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٥٠؛ ابن خلدون، تاريخه، جـ٤، ص ١٧٥.

(٢٨) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص. ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢٩) انظر على سبيـل المثال: ابن القـوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١١٨، ابن حـزم، نقط العروس، ص ٨٩؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص ٤١؛ ابن الأبـار، الحلة، جـ٢، ص ٣٦٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٩؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٥٥.

(٣٠) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٥٠.

(٣١) ابن خلدون، تاريخه، جـ٤، ص. ص ١٧٥-١٧٦.

خروج والـده عن العاصمة قـرطبة ذات يوم، فأجهـز على أخيه في السجن.
وبينما يؤكد هذان المؤرخان حزن الأمير عبد الله على ابنه المقتول حتى هَمَّ بقتل المطرف - حسب قول ابن عذاري[٣٢] فقط - لولا أن أثنـاه عن ذلك بعض رجال دولتـه فإن هناك روايـة أخرى تفيـد بأن الأمير عبد الله لم ينكـر على ابنه المطرف فعله[٣٣]، بل قـال له على ضـوء ما يـذكـر ابن القوطيـة[٣٤]: «قـد سَوَّغْتُك قتل أخيك محمـد إذ عاند وخالف»، وبينما - أيضـا - يصرح هؤلاء المؤرخين جميعا بقتـل المطرف لأخيه محمـد فإن هنـاك ثلة أخرى مـن المؤرخون تنص على أن الأمير عبد الله هو الذي قتله[٣٥].

والذي نميل إليـه بعد استعـراض هذه الروايـات أن المطرف قـد قتل بيده أخاه محمدا، ولكن ذلك وقع بإيعاز من الأمير عبد الله أو على أقل تقدير فإن عملية القتل قد وافقت هـوى في نفس الأمير عبد الله؛ خاصة وأنـه كان يرى ابنه المذكور من المخالفين المعاندين الذين يستحقون القتل كما يفهم من القول السالف لابن القـوطية والذي يُعد من المؤرخين القريبين مـن فترة الدراسة إلى حد كبير★. أما ما يبدو من تعارض بين الروايات من كون بعضها يقول بقتل المطرف لأخيـه، وكون بعضها الآخـر ينص على قتل الأمير عبد الله لابنـه فإنه

(٣٢) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٥٠.

(٣٣) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ١١٦؛ النويري، **نهاية الأرب**، جـ٢٣، ص ٣٩٦.

(٣٤) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ١١٦.

(٣٥) ابن حزم، **نقط العروس**، ص ٧٨؛ ابن الأثير، **الكامل**، جـ٨، ص ٧٣؛ بدر الدين العيني، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، مخطوط مكتبة أحمد الثـالث، ميكروفلم جامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية، رقم ٩٥٨، ورقة ١٥٨/أ.

★ ويصرح بعض المؤرخين بأن الأمير عبـد الله قـد قتل ابنـه محمـدا «في حـد من الحدود» (ابن الأثير، **الكامل**، جـ٨، ص ٧٣؛ العيني، **عقد الجمان**، ورقة ١٥٨/أ) فهل قتل هذا الأمير لولده مسوغ له بحجة أنه قد خرج عليه، فطبق عليه حد الخروج على ولي الأمر فقتله؟ أم أنه قتله قصاصا - لا حدا - لأنه كان قد استحل دم أحد رجال المطرف؟ أم أنه طبق عليه الأمرين معا؟

يـزول باعتبـار أن موافقـة الأمير عبد الله على إزهـاق روح ابنه محمـد - وإن لم يباشر ذلك بيده - تظهره وكأنه القاتل الحقيقي.

وأيـا كانت الحقيقـة فقد كتب الأمير عبـد الله لابنـه المطرف البيعـة بولايـة العهد، ولكنه ما نشب أن مزَّق هذه البيعة بإيحاءٍ من وزيره عبد الملك بن عبد الله بن أمية[٣٦]، ليس هذا فحسب وإنما أمر بقتله هـو الآخر بعد مُدَيْدَةٍ من الزمن، فَقُتِل في شهر رمضان من عام ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م[٣٧].

ويبدو أن سبب هـذه المأساة الجديـدة هو أن المطرف قـد تبدلت مشـاعره نحو والده، وبدأ يعمل للإطاحة به، حيث «كان قبيح النية في أبيه عبد الله، وكان ينوي خلعه» حسب قـول ابن القوطية[٣٨]، كما أنه قـد فاتح ــ على ما يظهر ــ علماء العصر في هذا الموضوع، ولكنهم رفضوا بشمم الانجـراف معه فيما انتواه[٣٩]، فلما نمي إلى علم الأمير عبـد الله مـا كـان يخطـط لـه ابنـه المطرف[٤٠]، بالإضافـة إلى أنه أيضا تجرأ على سفك دم الوزيـر عبد الملك بن عبد الله بن أمية في صـائفة تلك السنة[٤١]، ولم يلتفت إلى تحذيـر والده الأمير بعدم التعرض له[٤٢] ــ لما حـدث كل هـذا لم يـر الأمير عبـد الله أفضل من القضاء على هـذا الابن حتى قال لـه بعض وزرائه حينما شاورهـم فيه: «إن لم تقتله قتلك»[٤٣]★.

ولقـد قرب الأمير عبـد الله أخـاه هشـاما، فـولاه كـورة جيـان «ونوه بـه في

(٣٦) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٣، ص ٢٧٩.

(٣٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٤؛ ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ٣٦٨.

(٣٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١١٦.

(٣٩) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص. ص ١١٧-١١٨.

(٤٠) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس؛ ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٣، ص ٢٨٠.

(٤١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١١؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٤.

(٤٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١١٦؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٣٩٦.

(٤٣) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٣، ص ٢٨٠.

★ وقد ذكر ابن حيان أن معاوية بن هشام ــ أحد القرشيين الذين كان لهم مقام كبير في ذلك العصر - قد غضب على المطرف لموقف جرى بينهمـا، وعندئذ كاشـف الأمـير عبد الله بأمـور عن الولـد =

عسكره، وقلده مسيرته في غزواته»(٤٤)، واستمر هشام يرفل بهذه المنزلة في الدولة إلى أن اتهم بالتآمر على أخيه الأمير؛ حيث سعى بعض الوزراء إلى الأمير عبد الله بأن الوزير مروان بن عبد الملك بن أمية★ - الممقوت من جانبهم - «قد بايع جماعة من سماسرة الشر لأخيه هشام . . . ولفقت بذلك شهادات اعتمد القاضي قبولها»(٤٥)، وإزاء هذا الحكم الصادر من القاضي قذف الأمير عبد الله بأخيه هذا وبالوزير مروان بن عبد الملك وبعض المتهمين - في غياهب السجن، ولم يمر سوى أسبوع واحد فقط حتى نفذ حكم الإعدام بهؤلاء في ١٢ من شعبان من سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، وكان على رأسهم أخوه هشام المذكور(٤٦).

ولقد جرى أيضا موقف آخر يشابه الموقف السابق، وكان هذه المرة مع أخي الأمير عبد الله القاسم، فلقد ذكر ابن عذاري(٤٧) أن الأمير عبد الله قد اتهم أخاه القاسم «بالقيام عليه في الملك، وإيراده موارد الهلك، فلما كثر بذلك الرفع إليه، وتتابع الكلام فيه عليه رأى بمقتضى الرئاسة، وحكم التدبير والسياسة أن يحبسه»★★، وما زال ينقله من سجن إلى آخر(٤٨) حتى

= المطرف هذا، فانزعج الأمير أيما انزعاج، فكان ذلك سببا للتعجيل بقتله (ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ٣، ص ٢٨٠).

(٤٤) ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص ٣٦٧.

★ سمى ابن خلدون هذا الوزير باسم «أمية» (ابن خلدون، **تاريخه**، جـ ٤، ص ١٧٦)، ولكن بالعودة إلى مصادر أقدم من تاريخ ابن خلدون يتضح أن اسمه «مروان» كما كتبناه في المتن (ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٢٢) ومروان هذا هو ولد الوزير عبد الملك بن عبد الله بن أمية الذي سبق أن تحدثنا عنه (ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص. ص ٣٧٣-٣٧٤).

(٤٥) ابن خلدون، **تاريخه**، جـ ٤، ص ١٧٦.

(٤٦) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٢٢.

(٤٧) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص ١٥٠.

★★ ويشير محمد دياب - ربما عن رواية أجنبية - إلى أن الأمير عبد الله قد سجن أخاه القاسم حين ثبت عنده أنه يؤلب الناس عليه لعدم تحركه للرد على النصارى عقب هزيمتهم للمسلمين في موقعة سمورة عام ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م (محمد دياب، **تاريخ العرب في إسبانيا**، ص ٢٢٣).

(٤٨) ابن عذاري، **البيان**، جـ ٢، ص. ص ١٥٠-١٥١.

مات في سجنه مسموما(٤٩)★.

وبينما كان الحاكم الأموي عبد الله يواجه هذه الحوادث الجسام، فإنه قد سار بشكل عام على سياسة أسلافه في تسيير دفة الحكم(٥٠)، فعلى سبيل التمثيل: أحاط نفسه بمجموعة من الوزراء الذين رأسهم في معظم أيامه من يسمى بالحاجب، كما استعان بعدد من القواد والكتاب(٥١)، وكذلك تعاقب على خطة القضاء ـ على مدى عهده ـ عدد من القضاة(٥٢).

ولقد كان الأمراء الأمويون من قبله يقربون منزلة أهل العلم والفقه ممن بلغوا في المستوى إلى درجة الفتيا في عصرهم، فيجعلون منهم مستشارين لهم في شؤون الإمارة(٥٣)، وعلى هذا الأثر الحسن استمر الأمير عبد الله، فقرب مشيخة فقهاء عصره(٥٤)، بل شهر عنه أنه «كان يعظم أقدار أهل العلم، ويعرف حقوقهم، ويستدعيهم كثيرا إلى نفسه، ويستفتيهم في أحكامه، ويشاورهم فيما يطرقه من أحداث زمانه»(٥٥)، وفوق ذلك «كان لا يقدم أمرا ولا يؤخره إلا عن مشورة أهل العلم والفقه»(٥٦).

(٤٩) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٢٧.

★ وبينما يؤكد ابن حزم أن الأمير عبد الله هو الذي قتل أخاه بالسم (ابن حزم، **نقط العروس**، ص ٧٩) فإن ابن عذاري يذكر أن وفاة القاسم قد حدثت على إثر تناوله عَقّاراً منوماً كانت والدته قد بعثته إليه ليعينه على النوم في السجن بعد أن طار النوم من عينيه، وقد أمرته أن يقسم ذلك العَقّار على ثلاثة أيام، ولكنه شربه كله دفعة واحدة فتوفي (ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٥١) ويضع محمد دياب هذه الحادثة سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م (محمد دياب، تاريخ العرب في إسبانيا، ص٢٢٣).

(٥٠) حتى، **تاريخ العرب**، ص ٦٠٦؛ Anwar G. Chejne, op. cit., p. 128 - 133

(٥١) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص. ص ٤-٦؛ ابن عذاري، **البيان**، ص. ص١٥١-١٥٢.

(٥٢) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص. ص ١٨٦-٢١١.

(٥٣) حسين مؤنس، **شيوخ العصر**، ص. ص ٢٧-٢٨.

(٥٤) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٨.

(٥٥) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٣٧.

(٥٦) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٣٤.

ولقد حرص الأمير عبد الله على تسهيل أمور رعيته، فخصص وقتا من كل يوم جمعة للنظر في دعاوى العامة، حيث يقعد لاستقبالهم في مجلس عند باب كان قد فتحه في القصر وسماه «باب العدل»(٥٧)، فترفع الدعاوى إليه من خلاله «فلا يتعذر على ضعيف إيصال بطاقة بيده، وإنهاء مظلمة على لسانه»(٥٨) وبذلك أنزل الأمير عبد الله نفسه «في الحكم للمرأة في غزلها، والحمال في ثمن ما يحمله، والدلال في ثمن ما ينادي عليه»(٥٩)، فاغتبطت الرعية بهذا النهج، وانتعشت أحوالها(٦٠)، وأصبح كبار القوم «يتحفظون من كل أمر يوجب الشكوى بهم، وينقبضون عن التحامل على من دونهم»(٦١).

هذه التراتيب الإدارية المتميزة لحكومة الأمير عبد الله في رعاية مصالح الشعب، وكذلك ما وصف به هذا الأمير في بعض المصادر من التقوى والصلاح(٦٢)، ومحافظته على الصلوات، وحفظه للقرآن الكريم، وشدة وطأته على الظالمين، ومساعدته للمحتاجين - هذه كلها وما شابهها(٦٣) - رآها البعض أنها لا تعدو أن تكون مظاهر براقة للأمير عبد الله تخفي وراءها شخصية جبارة اعتمدت في حكمها على الإرهاب وسفك الدماء، وأبلغ

(٥٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣٤.

(٥٨) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٥٣.

(٥٩) ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص ١٨٥.

(٦٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣٧.

(٦١) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٥٣.

(٦٢) ابن عبد ربه، **العقد**، جـ٥، ص ٢٢٢؛ الخشني، **قضاة قرطبة**، ص ١٩٩.

(٦٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣٣، ٣٦ ـ ٣٧؛ ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص.ص ١٥٢-١٥٤؛ الذهبي، **العبر**، جـ١، ص ٤٣٨؛ مجهول؛ **ذكر بلاد الأندلس**، ص.ص ١٥٣-١٥٤.

الأدلة على ذلك هو استحلاله لدماء ابنيه وأخويه(٦٤)، أما أعماله الخيرية فوجهها البعض الآخر على أنها ملفوفة برداء الرياء(٦٥)★.

وعسير - حقا - أن نفصل برأي قاطع حول هذه القضية، فكل فريق من المؤرخين معه حجته التي يتورك عليها في إصدار حكمه على الأمير عبد الله ولكن ذلك لا يمنع من إبداء بعض الملاحظات فنقول:

١ - صحيح أننا لا نرى أيا من المصادر التي بين أيدينا تبرئ ساحة الأمير عبد الله، وتنفي عدم وقوع مقتل ابنيه محمد والمطرف، ثم مقتل أخويه هشام والقاسم - سيما الأول منها - تحت نظره وبموافقته إلا أن الحكم على الأمير عبد الله من واقع المرحلة الأخيرة من المسألة - وهي عملية القتل - لا يعني مطلقا تحميله دماء المقتولين، أفلا يكون الذنب الذي ارتكبه هؤلاء المقتولون مسوغا للتخلص منهم شرعا وعرفا؟ ★★

٢ - أن أحد العلماء المعاصرين وهو محمد بن وضاح المتوفى سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م قال عن الأمير عبد الله بأنه «من الصالحين المتقين العاملين، روى الحديث كثيرا، وطالع الرأي وأبصر العلم وتفقه، ونظر في السنن،

---

(٦٤) أحمد فكري، **قرطبة في العصر الإسلامي** (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣م)، ص٦٣.

(٦٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣٩؛ ابن عذاري، **البيان**، ص ١٥٥؛ Dozy, op. cit., p. 258

★ ولقد وصف الأمير عبد الله بالبخل الشديد (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ٣٩-٤٠) حتى قال عنه الحجاري بأنه «بخيل بني أمية» (ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص ٥٠)، لكن وصف الأمير عبد الله بالبخل لا يعنينا كثيرا في هذا المقام.

★★ ثم إن الأمير عبد الله في مثل هذه المواقف لم يكن فذا من بين أمراء بني أمية في الأندلس، فلقد قتل عبد الرحمن الداخل ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية حين علم بتخطيطه لخلعه (ابن الأثير، **الكامل**، جـ٦، ص ٧٤)، كما أن عبد الرحمن الناصر قد قتل ابنه عبد الله، لأنه أنكر عليه أسلوبه في الحكم (ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ١٠٢) وكذلك قتل عمه العاصي بن الأمير عبد الله وابن عم والده محمد بن عبد الجبار بن الأمير محمد بسبب تورطهما في الإطاحة به (ابن عذاري، **البيان** جـ٢، ص. ص ١٨١-١٨٢).

وحفظ القرآن، وثقف القراءة، وقام بالكتاب، وراعى الفرائض والنوافل، وأكثر الصوم والصلاة، وكان يلتزم الصلوات الخمس في المسجد الجامع»(٦٦).

وإذا تصفحنا سيرة ابن وضاح وجدناه «إماما ثبتا، عالما بالحديث، بصيرا به، متكلما على علله، كثير الحكايات عن العباد، ورعا وفقيرا، زاهدا متعففا» (٦٧). ومن كانت هذه خلاله، فضلا عن أنه لم يتردد على بلاط الأمير عبد الله، ولم يتولَّ وظيفة في حكومته(٦٨) فإنه من الأحرى الوثوق بكلامه أكثر من غيره عن هذا الأمير الأموي؛ ناهيك عن كونه - أعني ابن وضاح - قد عايش ما حدث بين الأمير وبين ابنيه وأخيه هشام★.

بقي أمر مناقشته - فيما يبدو - من الأهمية بمكان، وهو ما ذهب إليه بعض المؤرخين من أن الأمير عبد الله قد ودع الدنيا وترك الإمارة الأموية دون أن يعهد في حكمها لأحد من بعده(٦٩)، فاعتلى عرشها عندئذ حفيده عبد الرحمن بن محمد (الناصر) بعد أن زهد أعمامه - أبناء الأمير عبد الله - فيها، نظرا لما يحف بها من أخطار(٧٠).

---

(٦٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص٣٦.

(٦٧) ابن فرحون، الديباج المذهب، جـ٢، ص ١٨٠.

(٦٨) للتحقق من ذلك. انظر أخباره في: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ٢، ص. ص٦٥٠-٦٥٣؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص. ص ١٥٣-١٥٤؛ الضبي، بغية الملتمس، ص. ص ١٣٣-١٣٤؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، جـ٢، ص. ص١٧٩-١٨١.

★ ولقد رجح علي محمد حمودة أن يكون زُهْدُ الأمير عبد الله بالدنيا «في آخر أيامه لما دنا أجله، وأحس بأوزار الغدر التي تحملها» - حسب تعبيره -. (علي حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، ص ١٨٤). ولكن وصف ابن وضاح المتوفى سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م للأمير عبد الله - كما في المتن - ينقض هذا الرأي.

(٦٩) ابن حزم، نقط العروس، ص ٥٦.

(٧٠) سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٧٩؛ العبادي، في تاريخ المغرب، ص ١٧٩.

على أن مَنْ يتأمل في سيرة عبد الرحمن الناصر قبل ولايته، وكذلك في الطريقة التي اعتلى بها العرش بعد جده عبد الله يتضح له أن الأخير لم يترك السلطة شورى من بعده، فيأتي أبناؤه فيزهدون فيها، وإنما كان قد انتخب لها حفيده عبد الرحمن المذكور، فعبد الرحمن هذا ولد قبيل مقتل والده بثلاثة أسابيع(٧١)، ولذا عطف عليه جده عبد الله، وأحسن تربيته(٧٢)، وأوكل إلى أعلام العصر تعليمه(٧٣)، ثم ظهرت من الأمير عبد الله علائم عديدة تشير إلى أنه قرر استخلافه في الحكم من بعده منها أنه جعله كاتب سره، والمرافق له في الحضر والسفر، كما أنه أسكنه معه في قصر الإمارة دون بنية(٧٤)، وكانت عادة الأمراء الأمويين إسكان ولي العهد معهم في القصر دون غيره من كبار أفراد الأسرة(٧٥)، ومما يوحي أيضا بأن الأمير عبد الله قد عهد إلى عبد الرحمن بولاية العهد أنه كان يعمد إلى إنابته في بعض الأعياد والمناسبات، فيقعده «مقعد نفسه لتسليم الجند عليه»(٧٦)، ثم إن من أنصع العلامات على استخلاف الأمير عبد الله لحفيده عبد الرحمن أنه لما مرض المرض الذي توفى فيه قدم خاتم الملك له بالذات(٧٧)، بل إن مبايعة أعمام عبد الرحمن كلهم له قبل إهالة التراب على جثمان والدهم عبد الله(٧٨) تدل دلالة جلية أن أمر الحكم في الإمارة الأموية بعد الأمير عبد الله قد حسم منذ زمن.

---

(٧١) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص ٤٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٥٧.

(٧٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٣٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٩.

(٧٣) ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ٤١.

(٧٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٥٧؛ مجهول، أخبار عبد الرحمن الناصر، ص ٢٩.

(٧٥) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤، ١٦.

(٧٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٥٧؛ مجهول، أخبار عبد الرحمن الناصر، ص ٢٨.

(٧٧) مجهول، أخبار عبد الرحمن الناصر، ص ٢٩.

(٧٨) مجهول، أخبار عبد الرحمن الناصر، ص.ص ٢٩-٣٠.

ثانيا : آثار الفتنة على الأندلس

مما ينبغي أخذه بنظر الاعتبار قبل تعداد أوجه آثار الفتنة على الأندلس هو أن هـذه الفتنة قـد امتدت فترة زمنيـة ليست قصيرة، هذا من جـانب، ومن جانب ثانٍ أنها لم تكن على وتيرة واحدة طـوال تلك الفترة، ومن جانب ثالث أنها اختلفت من منطقة إلى منطقة؛ فأهل بعض الأماكن اكتـووا بلظاها أكثر من أهل أمـاكن أخرى، ومـن هذا المنظـور فإن هنـاك شتيتا من الآثـار التي خلفتهـا الفتنـة على الأندلـس في الربع الأخير من القـرن الثـالث الهجـري، ويمكن حصرهـا في ثلاث صـور، الأولى: آثـار مباشرة ومستمـرة ما استمـر النزاع بين الناس في البـلاد. والثانية: آثار ـ أيضا ـ مباشرة، ولكنها ازدادت وضـوحا بـدوام النزاع. والثـالثـة: آثار تكـونت على المدى البعيد، فظهـرت معالمها في أواخر عهد الأمير عبد الله أو بعده بقليل.

فمن أبين الآثـار أن الأنـدلس فقدتْ جموعـا كبيرة من مـواطنيهـا، فليس هناك خسائر في الأرواح أفدح على الأمة ممـا ينجم عن قتال بعضها بعضاً، إذ أن الحروب الـداخلية تفني الكثير مـن الضحايـا من كـلا الطرفين المتقـاتلين اللذين هما ليسـا - في واقع الأمر - إلا الأهالي، وهذا مـا وقع في الأندلس في ذلك الحين، ففي أوائل الفتنـة جرت مـذابح جماعيـة رهيبة لبعض العنـاصر السكانيـة في مناطق مختلفة من البـلاد، نسرد أمثلة لبعض منهـا، فقد قضى المولدون في الثغر الأعلى على كثير من العـرب، يقول العذري[٧٩] عن لُبّ بن موسى القَسَـوي إنه «قتل. . . عرب سَرَقُسْطَة من قبـائل شتى، أخرجهم إلى بُقَيْرة★ فقتلهم بها بمرج يعرف بمرج العرب»، وبالمقابل فإن العرب في بعض

(٧٩) العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص ٣١.

★ بُقَيْرة Viguera من أعمال تُطِيلَة (ياقوت، **معجم البلدان**، جـ ١، ص ٤٧٣) تقع إلى الشمال الغربي منها على بعد واحـد وتسعين كيلو مترا (العسلي، **عبد الرحمن الناصر**، ص ٦٣، حاشية ١) وهي الآن تابعة لمقاطعة لوجرونيو (ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص ٤٣٨، تعليق ٦٢).

الكـور فعلوا الشيء نفسـه بالمولـدين والنصـارى، ففي إشْبِيلِية حمل العـرب السيف على المولـديـن «بـداخل المدينـة وأحـوازهـا وعلى من ضـامهم من الأعـاجم، فلم يدعـوا منهم أحدا إلا قتلـوه، وأخذوا مـاله، ففنيت المولـدة بإشبيلية إلا قليلا»[٨٠].

ولقـد حدث في إلْبِيرَة معـارك طاحنـة بين العرب والمولـدين فتمخض عن ذلك هـلاك خلق عظيم من كـلا الجانبين★، ثم إن البربـر قامـوا في بعض الكور بـالقضاء على سكـان قرى بكـاملها، من ذلك أنهم هـاجموا في طليعة عهد الأمير عبـد الله قرية طَلْيَاطَـة من كورة إشبيلية، «فقتلـوا كل من وجدوه بها»[٨١]، ثم شنـوا الغارات على كل منـاحي إشبيلية، ثم مـا لبثوا أن رحلـوا عنها «بعد أن أفقدوا خلقا من أهلها»[٨٢].

ولما تبلورت تقريبا سيادة كل عنصر مـن العناصر السكانية على منطقة من مناطق الأندلس بعد تلك المجازر الجماعية لم تتوقف موجة سفك الدماء، إذ استمرت حتى نهاية عهد الأمير عبـد الله، ولكنها أصبحت محدودة النطاق، وأقل ضراوة - فيما يبـدو - ممـا حـدث في أوائل الفتنة، إذ كـان عـدد القتلى يخضع غالبـا لما يحدث من نزاع بين المتمردين مع بعضهم بعضا حـول مناطق النفوذ، أو ما ينتج عن حرب حكومة قرطبة لهؤلاء المتمردين.

ولقد انتشر - أيضـا - إبان الفتنة نهب الأموال، والسطـو على الممتلكات ولدينا نماذج عديدة تحكي هذا الواقع، نكتفي بذكر بعضها، ففي كورة إلْبِيرة كـان زعيم العـرب سـوار بن حمدون سنـة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م «يفتتح حصـون المُسَالِمة والنصارى، ويقتل من يظفر به منهم فيها، ويغنم أموالهم»[٨٣]. وفي

(٨٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٤.

★ انظر. الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٨١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٩.

(٨٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٩.

(٨٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٥.

بـداية فتنـة كورة إِشْبِيلِيـة تعـرضت أموال النـاس فيها للنهب، فلقـد ورد أن البربر - مثـلا - قامـوا بشن الغارات على جميـع جهات الكورة «حتـى ملؤوا أيديهم بالغنائم»[٨٤]، كما أن بعض أهالي شَـذُونَة قصدوا جزيـرة المنذر عبد الرحمن عم الأمير عبـد الله الكائنة عند مصب نهر الـوادي الكبير، حيث كان فيها مئة مـن الخيل ومئتان من البقر، فاستـاقوها كلها، وأخـذوها غنيمة لهم بعد قتل الرجل الموكل بحراستها[٨٥]، ثم إن عمر بن حفصون استحل أموال المخـالفين له في الجنـوب الأندلسي في مستهل عصر الأمير عبـد الله، فما زال يغير هنا وهناك إلى أن «استحوذ على أهل الكـور وأموالهم» على حد تعبير ابن عذاري[٨٦]، والظاهـر أن ابن حفصون دَأَبَ على انتهاج مثل هـذا الأسلوب حتى نهايـة عهـد الأمير عبـد الله؛ إذ أننـا نراه في سنـة ٢٩٧هــ/ ٩٠٩م قـد اجتمع مع حليفيه ابن مَسْتَنَة وابن هُذَيل وأغـاروا على نواحي جَيَّان «فأصابوا الدواب والبقر والمواشي، فـأثقلوا وانضووا إلى حصن جَرِيشَـة بالغنائم»[٨٧]، ولقد انعكس أثـر هذا النهب للأموال والممتلكات على مـا يجلب إلى الأسواق من سلع[٨٨]، إذ اختلط حلالها بحرامها، فتحرّج الناس من شرائها، وعرض ذلك على أحد الفقهـاء المعاصرين للفتنة الذي افتى بأن «مَنْ أراد الـورع فلا يشتري من تلك الأسواق شيئاً، إذ كان الأغلب فيها الحرام»[٨٩].

---

(٨٤) ابن حيان، **المقتبس**، ص ٦٩.

(٨٥) ابن حيان، **المقتبس**، ص ٧٢.

(٨٦) ابن عذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٢٢.

(٨٧) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٤٥.

(٨٨) إبـراهيم القادري بـوتشيش، أزمـة التجارة في الأنـدلس في أواخر عصر الإمـارة، **مجلة المناهل**، السنة ١٢، العدد ٣٢، ص ٢٣٥.

(٨٩) الونشريسي، **المعيار المعرب**، جـ٦، ص ١٨٧.

من الآثـار التي خلفتهـا الفتنـة وقـوع بعض عنـاصر المجتمع الأنـدلسي أُسـارى لـدى إخـوانهم من العنـاصر الأخـرى حيث نلحظ في العـديـد من الحروب التي دارت بين الطـوائف الاجتماعية من نـاحية أو بينهـا وبين الإمارة الأمويـة من ناحية أخـرى - نلحظ أنها كانت تسفر عن مجمـوعة من الأسرى يقتادهم الطرف المنتصر(٩٠). كما تولد كذلك عن الفتنة حدوث حالات سبي لبعض الأهالي على أيـدي المتغلبين عليهم من مواطنيهم، فعمـر بن حفصون - مثـلا - غـدر بأهل مدينـة بَيَّانـة عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م «وقتلهم، وأخـذ أموالهم، وسبى ذراريهم»(٩١)، وكذلك فعل البربر الذين هاجموا قرية طَلْيَاطة من إشْبِيليّـة - آنفـة الـذكـر - إذ «قتلوا كل مـن وجدوه فيهـا، واستبـاحـوا أموالهم، وسبوا ذراريهم»(٩٢).

وإذا كـان الأسرى عـادة من المحاربين الـذين قـد لا يُـلام آسرهم كثيرا في استخدام هذا الأسلوب معهم فإن مسألـة سبي النساء والأطفال بادرة خطيرة في تعـامل المسلمين في الأندلس إبـان الفتنـة مع بعضهم بعضـاً، ولذا فقـد انزعج أحد العلماء المعاصرين - وهو محمد بن وَضَّاح(٩٣) الذي سبق أن أشرنا إليه - من تلـك الحالة التي تمر بها البلاد، فطفق يردد في مجالسـه أكثر من مرة قوله «كتابُ الله قد بُدل، وسنةُ رسول الله ﷺ قد غُيرت، ودماءٌ قد سُفكت، وكرائم قد سُبيت. . . »★.

---

(٩٠) ابن حيـان، المقتبس، ق٣، ص ٥٨، ١٠٣، ١١٣، ١١٨، ١٢١، ١٤٥؛ العـذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣٧، ٦٥؛ ابن عذاري، البيان، ص ١٣٢، ١٤١.

(٩١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٢٢.

(٩٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٩.

(٩٣) البدع والنهي عنها، ص ٨٤.

★ وقد كتب العالم اللغوي المعـاصر - أيضا - يزيد بن طلحة العبسي إلى أهل قرمـونة كتابا يحضهم على الطاعـة، وقد أشـار في كتابـه هذا إلى وجـوب «تأليف الشمل، وحقن الدمـاء، وتحصين الفروج والأموال» (الزبيدي، طبقات النحويين، ص ٢٧١).

ويبدو أن الأَسْرَ والسبي قد أفضى في تلك الأيام إلى أثر أفظع وهو استعباد الأحرار، وجعلهم مماليك يُباعون ويشترون؛ حيث «كثر بيع الأحرار في فتنة ابن حفصون»، كما يقول الونشريسي(٩٤)، فأثيرت هذه القضية مرات أمام فقهاء العصر(٩٥)، ولكنهم ـ على كل حال ـ فصلوا فيها بأن يكلف «السيد إقامة البينة على صحة ابتياعه، وأن المملوك كان ملكا لبائعه»(٩٦)، أو بعبارة أخرى «بحمل البينة على كل من ادعى ابتياعا في مملوك أو أمة في موضع الفتنة، وحيث لا يتسلط الحق»(٩٧).

ولقد انعكست آثار الفتنة في الأندلس ـ كذلك ـ على المعالم العمرانية، ويمكن أن نلمس هذا في مظهرين: أولهما: ذلك التخريب الذي حدث للمدن أو الحصون سواء من جانب المتمردين أو بفعل الإمارة الأموية ذاتها، حيث نجد أماثيل عديدة على ذلك نذكر هنا بعضا منها، فمدينة بَاغُة الواقعة في شمال غربي كورة إِلْبِيرَة «خربت... بفتنة سعيد بن مَسْتَنَة»(٩٨). كما أن جيوش حكومة قرطبة كانت تعمد أحيانا إلى تهديم الحصون والمعاقل التي ترى في هدمها إضعافا لهذا المتمرد أو ذاك، فحينما خرج الأمير عبد الله بنفسه في الحملة العسكرية عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م لإخضاع سعيد بن مستنة، وَبَخَعَ هذا الأخير بالطاعة لم يقبلها الأمير منه إلا بعد أن اشترط عليه «هَدْم حصن كركبولية، فَفَعَلَ ذلك بمرأى من الأمير حتى غادره قاعا صفصفا»(٩٩)، وكذلك عندما عجز المطرف بن الأمير عبد الله عن فتح مدينة

---

(٩٤) الونشريسي، المعيار المعرب، جـ٩، ص ٢٢٠.
(٩٥) ابن سهل، وثائق في أحكام قضاة أهل الذمة، ص ٨٥؛ الونشريسي، المعيار المعرب، ص٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٤.
(٩٦) الونشريسي، المعيار المعرب، ص. ص ٢١٩-٢٢٠.
(٩٧) ابن سهل، وثائق في أحكام قضاة أهل الذمة، ص ٨٥.
(٩٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٧.
(٩٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ١٠٦-١٠٧.

إشبيلية عام ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م قصد حصناً قريباً منها على طريق قرطبة وهو حصن الزَّغْوَاق - الذي يبدو أنه على نهر الوادي الكبير -، فانتهب ما فيه «ثم هدمه وحرقه، وقطع أشجاره، وعفى آثاره، وَأَمَرَ فأُحْرِقَتْ المراكبُ بفنائه والخشب والآلات التي كانت فيه فصُير قاعا صفصفا» حسبما يروي الرازي(١٠٠)، كما استخدمت الإمارة الأموية أسلوب ضرب المرافق الحيوية العمرانية في صراعها مع ابن حفصون، ففي عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م - على سبيل المثال - قام الجنود الأمويون بهدم مُنْية★ ابن حفصون الواقعة حول بُبَشْتر(١٠١)، ثم تقدموا إلى كنيسة مجاورة فشرعوا في هدمها(١٠٢)، وقد «تمادى الهدم على المنية والكنيسة فصيرتا دكا»(١٠٣).

أما المظهر الثاني الذي انعكس على المعالم العمرانية في الأندلس بأثر من الفتنة فقد كان على النقيض من المظهر الأول، وهو ما يحق لنا أن نصفه بالعمارة الحربية، فلقد كان من البدهي أن يهب المتمردون كافة في أرجاء الأندلس لتقوية وسائل الدفاع في مناطقهم(١٠٤)، وذلك لدرء الخطر الذي

---

(١٠٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٤.

★ والمُنْيَةُ في عرف الأندلسيين، قصر ريفي تحوطه مزرعة (حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٩٤، أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، ص ١٨٢).

(١٠١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٨.

(١٠٢) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٣، ص ٢٧٩.

(١٠٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص. ص ١٠٨-١٠٩، لمزيد من الأمثلة على تدمير الحصون والمدن في الأندلس زمن الفتنة، انظر: (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٧٣، ١١٠، ١١٢، ١٤٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١١٢)، ولقد رجح العبادي أن تكون مدينة سالم قد خربت في الفتنة أيام الأمير عبد الله، فلما ولي عبد الرحمن الناصر قام بإعادة بنائها (في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٢٣).

(١٠٤) مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة لطفي عبد البديع والسيد محمود عبد العزيز سالم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م)، ص ٧٠.

قـد يأتي من مجاوريهم المتفقين معهم في العصيـان على حكـومـة قـرطبـة، ثم لاتقاء هجمات جيوش هذه الحكومة عند محاولتها إخضاعهم، وعلى هذا قلما نلحظ متمردا في فترة الدراسـة لم يعتن أشد العناية بتلك الوسائل الـدفاعية، فكان من آيـات ذلك تجديد بناء أسوار المدن والحصـون والقلاع، علاوة على إنشاء حصـون وقلاع جـديدة، والأمثلـة في هذا البـاب كثيرة نجتزىء بـذكر بعض منها؛ فعنـدما التجأ العـرب إلى غَرْنَـاطة في أوائل عهـد الأمير عبد الله خوفا على أنفسهم من المولدين، كان سورها مثلـوما، فطفقوا يرممونه، فكانوا يقاتلـون أولئك المولدين في النهار «ويبنـون سورهم بالليل بـالشمع» على حد تعبير ابن حيان[١٠٥]، كما أن بكر بن يحيى ـ صاحب كـورة أُكْشُونْبَة في غربي الأندلس ـ اهتم بقاعدة هذه الكورة مدينة شَنْتَمَرِيَّة، وحصنها بشدة[١٠٦] إلى درجة أنه «اتخذ عليها أبواب حـديد ملبسة عجيبة الصنعة»[١٠٧]، وبنو ذي النـون في كورة شَنْتَ بَـرِيَّـة في وسط الأندلس قـامـوا بتجديـد بناء الحصـون الموجـودة في هذه الكـورة حينما نبـذوا الطاعـة[١٠٨]، ثم أنشأوا أيضـا فيهـا حصوناً ومعـاقلَ جديدة[١٠٩]، كما أن زعيم العـرب سـوار بن حمدون قـام بتشييد عدة حصون في أنحاء متفرقة من كورة إِلْبِيرَة[١١٠]، ونظرا لهذا الاهتمام

(١٠٥) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص. ص٦٢-٦٣.

(١٠٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٧.

(١٠٧) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص. ص ١٥-١٦.

(١٠٨) ابن حيـان، المقتبس، ق٣، ص ١٧، ١٨، ١٩؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص. ص٥١-٥٢.

(١٠٩) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٧.

(١١٠) ابن الخطيـب، **الإحاطة**، جـ٤، ص ٢٧٠؛ انظـر أمثلة أخـرى في: ابن حيـان، **المقتبس**، ق٣، ص ١٥، ٢٧، ٢٩، ٣٢، ٥١، ٥٢، ٦١، ٩١، جـ٥، ص ١٤٨؛ ابـن عـذاري، **البيان**، جـ٢، ص ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩.

المتزايد من المتمردين بالعمائر الحربية ، فإنه ليس غريبا أن يبلغ بعضها في زمن الفتنة مبلغا عظيما من المنعة والتحصين ، فهذه - مثلا - قاعدة عمر بن حفصون الرئيسة (بُبَشْتَر) لما دخلها عبد الرحمن الناصر «أيقن أن لا نظير لها في الأرض حصانة ومنعة واتساع قرارة» كما يقول ابن عذاري(١١١).

وإذا كنا فيما مضى قد أشرنا إلى أن الإمارة الأموية قد استعملت أسلوب هدم المعالم العمرانية ذات الأهداف الحيوية اجتهادا منها في قص أجنحة المتمردين فإنها من وجهة أخرى رأت من مصلحتها أحيانا القيام بتجديد أو بناء الحصون والمسالح في بعض الأماكن ، وذلك من أجل التضييق على الخارجين عن طاعتها ، أو مراقبة تحركاتهم ، كما فعلت مع سعيد بن هذيل صاحب حصن المُنْتِلُون في كورة جَيَّان ، حيث بنت حول حصنة المذكور عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م بعض القواعد العسكرية ، وشحنتها بالرجال(١١٢)، وقد يدخل في إطار هذه السياسة بناء مدينة لَوْشَة★ عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣(١١٣)، إذ نَفَّذَ الولدُ المطرفُ أمرَ والده الأميرَ عبد الله ببنائها وهو في طريق عودته إلى قرطبة بعد نجاحه في مهمة عسكرية في الجنوب الأندلسي(١١٤).

أما إذا انتقلنا إلى أثر الفتنة في الزراعة فلا بد أن الفلاحين انشغلوا عن الاهتمام بمزارعهم حينما نشب النزاع المحلي بين مواطنيهم ، وربما خُرِّبت

---

(١١١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٩٦.

(١١٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٦.

★ لَوْشَة Loja من أعمال كورة إلبيرة، تقع على نهر شنِّيل (ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٢٨) حيث يخترقها من الشمال، وهي إلى الغرب من غرناطة على بعد حوالي خمسة وخمسين كيلو مترا (عنان، الآثار الأندلسية، ص ٢٣٥).

(١١٣) ابن عذاري، البيان، ص ١٢٤؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٢٨.

(١١٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٣، ص ٢٧٩.

نتيجة لذلك المزارع التابعة للطرف المغلوب، فيسارع أصحابها بالرحيل عنها وهجرانها، ومن هذا القبيل ما ذكِرَ مِنْ أن عمر بن حفصون حجر على قرطبة منطلقا من حصن بُلاي، وعندئذ «جَلَتْ الكنبانية» حسبما عبر به ابن الخطيب[١١٥] وكلمة الكنبانية أصلها من كلمة Campesino الإسبانية، وتعني الفلاحين «أو الزراع الذين يزرعون الأرض المنبسطة»[١١٦].

وإذا كانت المصادر يندر فيها الإشارة إلى الأضرار التي لحقت بالزراعة في الأندلس إثر النزاع بين طوائف المجتمع فإننا نجد بيان تلك الأضرار في تفاصيل حروب الإمارة الأموية ضد المتمردين، فالجيوش الأموية النافرة من قرطبة نحو المناطق المتمردة لا تفتأ - منذ أول عهد الأمير عبد الله إلى آخره - تتفنن في إضعاف خصومها بكل الوسائل الميسرة لها، فكان من أبرز تلك الوسائل تدمير المزارع التابعة لهذا الثائر أو ذاك، وقد جاء وصف ذلك في المصادر في عدة صيغ منها: إفساد «الغلات والثمار»[١١٧]، أو تحطيم «الزروع والأشجار»[١١٨]، أو «إفساد الزروع، وقطع الأشجار»[١١٩]، أو «إفساد الزرع، وإحراق القرى»[١٢٠]، أو «الإحراق والتدمير، والانتساف والتغيير»[١٢١]، ونحو ذلك من الصيغ التعبيرية[١٢٢].

(١١٥) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٤، ص ٤١.
(١١٦) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ ٤، ص ٤١، حاشية ٢.
(١١٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٣.
(١١٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٩٩.
(١١٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٩.
(١٢٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤٠.
(١٢١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ١٤١.
(١٢٢) انظر أمثلة أخرى في ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠١، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢١، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ ٢، ص ١٢٢، ١٢٤، ١٤٠، ١٤٣.

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن أثر الفتنة على الثروة الزراعية في الأندلس قد اتضح بشكل ساطع في كورة رَيُّة، لا سيما في حصن بُبَشْتَر - معقل عمر بن حفصون - وفيما حوله من أراضٍ، حيث كان لهذا الحصن قبل ثورة ابن حفصون «قرى كثيرة، وحصون خطيرة، وما حوله كثير المياه والأشجار، والثمار والكروم، وشجر التين، وأصناف الفواكه والزيتون»[١٢٣]، فلم يبق من كل ما سبق إلا القليل، وما ذاك إلا لأن «فتنة ابن حفصون أتت على أكثر ذلك» على حد قول الحميري[١٢٤]. وقد نتج عن ذلك كله ضآلة الإنتاج الزراعي في البلاد واقتصاره على المواد المعاشية الاستهلاكية كما يتضح ذلك من خلال النوازل المعاصرة لفترة الدراسة[١٢٥].

وحيث إن التجارة بين مختلف مدن الأندلس كان عمادها شبكة ضخمة من الطرق الداخلية[١٢٦] فإن ما حدث من فتنة في مناحي البلاد قد خلخل أولا التجارة في تلك المناحي، ثم قطع ثانيا تلك الطرق الرابطة بينها، فتأثرت الحركة التجارية الداخلية في الأندلس في بعض أيام الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ولدينا مثال يفسر هذه الظاهرة أجلى تفسير، فالعاصمة قرطبة كانت قد تردت أحوالها الاقتصادية في النصف الأول من عهد الأمير عبد الله لأمور كثيرة كان من بينها انقطاع حبل الاتصال بينها وبين المدن الأخرى، وكانت إِشْبِيلية على رأس هذه المدن، فلما اصطلحت الحكومة الأموية مع حاكم إشبيلية إبراهيم بن حجاج أخذ الوضع الاقتصادي لأهالي قرطبة يتحسن تدريجيا[١٢٧]، ويصور ذلك ابن

---

(١٢٣) الحميري، **الروض المعطار**، ص ٧٩.

(١٢٤) الحميري، **الروض المعطار**، ص ٧٩.

(١٢٥) إبراهيم بوتشيش، **أزمة التجارة في الأندلس**، ص ٢٣٣.

(١٢٦) محمد محمد المليجي، **الحياة الاقتصادية في الأندلس**، ص ١٤٧، ١٥٢.

(١٢٧) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ١٢٣.

حيان[١٢٨] بقوله: «فصلحت أحوال قرطبة بانفتاح طريق إشبيلية، وموالاة صاحبها، وصارت سببا لانفتاح باب غربي الأندلس، ودرور المعائش منه بقرطبة». ومن ناحية أخرى فقد استطاعت بعض الكيانات السياسية المنفصلة عن الإمارة - لا سيما الواقعة على السواحل - استطاعت أثناء الفتنة أن تتحكم في التجارة الخارجية، وتحتكرها لنفسها، مثلما حدث في إشبيلية وبجانة وكذلك في الجزيرة الخضراء الخاضعة لغمر بن حفصون[١٢٩].

ولعل اشتعال الحروب الشاملة في أنحاء البلاد، وما نجم عنها من فوضى إدارية، وآثار سيئة على الأحوال الاقتصادية - لعل كل ذلك قد أفضى إلى أن تشهد الأندلس في ذلك العصر مجاعات قاسية أعقبها في بعض السنوات أمراض أودت بحياة الكثيرين، ففي سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م أتى على الأندلس بعامة مجاعة شديدة[١٣٠]، كما شملت أيضا بلاد المغرب[١٣١]، وقد بولغ في أثرها حتى قيل إنه من شدتها «أكل الناس بعضهم بعضا»[١٣٢]، ولقد انتشر بعدها أوبئة راح ضحيتها أعداد غفيرة من الخلق، بحيث يصعب إحصاؤهم فكان يدفن في القبر الواحد جموع منهم لكثرة الموتى، وقلة من يقوم بهم، بل إنهم كانوا فوق ذلك يدفنون «من غير غسل ولا صلاة»[١٣٣].

ولقد حدد صاحب ذكر بلاد الأندلس[١٣٤] حدوث هذه الأوبئة، وما تكشف عنها من وفيات - حدده بعد المجاعة متقدمة الذكر بثلاث سنوات،

---

(١٢٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٣١.

(١٢٩) إبراهيم بوتشيش، أزمة التجارة في الأندلس، ص ٢٤١.

(١٣٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٢٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٩.

(١٣١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٩٧.

(١٣٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٩٧.

(١٣٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٩٧؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٥٦.

(١٣٤) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٥٦.

أي في سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م، أما ابن أبي زرع[١٣٥] فإنه لما ذكر مجاعة سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م أردف قائلا: «ثم أعقب ذلك وباء ومرض وموت كثير هلك فيه من الناس ما لا يحصى». ونستطيع التوفيق بين هاتين الروايتين بالقول إن الأمراض التي هلك الناس بسببها قد بدأ حدوثها منذ أن حلت المجاعة بين ظهرانيهم، واستمرت تفتك بهم حتى بلغت الذروة في سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م.

وبعد مرور أقل من عشر سنوات على هذه الكارثة التي تجرع مرارتها الأندلسيون حلت بالبلاد سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م مجاعة أخرى، حيث عم الجوع الشديد مختلف أرجاء الأندلس، فمات من جرائها العديد من الناس، واضطر كثيرون إلى الهجرة جنوبا عبر البحر إلى المغرب، وقد عرفت هذه السنة «بسنة جوع جَيَّان»[١٣٦].

ولعل تسمية سنة هذه المجاعة باسم كورة جَيَّان لأن وقعها كان في هذه الكورة أنكى من أي كورة أخرى في الأندلس، وقد يقوي هذا التوقع كونها - بخلاف بقية الكور - قد استمرت مسرحا للصراع بين قوات الإمارة الأموية وأولئك المتمردين الذين أصروا على العصيان حتى نهاية عهد الأمير عبد الله★.

وعلى أي حال فقد عانت الأندلس - أيضا - عقب هذه المجاعة من الوباء، ولكنه لم يصل في فشوه مثلما وقع بعد مجاعة سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م بحيث إننا لا نشهد أثره إلا في الجنود الأمويين الذين اشتركوا في غزوة إلى الجنوب الأندلسي في العام التالي ٢٩٨هـ/ ٩١٠م[١٣٧].

---

(١٣٥) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٩٧.

(١٣٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤٦.

★ انظر: الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(١٣٧) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٤٨.

ولقـد تعـرض الأنـدلسيـون في أوائل عهد عبـد الـرحمن النـاصر إلى أزمـة اقتصـاديـة حــادة، إذ غشي بـلادهم طـوال سنــة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م قحط شديد(١٣٨) ثم أعقبـه في السنة التـاليـة مجاعـة مضنية، ووبـاء عظيم، فمات نتيجة لذلك أناس لا تُحَدُّ أعدادهم(١٣٩).

ومما لا مشاحـة فيه أن الفتنـة أيـام الأمير عبد الله أثـرت كذلك في البنيـة السكـانية (الـديمغرافيـة) في الأنـدلس، ويمكن أن نلمح ذلك في سمتين، السمـة الأولى: هي هلاك كثـرة كـاثرة من مـواطني البـلاد بسبب النزاعـات المحلية، أو بسبب ما تبع ذلك من مجاعات وأوبئـة ـ كما سبق أن بيناه ـ، أما السمة الثانية: فهي انتقال السكـان من الأماكن المضطربة أو التي اكتسحتها بشـدة المجـاعـات والأمراض إلى الأمـاكن التي تكـون في نظـرهم أكثـر أمنـاً ورخاءً، فأدى هـذا الانتقال إلى نُمَيز بين نوعين من الهجـرة: هجرة داخلية، وهجرة خارجية.

أمـا فيما يتعلق بالهجـرة الـداخليـة فإننا نجـد في كتب التراجم جماعـة من العلماء أجبرتهم الفتنـــة في المدن التي يقطنــونها إلى الارتحال عنهــا إلى مــدن أخرى، فلقـد كان محمـد بن سلمة الصدفي يعيش في مـدينة تُطِيلَـة، ولكنه «انتقل عنها زمن الفتنة إلى قلعة أيوب»(١٤٠)، وهذا تميم بن علاء بن عاصم التميمي، كــان من سكــان إِسْتِجَّــة، ثم «خــرج زمن الفتنــة [و] نــزل شَذُونَة»(١٤١)، ثم إن ثمة علماء قصدوا السكنى في قرطبـة الآمنة قادمين إليها من مـدنهم التي وقع فيها اضطـراب، منهم عُفير بن مسعود الغسـاني، كان

(١٣٨) ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ١٠٣، ١٠٤؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١١٦.
(١٣٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص.ص ١٠٩-١١٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٦٧؛ مجهول، أخبار عبد الرحمن الناصر، ص ٥٠.
(١٤٠) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ٢، ص ٦٤٤.
(١٤١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ١، ص ١٨٢.

من سكان إشْبِيلية ثم « خرج عنها عنـد حدوث الفتنة بها إلى قرطبة، فلم يزل ساكنا بها حتى مات»(١٤٢).

ومنهم إسحاق بن إبـراهيم بن عيسى المرادي الذي كـان يسكن إسْتِجَّة، ثم «رحل عنهـا زمن الفتنـة أيام الأمير عبـد الله إلى قـرطبة، ومـات بها»(١٤٣) ومنهم عبد الله بن هـذيل الكناني الـذي كان من أهل جيـان، ولكنه «سكن قرطبـة في الفتنة وبها مـات»(١٤٤)، ومنهم حبـاب بن زكـريـا فهـو من أهل بَطَلْيَوْس بيد أنه «خرج عنها عند اهتياج الفتن بها ورحل إلى قرطبة»(١٤٥).

و إذا كانت كتب الطبقات والتراجم قد اهتمت بإيراد تحركات هؤلاء العلماء فإنهم في حقيقـة الأمر ما هـم إلا أفراد من المجتمع الـذي يعيشون فيـه، ولذا فقـد لا نفارق الـواقع بكثير حين نعد هجـرة هـذا العالم أو ذاك من بلـده إلى مكان آخر بسبب الفتنـة علامة على هجرة العديد من مـواطنيه نتيجة للظرف نفسه، وعنـدئذ يجوز لنا أن نحكم بتناقص أعـداد السكان في بعض المدن أو خلوهـا في الوقت الذي يتضخم عددهم في البعض الآخـر من المدن، فهناك تلويحات متنـاثرة في المصادر تـومىء إلى وجود منـاطق في الأندلس خلت من سكانها نتيجة للصراع الـدائر في ذلك الحين، فعندما خرج الـولد المُطَرِّف بن الأمير عبد الله بحملة عسكرية صوب الجنوب الأندلسي عام ٢٨١هـ/ ٨٩٤م

(١٤٢) الزبيدي، طبقات النحويين، ص ٢٧٥.

(١٤٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ١، ص ١٤١.

(١٤٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٨٩.

(١٤٥) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٩٧. انظر أمثلة أخـرى في (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ٢، ص ٨٦٣، ٩٣٩)، ونـوجه العنايـة إلى أن ما أثبتنـاه بالنص في المتن من أمثلة على هجرة العلماء من أماكن سكناهم إلى أماكن أخرى بسبب الفتنة لم نثبته إلا بعد الاطمئنان على أن مَقْصد مَنْ تَـرْجم لهم ـ حين أشـار إلى الفتنة ـ أن مقصده الفتنـة الكبرى التي انفجرت في الأندلس في فترة الدراسة.

جال في أراضي كورة إِلْبِيرَة «إلى أن حل بمدينة سجيلة★، فألفاها خالية»، كما يقول ابن حيان(١٤٦)، ولقد أشار شاعر المولدين في إلبيرة إلى هروب العرب من منازلهم عقب انتصار قومه عليهم في أوائل عصر الأمير عبد الله، وبقاء تلك المنازل خالية، فقال:

منازِلُهُمْ منهم قِفَارٌ بلاقعُ تُجاري السَّفَا★★ منها الرياح الزعازعُ(١٤٧)

ومع أنه قد لا يعول كثيرا على قول هذا الشاعر عن العرب لِعلةِ إِنْشَاده هذا الشعر في معرض الفخر بقومه عليهم إلا أن وصفه لحالة العرب في أوائل الصراع بينهم وبين المولدين قد يكون فيه جانبٌ من الصدقِ كبيرٌ.

وإذا كنا قد ألمحنا إلى خلو بعض المدن من السكان فإننا نرى مناطق أخرى اكتظت بهم، فمن المنطقي أن مَنْ سلم من الهلاك من مواطني هذه المدينة أو تلك، ولم يكن له في الصراع الجاري بين الزعماء المحليين ناقة ولا جمل، من المنطقي أن يهاجر إلى مدينة يَجِدُ فيها الأمن والاستقرار وسعة العيش، وقد وجدت بالفعل مدن بالأندلس توافرت فيها هذه الميزات حتى في أحلك أيام الفتنة، ومن أشهر هذه المدن مدينة بَجَّانَة التي ازدهرت ازدهارا عظيما بحلول البحريين بها(١٤٨)، وقد يسر الله لها واليا صالحا اسمه عبد الرازق بن عيسى

★ سجيلة أو سنجيلة: لم أوفق في العثور على معرفة مكانها بالضبط، ولكن من مسيرة الجيش الذي قاده المطرف المذكور أعلاه يفهم أنها تقع في الجهات الجنوبية من كورة إِلْبِيرَة، ولا تبتعد كثيرا عن البحر المتوسط (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص . ص١٠٩-١١٠).

(١٤٦) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١١٠.

★★ ومعنى السفا: أي: التراب (هيكل، الأدب الأندلسي، ص ١٣٤، حاشية ١).

(١٤٧) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٦٣؛ ابن سعيد، المغرب، جـ٢، ص ١٢٥.

(١٤٨) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٩م)، ص ٢٧؛ محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م)، ص ٤١.

أقره الأمير عبد الله عليها(١٤٩)، فقام بضبطهـا وحمايتها، وبـالغ في ردع أهل الشر والفسـاد، فوصل الأمن فيهـا حدا كبيرا إلى درجـة «أن المسافـرين. . . يضعون أمتعتهم ورحالهم بالأسواق والشوارع مطـروحة بلا حارس، فلا يكاد يضيع شيء منها»(١٥٠) ولذلك كله «أمَّها الناس من كل جهة، وانجفلوا إليها من كل ناحيـة فارين من الفتن التي كـانت إذ ذاك شاملة، فكـانت أمنا لمن قصدها، وحرما لمن لجأ إليها»(١٥١)، فكانت النتيجة أن زادت نسبة السكان بها، ثم ازدادت أكثـر بعـد إبْطَـالِ حُمَاتها محاولات بعض الـزعماء المحليين للاستيـلاء عليها، حيث «كثر أهلهـا، واتسعت عمارتها، وحسنت حال من فيها، فلحقت بكبار أمصار الأندلس»(١٥٢).

كما أن كـورة شَنْتَ بَـرِيَّة التي تمرد فيهـا بنـو ذي النـون أصبحت في ظلهم منطقة جاذبة للأهالي في الأندلس أيام الأمير عبد الله، إذ يُنَوِّه ابن حيان(١٥٣) بأعمال بني ذي النون في هـذه الكورة بقوله: «وشادوا بها الحصـون والمعاقل، وأحدثوا بها القرى والمنازل، فعمرت بهم، وكثر أهلها».

ولا مراء أنـه كان للعصبية التي أَنْتَنَتْ ريحها بشـدة بين طوائف المجتمع في طليعة عهد الأمير عبد الله ـ كان لها دور في حـركة السكان في الأندلس خلال تلك الفترة، فكثروا في مناطق، وقلوا في أخـرى، فسعيد بن جودي - مثلا - بتعصبه للعرب في إِلْبِيرَة «هوت إليه أفئدتهم، وقصدوه من كل كورة»(١٥٤).

---

(١٤٩) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٥٣، ٨٨.

(١٥٠) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٨.

(١٥١) الحميري، الروض المعطار، ص ٧٩.

(١٥٢) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٨٩.

(١٥٣) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٧.

(١٥٤) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ٢٩.

ومعروف أن العاصمة قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر زادت نسبة السكان فيها بشكل لافت للنظر، وقد وصفها ابن حوقل الذي زار الأندلس سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٥م[(١٥٥)] بقوله «وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة ليس بجميع المغرب لها شبيه، ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهل، وسعة رقعة»[(١٥٦)]. ومع التسليم التام بأن ازدياد سكان العاصمة قد حدث انعكاسا للازدهار الذي شهدته الأندلس في ظل حكم عبد الرحمن الناصر[(١٥٧)] فإن ذلك لا يمنع من القول بأن الفتنة في أرجاء البلاد كانت من جملة أسباب ازدياد السكان في هذه العاصمة، وكنا قد سُقْنَا - سلفاً - أمثلة على الهجرة إليها، حيث كان من الطبيعي أن تصبح قرطبة مركز جذب للسكان، إذ كانت في جل أيام الفتنة آمنة مطمئنة، وكان أهلها ينعمون بمعاملة طيبة من جانب الأمير عبد الله - كما تقدم ذكره ★-.

أما الهجرة الخارجية فإنه على الرغم من كوننا لا نملك - حسب المصادر المتوافرة - نصا صريحا يؤكد أن أحدا من الأندلسيين هاجر خارج بلاده فارا

(١٥٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٠٤.

(١٥٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٠٧.

(١٥٧) الركابي، في الأدب الأندلسي، ص. ص ١٩-٢٠.

★ لعله من المناسب في هذا الموطن أن نحاول الوصول إلى عدد سكان قرطبة في أوائل عهد الأمير عبد الله، ثم نوازنه بعددهم في عهد عبد الرحمن الناصر، لكي نعرف الزيادة المطردة التي طرأت عليهم، والتي رجحنا في المتن أن بعضها حدث بأثر من الفتنة. إذا نظرنا إلى الجموع القرطبية التي حشدت لمحاربة ابن حفصون في معركة بُلايّ وجدناها بلغت ـ حسب أقرب الروايات إلى الحدث ـ ثمانية عشر ألفا، كان الجيش الرسمي منها أربعة آلاف، والباقي من أهالي قرطبة خاصة (ابن عبد ربه، العقد، جـ ٥، ص ٢٢٢)، ولما كان ابن حفصون قبل المعركة قد ضَيّق بشدة على سكان قرطبة، وهددهم في عقر دارهم فإنه من المتوقع أن جميع مَن يستطيع القتال فيها قد نَفَرَ بلا استثناء ــ لدفع هذا الخطر الداهم عنهم، وقد لمحت بعض المصادر إلى ذلك بوصفها لهم بأنهم «مطوعة» (ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٠٤)، فإذا فرضنا أن الرجال القادرين على حمل =

من الفتنة بالدرجة الأولى فإنه قد مرت على البلاد إبان تلك الحقبة بعض السنوات العجاف، فاضطر العديد من الأندلسيين على أثرها للهجرة إلى المغرب، فعندما حدثت المجاعة الشديدة في الأندلس سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م، - كما مر معنا قبل صفحات - كانت المحصلة أن «عبر كثير منهم البحر إلى أرض العُدوة»(١٥٨). والعُدوة في هذا النص تعني أرض المغرب(١٥٩)، فإذا كانت تلك المجاعة وأشباهها قد غشيت الأندلس نتيجة للفتنة - وهذا ما رجحناه سابقا - فإن هجرة هؤلاء الأندلسيين إلى المغرب كانت إحدى الآثار غير المباشرة التي انعكست على البلاد بسبب الفتنة.

وبحكم كلامنا هنا عن الآثار التي خلفتها الفتنة على الأندلس فلا بد من الإشارة إلى الأثر السياسي الذي سبق أن تناولناه من زوايا متعددة في مواضع متفرقة ـ فنقول: إن السلطة في البلاد أمست - بأثر من الفتنة - مُنْشَعِبَةً بين الأمويين وحكام يمثلون مختلف طوائف المجتمع الإسلامي في الأندلس(١٦٠) من عرب وبربر ومولدين وموالٍ، وعلى مدى الفترة المذكورة طرأ تغير - وإن لم يكن كبيرا - على الوضع السياسي لهؤلاء جميعا - كما تقدم بيانه -، فبينما

= السلاح في هذه المدينة ـ بناء على ما سبق ـ يصل عددهم إلى أربعة عشر ألفا، وقدرنا مثلهم من الصبيان وكبار السن من الرجال؛ ومثلهم جميعاً من النساء فإنه سيصل عدد سكانها إلى ستة وخمسين ألفا. وهذا العدد يمثل تقريبا عُشْر ما قدره بعض المؤرخين لعدد سكان قرطبة في عصر الناصر ـ ربما في الشطر الثاني منه ـ، حيث قدروا أعدادهم بنصف مليون نسمة (الركابي، في **الأدب الأندلسي**، ص٢٠؛ دياب، **تاريخ العرب في إسبانيا**، ص ٣٦٦)، وإذا كان ذلك كذلك فإن فارق النسبة بين العددين يجعلنا نميل إلى أن زيادة سكان قرطبة لم تكن كلها وليدة فترة الازدهار الذي عاشته الأندلس في عهد الناصر، وإنما كان بعضها قد جاء بأثر من عوامل الجذب التي كانت تتمتع بها قرطبة زمن الأمير عبد الله.

(١٥٨) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص ١٤٦.

(١٥٩) العبادي، **في تاريخ المغرب**، ص ٢٤.

(١٦٠) العبادي، **في تاريخ المغرب**، ص ١٧٢.

كان معظم أولئك الحكام يناصبون الحكومة الأموية العداء في السنوات الأولى من عصر الأمير عبد الله فإنهم أصبحوا في أواخر ذلك العصر - إلا قلة قليلة منهم - يحكمون ولاياتهم باعتراف هذه الحكومة بهم بصفتهم حكاما شبه مستقلين★. واعتراف حكومة قرطبة بهم على تلك الصفة أفسح المجال أمامهم للعمل باطمئنان إلى تقوية جانبهم، وتعزيز قدراتهم، فجرى التنافس بين عدد منهم على رفع مستوى التنظيم الإداري في الأقاليم التي يحكمونها(١٦١)، بل إن بعضهم حرص غاية الحرص على استتباب الأمن في ربوع ولايته، فبكر بن يحيى صاحب كورة أُكْشُونْبَة - على سبيل المثال - «كان له عهد مؤكد على جميع مَنْ في طاعته بإضافة أبناء السبيل، وقِرَاء النزيل، وحفظ المجتازين، فكان السالك بناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه»(١٦٢).

ولهذا كله لا نستغرب أن يصل نشاط القوى المحلية في الأندلس - حينذاك - إلى قمته(١٦٣)، فيتصدى بنو قسي وبنو الطويل للكيانات النصرانية المجاورة بكل صرامة، وينطلق البحارة الأندلسيون من السواحل الشرقية فيكرسون السيادة الإسلامية في جزر البليار التي كانت من قبل متأرجحة الولاء بين المسلمين والنصارى، وكذلك يفتتحون مناطق واسعة في جنوبي فرنسا؛ وعلاوة على ذلك يفرضون نفوذهم على سواحل الشمال الإفريقي★★.

★ وقد اتضح هذا النوع من الاستقلال بأجلى معانيه، في كونهم، لا سيما كبارهم يعينون موظفي أقاليمهم دون أخذ موافقة من الأمير عبد الله. انظر أمثلة لذلك في (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ١، ص ٣٧١، ٥٨٢، جـ٢، ص ٥٢٥، ٨٦٣).

(١٦١) ابن حيان، المقتبس، ق٣، ص١٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٧.

(١٦٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٣٧.

(١٦٣) أحمد بدر، تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري، ص ١٢٩.

★★ انظر، الفصل الخامس من هذا الكتاب.

على أن انقسام الأندلس إلى دوائر سياسية كثيرة على النمط المُومأ إليه آنفا، ومن ثم غياب قبضة الحكومة المركزية في أرجاء البلاد قد هيأ الفرصة لأن يمارس قُطاع الطرق واللصوص مهنتهم في الأماكن التي لا يخشون فيها من قوة تردعهم والتي ربما كانت في التخوم الواقعة بين نفوذ حكام الأقاليم[١٦٤]، كما أن الوضع المشار إليه قبل قليل قد فتح - أيضا - الباب للنصارى للتوسع بتؤدة في المناطق الإسلامية التي كانت ضحلة السكان، أو التي لم تقم فيها قوى محلية قوية كما كان الحال في غربي الأندلس، فبالإضافة إلى كون نصارى أشتوريس (لِيون) أرسوا حدودهم الجنوبية، ثم ضايقوا المسلمين هناك بالغزو والسطو★ فإنهم تجرأوا في غرة عصر عبد الرحمن الناصر على انتهاك أراضٍ بعيدة الغور في الجنوب الغربي من الأندلس، وهم مطمئنون تمام الاطمئنان إلى خلوها من قوة إسلامية رادعة، إذ قام ملكهم في سنة ٩١٣م/ ٣٠١هـ أي بعد وفاة الأمير عبد الله بسنة واحدة فقط - قام بالهجوم على مدينة يَابُرَة★★ فاقتحمها بعنف، وقتل مَنْ بها من الرجال، وسبى النساء والذرية[١٦٥]، حتى قيل عما جرى للمسلمين فيها «بأنه لم تَدُرْ

(١٦٤) ابن حيان، **المقتبس**، ق٣، ص ٧٠، ١١٤، جـ ٥، ص. ص ١٧٩-١٨٠، ابن عذاري، **البيان**، جـ ٤، ص ١٨٢.

★ انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب.

★★ يَابُرَة Evora كانت تعد أحيانا تابعة لباجة (الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ١٩٧)، وأحيانا أخرى ضمن أراضي بَطَلْيَوْس (أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص ١٧٣) وهي تقع إلى الجنوب الشرقي من لِشْبُونَة، وإلى الشمال من بَاجَة (عنان، **الآثار الأندلسية**، ص ٤١١) وتمثل الآن قاعدة مديرية الميتيجو في جنوبي دولة البرتغال على بعد مئة وسبعة عشر كيلو مترا من العاصمة لِشْبُونَة (ابن الأبار، **الحلة**، جـ ٢، ص ٩٧، حاشية ٣).

(١٦٥) ابن حيان، **المقتبس**، جـ ٥، ص. ص ٩٣-٩٥؛ مجهول، **أخبار عبد الرحمن الناصر**، ص. ص٤٣-٤٦.

بالأنـدلس على أهل الإسلام دائرة من قبل العـدو - منذ سكنت - أشنع من هذه الدائرة، ولا أفظع مَنْظَرًا»(١٦٦).

ولقـد تمخض عن الفتنـة في الأنـدلس - أيضـا - مـا يجوز لنـا أن نصفـه بـالتفاعل الاجتماعي بين السكـان، فالاحتكـاكات العسكـرية بين طـوائف المجتمع، وكذلك الشعـور بالمسـاواة فيما بينها عقب تـوزع الحكم في زعمائها المحليين، فضـلا عن التعايش السلمي الـذي طبع معظم كور الأنـدلس في الشطـر الثاني مـن عصر الأمير عبد الله، كل ذلك عمـل على مَزْجِ العنـاصر الاجتماعيـة في البلاد، وصهـرها في بـوتقة واحـدة، فأمسى الإحساس لـدى الناس يتجه نحو تكوين أمـة أندلسية لها شخصيتها المميزة(١٦٧) البعيدة عن اختلاف الأجناس(١٦٨)، ولقـد كان لهذا الاتجاه آيـاتـه الملمـوسة، منهـا أن إطلاق كلمة المولدين على أبناء المسلمين من أهل البلاد قد تلاشت في أواخر فترة الأمير عبد الله(١٦٩)، فلم نعـد نسمع لها أي ذكـر في عصر عبد الـرحمن الناصر، ومنها - أيضـا - أن ثمة علماء ينتسبون إلى أُسَر إسبانية حـديثة عهد بالإسلام ومع ذلك تقلدوا بعض المنـاصب أو رُشحوا لها، فلقد أُسْند القضاءُ في طليطلـة إلى رجـل يسمى إسحـاق بن ذنـابـا المتـوفى سنـة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م(١٧٠)، وواضح من اسم هـذا الـرجل أصلـه الإسبـاني القريب، ثم إن الصـورة تبدو أسطع في العـاصمة؛ حيث إنـه في أوائل عهد

(١٦٦) ابن حيان، المقتبس، جـ٥، ص ٩٥.

(١٦٧) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٧١.

(١٦٨) الطـاهـر أحمد مكي، دراسات أنـدلسية في الأدب والتـاريخ والفلسفة، ط٢ (القاهـرة: دار المعارف، ١٩٨٣م)، ص ٤٣، ٤٤.

(١٦٩) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٢٥؛ عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص ١٣٥؛ الأوسي، فصول في الأدب الأندلسي، ص ٣٩.

(١٧٠) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ١، ص ١٤١؛ الحميـدي، جذوة المقتبس، ق١، ص ٢٥٩، ويورد الحميدي في الصفحة نفسها أن ذنابا قد قُرِئَ بالزاي، أي: زنابا.

الناصر وحينما شغر منصب قاضي الجماعة رُشح له رجل من الإسبان لم يكن أبواه يقيما نُطْقَ أَلْفَاظِ اللغة العربية بَعْدُ(١٧١)، وحين نتفحص هذين المثالين يثبت لنا أن العصبية العنصرية في الأندلس - آنئذ - بدأت تضمحل، أو ربما أنها اضمحلت من النفوس بالفعل، فلم يعد ينظر إليها بعين الاعتبار، لأن الحكومة الأموية منذ إنشائها - ومن ورائها العرب - حتى هذا الوقت الذي نتحدث عنه تحاشت تولية منصب قاضي الجماعة لأحد من غير العرب، ولم تتجاوز هذه القاعدة إلا مرة واحدة حينما أسندت هذا المنصب إلى رجل من الموالي★، وهي مع ذلك لم تتجاوز كثيرا لأن الموالي في الأندلس كانوا ـ كما عرفنا سابقا ـ لا تقل رتبتهم عن العرب، ومن علامات الانصهار بين عناصر المجتمع في أواخر فترة الدراسة أننا نرى الأندلسيين يتكلمون العامية العربية بجانب العامية اللاتينية (الرومانسية Romance) أي أنه حدث ازدواج لغوي نتيجة للامتزاج العنصري(١٧٢)، ويتشخص هذا في أنه قد ابتدع في تلك الفترة بالذات شعر شعبي استخدمت فيه هاتان العاميتان، وهذا اللون من الشعر عرف بالموشحات(١٧٣)★★، حيث إن أول من

---

(١٧١) الخشني، قضاة قرطبة، ص ٢١٧ .

★ للتحقق من هذه السياسة التي سارت عليها الحكومة الأموية في ولاية قضاء الجماعة استعرض أسماء القضاة حتى بداية ولاية أَسْلَم بن عبد العزيز الذي تولى القضاء في أوائل عهد الناصر تجد أن كلهم من العرب الأقحاح (الخشني، قضاة قرطبة، ص. ص ٥٠-٢١٢) سوى عمر بن عبد الله الذي كان من الموالي (الخشني، قضاة قرطبة، ص ١٤٦).

(١٧٢) هيكل، الأدب الأندلسي، ص ١٤٤؛ لطفي عبد البديع، الإسلام في إسبانيا، ص. ص٢٥، ٧٨-٧٩.

(١٧٣) هيكل، الأدب الأندلسي، ص ٤٨؛ الطاهر مكي، دراسات أندلسية، ص ١٨٦ .

★★ والموشحة منظومة غنائية تعتمد على منهج تجديدي متحرر ــ نوعا ما ـ عن المنهج التقليدي (هيكل، الأدب الأندلسي، ص ١٣٩) فهي تتألف من فقرات، والفقرة الواحدة فيها بمثابة =

اخترعها في جـزيرة الأندلس كـان «مقدم بن معـافى القبري من شعراء الأمير عبد الله»(١٧٤).

وصفوة القول أن الفتنة في عهد الأمير عبد الله قد أحدثت آثارا عديدة على الأنـدلس نلمسهـا بمختلف الأشكال في النـواحي الاقتصـاديـة والعمرانيـة والسياسية والاجتماعية .

= بيت في القصيدة، وكل فقرة هي مجمـوعة من أشطار الأبيات المتحدة القـافية التي تخالف في الوقت نفسه قـوافي الفقرات التاليـة، على أن كل فقرة لا بد أن تنتهي بما يسمى الخرجـة أو القفل أو المركز تتحد فيـه القافيـة في كل الموشحة (هيكل، **الأدب الأندلسي**، ص ١٣٩؛ بالنثيـا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص ١٤٣) وهذه الخرجة هي التي غالبا تستخدم فيها عامية أهل الأندلس (ابن بسام، **الذخيرة**، ق١، م١، ص ٤٦٩؛ ابن سناء الملك، **دار الطراز في عمل الموشحات**، تحقيق جودت الركابي، ط٣ (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ٤٠، ٤٣.

(١٧٤) ابن سعيد، **المقتطف من أزاهير الطرف**، تحقيق سيد حنفي حسنين (القاهـرة: الهيئة المصرية العامة للكتـاب، ١٩٨٤م)، ص ٢٥٥؛ وقد جاء اسم مخترع الموشحات لـدى ابن خلدون برسم آخر، وهو مقدم بن معافر الفريري (ابن خلدون، **المقدمة**، ص ٨١٧)، ولقد أخذ هذا اللون من الشعر عن مقدم معاصره ابن عبد ربه صـاحب العقد الفريد (ابن سعيد، **المقتطف**، ص ٢٥٥؛ ابن خلدون، **المقدمة**، ص ٨١٧).

الخاتمة

الآن – وقد آذنت شمس البحـث بالمغيب – وجب علينا أن نُلم بـأهم ما حوتـه الصفحات السـالفة من نتـائج، فنقول: كانت الأنـدلس تنتظم على العمـوم في وحدة سيـاسيـة مترابطة تحت ظـلال الإمـارة الأمويـة، فلما دخل النصف الثاني من القـرن الثالث الهجري (التاسع الميـلادي) أخذ جسم تلك الوحـدة في التصدع شيئـا فشيئا بقيام عـدد من المتمردين على هـذه الإمارة، ورغـم مـا بذلـه الأمير الأموي – آنـذاك – محمـد بن عبد الـرحمن الأوسط من جهود عسكـرية فإنـه لم يستطع أن يُوقف ذلك التصـدع الذي تفـاقم بمرور الوقت، فلما مات هـذا الأمير، وتولى بعده ابنه الأمير المنذر جـدّ هو الآخر في إحلال الوحدة مكان الفرقة، والائتلاف بدلا من الاختلاف، ولكنه توفي قبل أن تبلغ فترة حكمـه السنتين، فتولى بعـده أخوه الأمير عبـد الله الذي تـزامن جلوسه على عرش الإمارة مع تعقد الأحوال السيـاسية بنجومِ عددٍ جديد من المتمـردين على سلطتـه، فلم يكد يهل العـام الثـاني من حكمـه حتى طَمَّتْ حركات التمرد جل مناحي الأندلس.

لم تنحصر هذه الحركات العصيـانية على فئة من سكان الأنـدلس بعينها؛ بل شـاركت فيها معظم العنـاصر الاجتماعية، إذ أن عـددا قليلا من الـزعماء المولدين قـد تولى كِبْرهـا في البداية، فلما أحـرزوا نصيبا من النجـاح، وبدت حكومـة قرطبة في موقف العـاجز عن إخضاعهم تمرد عدد آخـر من إخوانهم المولدين، ثم تمرد بتمرد هؤلاء زعماء من البربر والعرب والموالي.

ولقـد تبين أن استعار الفتنـة في الأندلـس بهذه الصورة الشـاملة إنما جـاء بفعل عـوامل متعددة كـان على رأسها التفكك الاجتماعي النـاشيء بالـدرجة الأولى عن نظرة عنصريـة ضيقة تبناهـا – يا للأسف – المتحكمـون في شؤون الأندلس إبان تلك الفترة؛ ففي الـوقت الذي يدعو فيـه الدين الإسلامي إلى

أن لا فضلَ لعــربي على عجمي، ولا لعجمي على عــربي، ولا لأبيض على أســود، ولا لأســود على أبيض إلا بــالتقــوى - ﴿**إن أكـرمكـم عنـد الله أتقاكـم**﴾ ★- قــام أولئك المتحكمـون بــالأنــدلس مِن العــرب ومَنْ إليهـم بـاستصغــار كبرى شرائح المجتمع الأنـدلسي من المسلمين الـذين عــرفـوا بالمولدين، فانبرى هؤلاء الأخيرون بالمطالبة بحقوقهم المشروعة التي فرضها لهم دينهم الحنيف، فكانت تلك المواجهـات الدامية. إن هـذه الحقيقة المرة★★ التي انبعثت منها الشرارة الأولى للفتنـة لا ينبغي أن نتغاضى عنهـا بوحي من العاطفـة، فدارس التـاريخ يقرر أمـورا قد حدثت بـالفعل، وذلك من واقع المصادر الموثوقة أولا، ثم بناء على ما تمخضت عنـه تلك الأمور ثانيا. بجانب هـذا العـامل المهم كـانت هنــاك عـوامل أخـرى فعلت حينـذاك فعلهـا في اضطراب الأوضاع في الأنـدلس، منها الطبيعة الجغرافية للبـلاد القائمة على انعزال كل إقليم عن الآخـر، ومنها ما أحدثه الانفتـاح على المشرق من دخول تيارات فكـرية محرضة على التغيير، ومنهـا - أيضا - ذلك التخلخل الإداري الذي عانت منه الأندلس أيام الأمير محمد، ومن العوامل التي لا يعلق عليها أهميـة كبيرة - في تلك الحقبة بـدون وجود العـوامل الأخـرى السابقـة - دور القوى النصرانية المجاورة في تأجيج نار الفتنة.

وكما شاهـدنا فقد كانت رحـى الفتنة اللاهبة في أوائل عهـد الأمير عبد الله تدور في مسارين: الأول: تصارع عناصر المجتمع الأندلسي الكبرى بعضها

★ سورة الحجرات: آية ١٣.

★★ حـدث أبو مـالك الأشعري ــ رضي الله عنـه ـ أن النبي ــ ﷺ ــ قال: «أربع في أمتي من أمـر الجاهليـة لا يتركـونهن: الفخـر في الأحسـاب، والطعـن في الأنسـاب، والاستسقـاء بـالنجـوم، والنيـاحة» (رواه مسلـم في صحيحه، تحقيق محمـد فـؤاد عبد البـاقي، جــ٢، ص٦٤٤، كتاب الجنائز، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ص ٢٩.

مع البعض الآخر، وقد كان الصراع ضاريا بوجه خاص بين المولدين والعرب، والمسار الثاني: تسابق زعماء تلك العناصر إلى التحلل من ربقة الولاء للإمارة الأموية.

وبناء على ذلك كان تمرد المولدين في معظم أراضي الأندلس، فتركزت حركاتهم في الكور التالية: رَيُّة وإِلْبِيرَة وجَيَّان وتُدْمِير ومَارِدَة وبَاجَة وأُكْشُونْبَة، وكذلك في مقاطعة الثغر الأعلى، وقد كان من أشهر زعمائهم عمر بن حفصون، وعبد الرحمن بن مروان الجِلِّيقي، وديسم بن إسحاق، ومحمد بن لب القَسوي، ومحمد بن عبد الملك الطويل، أما العرب فقد انتشرت حركاتهم في الكور الآتية: إِلْبِيرَة وجَيَّان وإِشْبِيلِية ولَبْلَة وشَذُونَة وسَرَقُسْطَة، وقد كان من أبرز رؤسائهم سوار بن حمدون و إبراهيم بن حجاج، أما البربر فإن حركتهم قد تمركزت في كورة شَنْتَ بَرِيَّة، وكورة مَارِدَة، وكورة تَاكُرُنَّا، وكورة جَيَّان، وكورة شَذُونَة، ويأتي على رأس زعمائهم: موسى بن ذي النون، وأبناؤه الثلاثة يحيى والمطرف والفتح، وكذلك محمد بن تاجيت (تاكيت). كما أن الموالي شاركوا في الفتنة زمن الأمير عبد الله، ولكن حركتهم اقتصرت على كورتين من كور الأندلس فقط هما كورتا إِلْبِيرَة وشَذُونَة، ولعل من أظهر زعمائهم طالب بن مولود ومنذر بن إبراهيم بن السّليم.

ولقد سارعت حكومة الأمير عبد الله منذ البداية في إقرار كل متمرد على منطقة نفوذه إذا هو قَدَّمَ لها فقط مظاهر الطاعة على أية صفة كانت، ثم إنها - أيضا - عملت على الإيقاع بين المتمردين، وكذلك استخدمت القوة العسكرية ضدهم، فكانت النتيجة أن أمست الأحوال في الأندلس مستقرة في السنوات الأخيرة من القرن الثالث الهجري، حيث أجمع المتمردون على اختلاف طوائفهم على الاعتراف بأن الأمير الأموي عبد الله بن محمد هو الحاكم الشرعي للبلاد باعتباره «أمير الجماعة»، ولم يخرج عن هذا الإجماع الشامل - كما بدا لنا - إلا ثلاثة من المتمردين كلهم من المولدين هم عمر بن

حفصون وسعيد بن هذيل، وسعيد بن مَسْتَنَة، وقد كان هؤلاء الثلاثة مع ذلك يعترفون بين الفينة والأخرى بالطاعة لهذا الأمير؛ فضلا عن انحسار نشاطهم في مناطق محدودة من الجنوب الأندلسي.

أما عن علاقات الأندلس السياسية في فترة الدراسة مع القوى الخارجية فقد كان لها اتجاهان: أحدهما مع العالم النصراني، حيث بذل حكام الأقاليم المجاورون للقوى النصرانية في الشمال ـ سواء في حال تمردهم الصريح على حكومة قرطبة أو في وقت اعترافهم بطاعتها ـ بذلوا جهدهم لضرب تلك القوى، والحد من نشاطها. كما أن هناك جماعات غلب عليها الطابع الشعبي قد جاهدت في سبيل الله في البلاد النصرانية، فاستطاعت أن تؤصل الحكم الإسلامي في جزر البليار، كما فتحت مناطق واسعة في جنوبي فرنسا وغربي إيطاليا معتمدة على قواعد ثابتة لها هناك، وبهذا قدمت تلك الجماعات مثالا رائعا للمجاهدين المسلمين المتحللين من أوهاق السلطات الرسمية التي لا تخلو من التعقيد في بعض الأحايين.

أما الاتجاه الثاني للعلاقات الخارجية للأندلس في فترة الدراسة فقد كان مع العالم الإسلامي، وقد رأينا أن تلك الاتصالات بين الشخصيات السياسية في البلاد وبين القوى الإسلامية لا تهدف في غالبها إلا إلى ما نراه - بمزيد من الأسى - كثيرَ الحدوث في تاريخ أمتنا الإسلامية، وهو عقد تحالفات قد لا تزيد المسلمين إلا فرقة وشتاتا، وقد تمثل ذلك بشكل واضح في اتصالات عمر بن حفصون بالأدارسة ثم الأغالبة من أجل ضرب دولة بني أمية في الأندلس.

أما عن آثار الفتنة على الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، فبالإضافة إلى كون القوى المحلية في البلاد أصبحت في أواخر الفترة ترتبط مع حكومة قرطبة بارتباط أشبه ما يكون بالاتحاد (الفيدرالي) فإن هناك جملة من الآثار التي سبقت هذا الارتباط العام من ناحية، أو تزامنت مع

تكـونه من نـاحية أخـرى؛ ففي أثنـاء هذه الفتنـة فقدت الأنـدلس كثيرا من أهلها، وتعـرض العديد منهم لـلأسر وحتى الاستعباد، كما انتشرت في ذلك الوقت ظاهرة نهب الأموال، والسطو على الممتلكات، ثم إن الفتنة - أيضا - أثـرت في النـواحي العمرانيـة، فبينما هُـدمت الكثير من المرافق المعماريـة من جانب فقد جُدِّدت من جانـب آخر تحصينات المعاقل والمدن والحصون، كما بنيت قواعد عسكرية جديـدة، ثم إن الفتنة كان لها كذلك دورها الواضح في تدهور الـزراعة والتجارة في بعض الأماكن، كما ظهـرت - زيادة على ذلك - مجاعات طاحنة أعقبها في بعض السنوات أوبئة وأمراض فاتكة.

ولقد جـرى خلال الحروب الأهليـة في الأندلس إبـان عصر الأمير عبد الله تغييرات لا تُنكـر في البنيـة السكـانيـة (الـديمغـرافيـة)، حيث انتقل بعض السكان من أماكن سكناهم إلى أمـاكن أخرى، وقد كانت هذه التغييرات في البنية الاجتماعية من أفعل العوامل في حدوث التفاعل الاجتماعي بين الشعب الأندلسي الـذي غدا في أواخـر الفترة يجنح إلى الذوبـان والانصهار في بـوتقة واحدة، وإزالـة ما كان يعج في كيـانه - أوائل الفتنة - من دعـوات عنصرية مُنْتِنـة، هـذا التفاعل الـذي لـو كُتِبَ لـه الاستمـرار في عصور تـاليـة لحقق للمسلمين في الأندلس وحـدة اجتماعية لاحمة لا تنفك بسهولة عنـد وقوع أي ضعف سياسي لهم.

تم الكتاب بهذه الكلمات، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم
بإحسان إلى يوم الدين

كان الفراغ منه صبيحة يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ
(الموافق ١٧/ ١/ ١٩٨٩م)

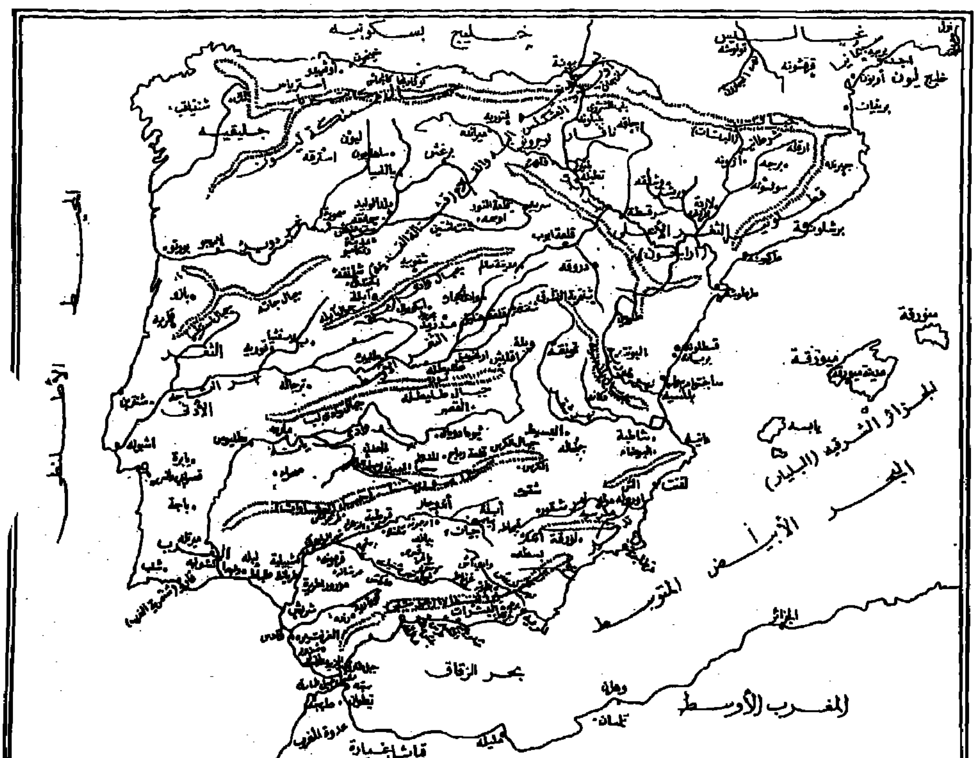
الملاحق والخرائط

جدول يوضح أغلبية المتمردين على الإمارة الأموية في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري

الكورة أو المقاطعة	المتمردون ومراكز تمردهم في الكورة أو المقاطعة							
	المتمردون من المولدين		المتمردون من العرب		المتمردون من البربر		المتمردون من الموالي	
	الاسم	المركز	الاسم	المركز	الاسم	المركز	الاسم	المركز
إشبيلية			بنو حجاج بنو خلدون	إشبيلية (الحاضرة) إشبيلية (الحاضرة)				
أُكْشُونْبَة	بكر بن يحيى	شَنْتَمَرِيَّة						
إِلْبِيرَة	سعيد بن مَسْتَنة	بَاغُة	سعيد بن جودي سوار بن حمدون محمد بن أضحى	غَرناطة غرناطة حصن الحمَّة	خليل بن مهلب سعيد بن مهلب	حصن قَرْذَيَرة حصن الشُبْرَغَيْرة	عبد الوهاب ابن جرج	حصن بكور
بَاجَة	عبد الملك ابن أبي الجواد	بَاجَة (الحاضرة)						
تَاكُرُنَّا							عَوْسَجة بن الخَليع	حصن قِنيط
تُدْمِير	ديسم بن إسحاق	مُرْسِية						
الثغر الأعلى	محمد بن عبد الملك محمد بن لُبّ القَسَوي	وَشْقَة المناطق الغربية من الثغر	محمد بن عبد الرحمن التُجيبي	سَرَقُسْطة				

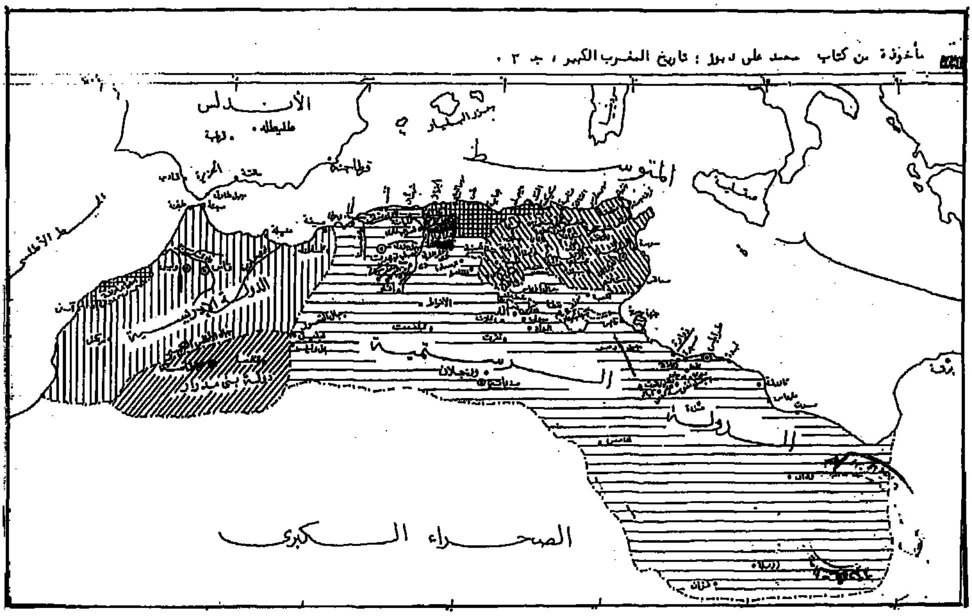
ملحوظة: الأساس الأول الذي انعقد عليه توزيع محتويات هذا الجدول هو الكورة أو المقاطعة، وعقب ذلك فرزت أسماء كل متمردي كورة أو مقاطعة على حدة، ولكن مع مراعاة توزيعهم على حسب طوائف المجتمع، كل هذا رتب - كما هو واضح - ترتيبا هجائيا.

الكورة أو المقاطعة	المتمردون ومراكز تمردهم في الكورة أو المقاطعة							
	المتمردون من المولدين		المتمردون من العرب		المتمردون من البربر		المتمردون من الموالي	
	الاسم	المركز	الاسم	المركز	الاسم	المركز	الاسم	المركز
جَيَّان	خير بن شاكر سعيد بن هذيل عبد الله بن الشالية	حصن شُوذَر حصن المُنْتِلُون جبل شُمُنْتَان	إسحاق بن إبراهيم	حصن مَنْتِيشَة	عمر بن مُضِيّم	جَيَّان الحاضرة		
رَيَّة	عمر بن حفصون	حصن بُبَشْتَر						
شَذُونَة			سليمان بن محمد بن عبد الملك	شَرِيش	عبد الكريم ابن إلياس	قلعة ورد	طالب بن مولود منذر بن إبراهيم	حصن أَقُوط مدينة بني السَّليم
شَنْتَ بَرِيَّة					الفتح بن موسى المطرف بن موسى موسى بن ذي النون يحيى بن موسى	حصن أُقْلِيش حصن وَبْذَة شَنْتَ بَرِيَّة (الحاضرة) حصن وَلْمَة		
لَبْلَـة			عثمان بن عمرون	لَبْلَة (الحاضرة)				
مَـارِدَة	عبد الرحمن الجليقي	بَطَلْيَوْس			زَعال بن يعيش محمد بن تاجيت (تاكيت)	حصن أم جَعْفَر مَارِدَة (الحاضرة)		



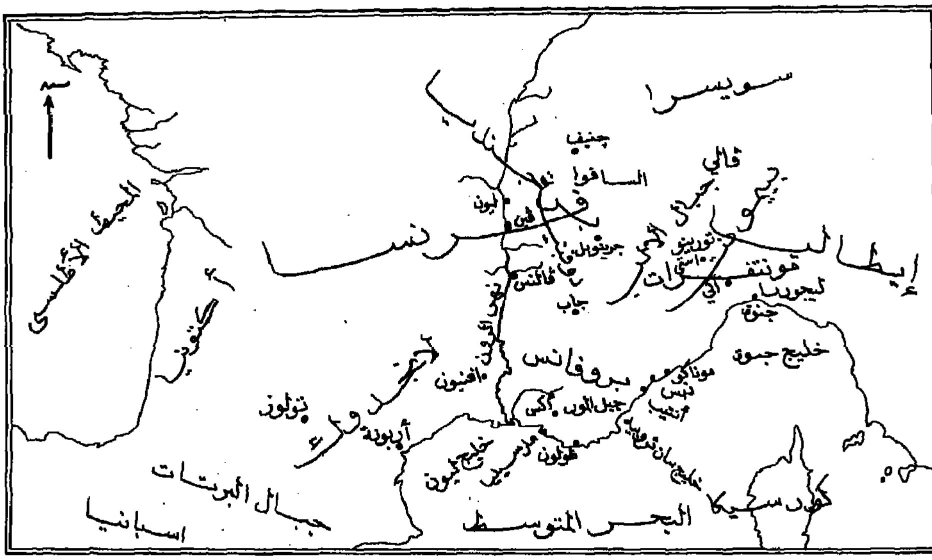
خريطة رقم (١)

الأندلس



خريطة رقم (٢)
المغرب في القرن الثالث الهجري

المصدر: عن محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، جـ٣.



خارطة رقم "٣٠" وهي توضح أهم الأماكن التي فتحها مسلموا الأندلس في جنوب فرنسا وغربي إيطاليا في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري

المصادر

- اعتمد في رسم هذه الخارطة بالدرجة الأولى على خرائط إيطاليا وفرنسا السياسية والطبيعية كما جاءت عند شاك جورج بسان: الحلي العالمي، خارطة رقم: ٢٧، ٢٨، (٣) ٣٢ كما تمت الاستعانة أيضاً بما جاء لدى طرخان: المسلمون في أوربا، ونور الدين بن محمد: فتح العرب فرنسا مجلة العربي، العدد ١٢٢، يناير ١٩٧٩، ص ٧٧

المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية القديمة*

أ ـ المصادر المخطوطة

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: تقريبا سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) ـ **أنس المهج وروض الفرج**، مخطوط حكيم أوغلى برقم ٦٨٨، مكتبة السليمانية في إستانبول، نشرة بالتصوير الفوتوغرافي معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م).
ـ **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس****، مخطوط المكتبة الظاهرية رقم ٦٤٩/ تاريخ، ميكروفلم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية، رقم ١٠٥٣/ تاريخ.

الشاطبي، محمد بن علي (كان حيا سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م).
ـ **الجمان في مختصر أخبار الزمان**، مخطوط المكتبة الأهلية في باريس رقم ١٥٤٥، ميكروفلم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية، رقم ١٠٢٤٠/ تاريخ.

---

* لا اعتبار لكل من «ابن، الـ» في الترتيب الهجائي لهذه القائمة

** هذا الكتاب قد تعدى في تراجمه عصر السهيلي إلى وقت متأخر، بل إن السهيلي المذكور قد تُرجم له في تضاعيف الكتاب، فهل معنى ذلك أن هذا المصنف ليس من تأليف السهيلي أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ؟

العيني، بدر الدين أبو الثناء محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).
- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم ٢٩١١/ ٩، ميكروفلم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية رقم ٩٥٨/ تاريخ.

النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن (كان موجودا سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م).
- **نزهة البصائر والأبصار**، مخطوط مكتبة الإسكوريال، رقم ١٦٥٣.

ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن (من أهل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي).
- **تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس**، مخطوط الأستاذ م. نهيل (الدار البيضاء)، نشره بالتصوير الفوتوغرافي لويس مرسي - باريس سنة ١٩٣٢م.

ب - المصادر المطبوعة

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م).
- **التكملة لكتاب الصلة**. القاهرة، د. ت.
- **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس. القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣م.

أبو زكريا، يحيى بن أبي بكر (٤٧١هـ/ ١٠٧٨م).
- **سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق إسماعيل العربي، ط٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).
- **تقويم البلدان**. باريس: نشر رينو، والبارون ماك كوكين ديسلان، ١٨٤٠م.

ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م).
- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**. الرباط: دار المنصور، ١٩٧٢م.
ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).
- **الكامل في التاريخ**. بيروت: دار صادر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
الإدريسي★، **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس** (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. ليدن، ١٩٦٨م.
الأصطخري، أبو القاسم إبراهيم بن محمد (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).
- **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني. مصر: دار القلم، ١١٨١هـ/ ١٩٦١م.
ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م).
- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، ط ٢. بيروت: دار الثقافة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).
- **جغرافية الأندلس وأوروبا**، من كتاب «المسالك والممالك»، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي. بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.
- **المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، من كتاب «المسالك والممالك». بغداد: دار المثنى.
التنيسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م).
- **تاريخ دولة الأدارسة** (مقتبس من كتاب **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**) تحقيق عبد الحميد حاجيات. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م.

★ سبق التعريف به.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م).
- **جمهرة أنساب العرب**، ط. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة. بيروت: دار الجيل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- «**نقط العروس في تواريخ الخلفاء**»، تحقيق شوقي ضيف. **مجلة كلية الآداب**، جامعة فؤاد الأول، م ١٣، جـ ٢، (ديسمبر ١٩٥١م).

الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م).
- **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم الإبياري ط ٢. بيروت: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: تقريبا سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م).
- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، ط ٢. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
- **صفة جزيرة الأندلس** (منتخبة من كتاب **الروض المعطار في خبر الأقطار**). د. م، ليفي بروفنسال.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م.
- **صورة الأرض**. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م.

ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م).
- **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق محمود علي مكي. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- **المقتبس في تاريخ رجال الأندلس**، ق ٣. باريس: ملشور م أنطونيه، ١٩٣٧م.

- **المقتبس**، جـ ٥، تحقيق بدرو شالميتا، بالتعاون مع ن. كورنيطي، م. صبح وغيرهما. مدريد، ١٩٧٩م.
الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث (ت٣٦١هـ/ ٩٧١م).
- **قضاة قرطبة**، تحقيق إبراهيم الإبياري. بيروت: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م).
- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، أربعة مجلدات:
المجلد الأول: ط٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
المجلد الثاني: ط ١، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
المجلد الثالث: ط١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
المجلد الرابع: ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م.
القاهرة: مكتبة الخانجي،
- **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية)** نشر ليفي بروفنسال، ط ٢، (بيروت دار المكشوف، ١٩٥٦م.
- **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ق ٣ (تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط)** تحقيق أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني. الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٦٤م،
- **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط ٣. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **مشاهداته في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله)**، تحقيق أحمد مختار العبادي. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣م.

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).
- **تاريخه المسمى بديوان★ المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأمبر**، نشر: خليل شحادة. بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، وكذلك ط. مؤسسة جمال - بيروت.

ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م).
- **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط. دمشق: دار القلم، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ابن دحية، مجد الدين أبو الخطاب عمر بن الحسن (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م).
- **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الإبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي. القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٥٤م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).
- **العبر في خبر من غبر**، تحقيق أبو المهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٧٩هـ/ ٩٨٩م).
- **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط٢. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م.

الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد سنة ٥٤١هـ/ ١١٥٦م، وقبل سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦١م).

★ هكذا نشر في هذه الطبعة بدون كلمة «العبر» التي تسبق كلمة «ديوان» في الطبعات الأخرى.

- كتاب الجعرافية*، تحقيق محمد حاج صادق
د.م: د.ن، د.ت.
السراج، محمد بن محمد الوزير الأندلسي (ت ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م).
- **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة.
بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م.
ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).
- **كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي. بيروت: المكتب التجاري، ١٩٧٠م.
- **المغرب في حلي المغرب** (ألفه ابن سعيد هو وبعض أفراد أسرته) تحقيق شوقي ضيف، ط٣. القاهرة: دار المعارف، ١٩٠٠م.
- **المقتطف من أزاهير الطرف**، تحقيق سيد حنفي حسنين.
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م).
- **الأنساب**، تحقيق عبد الله عمر البارودي، ط ١. بيروت: دار الجنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
ابن سناء الملك، القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت٦٠٨هـ/ ١٢١١م).
- **دار الطراز في عمل الموشحات**، تحقيق جودت الركابي، ط ٣.
بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

* يحسن لفت النظر هنا إلى أن العنوان «الجعرافية» بالعين المهملة، ويذكر المحقق أن ذلك ورد باطراد في سائر النسخ، وقال إنها لغة جارية عند كُتّاب المغرب والأندلس، وإن معنى كلمة «جعرافية» في الأصل خريطة.

ابن سهل، القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل (ت٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م).
- **وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس** (مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى)، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف. القاهرة: المركز العربي للإعلام، ١٩٨٠م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م).
- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

ابن الشباط، محمد بن علي (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).
- **وصف الأندلس وصقلية** (قطعة من كتاب **صلة السمط وسمة المرط**) تحقيق أحمد مختار العبادي، نشر مع تاريخ الأندلس لابن الكردبوس. مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٧١م.

الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م).
- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**. القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
- **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار سويدان، ١٩٠٠م.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).
- **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم**، تحقيق إبراهيم الإبياري. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

ابن عبد الحكم، أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م).
- **فتوح إفريقية والأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤م.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م).
ـ العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، بيروت: دار الفكر.
ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م).
ـ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق كولان وبروفنسال، ط٢. بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣م.
العذري، أبو العباس، أحمد بن عمر (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م).
ـ نصوص عن الأندلس من كتاب «**ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**». مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥م.
عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م).
ـ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود. بيروت: دار مكتبة الحياة.
ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**. بيروت: دار الكتب العلمية،
ابن غالب، محمد بن أيوب (من أهل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).
ـ **فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس** (قطعة من هذا الكتاب)، تحقيق لطفي عبد البديع. القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥٦م.
الغساني، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب (ت ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م).
ـ **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، نشر ألفريد البستاني، ط مؤسسة الجنرال فرانكو.
ابن فرحون، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)
ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة: مكتبة دار التراث.

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م).
- **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم الإبياري. دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
القزويني، أبو يحيى زكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م).
- **آثار البلاد وأخبار العباد**. بيروت: دار صادر،
القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ/ ١٤٨١م).
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف:
- **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق الإبياري. ط ٢. بيروت: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م).
- **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الإبياري. دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). - **البداية والنهاية**، بيروت: مكتبة المعارف،
ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).
- **تاريخ الأندلس** (قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء) تحقيق أحمد مختار العبادي. مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٧١م.

مجهول

- **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها**، تحقيق إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

مجهول
- (من أهل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) .
- **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد . الإسكندرية : مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م .

مجهول، (عاش في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) : .
- **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق لويس مولينا . مدريد : المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميغل آسين، ١٩٨٣م .

مجهول
- قطعة في **أخبار عبد الرحمن الثالث** (الناصر) . مدريد ـ غرناطة : نشر إ . ليفي بروفنسال وإيليو جارثيا جومث، ١٩٥٠م .

مجهول، ألّف كتابه سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م) .
- **نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى** جـ١ (منتخبة، من كتاب **مفاخر البربر**) نشر إ . ليفي بروفنسال . الرباط : المطبعة الجديدة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م .

المراكشي: محيي الدين عبد الواحد بن علي (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) .
- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، ط٧ . الدار البيضاء : دار الكتاب، ١٩٧٨م .

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) .
- **التنبيه والإشراف** . بيروت : دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١م .

المقري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١) .
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس . بيروت : دار صادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

المنجم، إسحاق بن حسين (من أهل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) . **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان** د . م : د . ن، د . ت .

النباهي★
- **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (تاريخ قضاء الأندلس)** تحقيق لجنة إحياء التراث العربي. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ/ ١٣٧٢م).
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، جـ ٢٣، تحقيق أحمد كمال زكي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

ابن وضاح، أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع (ت ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م).
- **البدع والنهي عنها**، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط٢. دمشق: دار البصائر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م).
- **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ياقوت، أبو عبد الله ياقوت عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
- **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، ط٢. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م).
- **البلدان**، ليدن، ١٨٩١م.

★ سبق التعريف به.

ثانيا: المراجع العربية الحديثة

أبو الفضل، محمد أحمد (دكتور).
- تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م.
أرسلان، شكيب.
- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، بيروت: دار مكتبة الحياة.
الأوسي، حكمة علي (دكتور).
- فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ط٤. الرباط: مكتبة المعارف، ١٩٨٣م.
باشا، علي إسلام،
- إسبانياوالأندلس، القاهرة. مطبعة مصر،
بدر، أحمد (دكتور).
- تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري. دمشق، ١٩٧٤م.
- دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها (من الفتح حتى الخلافة) ط٢، ١٩٧٢م.
بشتاوي، عادل سعيد،
- الأندلسيون المواركة، ط٢. دمشق، ١٩٨٥م.

بيضون، إبراهيم (دكتور).
- **الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس**. بيروت: دار النهضة العربية،
- **الدولة العربية في إسبانيا (من الفتح حتى سقوط الخلافة)**. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م.

حاطوم، نور الدين (دكتور).
- **تاريخ العصر الوسيط في أوربة**. لبنان: دار الفكر الحديثة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

حبيبة، علي (دكتور).
- **مع المسلمين في الأندلس**، ط ٢. جدة: دار الشروق،

الحجي، عبد الرحمن علي (دكتور).
- أندلسيات، **المجموعة الأولى**. بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩ن.
- أندلسيات، **المجموعة الثانية**. بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- **التاريخ الأندلسي**، ط٢. دمشق، بيروت: دار القلم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

الحريري، محمد عيسى
- **حركات المولدين في الجنوب الأندلسي في عصر الإمارة الأموية بالأندلس**. دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.
- **مقدمات البناء السياسي للمغرب العربي**. القاهرة: مكتبة الشباب، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

حسن، حسن علي.
- **دراسات في تاريخ المغرب العربي**. القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٧٩م.

حسونة، محمد أحمد.

- **أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية**. القاهرة: دار النهضة،

حسين، حمدي عبد المنعم (دكتور)

- **التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية في العصر الأموي**. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

حمودة: علي محمد (دكتور).

- **تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي**. القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

حميدة، عبد الرحمن (دكتور).

- **أعلام الجغرفيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، ط٢. دمشق: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

الخربوطلي، علي حسني (دكتور)

- **الإسلام في حوض البحر المتوسط**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٠م.

خليفة، حسن، وحسن مراد، وأحمد إبراهيم الشرقاوي.

- **تاريخ العرب في إفريقية والأندلس**. مطبعة الاعتماد، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م.

دبور، محمد علي.

- **تاريخ المغرب الكبير**. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

الراشد، عبد الجليل عبد الرضا.

- **العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس في القرنين الثاني والثالث للهجرة**. بيروت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

رجب، محمد عبد الحليم (دكتور).
- **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف**. بيروت: دار الكتب الإسلامية،
الرصاصي، توفيق عبد الغني (دكتور).
- **أسس العلوم السياسية في ضوء الشريعة الإسلامية**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
الركابي، جودت (دكتور).
- **في الأدب الأندلسي**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.
رمضان، عبد المحسن طه (دكتور).
- **تاريخ حركة المقاومة الإسبانية ضد المسلمين في الأندلس، جـ ١، أصولها وتكوينها (٧١١ ـ ٧٣٩م/ ٩٢ ـ ١٢١هـ)**. القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ١٩٨٧م.
زيتون، محمد محمد (دكتور).
- **المسلمون في المغرب والأندلس**. القاهرة: دار الوفاء، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
سالم، السيد عبد العزيز (دكتور).
- **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٩م.
- **تاريخ مدينة المرية الإسلامية**. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٩م.
- **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة). بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م.
- **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥م.

السامرائي، خليل إبراهيم.

ـ **الثغر الأعلى الأندلسي (دراسة في أحواله السياسية ٩٥ ـ ٣١٦هـ/ ٧١٤ ـ ٩٢٨م)**. بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٧٦م.

سيسالم، عصام سالم (دكتور).

ـ **جزر الأندلس المنسية «التاريخ الإسلامي لجزر البليار»**، ط١. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

الشريف، أحمد إبراهيم (دكتور) بالاشتراك مع د. حسن محمود.

ـ **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، ط٥. القاهرة: دار الفكر العربي،

شلبي، أحمد (دكتور).

ـ **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، جـ٤، ط٥. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩م.

شلبي، سعد إسماعيل (دكتور).

ـ **الأصول الفنية للشعر الأندلسي (عصر الإمارة)**. القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٨٣م.

الشيخ، محمد مرسي (دكتور).

ـ **دولة الفرنجة وعلاقتها بالدولة الأموية في الأندلس**. الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

صادق، دولت أحمد (دكتورة).

ـ **جغرافية العالم**. القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٧٦م.

صقر، نادية حسني (دكتورة).

ـ **دور عبد الرحمن الناصر في إرجاء حركة الاسترداد**. مكة المكرمة: الفيصلية،

الصوفي، خالد (دكتور).
- **تاريخ العرب في إسبانيا (نهاية الخلافة الأموية في الأندلس)**، حلب: ، مكتبة دار الشرق،
طرخان، إبراهيم علي (دكتور).
- **المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى**، سلسلة الألف كتاب، رقم ٥٩٦. القاهرة: مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٦م.
طه، عبد الواحد ذنون (دكتور).
- **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**. بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢م.
الطيبي، أمين توفيق (دكتور).
- **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**. ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.
عاشور، سعيد عبد الفتاح (دكتور).
- **أوروبا العصور الوسطى**، ط٧. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م.
العبادي، أحمد مختار (دكتور).
- **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- في تاريخ المغرب والأندلس. الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية.
العبادي، عبد الحميد.
- **المجمل في تاريخ الأندلس**، ط٢. دار القلم، ١٩٦٤م.

عباس، إحسان (دكتور).
- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ط٥. بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٨م.
عبد البديع، لطفي (دكتور)
- الإسلام في إسبانيا، ط ٢. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩م.
عبد الحميد، سعد زغلول (دكتور).
- تاريخ المغرب العربي. الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٧٩م.
عبد الرزاق، محمود إسماعيل (دكتور).
- الأغالبة - سياستهم الخارجية. القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٢م.
- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط٢. القاهرة: مكتبة الحرية الحديثة، ١٩٨٦م.
عتيق، عبد العزيز (دكتور).
- الأدب العربي في الأندلس، ط٢. بيروت: دار النهضة العربية، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
العدوي، إبراهيم أحمد (دكتور).
- قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط. القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
- المسلمون والجرمان - الإسلام في غرب البحر المتوسط. القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦٠م.
ابن العربي، الصديق.
- كتاب المغرب، ط ٣. بيروت: دار المغرب الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

العريني، السيد الباز (دكتور).
- **تاريخ أوروبا العصور الوسطى**. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٨م.

العسلي، بسام.
- **عبد الرحمن الناصر**، ط ٢. بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

العمري، أكرم ضياء (دكتور).
- **بقي بن مخلد ومقدمة مسنده**، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

عنان، محمد عبد الله.
- **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، ط ٢. القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
- **دولة الإسلام في الأندلس**، ط ٤. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

عويس، عبد الحليم (دكتور).
- **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٩م

عيسى، محمد عبد الحميد (دكتور).
- **تاريخ التعليم في الأندلس**. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٢م.
- **الفتح الإسلامي للأندلس**. القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، ١٩٨٥م.

الغنيمي، عبد الفتاح مقلد.
- الإسلام والثقافة العربية في أوروبا. القاهرة: عالم الكتب، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
فكري، أحمد (دكتور).
- قرطبة في العصر الإسلامي. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣م.
فيلالي، عبد العزيز.
- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط٢. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٣م.
محمود، منى حسن (دكتورة).
- المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (٩٢ - ٢٠٦هـ/ ٧١٤م - ٨١٥م). القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٦م.
مراد، حسن.
- تاريخ العرب في الأندلس. القاهرة: دار الفرجاني، ١٩٨٤م.
مكي، الطاهر أحمد (دكتور).
- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط٢. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣م.
مكي، محمود علي (دكتور).
- مدريد العربية. القاهرة: دار الكتاب العربي.
مؤنس، حسين (دكتور).
- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط٢. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- **رحلة الأندلس**. القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣م.
- **شيوخ العصر في الأندلس**. القاهرة: الهيئة المصرية، ١٩٨٦م.
- **فجر الأندلس**، ط٢. الدار السعودية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- **معالم تاريخ المغرب والأندلس**. القاهرة، ١٩٨٠م

الناعوري، عيسى.
- **في ربوع الأندلس**. ليبيا ـ تونس: الدار العربية للكتاب، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

النصولي، أنيس زكريا.
- **الدولة الأموية في قرطبة**، جـ١. بغداد: المطبعة العصرية، ١٩٢٦م.

نعنعي، عبد المجيد (دكتور).
- **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس (التاريخ السياسي)**. بيروت: دار النهضة العربية.

هيكل، أحمد (دكتور).
- **الأدب الأندلسي (من الفتح إلى سقوط الخلافة)**، ط ٧. دار المعارف، ١٩٧٩م.

يوسف، جودت عبد الكريم.
- **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م.

ثالثا: المصادر والمراجع الأجنبية المنقولة إلى العربية

١ ـ المصادر:

ليون الإفريقي، الحسن بن محمد الوزان (ت تقريبا سنة ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م).
ـ وصف إفريقيا، ترجمه من الفرنسية إلى العربية عبد الرحمن حميدة. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

٢ ـ المراجع:

أرنولد، توماس. و.
ـ **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة حسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، ط٣. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.

بالنثيا، آنخل جنثالث.
ـ **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله إلى العربية حسين مؤنس. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥.

بروفنسال، إ. ليفي.
ـ **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة ذوقان قرقوط. بيروت: دار مكتبة الحياة،

بل، ألفرد.
ـ **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م.

بول، ستانلي لين.
ـ **العرب في إسبانيا**، تعريب علي الجارم. القاهرة: دار المعارف المصرية،

حتى، فيليب (دكتور).

- **تاريخ العرب**، ط٧. بيروت: دار غندور، ١٩٨٦.
- **صانعو التاريخ العربي**، ترجمة د. أنيس فريحة، ط٢. بيروت: دار الثقافة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

دوزي:

- **تاريخ مسلمي إسبانيا**، جـ١، ترجمة حسن حبشي، مراجعة جمال محرز، مختار العبادي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣م.

رينو، جوزيف،

- **الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي**، تعريب: إسماعيل العربي. دار الحداثة، ١٩٨٤م.

سوذرن، ريتشارد.

- **صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى**، ترجمة وتقديم رضوان السيد. بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٤م.

سيديو.

- **خلاصة تاريخ العرب**، نقله إلى العربية علي باشا مبارك وآخرون، ط ٢. بيروت: دار الآثار، ١٤٠٠هـ.

الطالبي، محمد (دكتور).

- **الدولة الأغلبية**، نقله عن الفرنسية: المنجي الصيادي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م.

فشر.

- **تاريخ أوربا العصور الوسطى**، القسم الأول، ترجمة محمد مصطفى زيادة، والسيد الباز العريني. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م.

كولان، ج. س.

- **الأندلس - سلسلة كتب دائرة المعارف الإسلامية**، رقم (٢)، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠م.

لوبون، غستاف.

- **حضارة العرب**، نقله إلى العربية عادل زعيتر. القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي وشركاه.

لودر، دوروثي.

- **إسبانيا (شعبها وأرضها)** ترجمة طارق فودة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

لويس، أرشيبالد. ر.

- **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

متز، آدم.

- **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٤، بيروت: ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

مورينو، مانويل جوميث.

- **الفن الإسلامي في إسبانيا**، ترجمة لطفي عبد البديع، السيد محمود عبد العزيز سالم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

رابعا : الرسائل الجامعية

البيلي، محمد بركات.

- **البربر في الأندلس (من الفتح حتى نهاية عصر الإمارة)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة. القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

السنيدي، صالح بن محمد.

- **دولة بني جهور في قرطبة** ـ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

عثمان، سعد بن حسين.

- **المجتمع الإسلامي في الأندلس في القرن الرابع الهجري**، رسالة دكتوراه غير منشورة في كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

العريني، يوسف بن علي،

- **مملكة بني ذي النون في طليطلة (دراسة في التاريخ السياسي)**، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

المزروع، وفاء عبد الله.

- **جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

المليجي، محمد محمد التهامي.

- **الحياة الاقتصادية في الأندلس في عصر الدولة الأموية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

الوصيف، محمد فخري عبد الرحمن.

- **العرب اليمنية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى قيام الإمارة الأموية**، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٨٥م.

خامسا: المقالات والأبحاث العربية

ألوزاد، محمد.

- الاتجاهات الفكرية في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس**، العددان الرابع، والخامس (١٩٨٠، ١٩٨١م)، ص. ص ١٤٨-١٧٨.

بوتشيش، إبراهيم القادري.

- «أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، **مجلة المناهل**، السنة ١٢، العدد ٣٢ (جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ/ مارس ١٩٨٥م).

- الانحساز العربي في الأندلس في أواخر عصر الإمارة هل كان وراءه تفوق مسيحي؟ «مجلة المؤرخ العربي، السنة ١٣، العدد ٣٤، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

تاويت، محمد.

- «دولة الرستميين أصحاب تاهرت»، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**، المجلد الخامس، العدد ان١ - ٢ (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)، ص. ص ١٠٥-١٢٨.

حسين، محمد نور الدين محمد.

- «**شيخ الإسلام بقي بن مخلد**»، مجلة الجندي المسلم، السنة الثالثة، عشرة، العدد ٤٠ (جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)،

زكار، سهيل (دكتور).

- «الدولة الرستمية في تيهرت، **مجلة دراسات تاريخية**، العدد ١٢، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص. ص ٧٤-٩٠.

طه، عبد الواحد ذنون (دكتور).

ـ «التنظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة، **ندوة النظم الإسلامية أبو ظبي**، عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤، جـ٢، مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض، ص. ص ٣٢٨-٣٥١.

ـ «قيام الممالك الإسبانية وعلاقتها مع العرب في الأندلس»، **مجلة أوراق** العددان ٥ ـ ٦، (١٩٨٢ ـ ١٩٨٣م)، ص. ص٨٩-٩٨.

عثمان، محمد عبد العزيز.

ـ «ثورة ابن القط في الأندلس وادعاؤه بأنه المهدي المنتظر»، **مجلة تاريخ العرب والعالم**، العدد ٣٢، (١٩٨١م/ ١٤٠١هـ)، ص. ص ٩٤-٩٦.

ابن محمود، نور الدين.

ـ «فتح العرب فرنسا وما وراء جبال البرانس، «**مجلة العربي**، العدد ١٢٢ (١٩٦٩م)، ص. ص ٧٤-٨٣.

مكي، محمود علي (دكتور).

ـ «التشيع في الأندلس». **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية**، المجلد الثاني، العدد ١ ـ ٢، (١٩٧٣هـ/ ١٩٥٤م)، ص. ص ٩٣-١٤٩.

ـ «الخوارج في الأندلس»، **مجلة تطوان**، العدد الأول، (١٩٥٦م)، ص. ص ١٦٩-٢١٧.

مؤنس، حسين (دكتور).

ـ «صورة الأندلس»، **مجلة كلية الآداب**، جامعة الإسكندرية، المجلد الرابع عشر، ١٩٦٠م، ص. ص ٣٣-٦٠.

ـ «غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩ و٢٤٥هـ/ ٨٤٤ و٨٥٩م، وسفارة يحيى الغزال إلى ملك النورمند في سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م، **المجلة التاريخية المصرية**، المجلد الثاني، العدد الأول، (مايو ١٩٤٩م)، ص. ص ١٤٢-١٤٨.

ـ قائد عربي أندلسي مجيد (أبو العباس أحمد بن أبي عبدة) **مجلة العربي**، العدد ١٧١، (فبراير ١٩٧٣م)، ص. ص ٤٥-١٧٤.

ـ «المسلمون في حوض البحر الأبيض إلى الحروب الصليبية»، **المجلة التاريخية المصرية**، المجلد الرابع، العدد الأول مايو ١٩٥١م، ص. ص ٢٣١-٢٥٠.

سادسا: الأطالس الجغرافية ودوائر المعارف

- أطلس العالم: شارل بدران، مطابع فالاردي.
- دائرة المعارف الإسلامية: ألفها جماعة من أعلام المستشرقين ونقل كثيرا من موادها إلى اللغة العربية: أحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، بيروت: دار المعرفة،
- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ط ٣. بيروت: دار المعرفة، ١٩٧١م.

Alfonso, Pedoro.

سابعا : المصادر والمراجع الأجنبية(*)

Cronica de 1344, Preparada Por Diego Catalan Y Maria Soledad de Andres. Madrid, 1970

Alfonso, X.
Primera Crónica General de Españ editada Por Menendez Pidal, Tomo II. Madrid, 1977.

Altamira Y Crevea, Rafael.
Historia de España Y de la civilizacion Espanola, Tomo: I. Barcelona, 1913

Ballesteras Beretta, Antonia.
Sintesis de Historia de España, Barcelona. Madrid, 1957.

Chalmeta, Pedro.
Precisiones acerca de "Umar B. Hafsun" (Actas de Las II Jornadas de La Cultura Arabe e Islamica 1980). Madrid, 1985.

Chejne, Anwar G.
Historia de España Musulmana. Madrid, 1980.

Codera, Francisco.
Estudios Criticos de Historia Arabe Española. Madrid, 1917.

Dozy, R.
Historia de Los Musulmanes de España Tomo: II. Madrid, 1984.

Gabrieli, Francesco.
Muhammed and he conquests of Islam. N.Y: McGraw - Hill, 1958.

Mccabe, Joseph.
The Splendour of Moorish Spain, London, 1935.

Provençal, Lévi.
Historia de España Musulmana, T. Emilio Gorcia Gómez Collecciôn; Historia de Espana de Menedez Pidal, Tomo: 4. Madrid, 1967.

Ramos - Oliveira; Antonio.
Historia de Españaa, Tomo I. Mexico,

Repollés Agwlar; Jose,
historia de Españ, Tomo; I.Barcelona.

Suarez Fernàndez, Luis.
Historia de España Eded Media. Madrid, 1970.

Valvéz, Joaquin.
"De nuevo sabre Bobastro," Al-Andalus, Vol. xxx, Fasc, I. (1965).

Velarde, F. Arranz.
Lecturas de Historia de España Y de La Civilizaciôn Espanola. Santander, 1935.

Villa-Real Y Valdivia, Francisco de Paula.
Lecciones elementales de Historia Critica de España. Granada, 1899.

Watt and Pierre Cachia, W. Montgomery.
A History of Islamic Spain. New York, 1967.

(*) تشتمل هذه القائمة على مصادر قديمة (مدونات) ومراجع حديثة ومقالات باللغة الإسبانية، وكذلك على مراجع حديثة باللغة الإنجليزية.

الأعمال المُحَكَّمة (٦)

من صفحات ضعف المسلمين السياسي :

الأندلس

في

الربع الأخير من القرن الثالث الهجري

٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م

(دراسة في التاريخ السياسي)

تأليف : محمد بن إبراهيم أبا الخيل

مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة

الرياض ١٤١٦هـ

٩٥٣،٠٧١١ و ٩٥٣ أبا الخيل، محمد بن إبراهيم
١-١أ الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري:
٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م / محمد بن إبراهيم
أبا الخيل. - ط ١. - الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة،
١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م
٤٧٩ ص؛ ١٧ × ٢٤سم. - (الأعمال المحكمة؛ ٦)
ردمك × - ٠٣ - ٦٢٤ - ٩٩٦٠
ردمد ٠٩٣٨ - ١٣١٩
١ - الأندلس - تاريخ أ - العنوان

رقم الإيداع: ١٤/٠٥٩٦
ردمك × - ٠٣ - ٦٢٤ - ٩٩٦٠
ردمد ٠٩٣٨ - ١٣١٩

الطبعة الأولى - الرياض ١٤١٦هـ

ص.ب. ٨٦٤٨٦ الرياض ١١٦٢٢ - هاتف: ٤٩١١٣٠٠
ناسوخ: ٤٩١١٩٤٩ - برقياً: ٤٠٦٤٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

(سورة الأنفال : ٤٦)

التقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. إسهاماً منها في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بشكل يتناسب ومعطياته على مرِّ العصور، دون إفراط ولا تفريط؛ وتحقيقًا للوعي الثقافي والعطاء الحضاري المتنامي؛ لريادة الأمة، وبناءً للشخصية المسلمة والارتقاء بها، وإيجاداً لأوعية ثقافية ضرورية ونافذة على حضارات العالم أجمع؛ تقدم مكتبة الملك عبد العزيز العامة كتابها السادس (الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري: دراسة في التاريخ السياسي)، وذلك ضمن سلسلة أعمالها المُحكَّمة؛ نشرًا للقيم الإسلامية الرشيدة، ودفعها إلى أن تسود بقاع المعمورة.

والتأريخ لفترة من الفترات يكتنفه اتجاهان مختلفان في الرؤى والمنهج، وإن توارى الأخير في معظم الدراسات التاريخية إن لم يكن كلها!، بينما يرى نفر من الباحثين والمؤرخين ضرورة دراسة الجوانب السياسية، وكذا الوقائع الحربية مهملين الجوانب المضيئة من الحياة العامة نجد معارضين آخرين لتلك الرؤية، وديدنهم في ذلك أنها ـ أي الجوانب السياسية ـ قد استهلكت دراسةً!، وإنما يجب التأريخ للجوانب الحضارية من نهضات مدنية مختلفة: دينية وعلمية واجتماعية واقتصادية وتجارية.. إلخ؛ وفات هؤلاء وأولئك أن الجانبين مكملان لبعضهما البعض!؛ فالجوانب الحضارية والمدنية، والإنجازات العلمية، والصروح الفكرية، لا تتم إلا في تاريخ سياسي مناسب وناضج، والعكس صحيح!.

من ناحية أخرى يُركِّز كثير من الباحثين والمؤرخين على إظهار معالم العصور المتألقة والمشعة حضارياً وفكريا، فمع حاجتنا إلى الركون إلى هذا الرصيد الضخم الثري من الحضارة إلا أننا يجب ألا ننسى في حمأة الفخر

والزهو تلك الجوانب الباهتة والضعيفة والمتقلبة، وأسباب ونتائج ذلك على الحياة العامة للحيلولة دون الوقوع في أخطاء السابقين، والاستفادة من عبر هذا التاريخ وعظاته.

«ولا يتبادر إلى الذهن أننا نريد أن نداري على هذه الانحرافات، أو نتلمس المعاذير الواهية لتبريرها، أو نكذب على التاريخ باختلاق وقائع مزورة بدلاً منها!...»(١).

وكتابة بل وتزوير التاريخ على هذا الحد لا يقره الإسلام؛ فالمؤرخ المسلم مطالب بقول الحق ولو كلفه ذلك نفسه، ولقي حتفه بسبب ذلك! ﴿ **يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا كُونُوا قَوَّامين بالقِسْطِ شُهَدَاءَ للَّه وَلَو عَلَى أَنْفُسكم والوالدين والأقربين..** ﴾(٢).

من هنا كان حرص مكتبة الملك عبد العزيز العامة على استجلاء جانبي التاريخ الإسلامي: الحضاري والسياسي؛ فأصدرت كتابين: (النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة)، ويمثل الجانب الحضاري ثم «الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري» ويمثل الجانب السياسي؛ ليرافقا فعاليات الندوة التاريخية العالمية (الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات).

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، والله الهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مكتبة الملك عبد العزيز العامة ـ الرياض

---

(١) الأستاذ محمد قطب: كيف نكتب التاريخ الإسلامي، دار الشروق، ص ١٣

(٢) سورة النساء: آية ١٣٥.

المحتويات

الصفحة

الصفحة

الصفحة